

UNIVERSITY OF TORONTO



3 1761 00259363 0

صفحة	سطر	خطا	صواب
٢٤٧	١٤	ساكن انده	ساكن انره
٢٥٢	٦	الرعاة افاري	الرعاة في افاري
٠٠٠	٢٠	شهرتهم	بنيتهم
٢٦٣	٥	الغارة	الغاراة
٢٦٧	١٦	اوتسيا	ارتوسيا
٢٨١	١٤	الغارة	الفارة
٢٨٣	١٨	انية	ابنة
٢٩٠	١١	الغربي	الغربي
٣٠٥	٢	له. السابقة	به. التابعة
٣٢٥	١٠	توخر	توفر
٣٤٤	٩	ملح البارود معدن مؤلف من البوتاس والخاص الزتروني	
٣٤٥	٨	ربع	في ربع
٣٥١	١٤	وهو	وهي
٣٥٩	٨	مرافق	وافق

وقع بعض اغلاط لا سيما في ما طبع اثناء غيبوبة سيادة المؤلف في اوربا
وأصلح كما ترى

صفحة	سطر	خطا	صواب
٦٦	٢٠	مصادقة	مصادقة
١٢٤	٢	ترجومة	توجرمة
١٢٦	١٠ و ٦	٠٠٠	٠٠٠
١٨٥	١٦	ومستتبع	وليستتبع
١٩٦	١٣	ابن هدر	ابن هدد
١٩٨	١٠	منخيم	منحيم
٢٠٨	١٢	مصبوغين	مصبوغة
٢١١	١	ققي	فعن
٢١٦	١٢	من	مغ
٢٣٢	١	فصور	فصدر
٠٠٠	٥	صيان	صان او سان
٢٣٥	١٩	امنون	امون
٢٣٧	١٥	ارفو	ادفو
٢٣٨	١٦	المتحالفين	المتحالفون
٢٤٣	٢٢	ثلث	بثلث
٢٤٥	٢	واما	وما
٠٠٠	١٤	كان	كانت
٠٠٠	١٩	الثامنة عشرة	الثانية عشرة

وجه الحجر فى جانب البتروى عد ١٠٨

(ي)

الىبوسيون من ولد كنعان ومسا كنهم عد ٣٧

يارح بن يقطان ومسا كن ذريته عد ٣٩

يارد بن مهلائيل عد ٢١

يافت بن نوح وابناؤه ومسا كنهم عد ٤١ كلام مجمل فى ابناؤه ومسا كنهم عد ٤٢

ياذيلي كايا فى اسيا الصغرى آثار الحسين فيها عد ٨١

ياوان بن يافت ومسا كن ذريته اليونان عد ٤١ عد ٨٤

يقطان او قحطان جد العرب البارية وولده ومسا كنهم عد ٣٩

يوباب من بني يقطان ومسا كن ذريته عد ٣٩

اليوم ما المراد به فى ايام خلق العالم عد ٩

اليونان اقوال العلماء فى سكان بلادهم القدماء عد ٨٤ رأى الاب دي كارا ان اصلهم

حشون عد ٨٦ اخذهم كثيراً فى صناعتهم عن الحسين ٧٧



(ن)

النبات خلق الله له واحتياجه الى النور عد ١٠
الانساب التي ذكرها موسى واهميتها عد ٣١ وهل تعم البشر كلهم والظاهر انه ذكر
انساب النوع الابيض فقط عد ٣٢
نهر النعمان مصدره ومصبه عد ٢
نفتوحيم بن مصرائيم عد ٣٥
نكو ملك مصر مقاومته الاشوريين في مصر ١٢٥ غزوة سورية في اثر انقراضهم ١٢٦
نمرود بن كوش عد ٣٤ المدن التي وليها او بناها ثمة . بناؤه نينوى عد ٣٤
نمقيو في انحاء ازميز والتتمثال الحي فيها عد ٨٠
نوح مولده وبنائه عد ٢١ صنعه الفلك ونجاته من الطوفان عد ٢٥ تتمة اخباره بعد
الطوفان عد ٣٠
نود ارض شرقي عدن عد ١٨
نينوى من بناها وبعض تاريخها وموقعها عد ٣٤ حصارها وسقوطها ١٢٦ الكشف عن
اخرتها ثمة
نينوس حقيقة امره وعصره ١٢٠

(ه)

هاثيل بن آدم مولده وتاويل اسمه ومقتله عد ١٨
هدد اي ابن هدد ملك دمشق انتصار سلتناصر الثالث عليه ولحاقه في البحر ١٢١
هدورام بن يقطان ومساكن ذريته عد ٣٩
هوشع ملك اسرائيل استنجاده بشباك ملك مصر على سلتناصر الخامس الاشوري ١٢٢
الخطوط الهيروكليّة ومن كشف عن كنوزها وانواعها عد ٧

(و)

الوثنيّة واحدة عند القونيين وغيرهم ١٤٥ و ١٤٧

- ماش بن ارام ومقام ذريته عد ٤٠
 ماشك بن يافت ومواطن ذريته عد ٤١
 مالطة احتلال القونقيين فيها ١١٥
 متوشح بن اخوخ عد ٢١
 مجدو (اللجون) موقعها عد ٥ محاربة توتس الثالث جحافل ملوك سورية فيها عد ٦٢
 المدنيون اصلهم ومساكنهم عد ٥٤
 المريج بحيرة المريج عد ٣
 مرعش الآثار الحثية فيها عد ٨٢
 الخطوط المسمارية ومن كشف اسرارها عد ٨
 مصرائيم بن حام واعقابه عد ٣٥
 نهر المقطع مخرجه ومصبه عد ٢
 المكتبة الملكية القديمة في نينوى عد ٨
 ملكرت هيكله في صور وما كان فيه ١٠٢ و ١٤٨
 منبج في انحاء حلب وهيكل الآلهة الام فيها ٧٨
 منعيم ملك السامرة خضوعه لتبجت فلاصر عد ٧٤
 منفتح فرعون الخروج خلافته لايه رسميس وارساله مؤنات للحيثين عد ٦٦
 مهلائيل بن قينان عد ٢١
 الموايون اصلهم ومساكنهم عد ٥٤ تنكيل سرغون بهم ١٢٢ استسلامهم الى سنخاريب
 ١٢٣ خضوع ملكهم موصوري لاسر حدون ١٢٤ اشتراك ملكهم بمخالفة ملك مصر على
 بختنصر ١٢٧
 موتنار ملك الحيثين وعهدة الصلح مع ساي الاول عد ٦٤ محاربه رسميس الثاني عد ٦٥
 قتله غيلة ثمة
 ميشا عند مصب الفرات عد ٣٩

ثمة خروجهم عن طاعته وتنكيه بهم عد ٦٢ حرب ساقى الاول لهم واخضاعهم وقطعهم
 اخشاب الارز لا بنيتيه عد ٦٤ استيلاء اشور نزيبال على لبنان وانه اكب على الصيد فيه
 عد ٧٢ و ١٢٠ اخشاب الارز التي قطعها حيرام لسليمان ومن اية ناحية كانت ١١٧ ذكر
 هذه الاخشاب بين الجزيات التي افترضها تجلت فلاصر الاول على البلاد التي فتحها
 ١٢٠ عبادة ادونيس فيه ١٤٦

اللغة الاولى ورأي الاباء والعلماء فيها عد ٤٦ بلبتها في بابل عد ٤٧
 اللغات القديمة وما تعاقب عليها من الادوار عد ٤٦ علم معارضة اللغات عد ٤٨ رد
 اللغات القديمة الى اصليين السامي او السرياني العربي وفروعه والسنسكريت وردھا
 الى اصليين الهندي الايراني والهندي الاوربي وفروع هذين الاصليين عد ٥٠ ادخال
 المصريين في لغتهم بعض الفاظ من فروع اللغة السريانية عد ٦٧
 اللكام جبل موقعه عد ٢ احتلال الحثيين فيه عد ٥٩ خضوعه لتجت فلاصر الاول
 عد ٧٠ تدوين اشور نزيبال لاهله عد ٧٢ ما فرضه ستمناصر جزية عليهم عد ٧٣
 لهايم بن مصرائيم ومساكن ذريته عد ٣٥
 لود بن سام ومساكن ذريته عد ٣٨ هو اخو ارام لا ابنه ولا يبعد ان يكون اصل
 الروثانو عد ٤٠

لوديم بن مصرائيم وذريته عد ٣٥
 لوزافي بيت ايل ولوزافي ارض الحثيين عد ٥٦
 لييا وتخومها ومساكنها عد ٣٥
 الليطاني نهر منبعه ومصبه عد ٢

(م)

ماجوج بن يافت ومساكن ذريته عد ٤١
 ماداي بن يافت ومساكن قبيلته الماديين عد ٤١
 المادة يستحيل ان تكون ازلية عد ٩

نهر الكلب منبعه ومصبه عد ٢

كلته مدينة نمرود وموقعها عد ٤

الكلدان قرضهم دولة الاشوريين وولايتهم مكانهم ١٢٦ حربهم مع نكو ملك مصر
في سورية ١٢٧ آخر ملوكهم وانتصار الفرس عليهم وافتتاح بابل ١٣٠

كميس بن قورش ملك الفرس خلافته لايه وولايته على مصر والصعيد وحملته على
الجبشة وموته ١٣٠

كنعان بن حام سبب لعن نوح له بدلاً من حام عد ٣٠ ابناؤه ومساكن كل منهم
عد ٣٧

الكنعانيون مساكنهم عد ٣٢ وعد ٥٤ اصلهم ومهاجرهم الاولى وداعي ارتحالهم الى سورية
عد ١٠١ زمان ارتحالهم الى سورية عد ١٠٢ الحال التي توطنوها في سورية عد ١٠٣
حالة مما لكهم لاسيا مع المصريين بعد طرد الرعاة عد ١٠٤ تشتتهم في عهد يشوع بن
نون وجالياتهم في بلاد اليونان وافريقية عد ١٠٥

كورش وافتتاحه بابل وخضوع المدن القونيقية له وموته عد ١٣٠

كوش المراد بهذا الاسم عد ١٣ مساكن الكوشيين عد ٣٣ و ٣٤ ابنا كوش هناك
كير مواب الكرك عد ٥

الدولة الكينية عد ٨

كيتاسار ملك الحثيين عد ٦٥ عهدة الصلح بينه وبين رعسيس الثاني عد ٦٦

كي خسرو الاول ملك الفرس وغيره ممن سمو بهذا الاسم في دولة الفرس ١٣٠

(ل)

لامك من ذرية قاين عد ٢٠

لامك بن متوشلح عد ٢١

اللاتين من قبائل اوروبا القديمة منهم بعض الفرنسيين وسكان ايطاليا وغيرها عد ٤٢
لبنان الغربي والشرقي عد ٢ فتح توتمس الثالث قسمه الشمالي وتقديم اللبنانيين جزيتهم له

قدموس ارتحاله الى بلاد اليونان ووضعه الحروف لاهلها ووقت هذا الارتحال عد ٨٧
ولايته وولاية بعض اعقابه في تاب من بلاد اليونان عد ١٠٥
قرطاجنة بناها عد ١١٩
قلموس القلمون عد ١٠٩
قويق نهر حلب منبعه ومصبه عد ٢
قينان بن انوش عد ٢١

(ك)

تكوين الكائنات عد ١٠ اثبات ابداع الله لها بالآثار القديمة عد ١٢
كاتون القديم كاتب روماني في القرن ٣ ق م عد ١١٩
كاسيوس طالع كلمة الاقارع
كالح مدينة نرود وموقعها وبعض تاريخها عد ٣٤ كاور قلعة سي (قلعة الكفار) في
انحاء انقوره الآثار الحثية فيها عد ٨٢
الكبير النهر الكبير منبعه ومصبه عد ٢
كبيريم اي الالهة الكبار وعددها عند الفونيقين ١٤٦
الكتابة بالصور وانواعها عد ٥١ الكتابة بالحروف وايجاد الفونيقين لها عد ٥٢ و ١٣٥
كسيم بن يوان بن يافت ومسكن ذريته عد ٤١ و ٨٤
كركميش موقعها في محل ايرابوليس الان عد ٥ و ٧١ وجعلها مركزاً لدولة الحثيين بعد
هجر فادس عد ٦٩ عدم افتتاح تجلت فلاصر لها عد ٧٠ افتتاح سرغون لها وبنائه فيها
صرحاً وكذا افتتاحها سلمناصر عد ٧١ جلاء سرغون اهلها واقامة اشوريين فيها
وحاكما اشورياً عد ٧٥ صعود نكو ملك مصر لقتالها ثمه
الكرمل جبل موقعه عد ٢

كسلوحيم من ولد مصرائيم ومساكنهم عد ٣٥
ككتوريم او الكفتوريون يراد بهم سكان جزيرة كريت عد ٣٥

فى تلك الانحاء ثم تجارثهم فى افريقية ١٣٤ جالاثهم على ساحل الاتلنتيك ثم تجارثهم فى اوربا ١٣٥ اقرار الاوريين بفضلهم بايصال الحضارة والتمدن الى بلادهم . ثم صناعة الفونيقين فى البرفير ١٣٦ صنعهم الزواج واهتداؤهم اليه ١٣٧ اصطناعهم الآنية الخرفية والمعدنية خاصة النحاس الاصفر والحلى والعاج ١٣٨ خمرهم وآلات الحرانة عندهم وتقديدهم الاسماك ومزية ابنتهم ثم ايجادهم الكتابة بالحروف واخذ حروفهم عن العلامات الهيروغليفية ١٣٩ حروف كتابتهم اصل للحروف فى كل اللغات وتقسيم كتابة هذه اللغات الى طوائف ١٤٠ ما طراً من التغير على الحروف الفونيقية ١٤١ لغة الفونيقين سامية واما هم فحاميون ١٤٢ آثارهم وندرتها والسبب فى ذلك ١٤٣ علومهم ١٤٤ دياتهم ١٤٥ عبادتهم نوع من الثالوث . ثم ذباثهم عد ١٤٧ كهنثهم وهياكلهم ١٤٨ آثار ابنتهم ١٤٩ ندورها وسببه وقلة استعمالهم عقد الابنية . ثم مدافنهم وما كانوا يضعون فيها ١٥٠ اصنامهم . ثم لغتهم وفروعها ٤٩

(ق)

قادس مدينة الحثيين عد ٥٦ موقعها وصورها فى آثار مصر والمدن الاخرى المسماة باسمها عد ٦٠ افتتاح قومس الثالث لها مرتين عد ٦٢ حصار ساقى الاول وافتتاحه لها وردھا بعمدة الصلح على الحثيين عد ٦٤ محاربة رعسيس الثانى للحثيين على اسوارها عد ٦٥ هجر الحثيين لها عد ٦٩

قادس فى اسبانيا بناء الفونيقين لها عد ١١٥

قاين بن آدم مولده وقتله أخاه عد ١٨ ذريته عد ٢٠

قبرس سكانها يونان او حثيون عد ٤١ وعد ٤٨ اسمها فى الآثار الاشورية عد ٨٤ رأى الاب دي كارا فى اصل سكانها الاولين انهم حثيون عد ٨٥ و ١١٠ شيء من تاريخها ١١٠ الحروف التى استعملت فيها الى ايام اسكندر ربما كانت الحروف الحثية ٧٦ خضوع ملوكها لاسرحدون ١٢٤ استيلاء اليونان عليها فى مدة ولاية الفرس ١٣٠ الآثار التى وجدت فيها ١٤٣

وجنوبي ايطاليا وفي صقلية مصر وقرطاجنة وبلاد العرب والكلدان وارمينية ثمه حالهم السياسية على عهد سوؤد صيدا ١١١ مسالمتهم لفرانسة مصر موثرين راحتهم ونجاح تجارتهم على الحرب ثمه قيامهم على اسطول مصر البحري ١١٢ تسطي البلاسج عليهم واضطراهم الى ترك اكثر مستعمراتهم في بحر الروم والى انقطاعهم عن السفر الى البحر الاسود ١١٣ مضايقة بني اسرائيل والفلسطين لهم ثمه جعلهم صور عاصمة لهم وانضمامهم اليها ١١٤ توثق عرى اتحادهم ثمه مستعمراتهم في مدة سوؤد صور في افريقيا واسبانيا ومالطة وصقلية وسردينيا وايطاليا ومراكش وغيرها ١١٥ ما كانوا يستجلبونه من اسبانيا خاصة الفضة وكثرتها ثمه دوران سفنهم حول قارة افريقيا ثمه اتفاقهم مع بني اسرائيل ١١٦ ما كان بين حيرام الثاني وسليان ١١٧ تزوج سليان بانية حيرام واحاب بايزبال ابنة ايتوبعل ونفذ مملكة صور في مملكتي بني اسرائيل . ثمه ملوك صور الى بناء قرطاجنة ١١٨ اول من غزا فونقي من الاشوريين ١٢٠ هل غزاها تجلت فالاصر الاول . ثمه حملات اشور نيربال عليها . ثمه غزوات سلمناصر الثالث لها واستسلامها اليه ١٢١ خسارة الفونقيين بعض املاكهم في جزر الارخيل اخذها منهم الدور يون اليونان ثمه غارة رامن نيرال الثالث عليها ثمه استحواذ سلمناصر الخامس عليها ١٢٢ استسلام مدنها الى سنخاريب عدا صور ١٢٣ حملة اسرحدون عليها وخضوع ملوكها له ١٢٤ خضوعهم لابنه اشور بانيبال ثمه عصيانهم عليه وقهره لهم ١٢٥ خضوعهم طوعا لنكو ملك مصر وتواصل جاليتهم في اورو ١٢٦ . استسلامهم الى بختنصر اولاً ثمه محاققتهم ملك مصر عليه وحصاره صور ١٣ سنة وتدميرها ١٢٧ محاربة اسطولهم المصري في امواه قبرس ١٢٨ حالتهم مع ملوك القرس وخضوع حيرام الرابع لكورش ١٣٠ انقيادهم وانجادهم لكسيس ابنه وخلافهم له في غزوة قرطاجنة . ثمه استمرارهم على الطاعة لداريوس وابائهم الاشتراك في الثورة عليه . ثمه ما كان لهم مع باقي ملوك القرس . ثمه حملة ارتخشستا عليهم وحصاره صيدا ثمه . ولاية اليونان على فونقي ثمه فهرس ملوك فونقي ١٣١ تجارة فونقي ١٣٢ تجارتها في اسيا وبروعها الثلاثة ١٣٣ تسيار سفنهم في بحر الهند ومواد تجارتهم

العمونيون اصلهم ومساكنهم عد ٥٤ اشترك ملوكهم في المحالفة مع ملك مصر على
بختصر ١٢٧

بنو عناق من قبائل سورية القدماء عد ٥٤ بناؤهم حبرون وتسميتها قرية اربع عد ٥٥
عنايم بن مصرائيم وذريته عد ٣٥
عوبال من بني يقطان ومساكن ذريته عد ٣٩
عوص بن ارام ومسكن ذريته عد ٤٠
عيلام بن سام ومساكن ذريته عد ٣٨

(غ)

غزة اول من بناها عد ٥ اتصال تجات فلاصر الثاني بغزوة اليها وفرار ملكها حنون الى
مصر ١٢١

(ف)

فتروسيم من ولد مصرائيم ومساكنهم عد ٣٥
الفردوس الارضي وموقعه عد ١٣ تقليدات القبائل بشأنه عد ١٤
الفرزيون ليسوا من عشائر الكنعانيين بل يراد بهم سكان القرى عد ١٠٤
الفرس دولتهم وحروبهم في مصر واكثر ملوكهم ١٣٠
الفلسطينيون اصلهم ومساكنهم عد ٣٥ وعد ٥٤ اشتداد ساعدتهم ومضايقتهم بني
اسرائيل وتدميرهم صيدا ١١٣
فيثون احد الانهر التي تسقى الفردوس عد ١٣
فيلون الجبيلي وترجمته كتاب سنكوتيانون ١٤٤
القوطيون بنو فوط مساكنهم عد ٣٢ وعد ٣٦

فونيقي اسمها عد ١٠٦ تخومها عد ١٠٧ مدنهما عد ١٠٨ اختراعهم الملاحة عد ١٠٩
مستعمراتهم في مدة سؤدد صيدا جاليتهم في قبرس ورودس وغيرها من جزر الارخبيل
وعبورهم الى البحر الاسود وجنوبي جبل قاف ١١٠ محالهم التجارية في شطوط الابير

في بيوتهم ١٣٠ اكتشاف مدفن ملكها بتنيت ١٤١ و ١٤٣
صيدون بكر كنعان وموطن ذريته عد ٣٧

(ط)

طبرية بحيرتها عد ٣

الطور جبل الطور موقعه عد ٢

الطوفان رواية الكتاب خبره عد ٢٥ أعاماً كان ام خاصاً عد ٢٦ هل يثبت علم
الجيولوجية حصوله عد ٢٧ آثار الاقدمين الدالة عليه عد ٢٨ مستقر السفينة بعده
عد ٢٩

(ع)

عابو بن شالح ونسبة العبرانيين اليه عد ٣٨ تيسير حروب الحثيين والمصريين امتلاك
العبرانيين ارض الموعد عد ٦٨ بيان سني عبوديتهم في مصر بسني الملوك الرعاة عد ٩٤
عاد احدى قبائل العرب البائدة من ولد عوص بن ارام عد ٤٠
العاصي نهر مصدره وموقعه عد ٢

عبودية بني اسرائيل في مصر وكم كانت سنوها عد ٩٤

العرب العاراية والعرب البائدة والعرب المستقرة عد ٣٩

عراير عراير عد ٥

عرقا موقعها عد ١٠٨

العريقون من بني كنعان مساكنهم عد ٣٧

عزيز دورا اخباره ازدوبار عن الطوفان عد ٢٨

عفرين نهر منبعه ومصبه عد ٢

عكا اقدم سكانها عد ٥ و ١٠٨ استسلامها الى سنخاريب ١٢٣

عمريت موقعها عد ٥ و ١٠٨ المعبد الذي فيها ١٤٨

العمو وما المراد بهم عد ٥٩ وعد ١٠٢

لتجت فلاصر الثاني عد ٧٤ فتح سرغون لها عد ٧٥ شيء من تاريخها عد ١٠٨ و ١١١
 اتخاذا القونيين لها عاصمة ١١٤ قدمها وموقعها القديم وشيء من تاريخها ثمه استيجار
 اهلها ملاحين وحرساً من الاجاب ثمه . مستعمرات القونيين في مدة سوددها ١١٥
 ملوكها حيرام الاول وابيبل وحيرام الثاني واتفاقهم مع داود وسليمان ١١٦ و ١١٧
 غيرهم من ملوكها الى بناء قرطاجنة ١١٨ اخذ اشور نيربال الجزية من اهلها ١٢٠
 وكذا فعل ابنه سلناصر ١٢١ ارسال تجت فلاصر الثاني قائداً اليها وافتداء ملكها
 مياب ملكه بدراهم ثمه . انتصار الصوريين على اسطول سلناصر الخامس ١٢٢ ومقاومتهم
 لسرغون واضطراره الى عقد عهدة صلح معهم وفصله مدن فونيق عن صور وخسارتها
 بعض مستعمراتها في البحر المتوسط ثمه . حصار سنخاريب وفتح له ١٢٣ خضوع ملكها
 بل لاسرحدون ١٢٤ عصيان ملكها بل على اشور بانيبال وافتتاح هذا صور بعد
 حصارها سنين ١٢٥ التقاء ملكها نكو ملك مصر بالترحاب ١٢٦ حصار بختصر لها ثلث
 عشرة سنة وفتحها واسره ايتوبل ملكها وكثيراً من اعيان قومه ١٢٧ حالتها في عهد
 ملوك بابل بعد فتح بختصر لها وذكر بعض ملوكها ١٢٩ ذلها لاسكنندر الكبير ١٣٠
 تجارتها كما وصفها حزقيال النبي ١٣٢ معبوداتها المثثة ١٤٦

الصلت ارجع الى راموت جلعاد

صيدا اول سكانها عد ٥ ممالأة اهلها لرعمسيس الثاني عد ١١١ اداء ملكها الجزية الى
 اشور نيربال عد ٧٢ شيء من تاريخها ١٠٨ اختراع اهلها الملاحة ١٠٩ سوددها في
 القونيين ١١٠ و ١١١ وتقهقرها وسقوطها لوجود مبار لها في الملاحة ١١٢ تدمير
 الفلسطينيين لها ١١٣ بقاؤها على استقلالها لدى فتح يشوع بن نون ارض الموعد ١١٦
 اخذ اشور نيربال الجزية من اهلها ١٢٠ وكذا فعل ابنه سلناصر ١٢١ حملتهم على ارواد
 وفتحها ثمه استسلامها الى سنخاريب عد ١٢٣ افتتاح اسرحدون لها في عهد ملكها
 عبد ملكوت وجلاء بعض سكانها الى اشور ١٢٤ اشتراك ملكها بالحاققة مع ملك مصر على
 بختصر ١٢٧ فتح الاسطول المصري لها ١٢٨ حصار ارتحشستا لها واحراق اهلها انفسهم

لها عد ٦٢ استسلامها الى ساتي الاول عد ٦٤ محاربة سلتناصر الثالث للموكها عد ٧٣ حاة
 رمان نيرار ملك اشور عليها وغزوة تجلت فلاصر الثاني لها وانقياد ملوكها اليه في ارباد
 عد ٧٤ و ١٢١ حالتها في عهد رمسيس الثاني نقلًا عن اخبار عامل مصري ١١١ غزوة
 سنخاريب لها ١٢٣ واسر حدون واشور بانيبال ١٢٤ و ١٢٥ غارة التتر عليها ١٢٥ خروج
 نكو ملك مصر عليها ١٢٦ استسلامها الى بختنصر ملك الكلدان ١٢٧ و الملوك القرس ١٣٠
 كيف عرف اهلها الحرير ١٣٣ تقديمهم الضحايا البشرية ١٤٧
 سويداس من هو عد ٢٣

سيميراميس امرأة نينوس ١٢٠

(ش)

شالف بن يقطان ومساكن ذريته عد ٣٩ شبا بن رعمه بن كوش عد ٣٣
 شبطون في جهة الحصن واياف رمسيس جنوده فيها عد ٦٥
 شجرة معرفة الخير والشر وشجرة الحياة عد ١٥ وعد ١٧
 شمو ليون كاشف اسرار الخطوط المصرية مولده ووفاته عد ٧
 شمس ملكة العرب وعقاب تجلت فلاصر لها ١٢١
 شعمار اي ارض شعار وتاويل اسمها عد ٤٤
 شيت بن آدم مولده وتسمية بنيه ابناء الله عد ١٩
 شيشاق ملك مصر ودسائسه في سورية عد ١١٨
 (ص)

الصقالبة او السلاف منهم سكان روسيا والبشناق والسرب والبلغار والبولنيون عد ٤٢
 صتلية الجزيرة حلول القونقيين فيها وبناهم هناك مدنا وشي من تاريخها ١١٥
 صميرا او سيميرا من مدن فونيقي موقعها عد ١٠٨
 الصمريون من بني كنعان مساكنهم عد ٣٧
 صور اول سكانها عد ٥ اداء ملكها الجزية الى اشور نير بال عد ٧٢ خضوع ملكها حيرام

سلناصر لها ١٢٢

السامريون اصلهم عد ٥٤

سبا بن كوش وذريته عد ٣٣

سبا بن يقطان ومساكن ذريته ٣٩

سبتا بن كوش وموطن ولده عد ٣٣

ستخ او شتخ معبود الحثيين واتصال عبادته الى مصر بواسطة الملوك الرعاة ٧٨

سرتبا سرفند عد ١٠٨

سردنيا حلول القونيين فيها وشيء من تاريخها ١١٥

سرغون ملك اشور حروبه في سورية وفتح السامرة وصور ودمشق وتنكيله بملوك

فلسطين ويهوذا وادوم ومواب وضمه قبرس الى مملكته ومقتله ١٢٢

سفار عاصمة سبتا عد ٣٣

السكانديناف من هم عد ١٧

السلت من قبائل اوربا القديمة منها الغال سكان افرنسة عد ٤٢

سلناصر الثالث وحروبه في سورية عد ٧٣

سلناصر الخامس وحروبه مع العبرانيين وحصاره صور عد ٧٥ و١٢٢

سمرديس بن كوش وقتل اخيه كمييس له واخذ مجوسي اسمه وعاولته الولاية فقتله

داريوس ١٣٠

سنخاريب ملك اشور ولايته وغزوته في سورية وافتتاحه صور ١٢٣ ونش صورته على

معبده الكلب ثم مقتله ابنه له ١٢٤

سنغار ملك الحثيين وازلال اشور نيربال له عد ٧٢ حربه مع سلناصر الثالث عد ٧٣

سنكونيانون البيروتي وكتابه وترجمة فيليون الجبيلي له ١٤٤

سورية تخومها عد ١ جبالها عد ٢ انهرها عد ٣ بحيراتها عد ٤ مدنها عد ٥ اسمها واصله

عد ٦ سكانها قبل الطوفان عد ٥٣ سكانها بعد الطوفان عد ٥٤ اخضاع توتمس الثالث

رعمسيس الاول اصله وحر به في سورية وفلسطين عد ٦٣
 رعمسيس الثاني وحر به في سورية ونقش صورته على صخور نهر الكلب ومحاولاته
 اخضاع الحثيين واضطراره الى عقد الصلح معهم عد ٦٥ ما حاق به من الخطر في
 حرب قادس ووصف الشاعر المصري بسالته ثم . خروج اكثر اعمال فلسطين عن طاعته
 ثم ايضا . عهدة الصلح بينه وبين كيتاسار ملك الحثيين عد ٦٦ زواجه بابنة ملك
 الحثيين عد ٦٧

رعمه او رعمه بن كوش ومساكن ولده عد ٣٣

رامان نيرار ملك اشور حملته على سورية عد ٧٤

الروثانو سكان سورية الشمالية عد ٦١ قسمة الآثار المصرية لهم الى روثانو المغرب وهم
 سكان دمشق وروثان المغرب وهم سكان شمالي سورية عد ٤٠ انبساط سلطتهم في
 سورية واحتمل انهم لوديون اي من ولد لود عد ١١ تغلب الحثيين عليهم عد ٦٣

اخضاع توتمس الاول وتوتمس الثالث لهم عد ١١١

ريعات بن جور بن يافت مساكن قبيلته عد ٤١

(ز)

الزجاج ايجاد الفونقيين له ١٣٧

الزوزيم او الزوزيون من سكان سورية القدماء عد ٥٤

الزيب عد ١٠٨ استسلام اهلها الى سنخاريب ١٢٣

(س)

سابالت ملك الحثيين عد ٦٣

ساقى الاول ملك مصر وحر به مع العرب والسوريين واللبنانيين عد ٦٤

سام بن نوح وبنوه عد ٣٨ كلام مجمل في ابنائه ومساكنهم عد ٤٢

السارما المراد به عد ٢٣

السامرة ومن بناها عد ٥ فتح سرغون الاشوري لها وجلاء اهلها عد ٧٥ و ١٢٢ حصار

ددان بن رعمه بن كوش عد ٣٣

دقله من بني يقطان ومنازل نسله عد ٣٩

دمشق موقعها واسمها عد ٥ ولاية الاراميين والحثيين عليها عد ٥٩ استسلام اهلها
لتومس الثالث عد ٦٢ ابن هدد ملكها ممن تحالفوا على سلتناصر الثالث عد ٧٣ اسر
رامان نيرار ملك اشور مرياح ملكها عد ٧٤ خضوع ملكها راسن لتجلت فلاصر ثمه ١٢١
فتح سرغون لها عد ٧٥ حملة سلتناصر الثالث على مدن خزائيل ملكها ١٢١ وخسارة
بن هدد ملكها عشرين الف من رجالها في حرب سلتناصر ثمه غارة رامان نيرار
عليها ثمه

دودانيم او رودانيم بن يواون بن يافت ومساكن ذريته عد ٤١

دوكليون وحديثه في الطوفان عد ٢٨

ديدوبنت ملك صور ارجع الى اليسار

(ر)

رابة مواب (ربة) عد ٥

راسن مدينة نمرود وموقعها عد ٣٤

راموت جلعاد (الصلت) عد ٥

الرفائيم من سكان سورية الاولين عد ٥٤

ربة عمون عمان عد ٥

الرعاة اي الملوك الرعاة اصلهم والبلاد التي هاجروا منها عد ٨٩ اقوال العلماء في
اصلهم ومنشأهم وقول علماء العرب انهم عمالقة عد ٩٠ تحرير قول دي كارا فيهم وحجج
قوله بانهم حثيون عد ٩١ اثبات كونهم حثيين مما سمتهم به الاثار المصرية عد ٩٢
عصر غارتهم ومدة ملكهم عد ٩٣ بيان سني عبودية بني اسرائيل في مصر بسني الملوك
الرعاة عد ٦٤ اعمالهم في مصر عد ٩٥ ندرة آثارهم واسبابها عد ٩٦ حروبهم عد ٩٧
حصار افاري مدينتهم عد ٩٨ استسلامهم وخروجهم منها عد ٩٩ موقع افاري مدينتهم

الحوريون سكان جبل سعيير عد ٥٤

حول بن ارام ومساكن ذريته عد ٤٠

الحولة بحيرتها عد ٤

حويلة ارض حويلة موقعها عد ١٣

حويلة بن يقطان ومساكن ذريته عد ٣٩

حويلة بن كوش ومساكن ذريته عد ٣٣

الحويون من بني كنعان مساكنهم عد ٣٧

الحية واغواؤها لحواء عد ١٦

حيرام ملك صور صديق داود ١١٦

حيرام الثاني صديق سليمان وقطعه خشب الارز له من لبنان ومراسلتها ١١٧ اباه

ان يأخذ القرى التي اراد سليمان هبتها له وتزوج سليمان بنته وشركتهما في ارسال

السفن الى اوفير ثمة

حيرام الثالث اداؤه الجزية لتجت فلاصر الثاني عد ١٢١

(خ)

الحضارمة ومنازلهم وفروعهم عد ٣٩

الخطية الاصلية ووجه اتصالها بجميع الناس عد ١٥ آثار القبائل الدالة عليها عد ١٧

خلدوا خلدو في جنوبي بيروت عد ١٠٨

خلق الله العالم في ستة ايام وما معنى اليوم عد ٩

(د)

داريوس ملك الفرس تملكه وقتله سمرديس وقسمة مملكته الى ١٩ ولاية ووفاته ١٣٠

باقي من سمووا باسمه من ملوك هذه الدولة ثمة

نهر الدامور منبعه ومصبه عد ٢

دجلة ومنبعه عد ١٣

اليونان على مصر ووقوع ملكهم اسيراً وتقلص مملكتهم نحو الشمال ثمة . اخبارهم مع تجلت فلاصر الاول وتنكيله بهم عد ٧٠ محاربة اشور زربال لهم وما فرضه عليهم جزية عد ٧٢ حروبهم مع سلناصر الثالث ملك اشور وخلعهم نير اشور بعد موته عد ٧٣ حملة رمان نيرار عليهم وخضوعهم الموقوت له عد ٧٤ حروبهم مع تجلت فلاصر الثاني ثمة . انتصار سرغون عليهم وجلاء سكان كركيش الى بلاد اشور عد ٧٥ آثارهم وخطوطهم وتعسر فهم رموزها عد ٧٦ لغتهم وصناعتهم ٧٧ ديانتهم الظاهر انهم اخذوها عن بابل ٧٨ ملابسهم واسلحتهم ٧٩ ولايتهم على اسيا الصغرى واثارهم فيها عد ٨٠ و ٨١ و ٨٢ جالياتهم في بلاد اليونان عد ٨٣ رأي الاب دي كارا ان سكان قبرس الاولين حثيون عد ٨٥ رايه ان السكان الاولين في جزر بحر الروم وبلاد اليونان وبعض ايطاليا حثيون ايضاً وان الحثيين والبلاسيج الاولين قبيلة واحدة ٨٦ حثيون (حسان) عد ٥

حضرموت بن يقطان ومساكن نسله عد ٣٣

حفرع ملك مصر ابطاوه في انجباد صور والحرب بين اسطوله المصري والاسطول القوينتي وثل بختنصر عرشه ١٠٨

حلب موقعها عد ٥ وفتح توتنس الثالث لها عد ٦٢ اشتراك اهلها في الثورة على رعسيس الثاني عد ٦٥ غرق ملكها في بحيرة قادس عند محاربة رعسيس ثمة

حمام موقعها عد ٥ توعي ملكها خضع لداود عد ٥٦ ايرا كونا ملكها ممن تحالفوا على سلناصر الثالث في موقعة كركر عد ٧٣ استسلامها الى تجلت فلاصر الثاني وسببه من اهلها جمّاً غفيراً في ايام دانيال ملكها عد ٧٤

الحماثيون من بني كنعان مساكنهم عد ٧٤

حمص بحيرتها عد ٤ موقعها عد ٥ عبادة الحجر فيها ١٤٦

حنون اي درج حنون كتاب كتب بالقونية ١٤٦

حواء خلق الله لها عد ١١ ووسوسة الحية لها ١٦

ابنه سلمناصر ١٢١ استسلامها الى سنخاريب في ايام ملكها اورملك ١٢٣ خضوع ملكها
اصاف لاسرحدون ١٢٤ ولابنه اشور بانيبال ١٢٥ اخذ حفرع ملك مصر جيبيل ١٢٨
اقامة ملكها المسمى يهو ملك نصباً لعشروت بعله جيبيل ١٤٣ معبوداتها الثلاثة ١٤٦
الجرمانيون ومساكنهم عد ٣٧

جزائر بحر الروم اقوال العلماء في سكانها القدماء عد ٨٤

نهر الجوز منبعه ومصبه عد ٢

جومر بن يافت ومساكن ذريته حذاء البحر الاسود عد ٤١

جيجون احد الانهر التي تسقى القردوس عد ١٣

(ح)

حام بن نوح وتحقق بنوه ابيه في ذريته عد ٣٠ ولده عد ٣٣ مجمل الكلام في مساكن
ابنائهم عد ٤٢

حبرون (الحليل) اول سكانها عد ٥

حث بن كنعان ومساكن ذريته عد ٣٣

الحثيون الجنوبيون في حبرون وعلاقتهم مع العبرانيين عد ٥٥ مشاركتهم الياوسيين في
بناء اورشليم ثمة الحثيون الشماليون ومساكنهم في شمالي سورية عد ٥٦ تسمية ارض الموعد
ارض الحثيين ثمة اصل الحثيين وكونهم حاميين لاساميين عد ٥٧ مصادر تاريخهم وكيف
اهتدى الى آثارهم عد ٥٨ هيئتهم ونوع حكومتهم وبسطة ملكهم عد ٥٩ و٦٣ انتزاعهم
املاك الاراميين عد ٦١ و٦٣ غزوات توتمس الثالث والرابع لبلادهم عد ٦٢ حملة
رعسيس الاول عليهم واضطراره الى عقد عهدة صلح معهم عد ٦٣ محاربة ساقى الاول
لهم وتجديده عهدة الصلح معهم عد ٦٤ حروبهم مع رعسيس الثاني وعقد الصلح معهم
عد ٦٥ نص عهدة الصلح بين ملكهم كيتاسار ورعسيس الثاني عد ٦٦ زواج رعسيس
بأبنة ملكهم عد ١٧ اشتراك الحثيين الجنوبيين في حرب الكنعانيين لبني اسرائيل وعدم
اشتراك الحثيين الشماليين فيها عد ٦٩ اشتراكهم في حملة شعوب اسيا الصغرى وجزر

الترك واصلهم من ولد يافت عد ٤٢
 تروك كاتب روماني في القرن الثاني للميلاد ١١٩
 تموز ادونيس ارجع الى هذه الكلمة
 قوبل قاين من ذرية قاين اول من عمل بالمعادن عد ٢٠
 قوبل بن يافت ومساكن قومه عد ٤١
 تومتس الاول اخضاعه الكنعانيين والروثانو لسلطته ١١١
 تومتس الثالث ملك مصر وغزوته الروثانو والحثيين عد ٦٢ و ١١١
 تومتس الرابع غزوته الحثيين عد ٦٢
 توجرمة بن جومر بن يافت ومساكن قبيلته في ارمينية الغربية عد ٤١
 توعي ملك حماة خضوعه لداود عد ٥٦
 تيراس بن يافت ومقام ذريته عد ٤١

(ث)

ثود وجديس من القبائل العربية اصلهما ومساكنهما عد ٤٠

(ج)

جائر بن ارام ومقام اعقابيه في الجيدور عد ٤٠
 الجابرة ذكرهم في الكتاب وفي آثار القبائل وما المراد باسمهم عد ٢٤
 جبيل واول سكانها عد ٥ لم يكن سكانها الاولون كنعانيين بل اراميين عد ١٠٣ مملأة
 اهلها لرعمسيس الثاني عد ٦٥ كانت تخمًا لاملاك المصريين والحثيين في عهدة الصلح
 بينها عد ٦٦ اداء اهلها الجزية لاشور نيربال عد ٧٢ خضوع ملكها سيديتي بل لتجات
 فلاصر عد ٧٤ شيء من تاريخها ١٠٨ حلول بعض الجبليين في قبرص قبل الصيدونيين ١١٠
 حلول بعضهم في مالوس ثمة استسلامهم الى ولاية مصر ١١١ حفظهم استقلالهم المحلي في
 عهد سيادة صور ١١٤ يظهر ان المهندس والبنائين والنحاتين الذين ارسلهم حيرام الى
 سليمان كانوا من جبيل ١١٧ اخذ الملك اشور نيربال الجزية من اهلها ١٢٠ وكذا فعل

بيكاليون ملك صور وما كان له مع اخته اليساد ١١٩
 البلاسج الاولون واصلهم عد ٣٥ التفريق بينهم وبين البلاسج المتأخرين وان الاولين
 حثيون على راي دي كارا عد ٨٦ وعد ٨٨ عهدتهم مع الليبيين وتسطينهم على الفونيقين
 ١١٢

بوليستور (اسكندر) عد ٤٥
 بوغاز كوى في اسيا الصغرى آثار الحثيين فيها عد ٨١
 نهر بيروت منبعه ومصبه عد ٢
 بيروت واول سكانها عد ٥ استسلامها الى توتمس الثالث عد ٦٢ لم يكن سكانها الاولون
 كنعانيين بل اراميين ١٠٣ شي من تاريخها عد ١٠٨ استسلام اهلها الى حكومة
 مصر ١١١ حفظهم استقلالهم في ايام سودد صور ١١٤
 بيزيريس ملك الحثيين وخضوعه لتجت فلاصر الثاني عد ٧٤ حروبه مع الاشوريين
 عد ٧٥

(ت)

تبتيت ملك صيدا واكتشاف مدفنه وما كتب عليه ١٤١ و ١٤٣ و ١٥٠
 التتر من ذرية ماجوج وشي من تاريخهم عد ٤١ غارتهم على اسيا الصغرى وسورية
 ١٢٥ فتك شيكسر بهم ١٢٦
 التون من قبائل اوربا وفروعها السكندنافي والجرمان والانكليزي عد ٤٢
 تجت فلاصر الاول وحروبه مع الحثيين عد ٧٠ غزواته في سورية ١٢٠
 تجت فلاصر الثاني وغزواته في سورية وبلاد الحثيين عد ٧٤
 تدر موقعها ومن بناها عد ٥
 تراخونيد ارجوب عند القدماء اللجاء موطن عوص بن ارام عد ٤٠
 ترشيش اسبانيا عد ٤١
 ترشيش بن يواون بن يافت ومساكن ذريته عد ٤١

اوزال بن يقطان ومنازل ولده ٣٩

اوفير بن يقطان ومساكن نسله ٣٩

اوفير علم لبلد او بلدين ٣٩

اوربا ارتحال سكانها من اسيا وقسمتهم الى خمس قبائل ٤١ لغات اهلها الاصول والقروع ٥٠

الاباريون اصلهم ومساكنهم ٤٢

ايرابوليس تقليد الطوفان فيها ٢٨ كونها في محل كركيش ٥ و ٧١

ايطورية مملكة قديمة محلها ٤٠

ايتوبيل ملك صور اقامة سنخاريب له ملكاً بدلاً من الولا ١٢٣

الايمون من سكان سورية القدماء ٥٤

ايوق في الكابدوك آثار الحثيين فيها ٨٢

(ب)

بابل موقعها عدد ٣٤ وعدد ٤٤ اداء ملكها الجزية لتوتمس الثالث عدد ١٢ ملوكها طالع

كلمة كلدان

برج بابل ايات الكتاب فيه عدد ٤٢ وهل كان من بنوه جميع الناس حينئذٍ عدد ٤٣ موقعه

٤٤ الآثار المثبتة تاريخه ٤٥

باروز كاتب تاريخ الكلدان عدد ٢٨ وعدد ٤٥

البترون ومن بناها عدد ٥ و ١٠٨

بختنصر ملك بابل حربه مع ملك مصر في سورية واكراهه يواقيم ملك يهودا على

الخضوع واخذه آتية هيكل اورشليم وحرقة وسبي بعض اليهود ١٢٧ جنونه وموته ١٣٠

البرفير صنع القونيقين له ومادته وصنعه ١٣٦

نهر بردي منبعه ومصبه عدد ٢

البشر وبيان انواعهم عدد ٣٢

بعلبك موقعها ومن بناها عدد ٥

اشور بن سام ويراد به بلاده ايضاً ٣٤ مساكن ذريته ٣٨ خضوع ملك اشور لتوتس الثالث ٦٢

اشور بانينال مبايعة ابيه له بالملك وحملاته على مصر وخضوع فونقي وسورية له ١٢٥
اشور زيربال حروبه في سورية ٧٢ و ١٢٠ حملته على فونقي ثمه

افاري مدينة الملوك الرعاة موقعها ٩٦ و ١٠٠ حصار المصريين لها ٩٨ استسلامها ٩٩
الاقرع اي الجبل الاقرع موقعه ٢

اكد مدينة نمرود موقعها والمراد بها ٣٤

اكرت الجزيرة احتلال بعض الفونقيين فيها ١١٠ خروج الفلسطينيين منها ارجع الى فلسطين

الكاريون قدام رودس واختلاطهم بالفونقيين ١١٠

الولا ملك صور ١٢٢ مدافعتة عن صور في ايام سرغون ١٢٢ انتصار سنخاريب عليه ١٢٣
نهر الاولى منبعه ومصبه ٢

اليسار بنت موقون ملك صور ومهاجرتها من صور مع جاليتها ١١٩

اليشه بن يوان بن يافت مساكن قبيلته في بلاد اليونان ٤١

اليقيم من قدام سكان سورية ٥٤

امانوس جبل طالع الاسكندر

امريكا الآثار الدالة على الطوفان فيها ٢٨

الاموريون مساكنهم ٣٧

ام العواميد موقعها واثارها ١٠٨

الموداد بن يقطان ومساكن ذريته ٣٩

انطاكية بحيرتها ٣

انوش بن شيت ١٩ ابتدائه بالدعاء باسم الله وما معنى هذا ٢١

اورشليم ٥ حصار بمختصر لها ونهبه الهيكل وحرقة ١٢٧

توسيعهم نخوم ولايتهم ١١٦ اشارة الى غزوات تجلت فلاصر لهم ١٢٠
ارباد اي تل ارفاد في انحاء حلب حصار تجلت فلاصر لها وفتحها ٧٤
ارتخشتا الاول ملك الفرس ومن سمي باسمه من ملوك هذه الدولة ١٣٠
الاردن منابعه وموقعها ٢

الارض السفلى في حدشي ما معنى هذه الآية واين هذه الارض ٥٦
ارفكشاد او ارفخشاد بن سام ومساكن ذريته ٣٨
ارك احدى مدن نمرود موقعها ٣٤

ارواد موقعها واول سكانها ٥ شيء من تاريخها ١٠٨
الاروايون مساكنهم ٣٧ فتح تومس الثالث مدينتهم ٦٢ اشتراكهم في الثورة على
رعسيس الثاني ٦٥ ادانهم الجزية الى اشور نيربال ٧٢ و ١٢٠ بقاؤهم على شيء من
الانفصال عن سائر مدن فونيقي ١١٤ ملكهم ماتينبل واشتراكهم في الثورة على
سلمناصر ١٢١ سيادة صيدا عليهم ثمة استسلامهم الى سنخاريب ١٢٣ خضوع ملكهم
لاسر حدون ١٢٤ خضوع ملكهم ويكنلو لاشور بانيبال ١٢٥ اخذ حفرع ملك مصر
جزيرتهم ١٢٨

الاريايون من هم ١٧
اذدوبار بطل قديم يُظن انه نمرود لروايته تاريخ الطوفان ٢٨
اسرحدون بن سنخاريب ارتقاه منصة الملك وحملته على سوريه وافتتاحه صيدا ١٢٤
استخواذه على بلاد العرب وتهزيمه ترهاقه ملك مصر وخضوع منسا ملك يهوذا له
ونقش صورته على معبر نهر الكلب وتنزله عن الملك لابنه ثمة
اسكندر بن فيلبوس المكدوني ارتقاوه منصة الملك وسلبه داريوس الثالث ملكه
وولايته فونيقي ١٣٠

اسماعيل نزوله في جرهم وتوجه منهم ٣٩
اشكناز بن جومر بن يافت ومقام ذريته ٤١

فهرس هجائي

﴿ لما تضمنه هذا الجلد الاول بحسب الاعداد المتقسم عليها ﴾

(١)

الاباء الاولون عد ٢١ . طول اعمارهم ٢٢ . التطابق بين عددهم في الكتاب وعددهم في آثار القبائل ٢٣ . جدول في عددهم واسمائهم في الكتاب وفي آثار الكلدان ٢٤ . آباي احد الملوك الرعاة الذي استوزر يوسف وفي آية سنة ملكه استوزره عد ٩٤ بداية حرب الرعاة والمصريين في ايامه ٩٧

اباميا اعتقاد اهلها ان مهبط سفينة نوح كان فيها ٢٨

ابرهيم اي نهر ابرهيم منبعه ومصبه ٢ تسميته ادونيس طالع ادونيس

ابو علي اي نهر ابي علي ينابيعه ومصبه ٢

ايدان من هو ٢٣ و ٤٥

ايبائل من بني يقطان ومنازل ذريته ٣٩

احمس بن ابانا امير التجاره وما كتب على مدفته ٩٨

احنوخ بن يارد وانتقاله ٢١

آدم خلق الله له ١١ اثبات ابداع الله له وللعالم بالآثار القديمة ١٢ مخالفته وصية الله

١٥ آثار القبائل الدالة على ذلك ١٧

ادونيس عبادته في جيبيل ولبنان وصورة مقتله وقيامته ٧٨ و ١٤٦

الآدوميون اصلهم ومساكنهم ٥٤ تشكيل سرغون بهم ١٢٢ استسلامهم الى سنحاريب

١٢٣ خضوع ملكهم قدموه لاسرحدون ١٢٤

اراراط جبال ارمينية واستقرار فلك نوح عليها ٢٨ و ٢٩

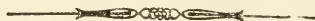
آرام وما سُمي به ٦ آرام بن سام ومقام ذريته ٣٨ بنوه ٤٠ اختلاطهم مع الروثانو اي

اللوديين ٦١ خضوعهم لساقى الاول ٦٤ اشتراكهم في الثورة على رمسيس الثاني ٦٥

﴿ الفصل العاشر ﴾

(في ديانة الفونيقين)

٣٦٠	١٤٥	في الوثنية عند الفونيقين وغيرهم
٣٦٢	١٤٥	، معبودات الفونيقين
٣٦٥	١٤٧	، ذبائح الفونيقين
٣٦٧	١٤٨	، كهنة الفونيقين وهياكلهم
٣٧٠	١٤٩	، آثار ابنية الفونيقين
٣٧٣	١٥٠	، مدافن الفونيقين



﴿ الفصل السابع ﴾

(في تجارة الفونيقين)

صفحة	عد
٣٣٣	١٣٢
٣٣٦	١٣٣
٣٣٨	١٣٤
٣٣٩	١٣٥

﴿ الفصل الثامن ﴾

(في صناعة الفونيقين)

٣٤٢	١٣٦
٣٤٣	١٣٧
٣٤٥	١٣٨

﴿ الفصل التاسع ﴾

(في ايجاد الفونيقين الكتابة بهلحروف وفي لغتهم وعلومهم)

٣٤٨	١٣٩
٣٤٩	١٤٠
٣٥١	١٤١
٣٥٣	١٤٢
٣٥٥	١٤٣
٣٥٧	١٤٤

صفحة	عد
٢٩٢	١١٧ في حيرام الثاني وسليمان الملك
٢٩٦	١١٨ « ملوك صور وماكان من الاحداث في ايامهم الى بناء قرطاجنة »
٣٠٠	١١٩ « بناء قرطاجنة »

﴿ الفصل الخامس ﴾

(في الفونيقين وملوك الاشوريين)

٣٠٣	١٢٠ في اول من غزا فونيقى من الاشوريين
٣٠٦	١٢١ « الفونيقين وسلمناصر الثالث وخلفائه الى تجلت فلاصر الثاني »
٣٠٩	١٢٣ « الفونيقين وسنحاريب ملك اشور »
٣١٢	١٢٤ « الصيدونيين وآسرحدون »
٣١٦	١٢٥ « الفونيقين واشور بانيدال ملك اشور »

﴿ الفصل السادس ﴾

(في الفونيقين في مدة ملوك الكلدان والفرس)

٣١٩	١٢٦ في اقراض دولة الاشوريين وخلافة دولة الكلدان لها وغزوة نكو ملك مصر لسورية وفونيقى
٣٢٠	١٢٧ في الفونيقين وبختنصر وحصاره صور
٣٢٥	١٢٨ « في الحرب البحرية بين اسطول حفرع ملك مصر والاسطول الفونيقى من قبل بختنصر »
٣٢٦	١٢٩ حالة صور في عهد ملوك بابل بعد فتح بختنصر لها
٣٢٧	١٣٠ في الفونيقين في عهد ملوك الفرس
٣٣١	١٣١ « فهرس اسماء ملوك صور نقلاً عن لانرمان »

صفحة	عد
٢٥٧	١٠٢
٢٥٨	١٠٣
٢٦٠	٢٠٤
٢٦٢	١٠٥

﴿ الفصل الثاني ﴾

(في اسم فونقي وتخومها واشهر مدنها)

٢٦٤	١٠٦
٢٦٦	١٠٧
٢٦٦	١٠٨

﴿ الفصل الثالث ﴾

(في الصيدونيين واختراعهم الملاحة ومستعمراتهم وحاتمهم السياسية)

٢٧١	١٠٩
٢٧٣	١١٠
٢٧٨	١١١
٢٧٩	١١٢
٢٨٠	١١٣

﴿ الفصل الرابع ﴾

(في الفونقيين في عصر سيادة صور الى بناء قرطاجنة)

٢٨٢	١١٤
٢٨٥	١١٥
٢٩١	١١٦

صفحة	عد
٢٢١	حثيون اصلاً
٢٢٣	رأي الاب دي كارا في قدموس وزمان ارتحاله الى بلاد اليونان
٢٢٥	في خطبة الاب دي كارا في الحثيين والبلاسج الاولين
* الفصل الثامن *	
(في غارة الحثيين على مصري في الملوك الرعاة)	
٢٢٩	في اصل الملوك الرعاة ومهاجرهم
٢٣٠	اقوال العلماء في اصل الملوك الرعاة ومنشأهم
٢٣٤	تحرير قول الاب دي كارا في الملوك الرعاة وحججه عليه
٢٣٧	اثبات ان الملوك الرعاة حثيون بما ستمهم به الاثار المصرية
٢٣٩	في عصر غارة الرعاة على مصر ومدة ملكهم فيها
٢٤٠	بيان سني عبودية الاسرائيليين في مصر بسني الملوك الرعاة
٢٤٣	في اعمال الملوك الرعاة في مصر
٢٤٥	• ندرة آثار الرعاة
٢٤٦	• حروب الرعاة
٢٤٩	حصار آفارى محصن الرعاة
٢٥١	استسلام آفارى وخروج الرعاة منها
٢٥٣	• موقع مدينة آفارى متحصن الرعاة

— ❧ مقالة في الفونيقين ❧ —

* الفصل الاول *

في الكنعانيين

٢٥٥	في اصل الكنعانيين ومهاجرهم الاولى وداعي ارتحالهم الى سورية
-----	--

صفحة	عد
١٩٢	٧٢ في الحثيين واشور نيزيربال
١٩٤	٧٣ في الحثيين وسلمناصر الثالث
١٩٧	٧٤ في الحثيين وخلفاء سلمناصر حتى تجلت فلاصر الثاني
١٩٩	٧٥ في الحثيين وسرغون ملك اشور
	﴿ الفصل الخامس ﴾
	(في تاريخ الحثيين مأخوذاً عن آثارهم)
٢٠١	٧٦ في آثار الحثيين وتعسر فهم رموزها الى اليوم
٢٠٣	٧٧ في لغة الحثيين وصناعاتهم
٢٠٥	٧٨ في ديانة الحثيين
٢٠٧	٧٩ في ملابس الحثيين واسلحتهم
	﴿ الفصل السادس ﴾
	(في آثار الحثيين الدالة على توطنهم اسيا الصغرى وولاياتهم فيها)
٢٠٩	٨٠ تمثال نمفيو
٢١٠	٨١ آثار الحثيين في بوغاز كوي ويازيل كايا
٢١٣	٨٢ في آثار اخرى للحثيين في اسيا الصغرى
	﴿ الفصل السابع ﴾
	في جاليات الحثيين الى بلاد اليونان وايطاليا وقبرس
٢١٤	٨٣ في مذهب الاب قيصر دي كارا في اصل السكان القدماء في هذه البلاد
٢١٦	٨٤ في اقوال العلماء في سكان بلاد اليونان وجزائر بحر الروم القدماء
٢١٨	٨٥ في رأي الاب دي كارا في اصل سكان قبرس الاولين
	٨٦ في رأي الاب دي كارا ان سكان جزائر بحر الروم رودوس وكريت وساموس وغيرها وبلاد اليونان وبعض ايطاليا الى توسكانا

٥٧ في اصل الحثيين بالخصوص ١٦٠

﴿ الفصل الثاني ﴾

(في تاريخ الحثيين مأخوذاً عن الاثار القديمة)

٥٨ في مصادر تاريخ الحثيين ١٦٣

﴿ الفصل الثالث ﴾

(في تاريخ الحثيين مأخوذاً عن الاثار المصرية)

٥٩ في هيئة الحثيين ونوع حكومتهم وبسطة ملكهم ١٦٥

٦٠ في قادس مدينة الحثيين ١٦٧

٦١ في الروثانو والحثيين في سورية الشمالية ١٦٩

٦٢ غزوات توتمس الثالث ملك مصر للروثانو والحثيين ١٧٠

٦٣ في الحثيين ورعمسيس الاول ١٧٤

٦٤ في الحثيين وساتي الاول ١٧٦

٦٥ في الحثيين ورعمسيس الثاني ١٧٨

٦٦ عهدة الصلح بين رعمسيس ملك مصر وكتاسار ملك الحثيين ١٨٣

٦٧ زواج رعمسيس بانبنة ملك الحثيين ١٨٥

٦٨ في تيسير حرب المصريين والحثيين دخول بني اسرائيل ارض الموعد ١٨٧

٦٩ بقية ما كان بين خلفاء رعمسيس والحثيين ١٨٧

﴿ الفصل الرابع ﴾

(في تاريخ الحثيين مأخوذاً عن اثار الاشوريين)

٧٠ في الحثيين ونجات فلاصر الاول ١٨٩

٧١ كركيش مدينة الحثيين ١٩٠

صفحة	عد
١٣٢	٤٤ في موقع برج بابل
١٣٤	٤٥ في الاثار المثبتة تاريخ برج بابل
	﴿ الفصل العاشر ﴾
	(في اللغة)
١٣٦	٤٦ في اللغة الاولى
١٣٨	٤٧ بلبله اللغة
١٣٩	٤٨ علم معارضة اللغات
١٤١	٤٩ اللغات السامية
١٤٤	٥٠ في السنسكريت وفروعها
	﴿ الفصل الحادي عشر ﴾
	(لمحة في الكتابة)
١٤٧	٥١ الكتابة بالصور
١٤٩	٥٢ في الكتابة بالحروف
	﴿ الفصل الثاني عشر ﴾
	(في سكان سورية الاولين)
١٥٠	٥٣ في سكان سورية قبل الطوفان
١٥١	٥٤ في سكان سورية بعد الطوفان
	— مقالة في الحثيين —
	﴿ الفصل الاول ﴾
	(في اصل الحثيين وموطنهم وما يظهر من تاريخهم في الكتاب المقدس)
١٥٤	٥٥ في الحثيين الجنوبيين
١٥٦	٥٦ ، ، الشماليين

عد	صفحة
٢٧	هل ثبت علم الجيولوجية حصول الطوفان
٢٨	اثار الاقدمين الدالة على الطوفان
٢٩	في مستقر السفينة ومهد البشر بعد الطوفان
٣٠	تمة اخبار نوح بعد الطوفان

﴿ الفصل الثامن ﴾

(في ابناء نوح وتفرق ابناءهم في الافاق)

٣١	في اهمية الانساب التي ذكرها موسى
٣٢	هل ذكر موسى انساب البشر كلهم
٣٣	في الانساب التي ذكرها موسى واولاً في بني حام
٣٤	• نمرود والمدن التي وليها والتي بناها
٣٥	مصرائيم بن حام واعقابه
٣٦	في فوط بن حام
٣٧	كنعان بن حام وذريته
٣٨	في ابناء سام
٣٩	• يقطان وولده جدود العرب
٤٠	• ابناء ارام
٤١	• بني يافت
٤٢	مجممل هذه الانساب

﴿ الفصل التاسع ﴾

(في برج بابل)

٤٣	آيات الكتاب في برج بابل ثم من بناه
----	------------------------------------

﴿ الفصل الرابع ﴾

صفحة	عدد
٣٥	١٣ في محل الفردوس الارضي
٤١	١٤ « تقليدات القبائل في شأن الفردوس الارضي
﴿ الفصل الخامس ﴾	
	(في شجرة الحياة ومعرفة الخير والشر والحياة ومعصية الانسان)
٤٢	١٥ في شجرة معرفة الخير والشر وشجرة الحياة
٤٥	١٦ « الحياة
٤٧	١٧ آثار القبائل القديمة الدالة على ما في الكتاب بهذا الباب

﴿ الفصل السادس ﴾

(في الاباء الاولين قبل الطوفان)

٥٢	١٨ في قايين وهابيل
٥٦	١٩ « شيت
٥٧	٢٠ « ذرية قايين
٥٩	٢١ ابناء شيت الى نوح
٦٣	٢٢ طول حياة الاباء الاولين
٦٥	٢٣ التطابق بين عدد الاباء قبل الطوفان في الكتاب وبين عددهم في آثار القبائل
٦٩	٢٤ في الجبارة

﴿ الفصل السابع ﴾

(في الطوفان)

٧١	٢٥ رواية الكتاب خبر الطوفان
٧٢	٢٦ مباحث في الطوفان واولاً أعاماً كان ام خاصاً

فهرس الفصول والاعداد

صفحة	عد
١	مقالة افتتاحية
﴿ الفصل الاول ﴾	
(لمعة في جغرافية سورية واسمها)	
٣	١ في تخوم سورية
٤	٢ ، جبال ،
٥	٣ ، انهر ،
٧	٤ ، بحيرات سورية
٨	٥ ، مدن ،
١١	٦ ، اسم ،
﴿ الفصل الثاني ﴾	
(في الخطوط المصرية والهيروكليفية والخطوط المسمارية ومن اكتشف رموزها)	
١٣	٧ في الخطوط المصرية
١٦	٧ ، ، ، المسمارية
﴿ الفصل الثالث ﴾	
(في خلق العالم والانسان)	
١٩	٩ في خلق العالم
٢١	١٠ ، تكوين الكائنات
٢٥	١١ ، خلق الانسان
٢٧	١٢ ، اثبات ابداع الله العالم والانسان بالآثار القديمة

في الصناعة ولم يوجد حتى الان في مدافنهم ما يدل على انه كان يوضع فيه
ماكل كمدافن المصريين ولم يكن من عادة الفونيقين ان يقيموا اصناماً في هياكلهم
ولكن كان لهم اصنام عديدة يقيمونها في بيوتهم للعبادة لها وينصبون على اسوار
الهياكل خاصة او ثانياً على سبيل النذر ولم يتجد حتى الان من نحت الفونيقين
الاقليل من الاصنام الكبيرة ومن الصور على المدافن ولكن كثر في متاحف
اوربا العامة والخاصة وجود الاصنام الصغيرة من حجر او خزف او نحاس تمثل
الالهة وتشبه كل الشبه التماثيل التي وجدت في مدافن الفونيقين وجالاتهم
على ان هذه التماثيل الصغيرة يرى بعضها بديع الصناعة بالذات حد الاعجاز في
الاتقان وبعضها مشوشاً غير محكم الصناعة وهو غالباً من حجر او خزف او
نحاس والوجه في ذلك انه كان متحتماً على كل اهل بيت من الفونيقين ان
يكون لهم صنم فاليوت الفقيرة كانت تستغني بهذه التماثيل السافلة صناعة لقصر
يدها عن الحصول على تماثيل من صنع عامل ماهر وذكر برو (في كتابه تاريخ
الصناعة في القدم) وجهاً اخر وهو ان هذه التماثيل السافلة لم توجد في فونيقى
نفسها بل في مستعمراتها فيظهر ان سكانها الاولين قلدوا صناعة نزلانهم بعمل
هذه التماثيل فلم يحكموا . والثابت الان عند مشاهير العلماء ان الفونيقين
اخذوا في صناعتهم شيئاً عن المصريين وشيئاً عن السكندان والاشوريين
فكان لهم نمط خاص بهم قائم بنفسه ادركوا به قصبات السبق ولا سيما في
المصنوعات الدقيقة الصغيرة

قبري متطلباً كنوزاً فليس ثمة كنز، ويظهر انه خشي ان لا يصدق السارقون فيقولوا له دعنا نر ان كنت صادقاً في ما تقول ولذلك لجأ الى وسيلة اخرى وهي الاستغاثة بعشوتوت وغيرها من الالهة ان تعاقب من يجسرون ان يرفعوا الغطا عن ناووسه بموتهم دون عقب وباعدامهم الراحة في الرقاد الاخير لانهم لم يحترموه في غيرهم وقد كرر هذا الدعاء مرتين روى ذلك برو (في مجلد ٣ صفحة ١٣٨) وقال من اهتم بهذا المقدار بصيانة مدفنه ومن سعى الموت رقاداً فهو بلا مراة ممن يعتقدون ان النزول الى القبر لا يعدم الانسان كل شيء ونتج منه ان الفونيقيين كالمصريين والسكندان اعتقدوا الوفاة رقاداً في القبور وان لهم بعد ذلك حياة اخرى وان هذا محصل من آي عديدة في الكتاب ينهي بها الله والانبياء بني اسرائيل عن التشبه بالامم المجاورة لهم بالعرافة وسؤال الموتى عن احوال واحداث ومن ذلك سوال شاول العرافة ذات التابعة في عين دور ان تصعد له صموئيل من بين الموتى (ملوك ١ فصل ٢٨)

ان الناووسين الذين وجدت بهما جثتا ملكي صيدا أتى بهما من مصر اذ ليس من نوع حجرهما في سورية وعلى غطائها صورتا الملكين مجسمتين وقد وجد مثل هذه الصور على اغطية القبور في اكثر البلاد التي استوطنتها جاليات فونيقية فبعضها حفر فيه الراس وحده وبعضها جعلت اليدان فيه طويلة بطول الجسم كله وكان الفونيقيون يضعون في مدافن موتاهم قارورات صغيرة من زجاج او خزف واصناماً صغيرة من خزف تمثل عشوتوت وبعل او باس الاله المصري او غيرها وكانوا يدرجون الجثة بلقائف ويفطون غالباً الوجه والعينين بنشأ رقيق من ذهب وكان الاغنياء يلقون الجثة كلها بنشأ من ذهب ويرسمون عليه سمات الوجه وكل هذا من عادات المصريين التي استمسك بها الفونيقيون شديد الاستمسك ويوجد في قبورهم ايضاً كثير من الحلي يدل على مهارة عجيبة

﴿ عدد ١٥٠ ﴾

— في مدافن الفونيقين —

أكثر ما بقي لنا في مدن الفونيقين من آثارهم المدافن فقد وجد كثير منها في جيل وببيروت وصيدا وصور ولا سيما عمريت وأكثر هذه المدافن مؤلف من عدة قبور منقورة في الصخر كما مثلها في اليهودية وبلاد العرب ومصر فتجد في محالها مخدعاً او عدة من مخادع يفتح في جوانبها الحاد تضم فيها الجثة محنطة ضمن نعش وللمدافن التي اكتشفت الى الان في عمريت وصيدا وصور وعدلون نمط واحد فكما حفر في الارض ينحدر اليها بجنب وهي اقدمها عهداً او ينزل اليها بمدرج وفي الاسفل فسحة تفتح في جوانبها الحاد الموتى . وتختلف مدافن جيل عن هذه بانها منقورة في صخور يتوصل اليها دون حاجة الى جب او مدرج وكان غالباً لكل اسرة مقبرة على حدةها ومن كان من الموتى حسيباً او ذا اهمية وضع في ناووس وسط المخدع المعد له قال لانرمان (مجلد ٦ من تاريخه الشرقي صفحة ٥٨٨) لم يكن مثل الفونيقين شعب دفن مع موته اشياء نفيسة على انه ندر ان تجد مدفناً من هذه لم يسلب منه ما كان فيه من الحلي او الاشياء الثمينة ولو بقيت كان لنا منها ادلة مهمة على صناعة القدماء واحوالهم وما بقي من هذه المدافن نفسها يخشى عليه ان يحطمه من ينتشون الكوز فلا يجدونها ويخسرونا كنوزاً لا يعلمون قيمتها على ان المدافن التي كشف عنها في فونيق كانت قليلة النفع للعلم اذ قل ما كتب عليها الا اسم المدفون فيها على ان مدفني تبنيث وابنه اشمون عازر ملكي صيدا السالف ذكرهما كتب عليهما مطولاً ولكن اكثر ما اشتملت عليه تلك السطور انما هو دعاء على من يسطو على قبريهما فظهر ان تحطيم المدافن وسرقتها كانا منذ عهدهما لان اشمون عازر كتب على مدفنه لا تفتحن

المحل المعروف بدير رهبان مار مارون في جانب منبع العاصي حيث تجد مخادع عديدة منقورة في صخر واحد فتنسبها العامة الى هولاء الرهبان وهي من صنع الاقدمين ولعل بعض الرهبان اتخذها مسكناً وترى كثيراً من هذه المخادع في لبنان وسواحله وقد قسم رنان وتابعه في ذلك برو (مجلد ٣ صفحة ١١١) الاثار الباقية في فونيقي الى ثلاثة اقسام اثار فونيقية محضه ومنها اثار عمريت واثار داخلها النمط اليوناني الروماني ومنها صخر نقر فيه جرن للعماد وجد في جبيل واثار يونانية رومانية محضه ومنها اثار المشهد الذي وجد في البترون . وبعض الاثار التي وجدت في بيروت

قل ما استعمل الفونيقيون العقد في ابنتهم فلم يوجد له حتى الان مثال الا في مدفين او ثلاثة بين مدافن صيدا ومنها مدفن اشمون عازر السالف ذكره ولم تبَنَ هذه المدافن المعقودة قبل عهد اسكندر بل كانوا يعتاضون من العقد حيث لزم مثلاً في الابواب او السقوف بحجارة طويلة او عريضة كمقتضى الحال قال رنان (في كتاب بعثه الى فونيقي صفحة ٤٠٨) « لم يكن قدماء الفونيقيين يعرفون عقد الابنية ، وقل ما تجد في الابنية الفونيقية المحضه من الاعمدة الا ما كان قصيراً فيظهر انهم كانوا يستعملون الاعمدة للزينة او ياصقونها بالعضائد لا كما كان يستعملها المصريون والفرس واليونان ليحملوا عليها اعالي البناء وسقوفها ولم يوجد حتى اليوم قاعدة فونيقية للاعمدة ووجد لها تيجان مختلفة الاشكال والنقوش اختلاف سائر نقوشهم على ابواب الهياكل او المساكن وفي رفارف الابنية (كرنيش) وغيرها لا محل لتفصيلها بل نكتفي ايجازاً بما لحصناه هنا عن تاريخ الصناعة في القدم للعالم برو المكرر ذكره

منبعة ولم يكن الوقت يسعهم على قلع الحجارة او قطعها من مقطعها على ان
الاثار الجبلية كانت اوفر حظاً من الساحلية لسهولة نقل حجارة هذه بالسفن
كما يصنع حتى اليوم وصعوبة نقل ما لا يحمله الجمل في الجبل مع كثرة
الصخر فيه فمن ذلك ما صنعه احمد باشا الجزائر وعبدالله باشا واليا عكا في ابنتهما
وما صنعه قبلهما الامير فخر الدين المعني على ان تتالي المذاهب الدينية في هذه
البلاد ساعد ايضاً على تدمير بعض هذه الاثار من ذلك هدم المسيحيين بعض
معابد الوثنيين ويلحق بذلك جهل بعض السفلى الذين يهدمون او يكسرون
بعض هذه الاثار ليستطلعوا من تحتها الحبايا والكنوز ولهذا الاسباب لم يبقَ
لنا من الاثار الفونيقية القديمة الا ما قل ومنه ما هو في ام العواميد وعمرت
واشهر ما يعرف من صنع الفونيقين بقايا اسوار جزيرة ارواد وبقايا هيكل
سليمان واسواره في اورشليم فان مهندسيها وعلمائها فونيقيون ثم الطبقة الاولى
من بناء بعلبك وما سلف ذكره من اثار ام العواميد في جنوبي صور واثار
عمرت في جنوبي ارواد وجميعها دال على ان من سمات ابنية الفونيقين ضخامة
حجارتها ومناعة بنائها

على ان اثار الفونيقين الباقية في مستعمراتهم اكثر منها في اوطانهم فيرى
منها في قبرس وما يليها من جزائر البحر المتوسط وفي بلاد اليونان وصقلية
وسردينيا ومالطة وقرطاجنة وانحاءها واول ما اصطغوه نقر مساكنهم في الصخور
فكانوا يوسعون المغاور الطبيعية ويهدمونها او يقرنون في الصخور مسكناتاً يأوون
اليه في الشتاء وترى كثيراً من مدافنهم منقورة في الصخور فلم يصنعوا كل ما
تراه حبا بالموقي بل نقروا كثيراً منه لسكنائهم . وروى برو (مجلد ٣ صفحة
١٠١) ان في عمرت بيتاً مؤلفاً من عدة مساكن منقورة في صخر واحد طول
واجهته ثلثون متراً وعرضه كذلك وعلو جدرانها نحو ست مترات ومثل هذا

﴿ عد ١٤٩ ﴾

— في اثار ابنة الفونيقين —

شكا اهل العلم بالاثار ندرة آثار الابنية في فونيقى كما شكوا ندور
خطوطها القديمة فوجدوا بين دجلة والفرات وفي وادي النيل اطلال القصور
وأخربة الهياكل والاهرام والمدافن مرت عليها القرون وحدثانها فاستعصت
عليها واستمرت الى اليوم تشهد لمن بناها وتبين اسلوب الصناعة في تلك الايام
وكثيراً من الحقائق واما فونيقى فكانت افقر البلاد بهذه الاثار فندر ما كان
منها فيها وهل علة هذا الندور انه لم تقم فيها آثار في الاعصر الاول او دكت
هذه الاثار ومحقت بعد انشائها فالذي اراد انه لم ينشأ في فونيقى اثار بمقدار
ما انشئ منها في ما بين النهرين ومصر اذ لم يكن في فونيقى ملوك مثل فراغة
مصر وسلاطين اشور وبابل وفارس الذين انبسط ملكهم وعظمت سطوتهم
وشدت عن العدد شعوبهم وتسامت ثروتهم وتوفر عدد الاسرى عندهم يشغلونها
ببناء الاثار ولم يكن للملوك فونيقى على ضيق بلادهم وقلة شعبهم ميل الا الى
التجارة والصناعة فجعلوا فخرهم بهما وبيعنهم الجاليات لا بالعساكر الغازية الى
الافاق على انهم لم يخلوا من اقامة اثار كثيرة بالنسبة الى ضيق بلادهم وقلة عددهم
وقد روى العالم برو (في كتابه تاريخ الصناعة في القدم مجلد ٣ صفحة ٩١)
علة ندور ما نشاهده الان منها نقلاً عن رنان (في كتاب بعثه الى فونيقى)
فقال ما ملخصه : ان الاثار الفونيقية اندر من غيرها من الاثار والعلة في ذلك
توفر سكانها في كل عصر على ضيق ارضها فقد توالى فيها اليونان والرومانيون
والبيزنطيون والصليبية الى سكانها الان وكلما شأوا البناء استيسروا كسر الحجارة
القديمة او نقلها على قطع حجارة حديثة فدكوا على ذلك كثيراً من هذه
الاثار لا سيما في عصر الصليبيين اذ كانت الحال تضطرهم الى اقامة اسوار

حطام بعض المؤلفين القدماء عن هيئة هيكل ملكرت في صور وكان امام هياكلهم غالباً رواق ارفع من سائر البناء ويليه معبد تقدم به الضحايا والتقدم ثم معبد اخر ثم قدس اقداس لا يحل للعامة ولا لجميع الكهنة الدخول اليه وكان بجوانبه مخادع للاخدام فكذا كان هيكل صور وكذا تنبأنا اطلال هيكل الباف السالف الذكر وكذا كان هيكل اورشليم كما انبأنا الكتاب على انه لم يكن في قدس الاقداس في هيكل الله الاتابوت العهد واما في هياكل الفونيقين فكان مثال الالهة السري لا تمثال بهيئة بشرية بل حجر او صخر يسمونه بيت ايل اي مسكن الله كما مر وكان في هيكل ملكرت قطعة كبيرة من الزمرد تمثل بلمعائها طبيعة الاله النارية وكانوا ينزلونها منزلة كوكب سقط من السماء فالتقطته عشتروت وكان الحجر الممثل عشتروت في هيكل الباف مخروطي الشكل ولهم بهذا الشكل اشارة يستحى ببيان المراد بها ويدلون بها على تواصل الخصب والنمو

ولم يبقَ لنا من اطلال الهياكل المهمة في فونيقيا الا اخرة هيكل عمريت المعروف هناك بالمعبد وقد اعتبره العلماء الباحثون في الاثار اشبه بالهياكل المصرية قمي وسط عرصته مخدع او معبد كانوا يضعون فيه تمثال المعبود وجدران هذا المعبد وسقفه اربع بلاطات كبيرات ثلاث قائمة مقام الجدران والرابعة سقف للمعبد وكانت الجهة الرابعة تحجب بستائر تمنع نظر العامة الى الحجر الالهي المنحدر من الجو ويتلخص من صفحة يهوميك المار ذكرها ان هيكل بعله جيل كان مبنياً على هذا النمط وكان له رواق واعمدة وكانت نقوش الهياكل الداخلية تطل بالذهب ولكن مذابحها كانت من الصفر

فضائل ولا سيما في امر الشهوات البدنية ولنا بكل ذلك عبرة لمن يعتبر فهو شاهد كانه محسوس وبرهان كانه ممسوس على ان العقل البشري اذا ترك وهواه ولم يهده وحى سموي تسكع في دياجير الظلمة وتاه في بيداء الجهل ولو كان ناقباً ومتوقفاً وركب الفرور وقادته امياله فاستحسن ما ظهر قبجه واقترف الفظائع يظنها فضائل واضاع رشده وسود محامده وغشى محاسنه باطمار خلاعته فاهدنا اللهم الصواب فانت منبع كل حق وخير وليس من دونك سداد ولا رشاد

ويظهر انه لم يكن للعشائر الكنعانية في اقدم ايامها هياكل ومعابد بل كانوا يعبدون الهتهم على قمم الجبال والمشارف فيقيمون هناك عموداً او نصباً او صخرأ يسمونه بيت ايل اي مسكن الرب فيعبدونه ويحجونه وغنهم اخذ بنو اسرائيل المشارف التي ورد ذكرها مكرراً في اسفار الملوك واخبار الايام حيث كانوا يتعبدون عند جحودهم وتركهم عبادة الله الحق على ان المدائن الشهيرة كان فيها من اقدم الايام هياكل فان هيكل ملكرت في صور كان معاصراً بناء المدينة وقال هيرودت ان كهنة صور انبأوه انه قد مضى على بنائه الى ايامه ٢٣٠٠ سنة كما مر على ان اطلال الهياكل والمعابد الباقية من قبل عهد ولاية اليونان في سورية مؤذنة بان الفونيقين اتبعوا فيها هندسة الهياكل في مصر وعليه فيكونون قد شرعوا في بناء الهياكل بعد ولاية المصريين عليهم ولا اقل في ان يكون ذلك بعد تردادهم الى مصر على ان هيئة هذه الهياكل كانت حجرة ضيقة لكن محوطة باسوار فسيحة يتكون ضمنها عرصة مكشوفة وقد يكون فيها احياناً رواق من خشب ودلنا على ذلك اخربة هيكل الزهرة في الباف في قبرس والمعابد الباقية في مالطة التي يسمونها كازا الكرندي اي البيوت الكبيرة وما جاء في الكتاب عن هيئة هيكل سليمان الذي كان مهندسوه فونيقين وما بلغته النسا

داخلها اختلاف في الاسماء او زيادات على الاصل او تغيرات اقتضتها حالة البلاد او الجهل بالاصل او الاهواء الشخصية

﴿ عد ١٤٨ ﴾

﴿ في كهنة الفونيقين وهياكلهم ﴾

كان كهنة بلع وعشثروت عند الفونيقين في اعيادهم يلبسون ملابس النساء ويخضبون وجوههم بالحمرة ويزججون حواجبهم ويكحلون عيونهم ويعرون ايديهم الى الكف ويحملون بايديهم سيوفًا او يتكبنون حرابًا ويتأبطون دقوفًا او معازف يضربون بها ويرقصون ويضجون ويدورون على عقب واحد وينعطفون برأسهم الى الارض عند دورانهم فيمرغون شعورهم بالوحول ويعضون اذرعهم ويخدشون اجسامهم بسيوف وحراب كما جاء في سفر الملوك الثالث (فصل ١٨ عد ٢٨) فاذا سال دهم قدموه ضحية لالهتهم الدموية وكان كثير منهم يعوهون اعضاءهم عند صنع هذه المجان والشعوذات ومع هذا كان هؤلاء الكهنة نفاذيين في امور مملكتهم يصنعون لهم الحكام ويستشيرونهم ويعملون بمشورتهم ويحملون الامة على ما شاؤوا ويكثرون من الحيل خدعة للشعب في امر عبادة الالهة وفي ما يهرون ولم يخزهم ويفضح مكرهم وينكل بهم مثل ايليا النبي عند ما جعل احاب ملك اسرائيل يجمع اربعمائة وخمسين نبيًا او كاهنًا من كهنة بلع واربعمائة من كهنة عشثروت ويمتنعهم بان يقدموا ضحية لبلع ويستميحونه آية يثبت بها انه الاله الحق ففعلوا واكثروا من الهتاف والتضرع اليه ومن تخدش اجسامهم على عاداتهم بالسيوف والحراب حتى سالت دماؤهم فلم يكن من مجيب ولا مصغٍ فقبض عليهم ايليا وذبحهم عن اخرهم حذاء نهر قيشون بجانب الكرمل (ملوك ٣ فصل ١٨) ولا تسأل عما كانت خصالهم وادابهم فانهم كانوا يديحون اعظم المنكرات بل يعملون بعض الرذائل

باولادهم ليشتروا في شئ من الالهية او يسترضوا الاله المتغضب . وكانت الضحايا البشرية عندهم اعظم الضحايا ويقدمون بها غالباً بكر اولادهم او احدث مولود لهم معتقدين انهم بذلك يكرمون الاله بانفس ما يملكون

وقد استمرت هذه العادة عندهم الى النهاية على انهم دخلوا من قديم الدهر طريقة البدل فكانوا يستبدلون الضحية البشرية بالتضحية بحيوان او طير من الاوالف كثور او خروف او جدى او حمامة الى غير ذلك وقد تبين في الصفيحة التي وجدت في مرسيليا (قد مر ذكرها عد ١٤٣) ما يصلح لهذه الضحايا من الحيوان والطيائر وما الثمن المفروض لكل منها . ولم تكن البقرات تصلح لهذه الضحايا اذ قال برفير (لك ٢ فصل ٢) ان المصريين والفونيقيين لو خيروا بين اكل لحم البشر او لحم بقرة لاختاروا اكل لحم البشر ولذلك لم تكن البقرة تصلح عندهم ضحية (رواه هوفر في تاريخ فونيقى فصل ٤) وكان الفونوقيون يستبدلون ايضاً الضحايا البشرية باقامة نصب كعمود او تمثال تكرمه للالهة ويمتاضون احياناً عنها بذرهم ان يخدموا في احد الهياكل عمرهم او مدة منه فكل ما مر ينبتنا بما كان احكم توينب الانبياء لبني اسرائيل على اتباعهم عادات الكنعانيين وتقديم العبادة لالهتهم والاقتداء بهم وتحذيرهم اياهم من ذلك اشد التحذير ومع هذا حدث مثل هذه الفظائع احياناً في شعب اسرائيل كما سترى في تاريخ العبرانيين وامتدت هذه البربرية من اقدم الايام الى جزر البحر المتوسط وبلاد اليونان وغيرها مع الجاليات الفونيقية . فقد اوصل الفونوقيون ديانتهم ومعبوداتهم وعاداتهم الى حيث اوصلوا بضائعهم وحروف كتابتهم وتمدنتهم فكانوا موصلاً بين المشرق والمغرب لما حسن ولما قبح فاخذوا عن السكندان والمصريين معتقداتهم الدينية ومعبوداتهم فبشوها في الآفاق ولذا كانت الاديان الوثنية ومعبوداتها واحدة اصلاً وجوهرًا وان

معبودات قرطاجنة ومثله الاله راسف وتأويله الصاعقة في النار السموية وسماء اليونان بعد ذلك ابولون وثاوس والاراميون في دمشق ادار وهو من معبودات الاشوريين وكان الحجر الناري رمزاً للاله الناري وكان الصوريون يسجدون للمكرت ممثلاً بحجر للماع وكان عند الفونيقين والعرب نوع من العبادة للحجارة وكانوا يسمون هذه الحجارة المكرمة بيت ايل اي مسكن الله متوهمين ان الله يسكنها لاسيما الحجارة التي يروى بعضهم انها نزلت من الجو ملتبة فيعتبرونها نزلت من الكواكب وكان لون هذه الحجارة المكرمة غالباً اسود فيستدلون بذلك ان اصلها ناري . وجاء في الخطوط المسمارية ذكر سبعة حجارة سوداء كانت تعبد في هيكل ارك في بلاد السكلدان وعبادة حجر حمص استمرت شهيرة حتى ايام الملوك الرومانيين وقد وجدت صورة هذا الحجر منقوشة على مصكوكات في سورية وحمص وسلوقية والرها وغيرها

﴿ عد ١٤٧ ﴾

— في ذبائح الفونيقين —

لم تكن في الوثنية قليلة لم تعتد تقدمه الضحايا لالهتها بل كانت تقدمه الذبائح والضحايا منذ اول العالم وعند كل امة فترى هابيل وقاين ابتدآها ونرى نوحاً قدم ذبائحه لله اثر نجاته من الطوفان على ان الفونيقين امتازوا عن سائر الامم القديمة بتقدمة الضحايا البشرية قال برو (في كتابه تاريخ الصناعة في القدم مجلد ٣ صفحة ٧٤) لم نجد آثراً عند المصريين او الكلدان للتضحية بالناس تكرمه للالهة بل انفرد السوريون بهذه العادة السيئة التي حملتها جالاتهم الى مستعمراتهم والى قرطاجنة خاصة . واسوأ الصنيع في ذلك تقدمه الضحايا تكرمه لبعل ملوك اذ كان الاباء انفسهم يطرحون اولادهم في النار المضطربة ومصدر هذا الصنيع المخيف تصورهم طبع الاله نارياً واعتقادهم شيئاً من الالهية في النار فيضحون

جملة الكبريم على انا نجد الاثار القديمة الفونيقية تصف الالهة او البعلة بانها
 • مظهر ، او • وجه ، الاله الذكر فيظهر انهم كانوا يعتقدون الاثنين واحداً
 لا يمتاز احدهما عن الآخر الا بما يصلح به ان يكون زوجاً للآخر والالوهية
 واحدة بينهما مثناة بالتجلي الخارجي فكأنهما اقومان لذات واحدة وما ذلك
 الا اثر الاعتقاد الاولي بالوحدانية مشوشاً . وكانوا يدعون البعلة ملكات شمائم
 اي ملكة السموات كما يدعون الاله بعل شمائم اي رب السموات . وكان
 من هذه الأزواج في صيدا بعل صيدون وعشتروت وفي جيل تموز وبعلة .
 وفي صور ملكرت وعشتروت وفي قرطاجنة بعل حمون وتانيت التي تسميها
 الاثار • فني بعل ، اي وجه بعل وكان عند الحثيين الشماليين سات وساة وعند
 الاراميين في دمشق هدد واطرغات وكانت عبادة عشتروت اعم من جميع عبادة
 الآلهات فقد ورد ذكرها على اختلاف اسمائها في كثير من الاثار التي كشف
 عنها في فونيتي وقبرس ومالطة وصقلية وسردينيا وقرطاجنة

ومن الغريب انا نجد عندهم نوعاً من الثالوث فتراهم يعبدون في كل
 مدينة ثلاثة من الالهة فكان لهم في صور ملكرت وبعل وعشتروت وفي صيدا
 بعل وعشتروت واشمون وفي قرطاجنة تانيت وبعل حمون واشمون وفي جيل
 ايل وادونيس وبعلة جبيل . وكان في مصر ثالوث لكل مدينة من مدنها
 الكبيرة فكان في تاب امون رع الاله الاعظم وزوجه موت وابنه خنسو
 فيألف ثالوثهم من اب وابن وزوجة ويعتقدون الثلاثة الهة واحداً (لانرمان
 مجلد ٣ صفحة ٢٠٨ و ١٧٤) . وكان للنار دخل في عبادتهم ينزلونها منزلة
 مبدا الحياة وينبوع كل فاعلية لنسبتها الى الشمس ومصدر كل ولادة وابادة
 وكانت عندهم الالهة الشمسية والكوكبية نارية طبعاً وكان يختص بذلك بعل
 ملوك كما سيأتي بعيد هذا ومثله بعل حمون الذي تأويله الاله المحرق وهو احد

بنصائح الانبياء ومنهم حزقيال اذ قال (فصل ٨ عد ١٤) « ثم اتي بي (الملك) الى مدخل باب بيت الرب الذي هو جهة الشمال فاذا هناك بنساء جالسات يبكين على تموز ، واصبح تموز في عهد ولاية اليونان صياداً في سورية مغرمًا بامه عشتروت وبينما كان يوماً يصطاد في غاب لبنان غير بعيد عن جيل حسده الاله اراس اليوناني فتقمص بخنزير بري ورصد له في طريقه فكان عراك شديد بينهما افضى الى قتل ادونيس وقد مر ان حكاية قتله نقش مثلها على صخر في قرية الغينة في الفتوح حيث ترى صورة وحش يفترسه وبجانها صورة عشتروت وهي الزهرة تبكيه ثم اعادته من الموت وصورة قيامته منقوشة على صخر في المحل المعروف بالمشقة في بلاد جيل

وقد جعلوا السيارات السبع المعروفة عندهم بـعولاً اي الهة واطلقوا على جميعها اسم كبيريم جمع كبير ومعناه القدير وكان عددها عند الفونيقين ثمانية اي الكواكب السيارة السبعة مع العالم المكون من مجموعها وسموا ابا هذه الالهة زديق ومعناه البار وجعلوا الكبير الثامن وهو كناية عن مجموع افلاك الكواكب كوكب القطب الشمالي (الذي تسميه العامة المسمار) وكانوا يتخذونه هادياً في اسفارهم وسموه اشمون اي الثامن وكانت الحية مثلاً له ولباقي الالهة الكوكبية لحسانهم انها تمثل بتعرجها حركة الكواكب في الافق وكانوا يربون حيات في هياكل اشمون تلحس جراح من استشفع به فتبرئها اذ كان من معتقداتهم ان اشمون وسائر الكبيريم اوجدوا عقاقير الطب والى ذلك يعزى ما ذكره دانيال النبي في نبوته عن التنين في هيكمل بابل

ولم تكن الالهة عندهم ذكوراً فقط بل كان لهم آلهة اناث ايضاً فكانت عشتروت زوجاً لبعل وكان لكل من البعول الثانوية بعلة وكلما كان للبعل خاصة شمسية كان للبعلة خاصة قمرية ولذا كانت عشتروت عندهم القمر ويجعلونها من

هو الا بل فقد وجدت صفيحة في مالطة كتب عليها « تقدمه الى الرب ملكرت
بل صور » فهو اذا الاله السامي معتبراً الهاً محلياً محامياً لصور واسمه دال
على ذلك فان اصله « مالك قرية » ملك المدينة اي ربها فجعل ملكرت
او ملقرت

﴿ عد ١٤٦ ﴾

— في معبودات الفونيقين —

اكثر الفونيقون كالبابليين من رصد الكواكب ومراقبات حركاتها فادهشهم
نظام الكواكب وفعل الشمس في الكون والناميات خاصة فعزوا كل ما في
الطبيعة الى الكواكب لاسيما ملكتها وهي الشمس فعبدوها لا بما انها مظهر
للقدرة الربانية بل لاعتقادهم اياها الهاً فصار بل عندهم كناية عن الشمس
يسمونه بهذا الاعتبار بل شمائيم اي رب السموات واشهر معبوداتهم خاصة
في جيل ادونيس ويسمى تموز ايضاً ومعنى ادون او ادونيس كما سماه اليونان
السيد او الرب وهو بمقتضى اقدم تقليداتهم الاله الشمس يتصورونه يموت
في الخريف اذ تجف نضارة النبات وتذوى ثماره ويحيى في الربيع اذ يعاوده
الحصب والازهار فيدنو اناع ثمره فيحتفلون لعيده في الخريف قتلنس نساؤهم كلها
ملابس الحداد ويذهبن الى ضفة نهر ادونيس (وهو نهر ابراهيم الان)
فينحن على تموز اي على موت الطبيعة المجملة بازهارها وثمارها وكانت النساء
في جيل يجزن شعرهن اشعاراً بالحداد او يطقن وشعرهن مسترسل حائرات
بائرات يتغنين بالمرائي على تموز حشرات فاذا جاء الربيع احتفلوا بعيد قيامة
ادونيس اي بعود نضارة النبات وازدهائه بالازهار والثمار واكثرنا من الملاهي
والطرب والمزح فهذا سر هذا الاحتفاء الذي لم تكن عامتهم لتدركه بل كانت
تحسبه واقعياً وكانت نساء العبرانيين يشاركن الفونيكيات في الرثاء والحداد ولا يتعظن

امور خارجية وطفيفة ونجد هذه الاديان ودين البابليين والاشوريين كانها صادرة عن مبدأ واحد وهو تصور اله وحيد وقدير سماه كل من العشائر اسماً دالاً على احدى صفاته فسماه الحثيون الشماليون ست اوستخ وتأويله القدير على كل شي ودعاه الاراميون هداد (ولعله حاد حاد) وتأويله الوحيد او الواحد الاحد والعمونيون ملوك اي الملك والمتسلط والموايون كموش او كموس وتأويله الضابط او المتولي والفونيقيون بعلاً وتأويله السيد او الرب وسائر العشائر الكنعانية بعلاً او ايلاً وتأويله الاله كما كان البابليون يسمونه ايلو ويواه اي الموجود بالاطلاق والازلي وهذا اشبه باطلاق العبرانيين كلمة يهوه على الله فليس بل الفونيقين الا بيل السكديانيين وليست عشثروت عند اوائك الا استار او اشتار عند هولاء (برو في مجلد ٣ من تاريخ الصناعة في القدم صفحة ٦٨) وليست عشثروت سورية الا فانوس اي الزهرة عند اليونان الذين اخذوا معبوداتهم عن الفونيقين . ان اله الفونيقين وجميع المشركين القدماء كان واحداً ومتعددًا معاً فان الاله الواحد عندهم كان ذا اقنيم عديدة يسمونها بعليم اي الالهة وليست الا الوهيات ثانوية صادرة عن الاله السامي وهي صفات وقوات متألفة صادرة عن الاله غير المدرك فكان عند جميعهم الاله السامي ومن دونه الهة اخرون . وكذا كان مذهب البابليين والاشوريين وانفرد الفونيقون بان جعلوا تعدد الالهة غالباً من قبل المحل لا من قبل الصفات فالبلع الذي كان يعبد في صور وصيدا ولبنان وحرمون وغيرها تعدد فكان بلع صور وبلع صيدا وبلع لبنان وبلع حرمون الى غيرها . وقد احكم العالم دي فوكوا اذ قال . ان هذه التسميات المخصوصة كانت تمحو من ذهن عامتهم الخاصة الاولية للمعبود وهي الوحدانية ولا تترك لها الا تصوراً مشوشاً ، ولكن الوحدانية هي الحقيقة مثلاً ملكرت اله صور الاعظم الذي بثت جالياتهم عبادته في اقصى الافاق ليس

الفصل العاشر

(في ديانة الفونيقين)

﴿ عد ١٤٥ ﴾

﴿ في الوثنية عند الفونيقين وغيرهم ﴾

قضت جميع القبائل العربية في القدم ان لا بد للعالم من موجد ومدبر وحملهم على ذلك النظر البديهي الى هذا الكون وما اشتمل عليه والى انه لا يمكن ان يكون علة لنفسه ثم تقليد الالاء القدماء بان الله خالق العالم وكل ما فيه ولذا رسخ تصور الاله في اذهان جميعهم فلا يرى قبيلة لم تقر بوجود الاله او لم يكن لها مساجد ومعابد على ان الجهل غشى بصائرهم فلم يدركوا ان هذا الاله روح بسيط وازلي تعالى عن مدارك البشر بل جعلوه كالهوليات او جعلوها صادرة من جوهره بغير طريقة الخلق ونظروا الى اسمى الكائنات فتوهموها هذا الاله السامي فعبدوها ولذا لم تخلو قبيلة من عبادة الشمس اذ رأوها اسمى الكائنات واتبعوا بها القمر وسائر الكواكب السيارة وغيرها من النجوم فاختلفت اسماء المعبودات اختلاف القبائل وقاما اختلف موضوع العبادة فعبد المصريون الشمس يسمونها رع او عمون رع وعبدها السوريون يسمونها بلع شمائيم اي رب السموات قال برو (مجلد ٣ صفحة ٧٦) اذا تفحصنا في ديانة الفونيقين فنجد انهم اخذوا معبوداتهم واسماءها عن الكلدان لانهم اتوا من جوارهم وكسوها بملابس مصرية لانهم كانوا في اول امرهم يخضعون لمصر هذا ولا يختلف دينهم عن سائر اديان الشعوب في سورية عدا اليهود الا في

كتب خمسة عشر كتاباً يضاد النصرانية بها (وروى اسابيوس عن برفير ان سنكونياتون بيروتي موطناً وانه اخذ مادة تاريخه عن ايروبعل كاهن الاله ياهو وقدم كتابه لابيعل ملك البيروتين فسر به وانه كان قبل حرب ترويا قريباً من عصر موسى كما يظهر من تواريخ الملوك الفونيقين

ثم ذكر اسابيوس بعض ما كتبه فيلون الجبيلي في مقدمة ترجمته وخاصة انه عني بها بياناً لضلal من زعموا ان قصص الالهة ليست حقيقة بل هي رموز مجازية دالة على حوادث طبيعية وتقلبات فلكية ثم كلفاً بمعرفة تاريخ الفونيقين بغير كتب اليونان الذين قلما مرافق بعضهم بعضاً بل آثروا انتقاد احدهم كلام الاخر على توحيد مساعيهم للتوصل الى الحقائق ومما مر يظهر انه لم يصب من زعم ان سنكونياتون كان بعد عصر اسكندر الكبير فهو اقدم منه كثيراً بل الواضح ان فيلون الجبيلي كان في عهد خلفاء اسكندر ومن شاء الاطلاع على فقر سنكونياتون هذه فليطالعها في كتاب اسابيوس السالف ذكره او في تاريخ فونيتي لهوفر (ف ٤) وقد روى الاب مرتين اليسوعي اكثرها في كتابه تاريخ لبنان (جز ٢) الذي نشرت جريدة البشير قسمًا منه وقد اضربنا نحن عن اثباتها هنا طلباً للايجاز ولانها اقاصيص لا يتنفع بها الا بمعرفة خرافاتهم بموالد الالهة وبدء العالم وقد استشهدنا ونستشهد بما صالح منها

شرائعهم ورسوم دينهم وقانون احكامهم على سبيل وصايا سموية مقدسة
 وكانوا يعززون هذه الاسفار الى اله لهم يسمونه تاوت ولعله طوت اله المصريين .
 وكان في مدن فونيقي خزائن تحفظ فيها سجلات ترقم بها بغاية الضبط
 الاحداث المهمة وتواريخ المملكة وما يجرى لها كما رأيت مرات في فقر مينندر
 المأخوذة عن سجلات صور وكان للفونيقين مقالات دينية وجغرافية غير
 داخلة في اسفار تاوت القانونية وكتب اخرى عمالية موضوعها الزراعة والصنائع
 والحرف النافعة . وقد ذكرنا آنفاً (في عدد ١١٥) رحلة حنون مع جالته في
 الاتلتيك وقد كتب اخبارها في درجه

ولما شرع علماء اليونان في عهد خلفاء اسكندر الكبير يكتبون تواريخ
 شعوب اسيا ترجم باروز تاريخ بابل ومانيتون تواريخ مصر وكتب غيرها
 تواريخ فونيقي نقلاً عن سجلاتها وآثارها ومن هولاء ثيودت وهيبسيكرات
 وموخ او موكوس ولم تبق لنا الايام مما كتبه هولاء الا اسماءهم بل بقي لنا
 شيء مما نقله مينندر وديوس عن تواريخ صور قد مر معنا ذكره واحسن ما
 بلغنا من كتب الفونيقين المترجمة الى اليونانية انما هو ترجمة فيلون الجبيلي
 (غير فيلون اليهودي) لكتاب سنكونياتون البيروقي المشتمل على الكلام في
 اصل العالم وموالد الالهة فسنكونياتون ألف هذا الكتاب وجعله مقدمة لاسبعل
 ملك بيروت فتقبله بالمسرة وحفظ لنا اوسابيوس القيصري (في كتابه الاستمداد
 الانجيلي ك ١ فصل ٦) فقرات من ترجمة فيلون الجبيلي وهالك ما علقه اوسابيوس
 عليها . ان هذه الامور عني بشرحها سنكونياتون وهو مؤلف قديم جداً يقال
 انه كان قبل حرب ترويا ورووا انه كتب التاريخ الفونيقي متحريراً الصدق
 ونشر فيلون الجبيلي جمع مصنفات هذا المؤرخ بعد ان ترجمها من الفونيقية الى
 اليونانية وذكر ذلك خصصنا المعاصر لنا يريد به (برفير الفيلسوف الشهير الذي

ترجمة لهذا الأثر ما عني بها الاب برجيس معلم اللغة العبرانية في كلية باريس وخلاصة ما كتب فيه حساب هيكل بعل صافون في قرطاجنة في زمان الحاكم (شفط) الس بعل بن بودتايت والس بعل بن بودشمون وقد عين فيه ثمن المحرقة ان كانت ثوراً او خروفاً او جدياً او عصفوراً ثم ثمن الحليب والدهن وكل ما يدخل في تضحية الذبائح وتقدمة التقادام للآلهة ويضاف الى ما مر من الكتابات تكملة لذكر كل ما نعلمه من اللغة الفونيقية بعض المثات من السكلم والاعلام التي ذكرها الكتاب اليونان واللاتينيون ولا يؤمن فيها من التحريف والتصحيف ثم ايات شعر وردت في رواية لبوت مصحوبة بترجمتها اللاتينية لا يؤمن فيها غلط النساخ وقد جد بعضهم في اصلاحها ولا يعلم هل اجادوا فهذا ما نعلم من اثار الفونيقين

﴿ عد ١٤٤ ﴾

❧ في علوم الفونيقين ❧

لا جرم ان الفونيقين مهروا ببعض العلوم وان ندر كثيراً ما بقي لنا من حطام اثارهم العلمية فقد كان لآخوانهم العشائر الكنعانية كتب وتأليف في علوم وفنون عديدة قبل غزوة يشوع بن نون لبلادهم ايضاً فاننا نرى في سفره (فصل ١٥ عد ١٥) ان كالب بن يفنا • صعد الى سكان دبير وكان اسم دبير قبلاً قرية سفر • اي قرية الاسفار والكتب وهي في جوار الخليل فان كان للكنعانيين من تلك الاعصر اسفار وكتب علمية يجمعونها في مكاتب فالفونيقيون اولى بمثل ذلك لسبقهم سائر قبايلهم الى الحضارة والتمدن ونرى في الآثار المصرية اسم شاعر مجيد كان من المقربين الى ملك الحثيين عند محاربتة رعمسيس الثاني على اسوار قادم • وكما كان للبابليين كتب اوانس والاصصريين اسفار طوت الحاوية شراعتهم ورسوم دينهم ❧ ان للفونيقين اسفار تنطوي على

الا الدعوات على من بجترى ان يسطو على مدفن الملكين ثم قطعة من الصفر محفوظة في مكتبة الامة في باريس لا ينهم منها الا ان ملكاً اسمه حيرام ملك صيدا قدم مقدمة لبلع لبنان ولا يعلم منها هو حيرام صديق سليمان ام هو حيرام اخر ثم وجد في صور اثر ذكرت فيه مقدمة لبلع شمائم (اي اله السموات) قدمها عبدليم بن ماتان بن عبدليم بن بلع شمار وهذا الاثر هو بعد عهد اسكندر الكبير فهذا اخص ما وجد في فونيقى حتى الان من الآثار المهمة ووجدت فيها بعض مسكوكات لكنها متأخرة عن عهد اسكندر الكبير

على انه قد وجد في قبرس اكثر مما وجد في فونيتي من هذه الآثار ولكن ليس منها ما تقادم عهده على القرن الرابع قبل الميلاد فقد اكتشف بوكوك في لرنسكا ثلاثة وثلاثين اثراً مكتوباً واكتشف لويس روس الالماني ثلاثة اثار اخرى في جوار لرنسكا ولكن قل فيها ما يهم فبعضها دال على تقادم لعشروت وللاله راسف اورسبو مشبهاً بابلون ومؤرخ بعهد الملك ملكياتون وبومياتون وغيرها من امراء هذه السلالة وبعضها الاخر يحتوي حساب نفقة بعض الهياكل كما وجد مثل حساب هذه النفقات في بلاد اليونان . وقد وجد في مصر بعض اثار فونيقية مكتوبة خاصة على اسوار هيكل اوزوريس وفي ايدوس وغيرها وليس فيها ما يهم ووجد في جزيرة والوس وفي اثينا اثار دالة على تقادم الالهة مكتوب عليها بالفونيقية واليونانية ووجدت في مالطة اثار فاحدها دال على مقدمة للمكرت اله صور وبعضها كتب عليه « مقدمة لملك بلع مقدمة لملك عشروت مقدمة لملك اوزيريس » ووجد مثل هذه الآثار الدالة على تقادم في صقلية وفي بالرمو خاصة وفي سردينيا وفي افريقيا ايضاً

على ان الاثر الذي اكتشف في مرسيليا سنة ١٨٤٥ يستحق ذكراً خاصاً

لقدمه ولطول عبارته فيظهر انه كتب في القرن الخامس قبل الميلاد واحسن

﴿ عدد ١٤٣ ﴾

— في اثار الفونيقين —

قل كثيراً ما بلغ الينا من آثار الفونيقين ولسؤ البخت لم نتوصل الى ما كان منه كبير فائدة ففضي العجب من ان هذا الشعب الذي اوجد الكتابة بالحروف ونشرها في المعمور كله لم يخلف لنا من آثاره الا ما ندر وكان قليل الفائدة يسير العائدة ونرى المصريين والاشوريين على تعسر رسم علاماتهم واعتياد حل رموزها ملاً وصخور المدافن وحجارة الهياكل وصفائح القصور من الآثار الجزيلة النقع واحتفروا في الاجر ما يساوي كتباً ضخمة مشتملة على تواريخهم واسبابهم وعلومهم بكل فن فهل اغفل الفونيقين طعمهم بالارباح عن تخليد ما تراث الى الارواح او استلبت صروف الحدثان ما خلفوه لنا فلم نعم بالحظوة به

فالآثار الفونيقية المكتوبة التي جمعت الى الان كثيرة تتجاوز بعض الوف ولكن ندر ما كان منها غير مكتوب على تمثال او نصب اقيم لاحد الالهة او على مدفن كتب عليه اسم من دفن فيه وبعضها فونيقى وبعضها قرطجني وهو اكثرها ولا يختلف بعضه عن البعض الاخر الا في اسماء الاعلام وقد غُيّت جمعية الكتابات السامية والصنائع الجليلة بجمع هذه الكتابات القديمة ونشرها وطبع منها القسم الاول في الخطوط الفونيقية والقرطجية فكان شاهداً مصرحاً بقصور هذه الآثار عن تبيان حقائق تاريخية مهمة فجعل ما اشتمل عليه من البيانات التاريخية هو صفحة يهو ملك قيل جليل ولا تحوى الا اقامة هذا الملك نصباً تكرمة لعشثروت بلة جليل والصفحة مشوهة كثيراً والملك الذي نصب هذا التمثال كان بعد كورش وقبل اسكندر الكبير وهو ابن يهر بعل وحفيد اروملك .

ثم ما كتب على مدفن تبنيث وابنه اشمون عازر ملكي صيدا ولا يتحصل منه

منهم اصلاً لان بعض الخصال والسمات الطبيعية مشتركة بين الفريقين ولنا ما لا يحصيه عاد من امثال من حلوا في بلد وتكلموا بلغة اهله والظاهر ان سكان سورية قبل الفونيقين ساميون فاخذوا لغتهم فن الثابت اذاً ثبوتاً علمياً ايضاً ان الفونيقين وسائر الكنعانيين حاميون اصلاً ولغتهم سامية (عن لانرمان مجلد ١ صفحة ٢٧٥)

ليس من يمتري ان لغة الفونيقين لا تخلف عن لغة العبرانيين الا اختلافات قليلة كما مر (في عد ٤٩) فليستما لغتين بل هما فرعاً لغة واحدة وبين اصول الفرعين والفاظهما مطابقة تامة يسند القول بها الى المعارضة بين الاثار التي اكتشفت مكتوبة بالفرعين ككتابة عين شيلوحا وصفيحة ميشاع بالعبرانية وكتابة الاثار الفونيقية باللغة الفونيقية وقد مر ان اشعيا النبي سمي اللغة العبرانية كنعانية وترى في كتب العلماء اليونان اسمي اللغتين الفونيقية والعبرانية مترادفين ينزل احدهما منزلة الاخر وقد سلف لنا كلام في فروع اللغة الفونيقية في عد ٤٩ فطالعه . وقد استمرت اللغة الفونيقية في سورية فلم تنسخها غزوة اسكندر الكبير ولا ولاية خلفائه فقد كثر استعمال اللغة اليونانية في المدن وبين علية القوم وعلماهم ولكن ما برح السواد الاعظم من الاهلين يتكلمون باللغة السامية ووجدت مسكوكات منقوش عليها بالفونيقية والعبرانية حتى ايام القيصرية الرومانيين الاولين . وكذا استمر استعمال اللغة البونية اي الفونيقية في قرطاجنة ازمنة متطاولة حتى روى بروكوب والتديسان اغوستينوس وايرونيوموس ان سكان قرطاجنة وما جاورها من البلاد ما فثتوا يتكلمون باللغة البونية الفصحى حتى القرن الثاني بعد الميلاد

على الساحل الغربي من البحر المتوسط منذ زهاء مئتي سنة قبل الميلاد واستمر استعمالها مدة بعد استيلاء الرومانيين ولها مثال في صفائح وجدت في قرطاجنة ومالطة وصقلية وسردينيا وفي بعض مسكوكات اسبانيا ويظهر منها جلياً ان الكتاب ارادوا وقتئذ جعل الحروف بسيطة فترى اكثر الحروف في هذه الكتابة استغنى عنها بخط واحد منها واخذ في تعليق الحرف الواحد بالآخر فتعسر قراءة ما كتب فيها

﴿ ١٤٢ ﴾

❧ في لغة الفونيقين ❧

ان لغة الفونيقين سامية فهي اخت اللغة العبرانية التي تكلم بها العبرانيون والعربية التي تكلم بها العرب وهؤلاء ساميون بلا مراة ولذلك عقب بعض الجاحدين على موسى بجملة الكنعانيين والفونيقين من ذرية حام ولغتهم سامية فيلزم ان يكونوا من ذرية سام ولكن طاش سهم الجاحدين فاخطأ الغرض فلا تدل اللغة دلالة أكيدة على الاصل ابداً فان قدماء سكان بابل واشور حاميون وكان يملك فيهم نمرود بن كوش بن حام وما من قائل بان اللغة السكلدانية او الاشورية حامية بل هي سامية والسكان القدماء في اليمن وحمير هم من نسل حام وكانوا هناك قبل ان يحل بينهم بنو قحطان الساميون وما من منكر ان اللغة الحميرية من فروع العربية فهي سامية وقد اثبت كثير من العلماء حتى رنان نفسه ان الفونيقين وسائر الكنعانيين وان كانت لغتهم سامية هم اقرب اصلاً الى المصريين من الساميين وبين المصريين والفونيقين اشتراك في كثير من العقائد الدينية والمعبودات وقد ثبت بالتقليد المستمر عند الفونيقين ايضاً انهم اتوا سورية من ساحل خليج العجم ولم يكن هناك الا ولد حام ويستدل من بعض الآثار المصرية ان شعب كفتا الذي يعبرون به عن الفونيقين يقرب

هذين الاثرين في تاريخ العبرانيين) وعلى فصوص خواتم واختام لبعض اليهود القدماء على ان هذه الحروف قد طرأ عليها بعض التغير بمرور الايام فلا تمكننا ندرة الاثار الفونيقية من تفصيل ما طرأ على كل حرف منها من التبدل في كل مكان وزمان لكنه ييسر لنا مراعاة هيئات هذه الحروف في ثلاثة اعصر العصر الاول كانت فيه على هيئتها الاولى ومدة هذا العصر من عهد ولاية الرعاة في مصر الى القرن السادس قبل الميلاد وكان يكتب هذه الحروف لا الكنعانيون فقط بل جميع الشعوب الاراميين ايضا وفيها كتبت الاثار السالف ذكرها وصفحة من الصفر دالة على تقدمه من احد ملوك صيدا المسمى حيرام الى بل لبنان وتمتاز هذه الكتابة عما سواها خاصة بان بعض احرفها معوج ملتو كثير الزوايا وقد امسى بعد ذلك مستديراً مستقيماً واما العصر الثاني فنقسم فيه كتابة الفونيقيين الى صيدونية وقرطاجنية فالصيدونية التي استعملت من القرن السادس قبل الميلاد الى صدر النصرانية تجد مثالها في الاثار التي وجدت في قبرس وصيدا وفي صفحة يهو ملك جبيل وفي مسكوكات المدن الفونيقية في ساحل سورية وقبرس وفي الكتابة التي نقشت على مدفن تبنيث ملك صيدا وفي ما كتب على مدفن ابنه وخلفه اشمون عازر وهاتان الكتابتان كشف عنهما من امد قريب في صيدا وقد كتبتا في اواسط القرن الرابع قبل الميلاد . وتمتاز حروف هذه الاثار عما قبلها بكونها اكثر استدارة واقل تعرجاً ويكون اوسطها ضخماً وطرفها رقيقاً واما الكتابة القرطاجنية فتجد مثالها على مسكوكات قرطاجنة وصقلية وعلى ما وجد من الاثار فيهما وفي الكتابات القديمة التي وجدت في مرسليليا وفي سردينيا وهي قريبة كثيراً من الكتابة الصيداوية واشبه بها لكن حروفها غير منسوقة على خط مستقيم بل محدبة تحديداً لطيفاً . واما العصر الثالث فتسمى احرفه البونية اي الفونيقية الحديثة وكانت تستعمل

وفي بلاد اليونان واليونان انفسهم يعزون دخول حروف الكتابة عندهم الى جالية قدموس الفونيقى ويسمون الحروف فونيقية ثم الطائفة الايبارية مصدرها تجارة صور مع اسبانيا الجنوبية واما مصدر طائفة الكتابة الشمالية فيظهر انه كان في الانحاء المجاورة البحر الاسود حيث كان قدماء الجرمانيين والاسكندنافيين قبل مهاجرتهم الى اوروبا وقد مر بك ان الفونيقيين اتصلوا بتجارهم الى تلك الانحاء فاوصلوا حروفهم الى سكانها فحملوها معهم الى اوروبا عند مهاجرتهم واما الطائفة الاخيرة وهي الهندية الحميرية فلا مرأى ان مصدرها تجارة الفونيقيين مع سكان جنوبي العربية وبواسطتهم مع سكان الهند من جهة وسكان افريقيا الشرقية من اخرى وترى مثلاً لذلك في الجدول التالي

عد ٨ المنظوي على الحروف الفونيقية والعبرانية واليونانية واللاتينية فيظهر لك ما بينهما من المشابهة فتقيس غيرها عليها . اما الحروف العربية التي نستعملها الان فالمشهور ان عبد الحميد الكاتب البغدادى انما هو الذي اكسبها الهيئة التي تراها في ايامنا والحروف السريانية التي تجدها الان في كتبنا البيعية قد اخذت عن الحروف المسماة استرنكلية وهو اشبه بالفونيقية وكان ذلك في نحو القرن الثاني عشر للميلاد

عد ١٤١

— في الحروف الفونيقية وما طرأ عليها من التغير —

ان الحروف الفونيقية على ما توصلت اليها بالخطوط التي كشف عنها في صيدا وشيتيوم اي لرنكا في قبرس وفي هذه الجزيرة ومالطة ومرسيليا هي الحروف نفسها التي كانت تستعمل في كتابة اللغة العبرانية والفروع الصادرة عنها كلغة الموابدين وغيرهم من شعوب فلسطين وقد ثبت ذلك بالكتابات القديمة التي وجدت على عين شيلوحا وعلى صفيحة ميشع في بلاد مواب (وسأتي على ذكر

ألفبها بالعربية	أروف لائنية	أروف يونانية	أروف عبرانية	أروف فوننية
ا	A	Α	א	א
ب	B	Β	ב	ב
ج	C	Γ	ג	ג
د	D	Δ	ד	ד
هـ	E	Ε	ה	ה
و	V	Υ	ו	ו
ز	Z	Ζ	ז	ז
ح	H	Η	ח	ח
ط	«	Θ	ט	ט
ي	I	Ι	י	י
ك	K	Κ	כ	כ
ل	L	Λ	ל	ל
م	M	Μ	מ	מ
ن	N	Ν	נ	נ
س	S	Σ	ס	ס
ع	O	Ο	ע	ע
ف	P	Π	פ	פ
ص	»		צ	צ
ق	Q		ק	ק
ر	R	Ρ	ר	ר
ش	»		ש	ש
ت	T	Τ	ת	ת

وحروف كتابتها الى طوائف كما قسم علماء البوتانيك النبات وعلماء الزولوجية الحيوان الى طوائف مراعين في ذلك درجات البتوة بين الحروف الاصلية التي هي الفونيقية وبين حروف سائر اللغات

فالحروف المعروفة يسهل ردها الى خمس طوائف مطابقة لاجهات الخمس التي ضرب بها الفونيقيون للاتجار وهذه الطوائف هي السامية بفرعيها العامين السرياني والعربي ثم اليونانية الايطالية بفرعيها اليوناني واللاتيني ثم الايبارية وهي كتابة لايباريين سكان اسبانيا ثم الطائفة الشمالية وتشتمل على الكتابات القديمة عند الاسكندينافيين (وهم جالة اتت من اسيا فحلت في شمالي اوروبا في اسوج ونروج) والجرمانيين والصقالبة قبل تنصرهم ثم الطائفة الهندية الحميرية وقد امتازت بان زاد ذووها على حروفها خطوطاً اصطالحوا عليها لتدل على حركة الحروف فغيرت هذه الزيادة هيأتها ويظهر ان مصدر هذه الطائفة كان بلاد العرب الجنوبية ففرعت من هناك الى افريقيا من جهة فتكون منها كتابة الاحباش والليبيين فكانت مع كتابة الحميريين قدما سكان اليمن طائفة مستقلة وامتدت من جهة اخرى الى اريا (وهي اقليم من بلاد فارس حيث خراسان الان) فتكون منها نوع كتابة مخصوص ثم الى الهند الذي رد العالم البراش وبر (Albrecht Weber) اقدم حروف كتابته الى مصدر فونيقى وتفرع من هذا الاصل فروع عديدة ترد الى خمس طوائف نضرب عن تفصيلها هنا طلباً للايجاز

ان لكل هذه الطوائف من الكتابة اما واحدة هي حروف الفونيقيين اوصلوها الى الافاق مع بضائع تجارتهم فالطائفة السامية نتجت من تجارة الفونيقيين مع بلاد ارام وشطوط الفرات ودجلة والطائفة اليونانية الايطالية مصدرها اسفار الصيدونيين لتجارتهم في الارخبيل وغيره من جزر البحر المتوسط

اثنا وعشرون حرفاً كعدد حروف لغتنا السريانية فوضع تجاهها اثنتي عشرة وعشرين علامة هيروغليفية تشابه تلك الحروف بلفظها فكانت صورة خمسة عشرة علامة منها اشبه بصور خمسة عشر حرفاً من الحروف الفونيقية والحروف السبعة الباقية تبعد صورها عن العلامات الهيروغليفية المقابلة لها ولكن يمكن ردها اليها واليك هذا الجدول في الصورة عدد ٧ فن امعن النظر فيها لم يمتز ان الفونيقين اخذوا حروفهم عن الخطوط الهيروغليفية وقد قال دي روجه ان هذا الاختراع كان في عهد ولاية الملوك الرعاة في مصر التي دامت على القول الاظهر من القرن الحادي والعشرين الى القرن السادس عشر قبل الميلاد ونعم الاختراع الذي اعتيىض به باثنتي عشرة علامة بسيطة عن الوف علامات يحتاج الكاتب تعلمها واتقان فن التصوير فان اكثر العلامات الهيروغليفية صور طيور وحيوانات وهيئات بشرية فجاد الفونيقيون على العالم كله بهذا الاختراع وزادوا فضلهم فضلاً بنشرهم حروف كتابتهم مع بضائع تجارتهم في جهات المعمور المعروف يومئذ كما سترى في العدد الآتي قال رنان كانت حروف هجاء الفونيقين صنفاً من البضائع التي يشحنونها

﴿ عدد ١٤٠ ﴾

— في ان حروف كتابة الفونيقين اصل لحروف —

الكتابة في كل اللغات

قال لانرمان (مجلد ٦ صفحة ٥٥٣) لانعرف احرفاً للكتابة سبق وجودها حروف الفونيقين بل نعلم ان كل ما بقي له اثر من الحروف وجميع الحروف المستعملة اليوم في كل اللغات قد صدرت تواءم الحروف التي وضعها الفونيقيون او تفرعت عن احد فروعها فالحروف الفونيقية ام وحروف سائر اللغات اولادها

ان العلماء الباحثين في اصول اللغات ومعارضة بعضها ببعض قسموا اللغات

لفظها	اسماء الحروف	حروف فونيقية	حروف مصرية
الف	ا	ⲁ	ⲁ
بت	ب	Ⲃ ⲃ	Ⲃ
كول	ج	Ⲅ ⲅ	Ⲅ
دوات	د	Ⲇ ⲇ	Ⲇ
هاء	هـ	Ⲉ ⲉ	Ⲉ
واو	و	Ⲋ	Ⲋ
زين	ز	ⲋ	ⲋ
حط	ح	Ⲍ ⲍ Ⲏ	Ⲍ
طا ط	ط	ⲏ	ⲏ
يود	ي	Ⲑ ⲑ	Ⲑ
كوف	ك	Ⲓ	Ⲓ
لومد	ل	ⲓ	ⲓ
ميم	م	Ⲕ	Ⲕ
نون	ن	ⲕ	ⲕ
سمكة	س	Ⲍ ⲍ	Ⲍ
عين	ع	ⲏ	ⲏ
فاء	ف	Ⲑ	Ⲑ
صادي	ص	ⲑ	ⲑ
قوف	ق	Ⲓ ⲓ Ⲕ	Ⲓ
ریش	ر	ⲕ	ⲕ
شین	ش	Ⲍ	Ⲍ
تار	ت	Ⲏ +	Ⲏ

الفصل التاسع

(في ايجاد الفونيقين الكتابة بالحروف وفي لغتهم وعلومهم)

﴿ عد ١٣٩ ﴾

— في ان الفونيقين اخذوا حروف الكتابة عن الخطوط —

الميروكليفيه

سلف لنا كلام في عد ٥٢ ان قد اجمع القدماء على ان الفونيقين اول من وضع الكتابة بالحروف ولم يخالف الحدباء القدماء في هذا بل زادوه اثباتاً وشفعوه ببيان انهم اخذوا حروفهم عن الخطوط الميروكليفيه فقد صرح شموليون السكاشف عن كنوز الخطوط الميروكليفيه ان الحروف الفونيقية اشتقت من هذه الخطوط وقد اظال واجاد العالم عمويل دي روجه باثباته هذا الاشتقاق وبيان طريق التوصل اليه فقال ان العلاقات السياسية والتجارية بين المصريين والسوريين كانت كثيرة متلاحقة فكان يضطر الكاتب في كل هنية ان يرسم بالخطوط المصرية كاحات او اسماء اعلام مأخوذة عن اللغات السامية فاستلزم الامر استلزماً طبيعياً لا مناص منه الاصطلاح على روابط مقررّة ليكون بين اللفظ السامي واللفظ المصري ما امكن من المشابهة وقد كان بين اللغتين بعض تهجيات متشابهة وما لم يكن متشابهاً اصطلاح على تأدية لفظه بالخطوط المصرية اصطلاحاً ثابتاً لا يتغير . وبعد ان وضع روجه هذا الاساس لغرضه اخذ يطالع ويمارض بين الحروف الفونيقية والعلامات المصرية المرسومة في اقدم الايام فتيسر له ان ينظم جدولاً يضع فيه الحروف الفونيقية على جانب الخطوط المصرية فظهر به اشتقاق الاولى من الثانية لان الحروف الفونيقية

تأتيهم بشي . منه من شمالي افريقيا اذ كانت الافيال حينئذ كثيرة في نواحي
مراكش والجزائر وتونس لا كما اصبحت الان محصورة في الانحاء الواقعة تحت
خط الاستواء واكثر مصنوعات العاج التي كُشف عنها في اطلال قصور
الاشوريين صنعتها ايدي الفونيقين

لم يكن للفونيقين ارض كافية لتحصيل قوتهم بالزراعة ولذلك اكبوا على
الملاحة والتجارة والصناعة ومع هذا اجادوا كثيراً استثمار ما كان لهم من
الارضين فقد توفرت في جوانب صور وصيداء وبيروت وجبيل كروم العنب
فكانوا يعصرون منها ومن عنب لبنان خمرهم التي طارت شهرتها حتى كان
يرغب فيها في رومة في ايامها وفي بلاد اليونان وبارتها في الشهرة خمر حلب
(ملخص عن لازمان مجلد ٦ صفحة ٥٤٧ وما يليها) وروى رنان انه وجد
في ضواحي صور آلات لاجراثة اكمل وامتن منها في ايامنا (كتاب بعثه الى
فونيقى صفحة ٦٣٣) وقد اشتهروا ايضاً بتقديد الاسماك اي جعلها قطعاً وتليحها
ووضعها في المواتجف فتحفظ مؤونة وزاداً فقد سبقوا في ذلك الهولاندي الذي
نصب له كرلوس الخامس ملك المانيا تمثالاً وكان لمصايد صور وبيروت دخل
كبير من صنف تجارتهم هذا وقد اشتهر الفونيقيون ايضاً بهندسة الابنية وتحصين
الحصون فكانوا اساتذة لغيرهم من القبائل في هذا الفن ومزية ابنتهم ضخامة
حجارها وحسن تنجيدها وهم اول من عنى بتبليط الازقة والشوارع في المدن
فان شوارع صور وقرطاجنة بلطت عند بنائها كما يظهر من اشعار فرجيل ولا
حاجة الى القول انهم اول من صنع السفن وعلم الناس صنعها . (عن هوفر في
تاريخ فونيقى فصل ٤)

ثمة فلا تروج البضاعة

اشتهر الفونيقيون أيضاً بالمصنوعات المعدنية ولكن يظهر انهم لم يعملوا بالحديد ولا بالقولاذ بل كانوا يأخذون المصنوعات الحديدية من البلاد التي يسهل صنعها بها لوجود معادن الحديد فيها لكنهم حازوا قصبات السبق في العمل بالصفير اي النحاس الاصفر وحسبك شاهداً لذلك ما جاء في الكتاب عما صنعه الصوريون من الآنية واثاث الزينة في هيكل سليمان وبلاطه (سفر الملوك الثالث فصل ٧ من عد ١٣ الى عد ٤٦) وكثيراً ما جاء في الخطوط الهيروغليفية على عهد الدولتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة في مصر ذكر آنية الصفير من صنع الفونيقيين وكان يقدم للفراعنة من جملة مواد الجزيات المقدمة لهم آنية من هذه توصف بالظرف وبديع الصناعة وقال استرابون (في ك ٣) ان التجار الفونيقيين كانوا يشحنون الى جزائر بريطانيا اسلحة من الصفير مع الآنية الخرفية ولا غرو ان كانت هذه الاسلحة مثلاً لما استبدل به على العصر النحاسي في اوربا

وقد ذكر هو ميروس الشاعر مرات الكوروس التي يصنعها الصاغة الفونيقيون من معادن ثمينه وابان شديد رغبة اليونانيين في نوالها وقد وجد بعضها في جزيرة قبرس وفي تسكانا في ايطاليا نقلها التجار او الجالة الفونيقيون اليها . وفي متحف اللواتيكان في رومة والوفر في باريس شيء كثير وجميل منها . وقد اكتشف منذ بضع سنوات في عمريت وطرطوس قطع كثيرة من الحلى مرصعة بجواهر فشهدت بمهارة الصاغة الفونيقيين ونبوغهم في صنع الحلى

وذكر حزقيال النبي مهارة الصوريين في صنع العاج ايضاً يزخرفون به المساكن والمتاع باشكال بديعة وكانوا يستجلبون اسنان الافيال اللازمة لذلك بطريقين فكانت قوافل اليمن تأتيهم من الهند بشيء من ذلك وسفنهم في البحر المتوسط

﴿ عدد ١٣٨ ﴾

— في اصطناع الفونيقين المتاع والآنية الخزفية والمعدنية وغيرها —
اشتهر الفونيقيون أيضاً في عمل المتاع والآنية الخزفية وكانت هذه الآنية
من اخص اصناف تجارتهم واستمروا على ذلك عندما تناهت اسفارهم الى
جزر بريطانيا بالانتيك فكان من مشحونات سفنهم هذه الآنية يعطون اهل
تلك البلاد اياها قايضاً بالقصدير وقال برو (في كتابه في الصناعة في القدم
السالف ذكره مجلد ٣ صفيحة ١٦٨) ما ملخصه كانت معامل الآنية من ارواد
الى صور وكان يشحن من هذه الفرض ربع كل سنة مقدار وفير من الجرار
والقدور والكؤوس والصحاف الى غيرها من المتاع فتوزع في الافاق حتى
على شواطئ الانتيك وذهب اكثر العلماء الى ان الفونيقين علموا اليونان
هذه الصناعة مستدلين بان مصنوعات اليونان القديمة من هذه الآنية ان
هي الا منقولة عن مثال فونيقى وما وجد منها في بعض جزر الارخيل خاصة في
ثارة ومالوس يظهر انه من صنع الفونيقين انفسهم عند احتلالهم هذه
الجزر . وقد مر بك في مقالة الحثيين ان الاب دي كارا يرى ان سكان بلاد
اليونان القدماء تلقوا هذه الصناعة عن الحثيين على ان الحثيين ظعنوا من
جوار فونيقى اى من سورية الشمالية الى اسيا الصغرى ثم الى بلاد اليونان
على مذهبه فتعود هذه الصناعة الى اصل واحد . وليس من نكير ان اليونان
حسنوا وكمكوا مصنوعاتهم الخزفية فترى عليها رسوم هندسية مدققة وامثلة ازهار
وهيئات تطابق قوانين الصناعة مع ان مصنوعات الفونيقين نراها ضخمة متينة
لا دقة في صناعتها ولا بدع فان غرض الفونيقين انما كان التجارة والربح وان
يصنعوا لعملائهم البرابرة آنية متينة لا يسهل انكسارها في استعمالها اليومي
ولم يعتمدوا اتقان الصناعة والظرف لما يقتضي لصنعه من الوقت الطويل فيغلى

وفي متاحف اوربا كثير من مصنوعاتهم هذه الزجاجية لا ينحط اعتباراً عن
مصنوعات البندقية (فانيسيا) في القرون الوسطى . وقد روى بلين (في التاريخ
الطبيعي فصل ٣٦) كيف وفق الفونيقيون الى اختراع الزجاج فقال ما ملخصه
• ان في فونيقيا المتاخمة لليهودية عند ذيل جبل الكرمل مستقماً يظن ان منه
اصل نهر بالنوس (المعروف الان بنهر النعمان) الذي يصب في البحر المتوسط
غير بعيد عن بتولماليس (عكا) وامواه هذا النهر عميقة غير سريعة الجري وليس
على ضفتي النهر من رمل الا عند مصبه وهناك تغسله امواه البحر وتنقيه
فيصبح ابيض نقياً خالصاً بعد ان كان لا يصلح لشيء وحكوا ان بعض المتجرين
بالنطرون (ملح البارود) حلوا في هذا الموضع وارادوا ان يطبخوا لهم طعاماً
فلم يجدوا حجارة ليجعلوها أنافي فجعلوها من قطع النطرون المشحونة سفينتهم
به ولما اضرمو النار رأوا الملح يذوب وينصب على الرمل فيتكون منه سائل
براق فاستغربوه وهداهم الى اصطناع الزجاج فهذا هو اصل الزجاج • فهذه
الحكاية اصل تاريخي فالتجار الفونيقيون اضرمو النار في خرق صخر يجمع
لهيها فحصلوا بادي بدء على ترجيز ملح النطرون وبهذا قام اختراعهم فن
عرفوا الزجاج قبل الفونيين كانوا يستعينون على صنعه بمحلول البوتاس (القلي)
مأخوذاً من حرق بعض النبات فلم يكن زجاجهم شفافاً اما الفونيقيون فاعتاضوا
عن القلي الباقي بالقلي المعدني فكان زجاجهم شفافاً وكان مركز معامل الزجاج
عند الفونيين صيدا وصرفند كما كان مركز معامل الصباغة حول صور وكان
اجود الرمل الذي يتخذونه لصنع الزجاج رمل نهر بالوس (النعماني) فكان
اشبه برمل فتنبلو في افرنسة في هذه الايام • وفي متاحف اوربا كثير من
مصنوعات الفونيين الزجاجية وهي شاهدة لهم بطول الباع والمهارة العجيبة

من خاصة في الحيوان الذي تؤخذ الصبغة منه واجود البرفير واثمنه وما كان منه
ملبس الملوك هو ما أخذت صبغته عن الحيوانات العائشة في البحر بجانب صيدا
وصور وجوارهما وكان يستعمله خاصة ملوك اشور واران وبابل وفارس ومدین
كما جاء في نبوات حزقيال وارميا ودانيال وكان ملوك اسيا يسرفون باستعمال
البرفير في ملابسهم وفي زينة قصورهم ولم يكن الفونيقيون يأخذون هذا الصبغ
من البحر المجاور مدنها فقط بل يجلبونه او يعملون به في انحاء اخرى ايضا
واخص مصائدهم لهذا الحيوان ومعاملهم للصبغ كانت صور على ما ذكر
استرابون وصيدا على ما ذكر اكيمنضوس الاسكندرسي وصارفند وقيسارية
اللد وقبرس وشطوط المورة في بلاد اليونان والجزر قيثارة وكريت ورودس
وغيرها وقد ذكر حزقيال النبي ارجوان جزائر اليونان لصور اذ قال (ف ٢٧
عد ٧) « والسمجنوني والارجوان من جزائر اليشة كانا غطاءك » وكانوا
يصبغون بهذه الصبغة انسجة من قطن وصوف وحرير وخاصة انسجة الصوف
الناعم الرقيق الذي كان يستجلب من برية سورية ولما كانت مادة هذا الصبغ
غالية الثمن فلم يكونوا يصبغون بها الا اجود النسيج وكان لهم بهذا الاختراع
ثروة كبرى وارباح لا تقدر

﴿ عد ١٣٧ ﴾

— في صنع الفونيقين الزجاج —

من اشهر مصنوعات الفونيقين الزجاج وقد عزا كثير من القدماء
استنباطه اليهم فقد سبقهم المصريون الى اختراع نوع من الزجاج لكنه لم يكن
شفافا وكانوا يصبغون منه آنية صغيرة او يطلون به الآنية الخزفية ويصنعون
منه حلى كالعقود التي يحب السودان الى اليوم التحلي بها وترى آثارا لمصنوعاتهم
هذه من اقدم الايام على ان الزجاج الشفاف اخترعه الفونيقيون على الارجح

اتجارك دنت متادسك فاخرجت من وسطك ناراً فاكلتك وجعلتك رماداً
على الارض على عيني كل من يراك .

الفصل الثامن

(في صناعة الفونيقين)

﴿ عد ١٣٦ ﴾

❦ في البرفير ويعرف بالارجوان ❦

لم يكن الفونيقون تجاراً فقط يضربون في الارض قياضاً لبضاعتهم بغيرها
بل اشتهروا ايضاً بالصناعة فكان لهم مصنوعات عديدة تأتي على ذكر اخصها
فانهم لم يكونوا يتجرون بمصنوعات الاشوريين والسكندان والمصريين فقط
بل كان لهم تجارة واسعة من صنع ايديهم ولبعض مصنوعاتهم منزلة كبرى من
الاعتبار في العالم القديم

ومن اول مصنوعاتهم وافخرها صبغ البرفير اي الارجوان الذي كان
يرغب فيه قداماً الشعوب وكان ملابس الملوك وموضع الاسراف وليس من تكبر
ان اول من اخترعه الكنعانيون سكان ساحل البحر المتوسط اي الفونيقون
ونسب اختراعه في الاقاصيص الوثنية الى ملكرت معبود الصوريين وكانوا
يأخذون مادة هذا الصبغ من حيوانات بحرية من ذوات الصدف وقد اطل
ارسطو وبلين في الكلام على البرفير وصبغه وعلى الحيوانات التي يؤخذ من
احشائها وعلى وقت اصطيادها وكيفية اخذ هذه العصارة من احشائها ولون
الارجوان كان احمر بنفسجياً وحمرة تكون ناصعة او يخالطها لون اخر صادر

السريع في مستعمراتهم في اسبانيا

يكاد البنادقة والهولنديون والانكليز انفسهم في هذه الاعصر لا يساوون الفونيقين في اعصرهم بامتداد تجارتهم وكانوا اينما حلوا عمروا محاط لتجارتهم واصبحت معاملهم بعد ذلك مدناً كبيرة فان السكان الذين كانوا على جانب من الحمجية كانوا يجتمعون حول المعامل الفونيقية كأنما بالنفع منها وبالعيشة الحضرية وتعلم الصنائع فالشعب الغير المتمدن يكتسب شيئاً فشيئاً خصال المتمدنين ويجري على اثرهم بمقتضيات عيشه وراحته فتتوفر حاجاته فيسعى بايجاز ما يقيم بهامن حرفة او صناعة او تجارة او زراعة فتحصل الحضارة والعمران وكما نرى اليوم جيلنا يقتدي بالاوربيين هكذا كان الاوربيون يقتدون بقدمائنا العمران بلادهم فقد اخذوا عنا الصناعة فاستردها الان منهم مكملّةً وليس من يقيم نكيراً على ان الفونيقين ادخلوا الحضارة والتمدن في اوربا وغيرها فقد كان مهد الصنائع والعلوم والتمدن مصر وبلاد السكدان وفونيقى على ان الفونيقين كانوا رسل هذا التمدن والتقدم في المعمور كله فلا ينكر العالم القديم فضلهم

ان هذه التجارة التي استمرت قروناً وانبسطت الى افاق المعمور حينئذ افعمت مدن فونيقى بالثروة والغنى فكان ذلك نفسه اكبر معين على سقوطها وزوال مجدها لوجهين الاول ان هذه الثروة هاجت مطامع الملوك الاشوريين والسكدان والفرس فكفؤوا بالاستيلاء عليها والثاني انها حملت الفونيقين على البدخ وافسدت اداهم فساداً لا يقدر ولهذا قال حزقيال النبي (ف ٢٨ عد ١٣) لماك صور اي لاهل مملكتهما «كنت في عدن جنة الله وكان كل حجر كريم كساء لك من الياقوت الاحمر والياقوت الاصفر والماس والزبرجد والجرجع واليشب واللازورد والبهرمان والزمرود وصنعت بيوت حجارتك من ذهب.... من كثرة اتجارك امتلاً باطنك جوراً وخطت... بكثرة اثمك في ظلم

البرتغال والى بعض جزر الاتلتيك ولم يقف الفونيقيون عند تجارتهم في مدن اوربا الساحلية بل اشغلوا قوافل كانت تنوغل في البلاد فتبلغ اقصاها فتجوب افرنسة وجرمانيا وتتصل الى البليتيك فالكهرباء كانت من بضائع الفونيقين منذ عهد سيادة مسيدا، وعبي لا توجد الا على شطوط البليتيك فتعين ان يكونوا قد جلبوها من هناك وكذا كانوا يجلبون القصدير من كورنوبل في انكثرا ولا يظن ان سفنهم كانت تتوصل حينئذ الى البليتيك وان قل له بعضهم

قال لازمان (مجلد ٦ صفحة ٥٤٥) ما ملخصه ولدت الحضارة في مصر واشور ولكن كان الفونيقيون دعائها ورسلاها فلا تجد بلداً من جزر اليونان حتى بوغاز جبل طارق الا راث فيه آثار تعليمهم وما كان لاسفارهم فيه من بث مبادي التمدن فقد جعل نفوذهم ونشاطهم بلاد اليونان وايطاليا وفرنسة واسبانيا تغادر حالتها الاولى البربرية وتصبح اسيوية الى ان احرزت بنفسها النجاح الذي رقاها الفونيقيون اول درجاته فلا يمكن ان يقدر الفونيقيين حق قدرهم في ما تفضلوا به على العالم القديم وما سبقت خطاهم اليه في مدارج التمدن ولا يبعد عندي ان يتحقق ذات يوم ما يراه الان بعض العلماء واجتج انا اليه وهو ان سكان صيدا وصور هم اول من باح باسرار العمل بالمعادن الى شعوب اوربا الغربية فاذا استقرينا اثار عصر النحاس في بلادنا فلا نجد جيلاً جديداً ادخله وازال عصر الحجر بل نجد النفوذ الفونيقي عُلِمَ قدماءنا العمل بالنحاس قبل الحديد فكانت الآتية والادوات والاسلحة تعمل من حجر فاخذوا يعملون من النحاس ما عملوه بعداً من الحديد فكذا كان في اسبانيا وايطاليا وغالية اي افرنسة وجرمانيه وجزر بريطانيا وباقي البلاد الشمالية ودليل ذلك ان هيئة هذا المتاع واحدة والقوش عليها واحدة حتى تحسبها خرجت من معمل واحد وهيئة كلها اسيوية فالفونيقيون كانوا يحتاجون المعادن الثمينة لانفسهم ولتجارتهم وهذه علة امتدادهم

نشرته شراعا لك ، فكان هذا البز (وهو نسيج من قطن موشى) من سلع تجارتهم ولم يقف تجار فونيقى على حدود مصر بل حفظت لنا في حطام المؤرخين القدماء آثار تلبثنا بتواصل مستعمراتهم ومحاط تجارتهم من تخوم مصر الى ما وراء بوزاز جبل طارق خاصة بعد ان عمروا قرطاجنة واهم الجالات الفونيقية الافريقية هي التي اقامت على ساحل الاتلنتيك في اعمال مراکش حتى روى استرابون (ك ١٧ فصل ٣) ان الصوريين عمروا هناك ثلثمائة مدينة ولما تركت صور جائلها هذه في ايام الاشوريين استحوذ عليهما البربر سكان تلك البلاد ولما سير اهل قرطاجنة حنون السالف الذكر بجالة فونيقية حديثة وجد هناك بعضا من النزلة القدماء ومن شاء زيادة التفصيل في مستعمرات افريقية الفونيقية التجارية فليطالع كتاب هوفر في تاريخ فونيقى (فصل ٣) وكانت فصيلة الفونيقين المسماة الليدين الفونيقين تنقل سلع تجارتهم من آنية وانسجة وحلى الى داخلية افريقية وتجلب لهم من هنالك حاصلات تلك البلاد من معادن واخشاب ثمينة وجلود وعاج لكثرة الافيال في صحارى افريقية

﴿ عد ١٣٥ ﴾

— في تجارة فونيقى في اوربا —

قد مر بك ذكر جاليات الفونيقين العديدة في اوربا وكان اخص داع لاغترابهم الاتجار وقد تطرقوا الى اوربا بطريقين احدهما من جهة جزر البحر المتوسط التي كانت لهم محاط تجارة في اكثرها فتوصلوا منها الى بلاد اليونان ومن صقلية وسردينيا وكورسيكا الى شطوط ايطاليا وفرنسة وامن تجارتهم في هذه البلاد والثاني من جهة افريقيا وبوزاز جبل طارق وتوصلوا به الى اسبانيا وعمروا مدنا كثيرة فيها كما رأيت عند ذكر جالياتهم وتطرقوا من هنالك الى

الملوك الثالث (فصل ٩ عد ٢٦ وفصل ١٠ عد ١١ وعد ٢٢) حيث قيل ان سليمان اشترك مع حيرام ملك صور في عمل سفن في عصيون جابر بجانب ايله على خليج عقبة من البحر الاحمر وسير هذه السفن الى اوفير لجلب الذهب وان سفن سليمان وحيرام لم تكن تأتي الا مرة في كل ثلث سنين ولومخرت في البحر الاحمر وخليج فارس فقط لما اقتضى لسفرها كل هذا الزمان فكانت تسير اذا في بعض الاوقيانوس الهندي ايضا ولا علم مفصل لنا بمواد هذا الاتجار الا بما ذكره الكتاب حيث قال : فارسل حيرام عبيده في السفن مع عبيد سليمان قوما ملاحين عارفين بالبحر فاتوا اوفير واخذوا من هناك اربع مائة وعشرين قنطاراً من الذهب واتوا بها الملك سليمان ، وقال بعد ذلك : وكذا سفن حيرام التي كانت تحمل ذهباً من اوفير جاءت منها بخشب صندل كثير جداً وبحجارة كريمة ، الى ان يقول ان هذه السفن كانت تأتي : حاملة ذهباً وفضة وعاجاً وقردة وطواويس ، وسنزيد كل ذلك بياناً في كلامنا على سليمان في تاريخ العبرانيين ولا يبدو ان كانت سفن الفونيقيين تقل الى بلاد اوفير مصنوعاتهم وما يرغب فيه من حاصلات بلادهم

﴿ عد ١٣٤ ﴾

— في تجارة فونيقى في افريقية —

قد كان لتجارة فونيقى في مصر رواج لا مزيد عليه فكان للفونيقيين احياء برمتها في مدن مصر السفلى والعليا وكان كل ما يحتاج اليه المصريون من وراء البحار جلبه لهم الفونيقيون اذ لم يكن منهم ملاحون بل كانت البحارة نجسة عندهم كما مر وروى هيرودت (في الكتاب الاول من تاريخه) ان الفونيقيين وحدهم كانوا ينقلون بضائع مصر وحاصلاتها الى جميع الامم وقال النبي حزقيال (فصل ٢٧ عد ٧) مخاطباً صور : البز الموشى من مصر كان ما

وتسير تواء الى تبسك على الفرات فان هذه المدينة كانت محطة للتجارة تاتيها بضائع بابل بالفرات وبضائع سورية وفونيتي وفلسطين على القوافل . ولم ينبتا حزقيال النبي ما كانت تجلبه صور من بابل على ان تجارة بابل في تلك الايام معروفة ومدارها على الانسجة القطنية والصوفية الفاخرة وعلى الحلى والاثاث التي مهر البابليون في صياغتها وحفرها وعلى العطور التي كانوا يستقطرونها وكان استعملها عاماً في المشرق وعلى الحجار الثمينة الى غيرها وكانت قوافل بابل تجيء بحاصلات اسيا الداخلة من بخارى فيتلقهاها الفونيتيون من ايديهم ويوصلونها الى بلادهم وبهذه الوسيلة عرف السوريون الحرير الذي جاء ذكره في نبوة حزقيال

واما الفرع الثالث وهو تجارة الفونيتيين في الشمال فكان مجهولاً لولا ان يصرح به حزقيال النبي بذكره تجارة صور مع توبل وماشك وآل توجرمة بنفوس الناس اي الرقيق وانية النحاس والحليل والبغال ولا مرآ بان هذه البلاد يراد بها الاقاليم الشمالية المجاورة البحر الاسود وبحر قزوين ومنها كرجستان اي بلاد الكرج المعلوم الاتجار فيها بالثقيات وتوجرمة هي ارمينيا والحاصلات التي يشير النبي اليها هي حاصلات هذه البلاد الى اليوم الا ان غزوات روسيا المتأخرة حظرت الاتجار بالرقيق في تلك البلاد . وبلاد الارمن مشهورة حتى الان بفنائها بالحليل الجياد حتى كان الاشوريون والفرس لا يتعاونون خيل مركبات ملوكهم الا من ارمينيا وقد علمت مما مر ان جالة الفونيتيين اتصلت الى جنوبي جبل قاف وكانت لهم مستعمرات عديدة على ساحل البحر المتوسط وفي اكثر جزره والى شطوط البحر الاسود

ولا مرية في تسيير الفونيتيين سفنهم في خليج العرب وخليج العجم والاقويانوس الهندي للاتجار وحسبك في الدلالة على ذلك ما جاء في سفر

﴿ عد ١٣٣ ﴾

﴿ في تجارة فونيقى في اسيا نسبة الى الجهات الثلاث التي كانت تسير فيها ﴾
 كان لتجارة الفونيقيين في اسيا ثلاثة فروع فتسير احدها في الجنوب وثانيها في
 المشرق وثالثها في الشمال فكانت قوافلهم تسير جنوباً حتى اليمن وحضرموت
 وعمّان فتقل مصنوعاتهم وتجيء من هذه البلاد بالذهب والحجار الثمينة والبخور
 والمر الى غيرها من سلع التجارة وتأتي من موافي عدن وكنهه ببضائع الهند
 والحجار الثمينة والعاج والاخشاب ذات الرائحة الزكية وتلقى من اطراف
 اليمن بضائع الحبشة وحاصلاتها وهي الذهب والعاج والابنوس وريش النعام
 وكان عملتهم في نقل هذه البضائع عشيرة قيذار في بركة العربية والمدنيين
 والادوميين في العربية الحجرية وكانت قوافل اليمن تسير الى الشمال فتجاوز
 مكه ويثرب وتصل الى حجر مدينة العربية وتنتهي الى فونيقى في طريق
 بلاد موآب وعمّون واما قوافل حضرموت وعمان فكانت تمر على جره وهي
 مرفأ على خليج العجم ترسو به السفن الآتية من الهند وكانت قوافل اخرى
 تقلها من هناك مجتازة بلاد العرب في طريق الحجاج في هذه الايام الى ان
 تنتهي الى صور

واما اقرع الثاني من تجارتهم فكان في شرقي بلادهم اي في بابل ونيوى
 وكان الدورون عملة هذا اقرع كما كان العرب والمدينيون عملة القرع الاول
 فكانت قوافلهم تعدو لبنان وبعلبك فتنتهي الى حمص وتأخذ من ثم التوافل
 الميممة نينوى الطريق المستطرق الان ايضاً اي تجاوز حماه وحلب والرها
 ونصيبين فتصل الى بلاد الاشوريين حيث كان نزلة فونيقيون يتقون بضائع
 بلادهم فيبيعونها هناك ويبعثون الى زملائهم في فونيقى بضائع اشور
 وحاصلاتها . واما القوافل التي تيمم بابل فكانت تسير في البرية مارة بدمر

(محلٌ اشتهر بمجودة حنطته) والحلاوى والعسل والزيت والبلسان اقامتا موسمك . ثم ذكر دمشق وما يليها فقال : دمشق متجرة معك بكثرة صنايعك من اجل كثرة كل غنى لك بخمر حلبون (حلب) وبالصوف الابيض . ثم ذكر دان وياوان واراد بهما على الراجح جزاير البحر المتوسط وبلاد اليونان فقال : دان وياوان بالفزل اقامتا اسواقك وكان في موسمك حديدهما المصنوع وقصب الزريرة (وهو قصب يتداوى به) ثم ذكر ددان والراجح ان المراد به شعب كانت مساكنه في اطراف العربية من جهة الهند فقال : ددان متجرة معك بالنمارق (وهي الطنافس التي توضع فوق الرحل) للركوب . ثم ذكر العرب فقال : العرب وجميع روساء قيذارهم تجار يدك بالحملان والكمباش والتيوس فانهم بهذه اتجروا معك . ثم ذكر شبا ورعمه واراد بهما سكان حضرموت وسكان الشاطي العربي من خليج المعجم (طالع عد ٣٣) فقال : تجار شبا ورعمه متجرون معك وبافضل كل طيب وبكل حجر كريم وبالذهب اقاموا اسواقك . واتبع النبي كلامه ذاكرًا عدة مدن في بلاد العرب والجزيرة والعراق فقال : حاران وكنة وعادان وتجار شبا واشور وكلد متجرون معك هولاء يتجرون معك بالانسجة الفاخرة باردية من السمنجوني والوشي وبالنفائس من الثياب المبرمة المشدودة بالحبال المعكومة (المشدودة بثوب) بين بضائعك . ثم ذكر سفن ترشيش واراد بها السفن التي كانت تسير الى اوفير استجلابًا للذهب فقال : سفن ترشيش سيارة لك لموسمك وقد امتلأت وصرت ذات مجد عظيم في قلب البحار .

ان في اقوال النبي حزقيال هذه ما يغني عن البيان في سعة تجارة فونيتي ووفرة موادها وكفًا في زيادة التفصيل تأتي في الاعداد التالية على تجارتها في اسيا ثم في افريقيا ثم في اوربا

على أكثر ما كان منها سهلاً وصالحاً للزراعة وحصروا الفونيقين في مدنها الساحلية ويسير من السهول المجاورة لبعضها ومن هضاب لبنان والجأتهم هذه الحال نفسها إلى اتقان الصنائع والحرف والاكباب على العمل وعلى نقل مصنوعاتهم إلى الافاق التي كان أكثر سكانها على حالة الحمجية وقلة الاهتمام والاهتمام بالصنائع وكانوا يستبدلون مصنوعاتهم بما يحتاجونه إليه أو يعود بالنفع الأوفر عليهم من حاصلات غيرهم فانبسطت تجارتهم إلى كل افاق وضرب تجارهم في كل صوب وعظمت ثروتهم وتوفر غناهم ولا نرى اليق بهذا المقام من ذكر ما رواه حزقيال النبي في تجارة صور التي يراد بها كل مملكة صور أي فونيق لا مدينة صور وحدها فقد قال هذا النبي في الفصل السابع والعشرين من نبوته . ترشيش (ويريد بها اسبانيا) متجرة معك في كثرة كل غني وبالفضة والحديد والقصدير والرصاص اقامة اسواقك ، ثم ذكر النبي ياوان واراد بها جزائر اليونان وبلادهم وتوبل وماشك واراد بها سكان البلاد الواقعة في الشمال من بلاد اشور وما بين بحر الخزر والبحر الاسود حيث كرجستان (طالع عدد ٤١) فقال . ياوان وتوبل وماشك متجرون معك وبنفوس الناس واية النحاس اقاموا موسمك ، ثم ذكر آل توجرمة واراد بهم سكان ارمينيا (طالع عدد ٤١ ايضاً) فقال . آل توجرمة بالخيـل والفرسان والبغال اقاموا اسواقك ، وذكر بني ددان واراد بهم سكان جنوب العربية (طالع عدد ٣٣) وجزائر البحرين فقال . وبنو ددان متجرون معك وجزائر كثيرة تجار يدك وقد ادت قرون العاج والابنوس قياضاً لك ، ثم ذكر ارام واراد بها بلادهم في سوريا وما بين النهرين فقال . ارام متجرة معك في كثرة صنايعك وبالهرمان والارجوان والوشى والكتان والمرجان والياقوت اقامت اسواقك ، ثم ذكر فلسطين فقال . يهوذا وارض اسرائيل متجرتان معك وبمنطقة منية

٥٧٤ الى ٥٦٣	بعل الثاني
٥٥٩ : ٥٦٣	قضاة
٥٥٦ : ٥٥٠	بعل لاتور
٥٥٥ : ٥٥١	مور بعل
٥٥١ : ٥٣١	حيرام الرابع
نحو ٥٣١	موتون الثاني

ومن بعد هذا الملك الاخير امست فونيقى ولاية من ولايات الفرس
كما رأيت

الفصل السابع

(في تجارة الفونيقين)

﴿ عد ١٣٢ ﴾

﴿ في تجارة فونيقى وصور خاصة على ما ذكرها حزقيال النبي ﴾

قضت على الفونيقين حالة بلادهم ان يكبوا على التجارة فان موقعها على ساحل البحر المتوسط بين المشرق والمغرب جعلها محطة للتجارة بين سكان قارتي اسيا واوروبا وتوسطها بين مصر وما يليها غرباً وجنوباً وبين فلسطين وسورية وبلاد العرب جنوباً وشرقاً وبين سورية الشمالية واسيا الصغرى وما يليها شرقاً وشمالاً صيرها نقطة الدائرة للمعمور المعروف وقتئذٍ وقل ما كان من ارضها خصيباً خاصة بعد ان استحوذ بنو اسرائيل

حيرام الاول	ملك نحو سنة ١٠٠٠ ق م
ابيعل	لا تعرف سنو ملكه
حيرام الثاني	٩٤٤
بعل عازر	٩٤٤ الى سنة ٩٣٧
عبد عشتروت	٩٣٧ ٩٢٨
دليل عشتروت	
عشتروتي	
عشتوريم	لا تعرف سنو ملكهم
فالبا	

ايتوبعل الاول	ملك سنة ٨٨٤ الى سنة ٨٤٤
بعل عازر الثاني	٨٤٤ : : ٨٣٨
ماتان	٨٣٨ : : ٨٢٩
بيكماليون	٨٢٩ : : ٧٨٩
حيرام الثالث	نحو ٧٧٠
موتون الاول	: ٧٣٠
الولا	: ٧٢٤
ايتوبعل الثاني لا تعرف مدة ملكه	٠٠٠
بعل	نحو ٦٧٠
ياملك	: ٦٥٠
ايتوبعل الثالث	: ٥٩٠
اتبعل	: ٥٧٤

ملك مصر فتار على ارتخشستا ملوك قبرس وتاناس والي فونيقي وغيرهم اما
 القبرسيون فردهم بعض عمال ملك الفرس الى طاعته واما الفونيقيون ومن
 حازبهم فزحف ارتخشستا اليهم بجيش جرار مؤلف من ثلاثماية الف رجل من
 المملكة ومن عشرة الاف مستأجر يوناني واقام الحصار على صيدا حيث تحصن
 تاناس والي فونيقي فدافع اهلوها بعض الدفاع ثم طلبوا الامان وعرضوا على
 النازي الاستسلام فلم يجب متعناهم وروى ديودوس الصقلي انه اجتمع منهم
 اذ ذاك اربعون الفا في بيوتهم والقوا فيها النار مؤثرين الاحتراق على نحر
 الفرس لهم فبادوا عن اخرهم فعادت سورية الى طاعة الفرس زماناً طويلاً وغشى
 ارتخشستا مصر فاستظهر على نكتانبو ملكها وفتحت له مدن مصر ابوابها واركن
 ملكها الى الفرار واقام ملك الفرس عمالاً في البلاد التي دانت له وكان ذلك لسنة ٣٤٥
 ق م فعادت العزة والعظمة مملكة الفرس على ان ذلك لم يكن الا لزمان وجيز لان
 ارتخشستا الثالث مات مسمماً سنة ٣٣٨ ولم يستمر ابنه اريس على منصة
 الملك الا سنة وقضى قتيلاً بدسيسة بغواس وزيره وخلفه داريوس الثالث
 الملقب كودمان سنة ٣٣٧ وفي هذه السنة نفسها رقى اسكندر بن فيلبوس
 المكدوني منصة ملك اليونان فسلب داريوس ملكه وكان اليونان يكثررون التطاول
 على فونيقي ولكن لم يتم استيلاؤهم على مدنها الا في سنة ٣٢٢ حين ذات صور
 لاسكندر الكبير

﴿ عدد ١٣١ ﴾

— في فهرس اسماء ملوك صور نقلاً عن لازمان —

ذكر لازمان في حاشية علقها على المجلد السادس من تاريخه القديم
 للمشرق فهرساً للملوك صور فآثرنا تعريبه هنا كما رواه والعهدة عليه في تعيين
 سني الملوك

تؤديها كل سنة وقد الحق بهذه الولاية عشائر العرب في بركة سورية وتخوم مصر وكان هولاء معفين من الجزية

وبعد وفاة داريوس خلفه ابنه كي خسرو (كذا يسمى العرب كسر كس) من سنة ٤٨٥ الى سنة ٤٦٥ واشتهر في حروبه مع اليونان وحفظ الفونيقون الامانة له ولم يكن في بلادهم ما يستحق ذكراً الا ان اليونان بعد حربهم الشهيرة معه في سلمينا سنة ٤٨٠ ارسلوا اسطولهم يهدد قبرس وساحل اسيا الصغرى بالتنكيل بهما والاستيلاء عليهما ورقى ابنه ارتخشستا (ويسميه ابن خلدون ارتشخار) الاول منصة الملك سنة ٤٦٥ الى سنة ٤٢٥ فكان الاسطول اليوناني في ايامه يسطو على سواحل فونيقى انجاداً للمصريين على الفرس وكان والي سورية وفونيقى اذ ذاك رجلاً يسمى يفايس كانت له موقعة هائلة عند مصب النيل مع القائد اليوناني فانتصر عليه لكن هذا الوالي عصى بعد ذلك ملكه ارتخشستا وظهر بالجيش المنفذ لاختضاعه وتوفى ارتخشستا وخلفه ابنه كي خسرو الثاني فلم يملك الا خمسة واربعين يوماً وقتله اخوه وملك مكانه ولم يدم ملكه الا ستة اشهر وثلّ عرشه اخ اخر له وسمى داريوس الثاني فملك الى سنة ٤٠٥ وخلفه ابنه ارتخشستا الثاني فعصى عليه افاغوراس ملك سلمينا وبسط ولايته على جزيرة قبرس برمتها واخذ اسطوله ينكل بسكان سواحل كيليكيا وسورية ولما استراح ارتخشستا من حربه مع اليونان هم باختضاع افاغوراس فاقام الحصار على قبرس ست سنوات وكان ينجدها هاكورى ملك مصر الى ان اقر افاغوراس بسيادة ملك الفرس عليه فابقاه في ملكه وفرض عليه جزية سنوية وكان ذلك سنة ٣٨٠ (ماخص عن لانرمان مجلد ٦ صفحة ٥٢ و٥٣) وخلف ارتخشستا الثاني ابنه ارتخشستا الثالث المتعب او كوس وقبض صولجان الملك من سنة ٣٥٩ الى سنة ٣٣٨ وهام في ان يوطد ولايته في مصر فانتصر على جنوده نكتا نبو

وبتجديد بناء الهيكل وعاش كورش بعد فتح بابل ثماني سنين ومات قبلاً في الحرب التي كانت له مع بعض قبائل التر في الشمال سنة ٥٢٩ وخلفه ابنه كميليس وبعد ان ثار لابييه من التتر وقتل اخاه سمرديس حشد جنوده قاصداً مصر فاجتاز سورية وفونيقيا فلم يلق الا التبعة والاذعان لسلطته بل نجده ملوك فونيقيا باسطولهم لافتتاح مصر التي استولى عليها واثنى في ارضها وقتل ملكها احس وتوغل فيها حتى الصعيد بل قصد ان يغزو الحبشة فكانت هذه الغزوة وبالاً عليه اذ عاد منها مدحوراً بل فاقداً رشده ولما خضع له سكان ليبيا في غربي مصر طمع ان يستولي على قرطاجنة فامر جنوده البحرية ان تسافر اليها بالسفن فابى الفونيقيون الاذعان لامره لان سكان قرطاجنة اقرباؤهم وكانت بين الفريقين مخالفة اخاء فترفعوا عن الاخلاف بايمانهم وحقوق نسبهم ولما تمتع الفونيقيون من المدير اصبح باقي الاسطول غير كاف لهذه الغزوة ولم ير كميليس من السداد ان يغالظ الفونيقين الذين انتقادوا اليه طائعين وكانت نخبة جنوده البحرية وملاحيه منهم ونشأت ثورة على كميليس في بلاده فاضطر ان يعود مسرعاً ولدى امتطائه جواده متلهوفاً سقط على سيفه فجرحه فلم يبال بجرحه وداوم سفره فاصابه الغنغرية في جرحه فمات في الطريق في محل يسمى عقبتان اختلف في موقعه فقيل في جهة جبل الكرمل وقيل في جهة حماه . وكان احد المجوس الذي سعى نفسه سمرديس بن كورش ولي البلاد بضعة اشهر فقتله داريوس (ويسميه العرب دارا كما سترى في تاريخ العبرانيين) وارتقى منصة الملك من سنة ٥٢١ الى سنة ٤٨٥ ق م واستمر الفونيقيون على جادة الطاعة له ولم يشتركوا في الثورة التي نشأت عليه في اكثر اقاليم ملكه وقسم داريوس مملكته الى تسع عشرة سترابي اي ولاية وكانت الخامسة منها فونيقيا وسورية وفلسطين وجزيرة قبرس وكانت الجزية المفروضة عليها ثلث مئة وخمسين وزنة من فضة



بورة كورش ملك الفرس وجدت في سهول مرغب حيث كانت عاصمة الفرس وعلى رأسه تاج في
 فله حية وعلى كتفيه اربعة اجنحة جناحان مرتفعان الى ما فوق واخران متدليان الى اسفل اشارة
 السلطة الملكية بحسب اصطلاح الاشوريين ويده الواحدة مرتفعة لدعاء او اصدار امر صفحة ٣٢٨

يستقيم الملك له الا اشهرأ وحطه اشراف المملكة وبايعوا نابونيد بالملك وبينما كان يعني بتجديد معابد الالهة والاثار القديمة كانت في بلاد مادي احداث مهمة فان كورش ملك الفرس انتصر على حميه استياج ملك مادي وثل عرشه وحكم في كل البلاد التي في شمالي بلاد الكلدان وشرقها فلم يعد مفر من انتشاب الحرب بينه وبين الكلدان وكان حينئذ ان وقعت نفرة بين الملك واشراف مملكته فآثر العزلة متنحياً عن العناية بالمملكة وعاهداً بتدبيرها الى ابنه بلشصر وكان كورش يقترب من بلاد الكلدان فالجى بلشصر ان يلي بنفسه امرة جيشه لماواته فعبر كورش دجلة ولم يغادر نابونيد عزله الا للسنة السابعة عشرة من ملكه فتولى قيادة جيوشه لكنه غلب واخذ اسيراً واستمر ابنه بلشصر محارباً الى ان افتتح كورش بابل ليلة الولىمة التي صنعها بلشصر لالف من عظمائه وشرب الخمر في آية الذهب والفضة التي اخذها بختنصر من الهيكل في اورشليم وظهرت له اليد التي كتبت على الحائط « منامنا ثقل وفرسين » (دانيال فصل ٥) اي جعل الله ايامك معدودة ووزن اعمالك وفصلك من الملك وسترى ذلك باكثر اسهاب في تاريخ العبرانيين وانقرضت بذلك مملكة بابل وخلفتها مملكة الفرس سنة ٥٣٧ واذ انتهينا من بيان ذلك فترى الان ما كان للفونيقين مع كورش وخلفائه

اسلفنا الكلام في ان حيرام الرابع ملك صور خضع لكورش فان المدن الفونيقية كلها خضعت له دون مقاومة بعد افتتاحه بابل وكانت تؤدي له الجزية التي كانت تؤديها الى الكلدان وقد عد كورش في احد اثاره « جميع ملوك فونيقى » بين الملوك الذين قدموا له جزياتهم النفيسة في بابل وقال في هذا الاثر « وقد جمعت هؤلاء الشعوب (اي المسيين الى بابل) واعدتهم الى بلادهم » فكان ذلك مصداقاً لما جاء في الكتاب ان كورش امر بعود اليهود المسيين الى فلسطين

ملك حيرام (لعل الاصل الرابعة عشرة من ملك حيرام) انتهى كلام مينندر والظاهر منه انه بعد ان ولى بعل صور مدة عشر سنين اي من سنة ٥٧٣ الى سنة ٥٦٣ نار الصوريون عليه وثلوا عرشه واستبدلوا الحكومة الملكية بحكومة جمهورية يسمى رئيسها شفط اي حاكماً او قاضياً فلم تستقر لهم حال بل تتالى الحكماء فيهم تتالي الاشهر كما رايت ومدة هذه الثورة توافق مدة جنون بختنصر فكان الصوريين انتهزوا فرصة جنون ملك بابل وما صحبه من القلق والاضطراب ليتخلصوا من ولاية بابل ويردوا على انفسهم استقلالهم ولما لم تستقم حالة الجمهورية استدعوا موربعل الذي يظهر انه كان من سلالة ملوك صور وكان سجيناً في بابل او ارسله اليهم نابونيد ملك بابل حينئذ فملك في صور سنة ٥٥٥ ولكن لم يدم ملكه الا اربع سنين كما مر وتوفي سنة ٥٥١ وخلفه اخوه حيرام الرابع واقام على منصة الملك اربع عشرة سنة خاضعاً لسلطة بابل ثم خضعت فونيقى لكورش ملك الفرس بعد ظفهره بملك بابل سنة ٥٣٧ فعاش حيرام خاضعاً لكورش ست سنين وتوفي سنة ٥٣١ ق م وخلفه ابنه موتون

﴿ ١٣٠ د ﴾

— في الفونيقين في عهد ملوك الفرس —

ان بختنصر اعتراه الجنون في اخر ملكه حتى حسب نفسه ثوراً يُعَلَف بعشب الارض ويمشي على الاربع ويأوي البراري الى ان مات سنة ٥٦٢ او سنة ٥٦١ ق م وسوف نبسط الكلام في ذلك في تاريخ العبرانيين وخلفه ابنه اويل مروداك الذي اطلق يوياكين ملك يهوذا من السجن وعظم مثواه (ملوك ٤ فصل ٢٥ د ٢٧) ولم يملك الا ستين وقتله صهره زوج اخته وملك مكانه وسمى نرغل سار سور (اي الاله نرغل يحفظ الملك) فملك اربع سنين فقط وقتل في موقعة مع كورش والفرس سنة ٦٥٥ وخلفه ابنه بلابار اسكون ولم

حزقيال في القصول ٣٢ و ٣١ و ٣٠ و ٢٩ من سفر نبوته حيث يهدد مصر باستيلا .
 بختنصر عليها و خرابها و اذلال ملكها المتكبر و انبوات ارميا حيث قال (فصل ٢٤
 عد ٣٠) « هكذا قال الرب ها نذا اجعل فرعون حفرع ملك مصر في
 ايدي اعدائه و طالبي نفسه كما جعلت صدقيا ملك يهودا في يد نبو كدصر ملك
 بابل عدوه و طالب نفسه » و قال في ذلك ايضاً (فصل ٤٦ عد ٢٤) « قد
 اخزيت بنت مصر و جعلت في ايدي شعب الشمال ٠٠٠ و افتقد فرعون و جميع
 المتوكلين عليه و اجعلهم في ايدي طالبي نفوسهم في يد نبو كدصر ملك بابل
 و ايدي عبيده »

﴿ عد ١٢٩ ﴾

— حالة صور في عهد ملوك بابل بعد فتح بختنصر لها —
 قد مر بك ان بختنصر اقام بعلاً ملكاً على صور بعد اذلاله لها و حفظ لنا
 يوسفوس (في كتاب رده اقوال ابيون ك ١ فصل ٧) فقرة من تواريخ صور
 التي ترجمها مينندر الى اليونانية تيسر لنا بها استقراء تاريخ ملوك صور في باقي
 مدة ولاية البابليين فقال مينندر « حاصر بختنصر مدينة صور على عهد ايتوبعل
 ملكها الذي خلقه بعل فلما عشرين سنين و بعد وفاته انتقل الملك من الملوك الى
 قضاة فولى القضاة اكنيبعل بن بالوق شهرين و وليه كالب بن عبداي عشرة
 اشهر ثم ابار عظيم الكهنة ثلاثة اشهر ثم موتون و جبروست ابنا عبد ريم ست
 سنين . ثم بلاتور سنة و بعد ذلك استدعي الصوريون مور بعل من بابل و ملكوه
 فلما اربع سنين و خلقه اخوه حيرام و ملك عشرين سنة . و كان اذ ذاك كورش
 ملك الفرس ملكاً في البلاد و اذا جمعت هذه المدات معاً كان مجموعها اربعاً
 و خمسين سنة و ثلاثة اشهر (بعضها من مدة ايتوبعل) و حصار صور بدأ فيه
 للسنة السابعة لبختنصر و كورش ملك الفرس رقي منصة الملك للسنة الرابعة من

﴿ عدد ١٢٨ ﴾

﴿ في الحرب البحرية بين اسطول حفرع ملك مصر ﴾

والاسطول الفونيني من قبل يختنصر

ان حفرع ملك مصر ابطاً كثيراً على صور بانجاده لها كما ابطاً علي اورشليم ولم تكامل معداته الحربية الا بعد افتتاح صور وكانت سلطة الكلدان توطدت في فونيني وسورية فلم يجرؤ حفرع على ايقاد نار الحرب برأ فجهز اسطولاً بحرياً لم يكن لمصر مثله منذ عهد توتمس الثالث واستأجر له بحارة وجنوداً يوناناً وكاريين (هم سكان كاريا في اسيا الصغرى تجاه جزر الارخيل) وسير اسطوله نحو فونيني آملاً ان يهيج مدنها على ثورة يخرجون بها عن طاعة الكلدان على ان توخر جنود يختنصر في فونيني ومخافة اهلها ان يحل بهم ما حل في صور قبلهم خيبا مسعى حفرع بل انقلب الفونينيون عليه وجهزوا سفنهم البحرية وضمت اليها سفائن جزيرة قبرس وسيروها تعترض مسير الاسطول المصري فكانت موقمة هائلة بين الاسطولين في امواه قبرس وكان النصر فيها لاسطول مصر فتبع الاسطول الفونيني حتى اتى يتطلب غرامة الحرب من المدن الساحلية وافتتح صيداء عنوة لان ملكها كان رئيس الاسطول ونهبها وغنم ما فيها واخذ ايضاً حفرع ارواد وجيل وسالمته باقي مدن فونيني وقد وجدت اطلال ابنية في جيل وارواد على نمط الصناعة المصرية واكتشف فيها آثار كتب عليها اسم هذا الملك كانه بانيها على ان تسلطه على فونيني لم يثبت الا زماناً وجيزاً اي نحواً من ثلث سنين او اربع لان يختنصر عاد الى فونيني واخضعها بل قصده مصر ايضاً فاستولى عليها وثل عرش حفرع واقام مكانه ملكاً يسمى احمس وقد تفاخر يختنصر كاتباً في احد اثاره انه نزل الى مصر وقلب ملكها عدوه عن منصبه واقام عليها ملكاً اخر وقهر المصريين واثنخ في ارضهم وكان كل ذلك مصداقاً لنبوات

تلاً ويرفع عليك المجنب ويلقي على اسوارك صدمات متجنقه ويهدم بروجك
 بادوات حربيه ولكثرة خيله يغطيك غبارها ومن صوت الفرسان والعجلات
 والمراكب ترتعش اسوارك اذ يدخل ابوابك دخول مدينة قد ثغرت وحوافر
 خيله تطأ جميع شوارعك ويقتل شعبك بالسيف وانصاب عزتك تهبط الى
 الارض ويسابون تروئك وينهبون تجارتك وينقضون اسوارك ويهدمون بيوتك
 الشهية ويلقون حجارتك وخشبك وترابك في وسط المياه وابطل زجل اغانيك
 وصوت كناراتك لا يسمع من بعد واجعلك صخرًا عاريًا فتكونين مبسط
 شباك ولا تبئين في ما بعد ، ودام الحصار على صور ثلث عشرة سنة وملكها
 ايتوبعل الثالث وابطاله يبدون آيات الشجاعة والتجلد والثبات والجبى ، الصوريون
 ان يغادروا المدينة البرية اولاً وان يتحصنوا في المدينة الجزرية فدكت جنود
 بختنصر ابنية المدينة حتى جعلوها قاعاً صفصفاً وكلوا عن اقتتاح الجزيرة وكان
 بختنصر قد مضى الى بابل فعاد الى صور سنة ٥٧٤ وشدد الحصار بنفسه فقبل
 انه افتتح الجزيرة عنوة وقيل ان ايتوبعل الثالث سئمت نفسه هذا الحصار
 الطويل ورأى الخراب الملم بشعبه لانقطاعهم عن التجارة والاشغال فاستسلم
 لبختنصر واعترف بسيادته عليه وذكر لانرمان الروايتين الاولى في المجلد السادس
 (صفحة ٥٣٠) والثانية في المجلد الرابع (صفحة ٤٠٢) واسر بختنصر ايتوبعل
 وكثيراً من اعيان قومه وقادهم الى بابل وفرّ فريق من المحاصرين بسفنهم الى
 قرطاجنة ولم تعد صور منذ يومئذ الى مجدها واتساع تجارتها واسفار جالاتها
 واقام بختنصر على صور ملكاً اسمه بعل واستسلمت له سائر مدن فونيقي
 وذل اهلها له صاغرين

بينهما ذاك شأن كل دولتين قويتين متجارتين فاغتنم ملوك سورية ومصر فرصة هذا الخلاف لحلح طاعة ملك بابل فهب عائداً الى سورية وانبأ حزقيال النبي انه وقف قليلاً بين يفكر اي الطريقين يسلك اولاً طريق اورشليم ام طريق صور اذ قال النبي (فصل ٢١ عد ٢١) «ان ملك بابل وقف عند ام الطريق في رأس الطريقين لياشر عرافة... فاذا العرافة في يمينه اورشليم لينصب المجانيق» عليها . فقسم جحافله الى قسمين سار برأس احدهما الى اورشليم وسير الاخر الى صور فاقام الحصار عليها وسنأتي في تاريخ الدبرانين على ذكر ما كان من حصاره اورشليم ووقوفه عنه قليلاً حتى هزم حفرع ملك مصر احد ملوك الدولة السادسة والعشرين فيها الذي كان يظهر انه اتى لنجدة صدقيا ملك يهوذا ثم عوده الى حصار اورشليم الذي استمر ثمانية عشر شهراً وهرب صدقيا والقبض عليه واشخاصه امام مختصر الذي فقا عينيه وذبح ابنائه بحضرته واخذه مكبلاً في السلاسل الى بابل وجلا معه كل عليه القوم في يهوذا وحرق الهيكل وقصر الملك وقتل عظيم الكهنة وستين رجلاً من الاعيان وولى جدليا على اورشليم

واما صور فاقامت جنود مختصر الحصار عليها وحان اتمام ما تنبأ عليها به حزقيال النبي اذ قال (فصل ٢٦ عد ٢ وما يليه) «بما ان صور قالت على اورشليم نعماً قد انكسرت مصاريع الشعوب وتحولت اليّ فانا امتلي» اما هي فخربت لذلك هكذا قال الرب ها نذا عليك فاصعد عليك امماً كثيرة كما يصعد البحر امواجه فيدمرون اسوار صور ويهدمون بروجها واسحج غبارها عنها واجعلها صخرأ عارياً فتصير مبسطاً للشباك في وسط البحر... ها نذا اجلب على صور نبوكدرصر ملك بابل من الشمال ملك الملوك بنخل وعجلات وفرسان وجمع وشعب كثير فيقتل بناتك في الصحراء بالسيف ويجعل عليك مترسة ويركم عليك



صورة راس بختنصر وجدت منقوشة على خاتم في اسيا والاصل محفوظ في متحف
برلين وترجمة ما كتب حولها في العلامات المسمارية « بختنصر ملك بابل صنع
هذا المرداخ سيده » وعلى راسه خودة لاناك وهو بهيئة شاب صفحة ٣٢٢

سنة وحده وستين مع ابيه

ان بختنصر عاد الى سورية سنة ٦٠٢ ليقبض من يواقيم ملك يهوذا لدخوله في المحالفة عليه مع نكو ملك مصر ويزيل اثار الثورة من سورية فاكراه يواقيم على الخضوع لملك بابل وعلى اداء الجزية اليه واخذ بختنصر بعض آية الهيكل ولا نرى ذكراً في غزوته هذه للملوك فونيقي فيظهر انهم اظهروا له الخضوع وادوا اليه الجزية وعهدوا له بحفظ الامانة فلم يضر بهم على ان يواقيم ما برح سهل الانخداع بدسائس ملك مصر ولذلك عاد يسعى بخلع نير بابل طبق ما جاء في الكتاب (ملوك ٤ فصل ٢٤ عد ١) حيث قال فيه : وفي ايامه صعد نبوكدنصر ملك بابل فكان يواقيم عبداً له ثلث سنين ثم عاد فتمرد عليه ، فذهب بختنصر هذه المرة الثالثة الى سورية سنة ٥٩٩ فتوفي في تلك الاثناء يواقيم وخلفه ابنه يوياكين فلم يتمكن ان يقاوم جنود ملك بابل اكثر من ثلاثة اشهر والجمي ان يسلم نفسه وآله الى يد عدوه فاخذهم بختنصر اسرى الى بابل وجلا معهم عشرة الاف رجل من نخبة بني يهوذا ودخل اورشليم واستلب كل ثمين في الهيكل وقصر الملك واقام متينا عم يوياكين ملكاً مكانه وسماه صديقاً وفي هذه الغزوة ايضاً لانجد ذكراً في الكتاب ولا في الاثار ولا في كتب المؤرخين للملوك فونيقي ومدنها فظهر انهم ما برحوا على طاعة ملك بابل فكانوا احكم من بني يهوذا مع انذار ارميا لهم بالاذعان لملك بابل وعدم الاتكال على مصر

على ان بختنصر اضطر ان يعود بعد تسع سنوات الى سورية اي سنة ٥٩٠ وكان اذ ذاك ملكا صور وصيدا وغيرها من ملوك فونيقي شركاء في المحالفة مع ملك مصر وصديقاً ملك يهوذا وملكى العمونيين والموابين ايضاً وزين لهم الاقدام على هذه المحالفة نفرة وقعت بين ملك بابل وملك مادي اذ كان مات شيكسر ملك مادي حليف بختنصر وحموه وخلفه ابنه استياج فنشأ الخلاف

تجارهم ولا نقصا غنى صور ولا اخمدا حمية الفونيقين ورغبتهم في الاتجار والاغتراب بل اقاموا جاليات عديدة منهم في غربي البحر المتوسط اي في اوربا ولما انتقص القصدير في معادن اسبانيا في الايام التي نكتب تاريخها امعن تجارهم في المغرب حتى بلغوا جزائر بريطانيا طلباً للقصدير من معادن كورنويل الشهيرة ذكر ذلك استرابون (ك ٣ من تاريخه) وسنجى على الكلام في تجارة فونيقى في فصل مخصوص

﴿ عد ١٢٧ ﴾

— في الفونيقين ومختصر وحصاره صور —

قد مرَّ أن نكو ملك مصر بلغ بجنوده ظافراً الى كركميش فشقَّ على نبوبلاسر أن يستحوذ على سورية كلها وخشي أن يملك ما بين النهرين كاسلافه وتوس وساتي ورعمسيس وكانت الشيخوخة والمشاق اضعفت عزيمته فلم يرَ من نفسه المقدرة على ادارة جيشه في مقاومة ملك مصر فاشرك في ملكه ابنه نبوكدونصر الذي يسميه العرب بمختنصر (وتأويله الاله نبو يحفظ الاكيل) وفي سنة ٦٠٦ ق م خرج بمختنصر لمقاومة ملك مصر في كركميش على ضفة الفرات فكان بين الجيشين المصري والبابلي موقعة هائلة دارت الدوائر بها على المصريين فتبعهم الكلدان على اعقابهم في سورية كلها وفتحت مدن سورية وفونيقى ابوابها للكلدان مستسلمة لهم كعادتها المستمرة وبلغ بمختنصر بحجافله الى تخوم مصر يريد الاستيلاء عليها لكنه اضطر ان يعود الى بابل لوفاة والده سنة ٦٠٤ وروى باروزانه نظم حينئذٍ سورية والبلاد التي استولى عليها باقامة قواد مخلصين لحاميته التي تركها في المدن التي خضعت له وروساء يخفرون الاسرى العديدين ويقتادونهم الى بابل وأجد السير بشرزمة من جنده الى بابل حيث كلل ملكاً سنة ٦٠٤ واستوى على منصة الملك وحده الى سنة ٥٦١ ق م فيكون ملك ٤٣

قصره فاحترق هو ونساؤه وخزائنه فذلك الظافرون ابنية المدينة كلها دنا حتى اسمها وكذا زالت عظمة هذه المدينة وانقرضت دولتها كما تلبأ عليها الانبياء ولم تقم من ورطتها بل لم يعد يعلم اين كانت الا في هذه السنين الاخيرة فانه ظهر انها كانت في محل كوينجك الان وكان خرابها سنة ٦٢٥ على قول بعضهم او سنة ٦٠٦ على قول اخرين وهو الاظهر وسنجي على تفصيل ذلك في تاريخ العبرانيين واقتسم ملك بابل ومالك مادي املاك دولة الاشوريين

غفوا من القراء عن تخطي سبيل الغرض رغبا في توفر الفوائد وفي التمهيد لادراك الكلام الاتي حق ادراكه : لم تنج فونيقي من القلق والمشاق من جرى هذه الاحداث فان نكو الثاني ملك مصر خرج على سورية اما بقضاء المحالفة مع نبو بلاسر ملك بابل على قول بعضهم او طلبا لنصيبه من تركة ملك اشور على قول غيرهم فسار نكو بجيش جرار من منف في فصل الربيع من سنة ٦٠٨ في طريق اسلافه فاتقاه يوشيا ملك يهوذا في مجدو (الاجون) يريد منع عبور العساكر المصرية حفظا لامانته للملك اشور فقتله نكو وبدد شمل عساكره ولما رأى ملك صور وسائر ملوك فونيقي ما حل بملك يهوذا تلقوا جنود مصر بالترحاب وخضعوا لنكو ملك مصر متذكرين ما انزله الاشوريون بهم من الضنك والعسف والحراب وما كان لصيدا في ايام سيادة مصر عليها من النجاح والفلاح وتوصل نكو ملك مصر بنزوته هذه الى كركيش على الفرات . ونكو هذا هو الذي جعل ملاحي السفن القونيقية يسافرون على نفقته حول قارة افريقية مبتدئين من البحر الاحمر وعائدين الى مصر في طريق بوغاز جبل طارق كما مر (عد ١١٥) الا ان هذا السفر لم يكرر ولم يعن بحفظ مذكرات المسافرين فلم يكن منه النفع المرغوب فيه للتجارة

ان تذليل الاشوريين لملوك فونيقي والاستيلاء على بلادهم لم يوقها حركة

الفصل السادس

(في الفونيقين في مدة ملوك الكلدان والفرس)

﴿ عد ١٢٦ ﴾

— في انقراض دولة الاشوريين وخلافة دولة الكلدان لها —
وغزوة نكو ملك مصر لسورية وفونيق

خلف اشور بانينال بعد وفاته ابنه اشور اديليان كذا وجد اسمه مكتوباً على قطعة من اجرّ في كالح ، انا اشور اديليان ملك العساكر ملك اشور ابن اشور بانينال ، وكان هذا الملك واهن العزيمة مع ان ملكه انبسط حتى لم يمكن ضبطه ونشأ في شرقيه دولة ضمت اليها عشائر الماديين كلها وتماقبت الحروب بين الاشوريين والكلدان في بابل الى ان وليّ اشور اديليان ملك اشور نبو بلاسر الكلداني على بابل واعمالها او جعله قائداً لجنوده هناك ولما رأى من نفسه القوة ومن ملك اشور الوهن سمى نفسه ملك بابل وحالف شيكسر ملك الماديين ونكو الثاني ملك مصر على الخروج على ملك اشور وقرض دولته وخراب نينوى فجيش شيكسر جنوده وسار بها نحو نينوى فلم يلق معارضة الى ان بلغ ابواب المدينة واقام عليها الحصار ولولا ان غارة التتر السالف ذكرها تكرهه على العود الى مملكته لافتتحها حينئذ على انه بعد ان فتك بالتتر وطردهم من مملكته عاد الى حصار نينوى بجنوده وجنود نبو بلاسر ملك بابل ولم تبث الاثار كيف كان سقوط نينوى بل انبأنا قدماء المؤرخين ان الحصار دام سنتين فلم تمكن مناعة اسوارها اعدائها من افتتاحها على ان دجلة طفى يومئذ طغياناً فوق عادته فاقلب جانباً من الاسوار فتيسر الفتح للاعداء فدخلوا المدينة ولما يؤس ملكها التي النار في

عن طماحه ويخضع عنقه لنيري واشخصت لديّ بناته واخوات اخيه ليكنّ لي
 إماءً واتى يا ملك ابنه يبدي خضوعه لي ويقدم لي تقادم لم يسبق اليّ مثلها ويدفع
 اليّ رهينة بنته وبنات اخوته فعموت عنه ونصبته ملكاً على البلاد ، وكل ملوك
 سواحل فونيقي الذين مالّوا بعلّاً الجبّوا الى طرح اسلحتهم صاغرين طوعاً او
 كرهاً ويكينلو ملك ارواد الذي كان يحسب امواج البحر تسفّسه على حفظ
 استقلاله الجبّي ان يرسل ابنه لتكون مخفورة بين حرم الغازي في نينوى ثم
 الجبّي الى الانتحار فراراً من وقوعه بيد الاشوريين واسر اشور بانيبال ابنه
 الثمانية ققتل سبعة منهم واستحي اكبهم اذ بعل فاقامه ملكاً على ارواد واستمر
 القونيقيون على طاعة ملك اشور حتى نهاية ملك اشور بانيبال . هذا ما رواه لانرمان
 (مجلد ٦ صفحة ٥٢٧) لكنه كان روى في (مجلد ٤ صفحة ٣٤٤) ان ابنه يكينلو
 عشرة وانهم بعد ان كانوا فرّوا الى قبرس على ما يظهر عادوا صاغرين الى اشور
 بانيبال بتقادم عديدة وقبلوا قدميه فمعا عنهم واقام اكبهم ملكاً على ارواد فلا نعلم
 اي الروايتين احق بالاتباع وكانت في هذه الاشياء غارة التتر الشهيرة فانهم جاؤا جمّاً
 غفيراً من بلادهم في الشمال فخيّموا في اسيا الصغرى وسورية وبلغوا تخوم مصر
 حيث اقاموا مدة ثم انقلبوا نحو الشمال فاضروا بالمزارع والحقول في فونيقي
 لكنهم لم يدنوا من المدن المحصنة الا عسقلون فانهم دخلوها وانتهبوا كل ما كان
 فيها حتى هيكل الزهرة اقدم هياكلها لان هيكلها في قبرس وجزيرة قيثاره بُنيت
 بعد هذا الهيكل بزمان طويل كما روى هيروت (ك ١ فصل ١٠٥)

عليها بعد اخذاله وعند مروره في فونيتي وسورية تسارع اليه اثنان وعشرون ملكاً منها ومن جزيرة قبرس لتحيته والاعتراف بالامانة لعرشه واعطائه الجزية فلم يكونوا لينسوا ما انزله بهم ابوه واجداده وقد اكتشف عن اثر له مشوه ولكن تظهر منه اسماء هولاء الملوك فتري بينهم • بعل ملك صور ومنسا ملك يهوذا وملكي اصف ملك جبيل ويكينلو ملك ارواد وابيبعل ملك شمرون • ولا بد ان مد هولاء الملوك اشور بانيبال برجالهم ايضا لمحاربة مصر وانتصر على ترهاقة في موقعة كرنيت على ضفة النيل فانهمزم الى تاب فاحقه اشور بانيبال اليها فقر الى الحبشة فاعاد ملك اشور الاقبال الذين كان نصبهم ابوه الى ولايتهم واكثر الحامية الاشوريين في محاصن مصر وقتل الى نينوى لكنه لم يصل اليها الا وثار عليه هذه المرة الاقبال انفسهم وفي مقدمتهم نكو احد هولاء الاقبال فقبضت عليه الجنود الاشورية وعلى قيلين آخرين وارسلوهم مكبلين الى اشور فاعتمد اشور بانيبال هذه المرة الحلم فاكرم مثواهم وافاض نعمه على نكو خاصة وردهم الى ولايتهم لكنه اضطر بعد امد وجيز ان يعود للقتال في مصر لان ترهاقة توفي فجدد ابنه اوردامان الذي خلقه في عرش الحبشة الاعتداء على املاك مصر ولا يعدو ان كان اشور بانيبال في غزواته هذه يشغل الفونيقين عند ممره بارضهم باعداد الذخائر وامداد جنوده برجالهم

ولا نعلم ما الذي جرأ بعل ملك صور على المجاهرة بالعصيان على اشور بانيبال في السنة الثالثة لملكه اي سنة ٦٦٤ ولا كيف ماله على ذلك غيره من ملوك فونيتي حتى هب عليهم اشور بانيبال فحاصر مدنها وافتتحها ودام حصار صور سنين عديدة واشتد الضيق على اهلها حتى ساقهم الظماء ان يشربوا ماء البحر واضطروهم العوز الى القوت ان يفتحوا ابواب محصنهم وهاك ما كتبه اشور بانيبال على احدى صفائح • ذلت بعل (ملك صور) وجعلته يعرض

وهذا الملك توغل في بلاد العرب الى حيث لم يسبق اليه احد ملوك اشور
وحاول البلوغ الى اوفير بلاد الذهب ففهمه من ذلك الحر الشديد وصعوبة
المسالك وقلة الماء فيها لكنه استحوذ على بلاد العرب واخضع مصر وهزم
ترهاقة ملكها الذي كان من الدولة الحبشية التي وليت مصر واخذ منف وتاب
(طيبة) واقام في اعمال مصر اقبالا يؤدون الجزية اليه ولم يجسر منسا ملك يهوذا ان
يقاومه بل ذل له واعطاه الجزية كما سترى في كلامنا عليه في تاريخ العبرانيين
وجاء هذا الظافر اخيراً فنقش صورته على صخر عند معبر نهر الكلب ونقش
تحتها اخبار غزواته واذلاله مصر وكان رعمسيس الثاني ملك مصر نقش قبله
صورته هناك كما اسلفنا ذكره لاستيلائه على سورية فكأن اسرحدون اراد ان
يوعز الى الاجيال المتخلفة له ان مصر واخلاف رعمسيس انفسهم دانوا لعظمته
وذلوا لسطوته ولكن في اخر مدة ملكه عاد ترهاقة فتغلب على مصر وقتل
الحرس الاشوري وكان اسرحدون قد اعите الاتعاب والمرض ولم ير من نفسه
المقدرة على غزو مصر ثانية فتنزل عن الملك لابنه اشور بانينال

﴿ عدد ١٢٥ ﴾

❦ في الفونيقين واشور بانينال ملك اشور ❦

اقام اسرحدون حفلة المبايعه لابنه اشور بانينال بالملك في الثاني عشر من
شهر ايرو (يوافق بعض شهر نيسان وبعض شهر ايار) لسنة ٦٦٧ قبل الميلاد
ولا نعلم العلم الاكيد مدة استوائه على العرش لا تقطاع الاثر الذي انبأنا بسني
ملوك اشور السالف ذكرهم والاظهر ان اشور بانينال استمر ضابطاً صولجان
الملك زهاء ثلاثين سنة اي الى سنة ٦٣٧ وكان هماماً مغواراً قاسياً مجباً العلم وراغباً
في المحافظة على الاثار القديمة وترك من الاثار ما لم يبارده فيه احد من ملوك
اشور وما عثم بعد تتوجه ان سار بجيشه الجرار يوم مصر تداركاً لغارة ترهاقة

آسرحدون سفناً من مدن فونيقي الاخري وتبع سفن صيدا التي حملت الفارين
فانتصر عليها وقبض على الملك وقتله ودمر المدينة وغنم جنوده بما فيها وجلا
بعض الصيدين الى اشور

وهاك ما نقشه آسرحدون على احدى صفائح . ضربت مدينة صيدون
التي على ساحل البحر واهلكت سكانها على اخرهم ودمرت اسوارها ومنازلها
واقبت موادها في البحر وتقصت الهياكل وفر ملكها عبدملكوت في البحر
كسمك ليختفي عن وجه عزي فاجتذبه الي من بين الامواج واستحوذت
على خزائنه من ذهب وفضة وحجار كريمة وكهرباء وصنديل وابنوس ومنسوجات
من الصوف والكتان وكل ما حواه قصره وجلوت الى اشور جمًا غفيراً من
الرجال والنساء واخذت ايضاً بقرًا وغنماً ودواب الركوب والحمل واقت سكان
ساحل سورية في انحاء شاسعة وبنيت في وسط بلاد الحثيين مدينة سميتها
دراسرحدون (اي مدينة او قلعة اسرحدون) واسكنت فيها القوم الذين قهرهم
ذراعي في الجبال التي في جهة جبال مشرق الشمس واقت عليهم احد عمالي
حاكماً . فالمراد بهذه العبارات الاخيرة انه جلا السوريين الى اشور وجلا اقواماً
اخرين من شرقي اشور فاسكنهم في سورية ولا يعلم زمان هذه الغزوة ولكن

لا بد انها كانت بين سنة ٦٧٨ الى سنة ٦٧٣ ق م

وقال في اثر اخر انه دعا اليه الملوك الخاضعين له في بلاد الحثيين اي في سورية
وفونيقي وفي الجزر فكانوا اثنين وعشرين ملكاً وعددهم هكذا بعل ملك صور منسا
ملك يهوذا قدموه ملك ادوم موصوري ملك مواب زليبل ملك غزة ميتنتي
ملك عسقلون ايتوزو ملك عقرون ملكي اصاف ملك جيل ماتان بعل ملك
ارواد ابيعل ملك شمرون بودويل ملك بيت عمون احي ملك ملك اشدود . ثم

يعدد عشر ملوك في مدن قبرس

خدم لها ولمحافظيها كجملهم بحارة في سفنها وجلافطة لخصاصها وعملة في معاملها فكانوا يهرون ان يروها مدحورة مذلة لينتفعوا بخرابها ويثأروا لنفوسهم منها وتستوي وسائر مدن فونيقي فهذا سر تصرف صيدا وجيل وعكا في هذه الاحوال لكن سوء العاقبة عم الطرفين فخسرت صور سوؤدها بتكبرها وتجبرها واضاعت سائر مدن فونيقي استقلالها لتشفى من غيظها وكدها وثقل على الجميع نير اشور واشتدت وطأته وتوفرت جزياته وبس المصير . على ان صور بعد ثل عرش الولا وتخلف ايتوبعل له اذغت لقضاء الحال وقل ما نراها بعد ذلك حاولت استرداد سيادتها الغابرة

﴿ عد ١٢٤ ﴾

— في الصيديين وآسرحدون —

ان سنحاريب قتله ابناه ادر ملك وشراصار وهو ساجد في بيت نصر وكماله كما انبأنا الكتاب (ملوك ٤ فصل ١٩ عد ٣٧) وكان ذلك سنة ٦٨٠ ق م ووقع الخلاف والنزاع بين ابنائه على ملكه ففاز به ابنه آسرحدون اذ انتصر على اخويه القتالين فرقي منصة الملك من سنة ٦٨٠ الى سنة ٨٦٧ ق م فملك اثني عشرة او ثلث عشرة سنة وتأويل اسمه « اشور اعطى اخا » فاخذ جذوة الشغب الذي حصل عند مقتل ابيه في بلاده واستتبت الراحة على يده في بلاد الكلدان وكان عبد ملكوت ملك صيدا وغيره من ملوك سورية استغنموا فرصة مقتل سنحاريب فهموا بالتخلص من سلطة اشور واداء جزياتها ومنى ملك صيدا نفسه انه يستقل ويخلف صور في سيادتها فنبى آسرحدون بما يأترون وما يتوخون فحشد الجنود وأعد العدد وغشا سورية بنفسه وسار لا يلوي على شيء حتى بلغ الى صيدا فحاصر المدينة برا فافتحتها عنوة فلجأ عبد ملكوت وبعض قومه الى الفرار بحراً بسفنه آمليين النجاة والعود الى وطنهم بعد جلاء الاشوريين عنه فاخذ

وحصا (هذه المدن الثلاث لا يعرف موقعها بتاكيد) واكسيب (الزيب) واكو
(عكا) فان مخافة جنود اشور سيدي حلت في مدنه المحصنة وقلاعه المسورة
وفي مخازن عدده وذخائره وفي مراعي مواشيه فخضع كل ذلك لسلطاني واقت
توبعل على العرش الملكي ملكا عليهم وافترضت عليهم جزية سنوية دائمة بمنزلة
فدية تقدم لعظمتي واما مناحيم ملك شمشيمورنا (هي شعرون السالف ذكرها
في شمالي فونيقى وموقعها الان غير موكد) وتوبعل ملك صيدا وعبدليت ملك
ارواد واور ملك جبيل ومتينتي ملك اشدود وبودويل ملك بيت عمون وكموش
نداب ملك مواب ومليكرام ملك ادوم وجميع ملوك احارى (المغرب) وكل
ملوك ساحل البحر (المتوسط) فهو لا جميعا قدموا لي تقادهمهم النفيسة وهداياهم
الثمينة وقبلوا اقدامي ، ويستتبع كلامه في ملوك اخرين وفي حزقيا الملك كما
ستراه في تاريخه ولسنحاريب اثر اخر يعرف بصفيحة القسطنطينية لوجوده في
متحفها اختصر فيه تاريخ هذه الاحداث بالبلغ عبارة فقال « اما لولى ملك صيدون
فاخذت ملكه واقت توبعل على عرشه وفرضت عليه جزية ، وقد نقش سنحاريب
صورته على صخر عند معبر نهر الكاب ذكرى لاختضاعه سورية وفونيقى فتراها
الى اليوم بين صور غزاة بلادنا من كل صوب

قال لانرمان (مجلد ٦ صفحة ٥٢٥) ما ملخصه ان في اخبار الحروب
التي جرت بين سرغون وسنحاريب والولا ملك صور عبرة يُتَعَطَّ بها فاننا
رأينا المدن الفونيقية تقادر صور عاصمتها منفردة وتفتح ابوابها للملك اشور بل
تقدر بملكها وآله واهل عاصمته بانجادهما الاشوريين عليهم بسفنها وملاحيها وما
الخوف من الجنود الاشورية بكاف لارتكاب هذه الخيانة والغدر فلا جرم ان
الحسد والاحن حملت الفونيقين على خيانة عاصمتهم التي اثقلت نير سؤدها
عليهم واحتجنت لنفسها ارباح التجارة برمتها وعاملت غير الصوريين معاملة

اغتمها الولا ملك صور لاعادة سوّده على مدن فونيقي وكفها عن اداء الجزية
للاشوريين الا انه ما عتم ان نزلت به داهية اخرى دهما كما سترى

﴿ عد ١٢٣ ﴾

﴿ في الفونيقين وسنحاريب ملك اشور ﴾

ان سرغون اغتاله جندي او احد سفلة الناس سنة ٧٠٤ فهب ابنه سنحاريب
الذي كان يلي بلاد الكلدان من بابل الى نينوى فاستوى على منصة الملك الى
سنة ٦٨٠ فتكون مدة ملكه اربعاً وعشرين سنة . وبعد ان اخذ نار الثورة في
بلاد الكلدان وماذي وارمينيا زحف بعسكر جرار نحو سنة ٧٠٠ ق م ينوي
اذلال ملوك سورية وتمكين سلطته فيها بل يطمح بصره الى الاستيلاء علي
مصر ايضاً واول البلاد التي وطئها جنوده فونيقي فكان مجرد دنوه من اكثر
مدنها كافياً لاستسلام ملوكها اليه ودفعهم الجزية له فكذا فعلت ارواد وملكها
عديليت وشمرن وملكها مناحيم وجبيل وملكها اورملك ومشى على اثر
هولاء صيدا وسربتا (صرفند) واكو (عكاء) واكذيب (الزيب) وغيرها
من مدن فونيقي . واما الولا ملك صور الذي كان يسمى حينئذ ملك الصيدونيين
فاقام في صور البحرية اي الجزيرة وهم بتحصينها رجاء ان يسعده الحظ بالدفاع
كما اسعده في عهد سرغون فخاب امله وافتتح سنحاريب المدينة ولجأ الولا
الى الفرار فاقام سنحاريب مكانه اميراً يسمى ايتوبعل فاقر له بالسيادة وتعهد باداء
الجزية الى ملك اشور فكان هذا ايتوبعل الثاني بهذا الاسم من ملوك فونيقي وهذه
ترجمة ما كتبه سنحاريب في اثره المسمى صفيحة تيور في هذا الشأن . في
غزوتي الثالثة مشيت على بلاد الحثيين اي (سورية) فراعت رهبة عظمي لولي
(اي الولا) ملك صيدا فقر الى محل شاسع في وسط البحر فاخضعت بلاده لسلطتي
صيدون الكبرى وصيدون الصغرى وسربتا (صرفند) وبيت زيتي ومحالبا

صلح تقضي على صور بدفع فدية سنوية فاسترد جنوده عنها وعاد الى اشور فنجت صور من هذه النازلة متفخرة بثباتها ونصرها

ولا نرى بعد ذلك في اثار سرغون ذكراً لفونيقى فقي غزوته لازورى ملك اشدود الذي كان قد عزم ان لا يؤدى الجزية واغرى الملوك مجاوريه بالعصاة نجد ذكراً لملوك فلسطين ويهوذا وادوم ومواب انهم نواوا العصاة وراسلوا ملك مصر ولكن لا ذكر لاحد ملوك الفونيقين لا بالموامرة ولا بما اجراه سرغون على روساء العصاة اذ هزم ازورى الى مصر والحق به ياوان الذي اقامه العصاة على عرشه واخذ امرأته وبنه وبناته وامتعته وخزائن قصره وخرب مدن فلسطين وجلا كثيراً من سكانها الى بلاده واقام مكانهم جالية من بلاد الكلدان وتمت بذلك نبوة اشعيا التي نطق بها قبل سبع عشرة سنة من هذه الغزوة اي سنة ٧٢٧ حيث قال (فصل ١٤ عد ٢٩ - ٣٠) لا تفرحي يا فلسطين بان قضيب ضاربك انكسر ٠٠٠ بينا انا ممت اصلك بالجوع وبقيتك تقتل ولول ايها الباب اصرخي يا ايها المدينة قد ذبت يا فلسطين باسرك لان قتلاً وافد من الشمال وليس من يفرد عن عصائبه ٠

لكننا نجد سرغون قد ضم قبرس الى مملكته اما بغارته عليها بنفسه واما بارساله اليها احد قواده فقد وجدت في اخربة شيتوم (لرنكا) اشهر مدن قبرس في ذلك العصر صفيحة هي الان في متحف برلين تسمى صفيحة لرنكا تبين منها ان سرغون غزا قبرس و اضافها الى املاكه وان ذلك كان في السنة الحادية عشرة للملكه اي نحو سنة ٧١٠ ق م وجعل سرغون مدن فونيقى تؤدى الجزية اليه توأ منفصلة عن صور التي خسرت في مدة الحصار بعض مستعمراتها في جزر البحر المتوسط فقل نفوذها وان علا شأنها بثبات ابطالها في جزيرتهم على ان مقتل سرغون في نينوى سنة ٧٠٤ وما كان من الاضطراب بسببه كان فرصة





صورة سرغون مع احد خدامه او حاشيته مأخوذة عن الاثر الاصيلي
المحفوظ في متحف اللوفر في باريس

فارسى الصورىون اثنتى عشرة سفينة فقط لمناسبة هذا الاسطول فشتوه واخذوا خمسماية اسير من جنوده وبحارته فاكسبهم هذا الانتصار فخاراً واعلى شأنهم فعاد ملك الاشورىين عنهم تاركاً جنوده لحراسة النهر وافنية الماء ليجتمعوا الصورىين الاستقاء ودامت هذه الحال خمس سنين فاضطر الصورىون ان يحتفروا آباراً للاستقاء »

فالظاهر من هذه الاحداث ان شعوب سورية الغريبة لما قبض تجلت فلاصر انتهزوا فرصة موته ليخلصوا نير عبودية اشور فتحالف ملك اسرائيل وملك فونيقى وغيرهما على الخروج من طاعة الاشورىين وقبل ان تكمل معداتهم لذلك دهمهم سلمناصر فاستسلموا اليه وادوا له الجزية فعاد الى نينوى لكنهم اضمروا العود لمناواته مستجدين بشباك ملك مصر الذي يسميه الكتاب سو وهذا بين مما جاء في سفر الملوك الرابع (فصل ١٧ عد ٣) حيث قال في هوشع ملك اسرائيل • وصعد عليه سلمناصر ملك اشور فكان هوشع عبداً له وكان يؤدى له جزية • وعلم ملك اشور ان هوشع محالف عليه وقد وجه رسلاً الى سو ملك مصر ولم يؤد الجزية الى ملك اشور • فعاد سلمناصر ثانية الى سورية فقبض عليه وارسله مكتوفاً الى السجن وصعد ملك اشور على الارض كلها وصعد الى السامرة وحاصرها ثلث سنين • وحينئذ استسلمت اليه مدن فونيقى ولم يبق على مناواته منها الا الصورىون الذين في الجزيرة فكان قول مينندر ان سلمناصر عقد عهدة صالح مع ملوك سورية وعاد الى بلاده ثم رجع ثانية الى سورية مطابقاً لنص الكتاب على ان سلمناصر لم يفتح السامرة بل فتحها بعده خلفه سرغون الذي كان قائداً لجيوشه كما سترى في كلامنا على العبرانيين ولم يفتح هو ولا خلفه سرغون صور بل استمرت تتحمل شديد الحصار الى ان رأى سرغون ان لا نفع من حصارها واثّر عليه التوقيع على عهدة

﴿ عد ١٢٢ ﴾

﴿ في الفونيقين وسلمناصر الخامس وسرغون ملكي الاشوريين ﴾
 ان سلمناصر الخامس (على ما وصفه لانرمان او الرابع على ما وصفه فيكورو) استوى على منصة الملك خمس سنين فقط اي من سنة ٧٢٦ او سنة ٧٢٧ الى سنة ٧٢١ او سنة ٧٢٢ ولا يعلم هل كان نسب بينه وبين تجلات فلاصر سالفه ولا كيف رقي عرش اشور وقد وجد اسمه في كثير من الاثار الاشورية ولكن لم يوجد له الى اليوم اثر تاريخي ينبيء باعمال خطيرة له وعزا لانرمان ذلك الى قصر مدة ملكه والى انه لم يكن من عادة ملوك اشوران ينقشوا ما يخلد ذكرى اعمالهم وغزواتهم الحربية الا بعد مرور بضع سنين من ملكهم . على انه قد ورد اسمه مكرراً في الكتاب لتكيله بني اسرائيل وحصاره السامرة (ملوك ٤ فصل ١٧) وحفظ لنا يوسفوس (في تاريخ اليهود ٩ فصل ١٤) خلاصة عن مينندر كاتب تواريخ صور انبأنا بما كان بين هذا الملك والفونيقين وهذه ترجمة كلام مينندر : ان الأول (ملك صور) ملك ستاً وثلاثين سنة ولما تمرد عليه الشيتيون (في قبرس) مخر اليهم باسطول فدانوا لسلطته طائعين . وارسل ملك اشور عليهم عسكرياً واستحوذ على فونيقيا كلها (١) ثم عقد عهدة صلح وعاد الى بلاده على ان سكان عكا (وصيدا في ترجمة هوفر) وصور القديمة ومدناً اخرى عديدة ثاروا على الصوريين وخلعوا نير طاعتهم واستسلموا الى ملك الاشوريين فلم يبقَ على نبذ طاعته الا الصوريون في الجزيرة فأب ملك اشور ستين سفينة مفعمة بالفونيقين وفيها ثمان مئة مجذف

(١) كذا في ترجمة يوسفوس الافرنسية عن النسخة المطبوعة في بريس سنة ١٧٠٠ ولكن ترى هذه الفقرة في ترجمة هوفر في تاريخ فونيقيا (وارسل سلمناصر ملك الاشوريين اليهم وفداً واستحوذ على فونيقيا كلها) فاعل المراد انه ارسل وفداً الى الشيتين ليجرهم على مقاومة الولا

وسائر السوريين ناعمي البال من قبل الاشوريين كما اسلفنا (في عد ٧٤) الى ان استوى على عرش الملك تجلت فلاصر الثاني سنة ٧٤٥ الى سنة ٧٢٦ ق م وغزا سورية غزوات احداها سنة ٧٤٣ انتصر فيها على بيزيريس ملك الحثيين واستدعى اليه الى تل ارفاد في جانب حلب ملوك سورية فاتوه بالتقادم ومن جملتهم حيرام (الثالث) ملك صور والثانية في السنة التالية اي سنة ٧٤٢ تألب فيها عليه ملوك سورية فحاصر تل ارفاد ولم يفتتحها الا بعد سنتين لكن افتتحها يسر له قهر سائر ممالك سورية فجلا منها الوقا وادى له ملوكها الجزية وعدد اسماءهم في احد اناره متاخراً فكان بينهم حيرام ملك صور وسبيتي بعل ملك جيل وستة عشر ملكاً اخرين والغزوة الثالثة كانت سنة ٧٣٤ انتصر فيها على عساكر رصين ملك دمشق وفاقح ملك اسرائيل وقتل رصين وبظن ان قتل هوشع لفاقح ملك اسرائيل كان بايعازه (ملوك ٤ فصل ١٥ و ١٦) واتصل بغزوته الى غزة فهرب ملكها حنون الى مصر وعاقب شمسة ملكة العرب وجلا كثيرين من بني اسرائيل وغيرهم الى بلاده وادى له احاز ملك يهوذا الجزية ولما هم تجلت فلاصر بالعود الى نينوى استدعى الملوك الذين اخضعهم فكانوا خمسة وعشرين ملكاً منهم كثير ممن ذكرت اسماءهم انفاً وفي جملتهم سبيتي بعل ملك جيل وماتان بعل ملك ارواد واما صور فارسل اليها قائداً اشورياً ويظهر ان حيرام الثالث كان قضى نجبه فخلقه مياب بعل دفع الى القائد مثة وخمسين وزنة من ذهب اقتدى ملكه بها (لانرمان مجلد ٤ صفحة ٢٢٤ عن اثار هذا الملك) ويظهر ان مياب بعل هذا غير موتون ابن حيرام الثالث الذي خلقه نحو سنة ٧٣٠ وكان في هذه الاثناء نزاع لانعلم داعيه ولا تفصيله حمل الصيدونيين على ان يفسحوا ارواد ويفتحوها برضى ملك صور واقاموا جالة منهم فيها فاصبحوا اسياها

سلمناصر هذا لا نجد من اسماء ملوك فونيتي الا اسم ماتينبل ملك ارواد ولم يكن معه من الجنود الا مئتا رجل . وان وجدنا بين عداد هؤلاء الملوك المتحالفين اسم احاب ملك اسرائيل وانه كان معه الفامركبة وعشرة الاف رجل فيظهر ان الفونيقيين استسلموا الى سلمناصر على عادتهم المستمرة ولاسيما انه ورد في اثار هذه الغزوة انها انتهت بخسارة ابن هدد ملك دمشق رئيس هذه المحافظة عشرين الفا وخمس مئة رجل من رجاله تجندلوا في ساحة الحرب واضطر ابن هدد ان يفر في البحر مع رواساء عماله وسلمناصر يتفاخر بانه ركب السفن في نخبة من جنوده وتأثره في وسط تيار البحر فلم يدركه (طالع عد ٧٣) وتأثر سلمناصر للملك دمشق كان ولا بد من مدن فونيتي وذلك مؤذن بلا اشكال ان هذه البلاد استسلمت له وقد جرت هذه الاحداث في فونيتي على عهد موتون او ماتان بن بلعزار بن ايتو بلع ملك صور الذي ابتداء ملكه سنة ٨٣٨ وانتهى ٨٢٩ على ما روى لارمان (مجلد ٦ صفحة ٥١٧) وفي ايامه خسر الفونيقيون املاكهم في جزيرتي مالوس وثاره ومدينتي كامبيروس وياليسوس في جزيرة رودس اخذها من يدهم الدوريون احدى عشائر اليونان الرابع بعد حصار عتيف على ما قال لارمان في المحل السالف ذكره

وخلف سلمناصر الثالث ابنه شمسي راما ودام ملكه من سنة ٨٢٢ الى سنة ٨٠٩ ولم يوجد له اثر ينبي انه غزاسورية او فونيتي ولكن ابنه وخلفه راما نيرار الثالث (الذي رقي منصة الملك سنة ٨٠٩ واستمر فيها الى سنة ٧٨٠) غار على بلاد الحثيين ثم على فونيتي وبلاد عمرى اي مملكة اسرائيل وبلاد ادوم وفلسطين ودمشق فانه قد عد في اثر له البلاد التي تؤدي له الجزية كل سنة فذكر كل ما ذكرنا من البلاد في سورية ومن جملتها فونيتي برمتها بلاد صور وصيدا « على ان خلفاء هذا الملك كانوا على غاية من الوهن فبات الفونيقيون

بلاد البحر من سكان صور وصيدا وجبيل ومحالا وميزا وكيزا (لا يعرف موقع هذه المدن الثلاث) وارواد التي هي في وسط البحر فقد اتوني بالفضة والذهب والرصاص والنحاس والحديد وبمنسوجات الصوف والكتان وبأخشاب ثمينة وجلود حيوانات بحرية وقبلوا قدمي ، وفي اثر اخر وهو الصفيحة المكسرة السالف ذكرها قال ، انه ركب السفن التي اخذها من مرفأ ارواد ومضى للنزهة في البحر فقتل دُخَسًا (الدافين) وانه قضى بعد ذلك اياماً يصطاد في جبال لبنان الوعرة فقتل جواميس وخنازير برية وقبض على كثير منها حياً واخذه الى بلاد اشور . ويتفاخر بانه قتل مائة وعشرين اسداً ، وقد كانت غزوة اشور نزيربال هذه نحو سنة ٨٦٥ ق م في ايام ايتوبعل ملك فونيتي واكتفى بما اخذه من الجزية والتقدم من مدن فونيتي المشهور انصباب اهلها على التجارة واثارهم مثل هذه الجزى على معانات الحروب ووقوف حركة تجارتهم وقفل اشور نزيربال عائداً الى بلاده

﴿ عدد ١٢١ ﴾

❦ في الفونيقين وسلمناصر الثالث وخلفائه الى تجلث فلاصر الثاني ❦
قد ذكرنا في العدد ٧٣ ان سلمناصر الثالث هو ابن اشور نزيربال وخلفه وانه قبض على صولجان ملك اشور من سنة ٨٥٨ الى سنة ٨٢٣ وابناً ما كان له مع الحثيين من الحروب الهائلة والمواقع العديدة وسوف نذكر في تاريخ العبرانيين ولاسيما عند الكلام في تاريخ احاب ملك اسرائيل الحروب التي انتشبت بينه وبين ملوك سورية وملك اسرائيل ومن اخبار اعماله مع الفونيقين ما نقشه على مسلة نمرود حيث قال ، في غزوتي الثامنة عشرة عبرت الفرات المرة الواحدة والعشرين وسرت بجنودي على مدن حزائيل ملك دمشق واخذت الجزية من صور وصيدا وجبيل ، على انه في محالفة الاثني عشر ملكاً في سورية على

وعبر عنه « بآمدى رابيتى اهارى » اي بحر فونيقى الكبير وقال لكننى لا اظن ما عبر له عن هذه التخوم الغربية السابقة لملكه يلزم فهمه بحسب منطوق حروفه .
على ان الاب فيكورو قال (في مجلد ٤ من مؤلفه الكتاب والاكتشافات الحديثة صفحة ٣٦) ان تجلت فلاصر « هو اول ملك من هذه الامة جاوز الفرات واتصل بسلاحه الى سورية حتى جبل لبنان والبحر المتوسط وقد اقام تمثالا لنفسه عند منبع دجلة ومثاله في لندره وعليه خطوط هذه ترجمتها « بعون اشور وشماس وبان كبار الالهة اسيادي انا تجلت فلاصر ملك اشور (يبعد اباه) ملكت من البحر الكبير في ارض اهارى (المغرب اي فونيقى) حتى الى بحر ارض نهري (اخر مملكته في الشرق لعل المراد البحر الاسود او بحر قزوين) واشتملت صفائح هذا الملك على تفاصيل غزواته الخمس الاولى وعدد فيها نصراته على الاراميين لكنه لم يتكلم كلاما مخصوصا في حربه في فونيقى بل ذكر خشب الارز (من لبنان) بين الجزيات التي افترضها على البلاد التي افتتحها وان اسلافه الملوكة واباه لم ينتصروا على هذه البلاد « وعليه فأتان تجلت فلاصر الاول الى فونيقى غير مجمع عليه حتى الان لعدم وجود اثار تصرّح به لكن المجمع عليه ان اشور نزيربال غشى فونيقى بمساكره فانه فضلا عما كتب على صدر تمثاله القائم الان في المتحف البريطانى كما مر (في عد ٧٢) قد نقشت اخبار غزوته لفونيقى على صخر كالح حيث يقول انه لم يخضع لسلطته سورية الشمالية وبلاد الحثيين وجبال اللكام وشواطىء العاصي فقط بل يقول ايضا انه نزل بنفسه الى فونيقى والى ساحل البحر المتوسط واخذ الجزية من صور وصيدا وجبيل وارواد وقد كتب على صخرة نمرو « وفي هذا الزمان اخذت نواحي جبل لبنان وذهبت نحو بحر فونيقى الكبير وترنمت على اعالي الجبال بتسابيح الالهة العظام وقدمت لهم المحرقات واخذت الجزية من ملوك

اشورياً تقدم دولة الاشوريين بقرون وعند اكثرهم منهم لان زمان انه لم يوجد بل هو عبارة عما كان لينيوى التي نسبوها اليه ولابل من السطوة والاقتدار فجعل القدماء الحكاية تاريخاً وكذا وضع الان ان ملك شنعار وملك عيلام واحلافهما لم يكونوا اشوريين وان كان بعضهم ملك البلاد التي ملك فيها بعدهم الاشوريون وقد يحتمل الصحة ان كوشان رشعنائيم كان من اسلاف الملوك الاشوريين لكن الكتاب لم يصرح بانه فعل في الفونيقين شيئاً

ان الذي علم الى اليوم من الاثار ان اول ملوك الاشوريين حقيقة الذي جاوز الفرات غازياً الى سورية انما هو تيجت فلاصر الاول الذي ارتقى منصة الملك سنة ١١٢٠ ق م واستمر فيها الى سنة ١١٠٠ قبل الميلاد وقد كشف عن اثار له تين حروبه سنة فسنة قال لان زمان (مجلد ٤ صفحة ١٤٦) ان الذي يظهر من هذه الاثار انه لم يتجاوز بغزواته (التي ذكرناها في عدد ٧٠) جبل اللكام ولم ير البحر المتوسط وزعم بعض المؤرخين انه استحوذ على كيليكييا ودمر سواحل البحر المتوسط وادت اليه مصر الجزية لكن الذي حملهم على هذا القول انما هو اعتمادهم على اثر محطم يعرف عندهم بالصفحة المكسرة ذكرت بها حروب في فونيقى وصيد في البحر المتوسط فنسبوها الى تيجت فلاصر الاول وليست له لمخالفتها الاثر الذي نقشت عليه تواريخ غزواته كلها ولاكتشافها في كوينجك حيث لم يوجد حتى اليوم اثر اخر له والصحيح ان الصفحة المكسرة تشتمل على ذكر غزوات اشور تيربال ولا سيما ان تيجت فلاصر عدد اثنين واربعين شعباً خضعوا لسلطته من مجرى الزاب السفلى الى شط الفرات ومن بلاد الحثيين الى البحر الاسود ولم يذكر فونيقى ولا البحر المتوسط وزاد لان زمان على ذلك في حاشية علقها على صفحة ١٥٤ انه وجد اثر لتيجت فلاصر الاول كتب فيه انه ملك البلاد حتى سواحل البحر المتوسط

الفصل الخامس

(في الفونيقين وملوك الاشوريين)

﴿ عد ١٢٠ ﴾

— في اول من غزا فونيقى من الاشوريين —

وهم بعض العلماء القدماء ان نينوس باني نينوى على زعمهم اخضع لسلطته فونيقى واسيا الصغرى اعتماداً على ما رواه كتاسياس اليوناني الذي كان عند احد ملوك الفرس في اخر القرن الخامس ق م ونقله عنه ديودوروس الصقلي ذاكرة حكاية سيميريس امرأة نينوس وانها ولدت في عسقلان مدينة سورية وجعل يوسفوس (في تاريخ اليهود ك ١ فصل ٩) امرفال ملك شنغار وكدرلا عومر ملك عيلام وحلفاءهما (الذين حاربوا بارع ملك سدوم واحلافه في عهد ابراهيم الخليل) اشوريين اخضعوا جنوبي فلسطين بل سورية كلها وذكر مثل ذلك ابو الفرج بن العبري في تاريخه السرياني وجاء في الكتاب المسمى قانون اوسابيوس ان الاشوريين حاربوا الفونيقين في القرن السادس عشر قبل الميلاد وفي تاريخ بن العبري الآنف ذكره ان قد كانت حرب عوان بين الكلدانيين والفونيقين في ذلك القرن وظن بعضهم ان كوشان رشعنائيم ملك ارام النهرين الذي تعبد له بنو اسرائيل ثمانى سنين في ايام قضاة اسرائيل (قضاة فصل ٣ عد ٥ الى ٨) انما هو ملك اشوري ولم يستعبد بني اسرائيل فقط بل استعبد الفونيقين ايضاً (هو فر في تاريخ فونيقى) فكل هذه الاقوال كان يستمسك بها قبل الاكتشافات الحديثة وكانت تظن صحيحة لا يرد عليها من اعترض على ان الاكتشافات الحديثة اثبتت ان نينوس الذي سماه القدماء

اليونان هذا الاسم وجعلوه « كرشيدون » وجعله الرومانيون « كرتاكو » ،
 Carthago وفي الافرنسية كرتاج Carthage وسماه العرب قرطاجنة فهذه المدينة
 بنيت سنة ٨٢٢ ق م وعلى قول اخرين سنة ٨٦٠ ق م للسنة السابعة من ملك
 بكعاليون

قد كثر ما نظمه الشعراء في اليسار ويسمونها بلقبها ديدون حتى افعموا
 تاريخها من الاقاصيص الموضوعة على ان ما رويناه تاريخ حقيقي وقد جعله
 كذلك كاتون القديم (هو مؤلف لاتيني كان في القرن الثالث قبل المسيح)
 وبومبايوس تروك (هو كاتب روماني كان في القرن الثاني للنصرانية) بل القديس
 اغوستينوس ايضاً (في تفسير المزمور ٦٨) اعتماداً على تواريخ قرطاجنة واما
 ما ذكروا عن ملئها اكياساً رملاً وايهامها وفد اخيها الملك بانها اكياس ملئت
 بمال زوجها وطرحها في البحر بحضرتهم كتباً لطمع اخيها ثم طلبها ان تشتري
 في افريقيا ارضاً بمقدار جلد ثور وقدها الجلد سيوراً رقيقة مستطيلة واخذها
 ارضاً بطولها لبناء مدينتها ثم انتحارها فراراً من عقدها الزواج مع هيرباس ملك
 المكسيثانيين فكل ذلك من الاقاصيص والحكايات الموضوعة

احدى عشرة سنة والثاني بنت اسمها اليسار ويسمىها الشعراء اليسا تكبراها
بعض سنين واوصى موتون ان يشترك ولداه في ارث ملكه ولكن الشعب كان
يرتقب فرصة لتبديل هيئة الحكومة لتغلب سطوة الاشراف فيها فثار القوم
ونادوا باسم بيكماليون واجلسوه على منصة الملك وحده واقاموا له ندوة
مشورة اكثر رجالها من الشعب واسقطوا اليسار اخته من عرش الملك فتزوجت
بزيكار بعل وسماه فرجيل سيكا وسماه غيره اشرباس او اشربال وكان خال اليسار
واعظم كهنة ملكرت وله المقام الثاني بعد الملك فكان لذلك رئيس حزب الاشراف
ولما مرت على ذلك مدة ارسل بيكماليون فقتل زيكار بعل اما بدسياسة من رجال
حزب الشعب واما طمعا باخذ ماله اذ كان غنيا فاستأت اليسار حتى طارت نفسها شعاعاً
من قتل اخيها زوجها وهمت بانشاء ثورة لتثار بزوجها وتثل عرش اخيها وتعيد
نفوذ حزب الاشراف ومالها في ذلك ثلث مئة عضو من رجال الندوة كانوا
من حزب الاشراف فتغلب عليهم الحزب الشعبي حتى يئس الثائرون من الفوز
بما يتبعون وآثروا مغادرة وطنهم على ان يذلوا لبيكماليون وحزب الشعب
فاستولوا بغتة على سفن عديدة كانت معدة للسفر فركبتها اليسار والوف من
رجالها وسادوا يئوون ان يعمرها صوراً اخرى تحت جو آخر فاكسبها سفرها
على هذه الحال لقب «ديدو» وتأويله القارة او الهاربة . وعن يوستينوس
المؤرخ اللاتيني الذي كان في القرن الثاني وكتب قصة هذه الاحداث ان اليسار
سارت اولاً بجاليته الى قبرس ثم الى سواحل افريقيا حيث كانت جالة صيدونية
عمرت مدينة كبة منذ نحو من ستة قرون في مجل تونس الان او على مقربة
منه كما مر (عدد ١١٠) وكانت الجالية القونيقية القديمة انحط قدرها وكانت
تؤدي الجزية حينئذ الى ملك من الليبيين يسمى جابون فاشتريت اليسار منه
ارضاً لجاليته وعمرت فيها مدينة سمها « قرية حديثا » اي المدينة الجديدة فكسر

وكان ملك ايتوبل في صور معاصراً لملك عمرى وابنه احاب في اسرائيل وكان كلاهما اصلاً لسلالة ملكية في قومه وزوج ايتوبل ابنته ايزبال باحاب بن عمرى ملك اسرائيل الذي رقي منصة الملك سنة ٨٧٣ ق م وكان ايتوبل صار ملكاً في صور سنة ٨٩٤ و ايتوبل هذا بنى مدينة البترون اذ قال مينندر في فقرة رواها يوسفوس (في تاريخ اليهود ك ٨ ف ٧) ان ايتوبل هـ هذا هو الذي بنى مدينة بتريس (البترون) في فونيقى ، التي استمرت زماناً طويلاً محصناً لرد غارات اللبنايين على تلك السواحل الفونيقية ثم قال مينندر هـ ومات ايتوبل وعمره ثمانى وستون سنة وخلفه ابنه بل عزور فعاش خمساً واربعين سنة ملك في ست منها فخلفه ابنه موتون او موجه فعاش اثنتين وثلاثين سنة ملك في تسع منها فخلفه ابنه بيكماليون وعاش ستاً وخمسين سنة ملك في سبع واربعين سنة منها وفي السنة السابعة من ملكه فرّت اخته ديدون الى افريقية وعمرت قرطاجنة في ليبيا ، انتهى كلام مينندر كما رواه يوسفوس الذي قال بعد ذلك هـ تين مما مر ان من ملك حيرام الى بناء قرطاجنة مئة وخمساً وخمسين سنة وثمانية اشهر وانه لما كان بناء هيكل اورشليم في السنة الثانية عشرة لحيرام فيكون بين بناء الهيكل وبناء قرطاجنة مئة وثلاث واربعون سنة وثمانية اشهر مع انه اذا حسبت مدات هؤلاء الملوك كما رواها يوسفوس عن مينندر لا تبلغ الا مئة وسبعاً وثلاثين سنة فالثمانى عشرة سنة التي هي الفرق حاصلة من اختلاف الرواية في تعيين مدة بعض الملوك مثلاً قد عين لملك موتون تسع سنين مع ان روايات اخرى جعلت مدة ملكه خمساً وعشرين سنة

﴿ عدد ١١٩ ﴾

﴿ في بناء قرطاجنة ﴾

توفي موتون ملك صور عن ولدين احدهما بيكماليون وعمره اذ ذاك

سنة ٩٢٨ ق م اي في نحو الوقت الذي شق فيه ياربعام بن ناباط مملكة بني اسرائيل فانقسمت الى مملكة يهوذا ومملكة اسرائيل وقد جاء في الكتاب (ملوك ٣ فصل ١١ عد ٤) ان ياربعام هرب من وجه سليمان الى شيشاق ملك مصر ومكث هناك الى وفاة سليمان وعاد بعدها فشق الاسباط العشرة عن مملكة راجعاً بن سليمان فيتحصل من ذلك ان شيشاق ملك مصر كان ينوي غزوة الى سورية ومن معداته لها دسيسته لقتل ملك صور ولشق مملكة العبرانيين الى شطرين وقد تيسرت له بذلك هذه الغزوة اذ قال الكتاب (ملوك ٣ ف ١٤ عد ٢٥) ولما كانت السنة الخامسة للملك رحبعام صعد شيشاق ملك مصر على اورشليم فانتهب ما في خزائن بيت الرب وخزائن دار الملك واخذ الجميع واخذ كل مجان الذهب التي عملها سليمان ،

ولم يستتب الملك لابن الظئر قاتل عبد عشتاروت بل استمر الشعب والهرج في الاثني عشرة سنة التي قضاها على منصة الملك الى ان تيسر لعلية الصوريين ان يجلسوا عليها عشتروتوس بن بلعزار اخا الملك القليل اذ قال مينندر ، وملك عشتروتوس بن بلعزار اثني عشرة سنة وعاش اربعاً وخمسين سنة ، ولما مات عشتروتوس لم يخلفه ابنه بحسب شريعة مملكة صور بل خلفه اخوه المسمى عشتاريم ثالث ابناء عبد عشتاروت وقال مينندر ، وخلف عشتروتوس عشتريم اخوه وعاش اربعاً وخمسين سنة ملك في تسع منها ثم قتله اخوه فالس واخذ ملكه وعاش خمسين سنة لم يملك الا في ثمانية اشهر منها قتله ايتوبعل كاهن الربّة عشتاروت وملك مكانه اثنتين وثلاثين سنة ، فان راعينا ان ما جرى من هذا الهرج والقلق في مملكة صور كان مثله في وقته في مملكة اسرائيل اذ باد فيها بيتا ياربعام وبعشا احدهما بعد الاخر رأينا شدة العلائق السياسية بين مملكتي صور واسرائيل

ايام داود وايام سليمان بل الاظهر ان حيرام الاول كان ملكاً في صور عندما ملك داود في بني اسرائيل وحيرام الثاني ملك في صور في اخر مدة ملك داود وفي مدة من ملك سليمان ويشعر بذلك قول الكتاب (ملوك ٣ فصل ٥)
 • اذ كان حيرام لم يزل محباً لداود كل أيامه • اي ايام داود وقول سليمان لحيرام • قد علمت ان داود ابي لم يقدر ان يبني بيتاً لاسم الرب الهه • وقول حيرام • مبارك الرب الذي رزق داود ابناً حكيماً على هذا الشعب الكثير • فكل هذا مؤذن بان حيرام صديق سليمان كان صديق ابيه داود وكان يعلم ان داود لم يقدر ان يبني بيت الرب وقد يسر بانه رزق ابناً حكيماً ولا يمكن ان يكون حيرام واحداً في المدة التي هي من فتح داود اورشليم الى بناء سليمان الهيكل فيها مع انه لم يملك الا اربعاً وثلاثين سنة كما مر

ثم مات حيرام الثاني سنة ٩٤٤ ق م قبل سليمان وحيث انه ملك اربعاً وثلاثين سنة فيكون ارتقى منصة الملك سنة ٩٧٨ في عهد داود الذي توفي سنة ٩٧٣ على ما روى لانرمان (مجلد ٦ صفحة ٥١٦) وخلف حيرام الثاني ابنه بعلعزار اذ قال مينندر في الفقر التي رواها يوسفوس (في ك ١ ضد ايون فصل ٥) • ولما مات حيرام الملك خلقه ابنه بعلعزار (اوقلا عزار) ثم مات وعمره ثلث واربعون سنة ولم يملك الا في سبع منها • هذا في رواية يوسفوس وروفينوس ولكن في روايتي تاوافيلوس واوسابيوس انه ملك سبع عشرة سنة ولم نجد ذكراً لشيء من اعماله وخلفه بعد وفاته ابنه عبد عشتاروت فملك تسع سنين باجماع الروايات فقال مينندر في المحل السالف ذكره • وخلف بعلعزار ابنه عبد عشتاروت ولم يعيش الا تسعاً وعشرين سنة ولي الملك في تسع منها وقد تأمر عليه ابناؤهُ ظفره الاربعة فقتلوه غيلةً وملك مكانه اكبرهم مدة اثنتي عشرة سنة • ولم يذكر مينندر ولا غيره اسم هذا الملك وكان مقتل عبد عشتاروت نحو

وفاته خلفه ابنه حيرام فقد جاء في فقر ميندر ، وبعد موت ابيعل قبض على صولجان الملك ابنه حيرام فعاش ثلثاً وخمسين سنة وملك اربعاً وثلثين منها ووجد بعض الابنية في صور واقام عمود الذهب الذي يشاهد في هيكل المشتري Jupiter وامر بقطع اخشاب الارز من جبل لبنان لسقف الهيكل وهدم الهيكل القديمة واقام هيكلي هرقل Hercule وعشروت فدشن الاول لهرقل في شهر باريتوس (يوافق بدء هذا الشهر واسط شباط) والثاني لما زحف بجنوده الى الشيتيين (سكان قبرس) لانهم ابوا أداء الجزية اليه فردهم الى الطاعة له وكان لديه شاب يلقب بابن عبديمون اتصل الى ان يحل جميع الالغاز التي كان يلقيها سليمان ملك اورشليم ،

وجاء مثل ذلك في فقر لديوس حفظها لنا يوسفوس حيث يقال ، خلف حيرام الملك ابيعل وعمر الاحياء الشرقية من المدينة وزاد كثيراً في ابنتها وادخل فيها هيكل المشتري الاولبي (المؤلف يوناني فيسمي الالهة باسم الهته فهو هيكل ملكرت) الذي كان منفرداً في جزيرة فردم الفسحة التي بين الجزيرة واليابسة ، ويظهر من كلام بعض الروايات ان حيرام هذا هو الذي كان في زمان داود وعلى عهد ابنه سليمان ومؤداه ان ليس الاحيرام واحد لا حيرامان لكن الارجح والاقر الى الصواب ان حيرام الاول كان في اوائل ملك داود وخلفه ابنه ابيعل فلما كان في اكثر مدة ملك داود ثم خلفه ابنه حيرام الثاني فكان حليف داود وسليمان وصديقهما ومما يؤيد ذلك ان جميع الروايات القديمة اي روايات يوسفوس وروفينوس واوسابيوس وسنشلوس والرواية المجهولة المؤلف اجمعت على ان مدة ملك حيرام هذا كانت اربعاً وثلثين سنة ومن المعلوم ان داود ملك اربعين سنة ويظهر من الكتاب (ملوك ٢ فصل ٥ عد ١١) ان حيرام كان صديقاً لداود منذ افتتح اورشليم فلا يمكن ان يكون حيرام واحد في

الى المقالة في العبرانيين

ومات حيرام سنة ٩٤٤ ق م قبل سليمان ويظهر ان قد بقي الوفاق بين مملكة صور ومملكة بني اسرائيل الى ما بعد انقسامها الى مملكة يهوذا ومملكة اسرائيل اذ لا نرى في الكتاب ولا في غيره اثر حرب بينهما في هذه الحقبة بل نرى احاب بن عمرى ملك اسرائيل تزوج بايزبال ابنة ايتو بعل ملك صور ويعلم قرأء الكتاب المقدس ما كان للاميرة الصورية من السطوة المحزنة على زوجها الضعيف وكم عززت كهنة بعل بالنفوذ السياسي والديني في مملكة اسرائيل اولاً ثم في مملكة يهوذا بعد وفاة يوشافاط والحاصل ان مملكة صور كانت شديدة النفوذ في مملكتي العبرانيين حتى ان سلالة ايتو بعل الصورية استخلفت يوماً لبيت داود نفسه في اورشليم بواسطة عتلية واستمر هذا النفوذ لصور في مملكة اسرائيل الى ان توفي يورام سنة ٨٣٠ ق م وفي مملكة يهوذا الى ان رقي يواش منصة الملك سنة ٨٢٣ ق م وسنجدى على ذكر هذه الاحداث باكثر تفصيل عند كلامنا في تاريخ العبرانيين

﴿ عد ١١٨ ﴾

✠ في ملوك صور وما كان من الاحداث في ايامهم الى بناء قرطاجنة ✠
ان تاريخ صور منذ عقد ملوكها العهد مع العبرانيين الى بناء قرطاجنة معلوم حق العلم مما كتب في تواريخ صور التي ترجمها مينسدر المؤرخ اليوناني الافسسي وحفظ لنا يوسفوس فقرأ من ترجمته في كتاب رده اقوال ايون واول من نعرفه من ملوكهم هو حيرام الاول صديق داود الملك وقد كان مالكاً في نحو سنة الالف قبل الميلاد وخلفه بعد وفاته ابنه اببعل ولا يعلم شئ من الاحداث في ايام ملكه الا محافظته على عهدة الوفاق مع بني اسرائيل وقد وجد اسمه محفوراً على حجر كريم محفوظ الان في متحف فيرنسا بايطاليا وبعد

جزاء صنعه المعروف في تيسير زينة الهيكل فأبى حيرام قبولها مخافة ان تكون هذه القرى مندوحة للخصام بين اهل الملكتين وذلك دليل على تضلعه بفن السياسة وأثر على ذلك ان يرسل اليه سليمان كل سنة ما دام الاشتغال ببناء الهيكل العشرين الف كر بُر والعشرين الف كر زيت السالف ذكرها لتكون مؤونة لعاصمته ولاسطوله ورغب سليمان في توثيق عرى الاتحاد بينه وبين مملكة صور فتزوج باحدى بنات حيرام وكان تزوج قبلها باحدى بنات فرعون ثم باحدى بنات ملك الحثيين الشماليين فكان زواجه بالاميرتين الكنعانيتين وسيلة لدخول عبادة بلع وعشتروت في اورشليم وقد عقد سليمان وحيرام شركة في تسفير السفن الى اوفير لاستجلاب الذهب وغيره من النفائس وكان الفونيقيون من اقدم الايام يتجرون ببضائع الهند الثمينة فكانت سفن الهندود تقل حاصلات بلادهم الى سواحل اليمن وخليج العجم وكان في العربية الجنوبية عدد غفير من تجار الفونيقيين فيتلقون ثمة بضائع الهند فتحملها قوافلهم براً الى فونيتي وسائر اعمال سورية والى مصر وما بين النهرين ولما كان الصيدونيون يسافرون في البحر الاحمر جلب هذه البضائع الى مصر في عهد الدولتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة لم تكن سفنهم تتجاوز اليمن واما سليمان وحيرام فكان غرضهما تسير السفن من مرائي الخليج العربي تواء الى سواحل الهند فاصابا الغرض وكال النجاح مشروعاتهما فقد جاء في سفر الملوك الثالث (فصل ٩ عد ٢٨) ان ملاحي هذه السفن اتوا اوفير واخذوا من هناك اربعمائة وعشرين قنطاراً (او وزنة والوزنة ٣٤ كيلو) من الذهب واتوا بها الملك سليمان على انه لم يدم هذا النجاح الا ما دام ملك سليمان . وقد سمي الكتاب سفن هذه الشركة سفن ترسيس او ترشيش لمشايتها السفن التي كان الصوريون يسافرون بها الى اسبانيا المسماة ترشيش . ونرجى الكلام في اوفير وموقعها

اورشليم لسنة مئة وثلاث واربعين وثمانية اشهر قبل ان يبني اسلافهم قرطاجنة ، ثم روى فقرة من هذه السجلات وهذه ترجمتها « ان حيرام احد ملوكهم كان يخلص الوداد لداود الملك وواصل اخلاصه لسليمان الملك ابنه واثباتاً لمودته له اهدى اليه عند بناء الهيكل مئة وعشرين وزنة (وانبأنا الكتاب ذلك اذ قال في سفر الملوك الثالث فصل ٩ عد ١٥) وارسل حيرام الى سليمان الملك مئة وعشرين قطار ذهب وجزوعاً من افخر الحشب امر بقطعها من جبل لبنان لسقف الهيكل وزينة جدرانها الفاخرة فاهدى سليمان اليه هدايا نفيسة عديدة وكانت محبة الحكمة تزيد في الوفاق بين هذين الملكين وكانا يتطارحان الانياز لهما وكان سليمان يعلو على حيرام في ذلك ، وادرف يوسفوس هذا بقوله « ان الصوريين يحفظون حتى اليوم بحرص شديد رسائل عديدة كان ينفذها كل من هذين الملكين لصاحبه واستشهد الله على نفسي اني دفقت في ما نقلت عن تواريخ الفونيقين توثيقاً للقراء وهوذا ما كتب فيها « ولما مات الملك ابيعل خافه ابنه حيرام الذي زاد كثيراً في مدن ملكه التي كانت في المشرق والحق بمدينة صور ابنة عديدة ... وقد حققوا ان سليمان ملك اورشليم كان يرسل اليه بعض الغاز ويجعل جائزة لهما »

يظهر ان المهندس ومديري البناء والبنائين والنحاتين الذين ارسلهم حيرام الى سليمان كانوا جميعاً من جيل فان عملة هذه المدينة كانوا اشهر اصحاب الصنائع في فونيقيا ولما كان شحن الاخشاب منها ظهر ان الارز الذي قطعت منه كان في جبال ناحية جيل العليا لا في نواحي جبة بشري حيث الارز الان والا للزم شحن هذه الاخشاب من اطرابلس او البترون او من فرضة اخرى بينهما وقد حقق بعض سكان ناحية جيل العليا ان في غابهم حتى اليوم اثرّاً لاشجار الارز قد اراد سليمان ان يعطي حيرام عشرين مدينة وقرية متاخمة لارض صور

الى الموضع الذي عينه سليمان واداء سليمان الى حيرام عشرين الف كـر من الحنطة وعشرين الف كـر من الزيت وسترى ذلك باكثر تفصيل في كلامنا في تاريخ العبرانيين

وروى يوسفوس (في تاريخ اليهود ك ٨ فصل ٢) ان رسالتي سليمان وحيرام الاصيلتين كانتا محفوظتين حتى ايامه في خزائن اوراق الهيكل وفي خزائن سجلات الصوريين قائلاً « ان من رغب في تحقيق ذلك فما عليه الا ان يسأل حائطي هذه الخزائن اطلاعه على ذلك فيرى اني كنت في نقلاها اميناً مجاناً الخلل رأيت ان اقول هذا لاعلن اني وايم الله لا ازيد على الحقيقة شيئاً واني لرغبتي في الاقبال على تاريخي دأبت ان لا اروي الا ما كان صحيحاً ولذلك ارجو ممن يطالع ان يطمان الى صحته ويوقن اني احسب نفسي مرتكباً جريمة كبرى تستحق الاعراض عن كتابي اذا لم ابذل الكد والجد في اثبات الحقائق بحجج راهنة » وروى رسالة سليمان كما رواها الكتاب ثم رسالة حيرام مطابقة لجوهر نص الكتاب وهاكها كما رواها « من الملك حيرام الى سليمان الملك اني لاسدين الله شكراً لا يتقضي على انك ورثت تاج الملك ابيك الذي كان عاهلاً تسامت حكمته وعظمت فضيلته وسأتم بطيبة قلب ما سألتنيه وسوف آمر ان يقطع لك من غياضي مقدار ما تحب من الاجوزة والجزوع من السرر والارز واجعلها في البحر اطرافاً الى المحل الذي تراه اكثر ملائمة لنقلها منه الى اورشليم واسالك ان تعوضني من ذلك مقداراً من الحنطة فانت تعلم حاجتنا اليها في هذه الجزيرة »

وروى يوسفوس ايضاً (في ك ١ من رده اقوال ايون فصل ٥) « ان الصوريين كانوا شديدي الحرص على حفظ السجلات الرسمية القديمة التي كتب فيها ما جرى بينهم ... ومن جملة ما ان الملك سليمان بنى هيكلًا في

٥ عد ١١) • ووجه حيرام ملك صور رسلاً الى داود واخشاب ارز ونجارين ونحاتين فبنوا بيت داود • فالظاهر انه بعد التوقيع على عهدة الاتفاق سأل داود حيرام ان يرسل اليه مهندساً لبناء القصر الذي عزم على بنائه في مدينة صهيون وان يصحبه عملة ماهرون نجارون ونحاتون وان يؤذن بقطع اخشاب من غياض لبنان الشهيرة لزينة قصره فاتمَّ حيرام كل ما سأل به داود ويتحصل من ذلك ان الحروب في عصر القضاة ومضايقاة الفلسطينيين لبني اسرائيل اعواماً عديدة اغفلتهم عن الصنائع التي كانوا يحسنونها ايام خروجهم من مصر بدليل اتقانهم عمل خباء المحضر اي قبة العهد واستمر حيرام هذا ما حيي مسالماً داود وتوفي فخلفه ابنه ابيمل وكان على شاكلة ابيه في موادّة داود الملك وقد سرّ وشعبه في اذلال داود الفلسطينيين واخضاعه الاراميين والحثيين واستيلائه على دمشق وحماه وانبساط ملكه في سورية الى الفرات ثم مات ابيمل وخلفه ابنه حيرام الثاني لسنة ٩٧٨ قبل الميلاد على ما روى لانرمان (مجلد ٦ صفحة ٥١٣)

﴿ عد ١١٧ ﴾

— في حيرام الثاني وسليمان الملك —

قد جاء في الكتاب (ملوك ٣ فصل ٥ عد ١) « وارسل حيرام (الثاني) ملك صور عبيده الى سليمان لانه سمع انه مسح ملكاً مكان ابيه • ليهنئه ويوثق عرى الاتحاد بينهما وينبئنا الكتاب ان الوفاق تمكن بين الفريقين اذ قال ان سليمان ارسل يقول لحيرام • مر بان يقطع لي ارز من لبنان وعبيدي يكونون مع عبيدك واجرة عبيدك اؤديها اليك • • • لانك تعلم ان ليس فينا من يعرف بقطع الخشب مثل الصيدونيين فلما سمع حيرام كلام سليمان فرح فرحاً عظيماً وقال مبارك اليوم الرب الذي رزق داود ابناً حكيماً على هذا الشعب الكثير » الى اخر ما قاله الكتاب من عناية حيرام بقطع الاخشاب وجعلها اطواقاً في البحر

﴿ عدد ١١٦ ﴾

﴿ في اتفاق الفونيقين وبني اسرائيل ﴾

ان افتتاح بني اسرائيل فلسطين كان في عهد سيادة ملوك صيدا كما مر ولا جرم ان الصيدونيين كانوا اذ ذاك من جملة المتضاferين على مقاومة بني اسرائيل على ان يشوع بن نون قائدهم وقشذ لم يخترق تخوم صيدا فاستمرت على استقلالها مع ما يليها من المدن الشمالية خاصة وما برحت العداوة بين الفريقين تشب نارها لكل داع اعواماً طوالاً الى ان استفحل امر الفلسطينيين وقويت شوكتهم وحاولوا الاستيلاء على جنوبي سورية برمته واخربوا صيدا وازالوا سؤددها فقصت الضرورة على بني اسرائيل والفونيقين ان يفادروا ما كان بينهم من الاحن والضغائن وان يعمدوا الى الائتلاف بينهم واتفق ايضاً ان كان الاراميون اخذوا في تلك الاثناء يوسعون تخوم ولايتهم نحو الشمال فتغلبوا على الكنعانيين في حماه واستحوذوا عليها وعلى بني اسرائيل في عبر الاردن الشمالي فطردوهم منه فكان ذلك داعياً آخر للوفاق والاقلاع عن العداوة التي استمرت نحواً من ثلاثة قرون واتفق ايضاً ان كانت دولة مصر ودولة اشور في تلك الحقبة على غاية من الضعف والوهن اتفاقاً لم يكن له نظير في الدولتين معاً ولذا توارد على خاطر الفريقين ان ما تلك الا فرصة سعيدة ثمينة يلزم اغتنامها لتشييد اركان مملكة وطنية مستقلة كل الاستقلال في سورية دعائهما الاتحاد الصحيح والمعاهدة المخلصة بين مملكة بني اسرائيل الجبلية ومملكة صور الساحلية وعليه فلما انقضى النزاع الذي افضى الى قتل شاول ملك اسرائيل وتمليك داود وفي السنة نفسها التي اخذ داود اورشليم من اليبوسيين وجعلها قاعدة للملكه ارسل اليه حيرام الاول ملك صور وفداً يوقع على عهدة الصداقة والاتفاق بينهما وكان ذلك في نحو سنة الالف قبل الميلاد اذ قال الكتاب (ملوك ٢ فصل

للتطويل في ذلك بل نجتزئ بان نقول ان هذا الدرج يثبت وجود مستعمرات
للفونيقيين في ما وراء جبل طارق غربي افريقية وان زمان كتابته غير متفق
عليه فجعل بعضهم في نحو الف سنة قبل الميلاد وبعضهم اقل من ذلك والاظهر
انه كتب في القرن السادس قبل الميلاد

هل دارت سفن الفينيقيين حول قارة افريقية هذا سؤال من جملة من
ذكره هوفر (في كتابه تاريخ فونيقى صفحة ٤٩) واجاب عليه جواباً موجباً
اعتماداً على ما رواه هيرودت ابو التاريخ (ك ٤٤ فصل ٤٢) حيث قال ما ملخصه
ليس من يجهل ان قارة افريقية تحيطها الامواه الا عند الخليج الذي يصلها
بقارة اسيا (هذا قبل فتح خليج السويس) فنكو ملك مصر هو على ما نعلم
اول من استوضح هذا الامر فانه بعد ان رغب عن تكلمة القناة الموصلة بين
النيل والخليج الغربي سير سفناً ملاحوها فونيقيون فسار هؤلاء الفونيقيون اولاً
من البحر الاحمر ثم في البحر الجنوبي (اي الاوقيانوس الهندي) واذا نفدت
ذخائرهم اقاموا وزرعوا الارض وانتظروا حصادها فاذا جمعوا غلتها عاودوا سفرهم
وبعد ان سافروا كذلك بلغوا في السنة الثالثة اعمدة هرقل (بوغاز جبل
طارق) فاجتازوا البوغاز واتصلوا الى مصر واخبرني بعضهم امراً لم اصدقه وربما
صدقه غيري وهو ان الشمس كانت على يمين المسافرين في دورانهم حول
افريقية ، فهذا مثبت ان الفونيقيين داروا حول هذه القارة ويؤيده ما لم يصدقه
هيرودت وما لم يمكن اختراعه وهو ان كل مسافر حول افريقيا مبتدئاً من
البحر الاحمر تكون الشمس على يمينه عند مروره بطرفها الجنوبي وعليه فالفونيقيون
تقدموا البرتوغالين التي سنة في الدوران حول قارة افريقية

فيها قوم من جملة اصحاب المعاهدة الليبية البلاسية السالفة الذكر وكانت لهم عناية كبرى في الماشية ولاسيما الاغنام وكان للتجار بصوفها سوق رائجة وفي الجزيرة معادن نحاس ورصاص فتوفرت فيها مجال تجارة الفونيقين حتى استحوذوا على الجزيرة وقد اكتشفت فيها كتابة فونيقية منذ عصر ولاية الصوريين يدعى بها معبود اهل الجزيرة سردوس باتر وفي الفونيقية اب سردون وتشاهد صورة على نقود الجمهورية الرومانية (لانرمان مجلد ٦ صفحة ٣١١) ويظهر انه كان لهم معاهد في كرسিকা ايضاً وانهم تطرقوا من هذه الجزر الى شطوط ايطاليا الجنوبية والى توسكانا وغيرها من اعمال ايطاليا وسترى في الكلام على تجارة الفونيقين ان تجارهم لم يقتصرؤا على ابلاغ سلمهم الى مدن اوربا التي على سواحل البحر فقط بل توغلؤا في افرنسة والمانيا الى بحر البليتك برآ والى جزر بريطانيا فكانوا يستبدلون في هذه الامصار عروض تجارتهم ومصنوعاتهم بمحاصلات البلاد ومستخرجات معادنها

قد روى استرابون وغيره من القدماء انه كان للفونيقين او الاخرى ان يقال لجاليتهم في قرطاجنة مستعمرات عديدة في مراکش وفي ما وراء بوغاز جبل طارق على شطوط افريقية الغربية ومن ذلك ما جاء ذكره في درج حنون Periple de Hanon الذي يظهر انه خلاصة كتاب مهم كتب في الفونيقية ولم يبقَ منه الا خلاصة موجزة في اليونانية بلغت الينا في بعض كتب القدماء اخص انباؤها ان اهل قرطاجنة اللييون الفونيقيون ارسلوا حنون هذا بستين سفينة مشحونة بجالة منهم الى ما وراء بوغاز جبل طارق لتحتل تلك الثغور فذهب بهم واخذ يحل في كل محل قومًا منهم مسميًا المدن والقرى والجزائر التي توصل اليها وما شاهده فيها ولم يتفق العلماء على مواقعها ولا على بعد احداها عن الاخرى اذ كان مقياسه مدة السفر في البحر بالشراع ولا يفسح لنا مجال هنا

تجارتها الى الاوقيانوس الغربي فكانت لهم هذه الجزيرة اوفق محطة من حيث موقعها ومرفاها الامين فاصبح سكانها في امد وجيز اصحاب ثروة وشهرة والجزيرة الثانية تسمى كولوس على مقربة من الاولى وهي ايضا مستعمرة فونيقية ،
(هووفر في تاريخ فونيقى)

اما سكان صقلية القدماء فيستدل ببعض الاثار انهم كانوا من الياياريين والايكوريين قدماء اسبانيا وجنوبي افرنسة وايطاليا وقد انضموا الى عهدة الالميين والبلاسج الانفة الذكر وشاركوهم في غزواتهم البحرية ولكنهم لملة يعلمها الله شتوا العصا مع اليونان وخالفوهم واعرضوا عن الملاحة وطلب الرزق في البحر وانكبوا على المشاغل في البر فافترص الفونيقيون فرصة هذه الحال فتولوا التجارة في صقلية وبعد امد وجيز توفر عداد محالهم التجارية في شواطىء هذه الجزيرة الخصبه التربة ولم يكن لهم حينئذ من مزاحم فان اليونان لم يعودوا الى هنالك الا بعد ثلثة قرون (ملخص عن لانرمان مجلد ٦ صفحة ٥١٠) وعن هووفر (في تاريخ فونيقى) ان القونيتيين عمروا مدنا عديدة في صقلية منها ماكارا التي تسميها اثارهم راس ملكرت المعروف عند اليونان بهرقل Hercule ولذلك سمى اليونان هذه المدينة هرقلية ومنها بانورم المسماة الان بالرم وتسمى في اثارهم مخنات وذكر بعضهم انها كانت مركز عبادة الزهرة الصورية الى غيرها من المدن واستحوذ الفونيقيون ايضا على جزيرة قسورة المعروفة الان بباتلريا وهي جزيرة صغيرة بين صقلية وافريقية قريبة من شاطىء افريقية وجعلوها مستودعا للذخائر والادوات اللازمة في الاسفار وكانت سفن الفونيقيين التي تسافر من المغرب الى اسبانيا لا بد لها من المرور بجانب سردينيا فعمرها هناك مدينة كرايس حيث الان كلياري لتكون مستودعا لتجارهم وذخائرهم ثم نورا على شاطىء الجزيرة الغربي وكان قبلهم

واما ما كان يستجلبه الفونيقيون من اسبانيا فهو المعادن خاصة اي الذهب والفضة والحديد والرصاص والنحاس والقصدير ثم العسل والشمع والزفت فقد قال حزقيال النبي (فصل ٢٧ عد ١٢) لصور « ترشيش متجرة معك في كثرة كل غنى وبالفضة والحديد والقصدير والرصاص اقامت اسواقك » وكانت تجارة الفونيقين في اسبانيا رابحة اي ربح فقد قال ارسطو الفيلسوف الشهير (الذي ولد سنة ٣٨٤ ق م وقوله الاتي من كتابه في المعجبات فصل ١٤٧) « ان الفونيقين الاولين الذين اتوا ترشيش استبدلوا زيتهم وغيره من بضاعتهم بمقدار كبير من الفضة حتى لم تسمعه سفنهم فصنعوا ادواتهم وآيتهم كلها حتى اناجر سفنهم من الفضة » وروى ديودور الصقلي (مجلد ٢ صفحة ٣٦ من ترجمة هوفر) « ثبت نار في احد محال جبال اليراني فاذا بت مقداراً كبيراً من معدن فضة وكان سكان تلك الاصقاع يجهلون بما يستعمل ذلك المعدن فباعوا الفضة للتجار الفونيقين فكان هولاء يجلبون الى اسيا وبلاد اليونان وافاق اخرى من الفضة ما اكسبهم غنى وثروة تشد عن الحصر وكان من شدة حرص هولاء التجار انهم بعد ان شحنوا سفنهم من الفضة قطعوا رصاص اناجرهم واستبدلوه بمراس من فضة »

ولذا اصبحت تجارة الفونيقين في افريقية واسبانيا من جلى مهامهم وكان لا بد لها من محطة بين فونيتي ومستعمراتها الشاسعة فاختراروا لذلك مالطة ونعم الاختيار فاحتلت جالة منهم فيها في اخر القرن الثاني عشر قبل الميلاد وكان فيها قبلهم لبيون فاختلطوا بنزلائهم الذين استنبعوا جزيرة كولوس (المسماة الان كوزو) لما لطة لقربها منها وقد وجدت اطلال الهياكل الفونيقية في مالطة وهي محفوظة الى الان وتحالف للفونيقين في الجزيرتين سكان قرطاجنة وقال ديودوروس الصقلي (في مجلد ٢ صفحة ١٢ في مالطة) « ان سكانها جالية فونيقية انبسطت

في نوميديا (محل معاملة قسطنطينية الان في جزائر الغرب وقسم من املاك تونس) وفي موريتانيا (المعروفة الان بمملكة فاس وبعض جزائر الغرب) وتطرقوا من هناك مرحلة مرحلة الى ان اكتشفوا اسبانيا وعمرها قانس مدينة في اسبانيا وتواترت اسفارهم وتوفرت جالياتهم في تلك البلاد . ولما كانوا يسمون اهليها يسمون انفسهم تورقي او توردا ثاني جلب على لفظهم اسم ترسيس او ترشيش فجعلوه علماً لهذه البلاد وكثرت مستعمراتهم فيها فهم الذين بنوا فيها ملاكا المعروفة حتى الان بهذا الاسم وسكس المسماة الان مُرتيل في شرقي ملاكا وابدار المعروفة الان بالماريا على شاطئ البحر المتوسط الى الجنوب الشرقي من مدريد على مسافة ٤١٠ كيلومترات . ويظهر ان من مستعمراتهم كرتايا المسماة الان الجزيرة (كلها سميت بذلك في عهد ولاية العرب اسبانيا) وهي في غربي جبل طارق على بعد ثمانية كيلومترات . وعمر الفونيقيون هناك مدناً اخرى عديدة اقل اهمية شهدت باصلها الفونيقى اسمائها التي ذكرها قداما الجغرافيين وذكروا لهم مستعمرات اخرى في شمالي هذه البلاد ووجدوا اسما مدن اخرى كثيرة في الجهة الشرقية من اسبانيا حتى سفح جبال البيرنياي تدل تلك الاسماء على ان تلك المدن عمرها الفونيقيون ولم ينقض قرن بعد ان عمر الفونيقيون قانس حتى تولوا اخصب الارضين واغناها في اسبانيا اعني اعمالها الجنوبية المسماة باتيك وهي الاندلس في عهد ولاية العرب وعمرها بنزلاء اتوا باكثرهم من الامة اليدية الفونيقية السالفة الذكر لحراثة الارض فاختلطوا بالوطنين حتى قال استرابون ان اكثر السكان في تلك الانحاء كانوا في ايامه كنعانيين اصلاً وانبأنا بعض الاثار التي اكتشفت هناك ان استعمال اللغة الفونيقية استمر الى ايام ولاية الرومانيين في قانس وملاكا وسكس وابدار السالف ذكرها (لانرمان في تاريخه مجلد ٦ صفحة ٥٠٩)

والمركز العام للسياسة ولم يكن السكان فيها وفي سائر المدن يكفون للإقامة على تجارتهم واعمالهم ولنشاطي الملاحة في السفن وللخدمة في الجندية برًا وبحرًا فلزمهم ان يستأجروا بحارة اجانب خاصة من بلاد الارواديين وكان اكثر جنودهم مستأجرين حتى كان حرس صور نفسها من الارواديين وباقي الجنود من الشعب الليبي الفونيقى السالف الذكر من سكان سواحل افريقية وكان فريق منهم من ليديا من اسيا الصغرى (لانرمان مجلد ٦ من تاريخه صفحة ٥٠٦) وقد اشار الى ذلك حزقيال النبي بقوله (فصل ٢٧) لصور « سكان صيدون وارواد كانوا قذافين لك شيوخ جبل وحكامؤها كانوا فيك جلافة لخصاصك (اي يضمون القير في خروق سفنك او غيرها) . . . فارس ولود وفوط كانوا في جيشك رجال حربك . . . بنو ارواد مع جيشك كانوا على اسوارك من حولك »

﴿ عد ١١٥ ﴾

— مستعمرات الفونيقين في مدة سيادة صور —

ان انضمام الفونيقين الى صور جدد قواها وشدها ويسر اسفارها التي كان عراها بعض الوقوف من قبل خراب صيدا واعتراض سفن البلاسج لها ولما كانوا يئسوا من معاودة الاستيلاء على الجزر المجاورة بلاد اليونان ولم يكن باقيا لهم منها الا ثارة وميلوس وكاميروس وتاسوس والامدينة يالبسوس في جزيرة رودس لزم ان تكون اسفارهم واتجارهم في وجهة اخرى لا يلقون لهم بها منازعا وقد مر انه قد كان حل منهم نزلا في المغرب وعمرؤا مدينة هيونا وكهاه في املك تونس الان وتفرع منهم ومن السكان القدماء الامة المعروفة باللبنية الفونيقية فأموا تلك البلاد في هذا العصر المصري وعمرؤا سنة ١١٥٨ ق م مدينة اخرى سموها اوتيك وكان موقعها على شاطئ البحر في الشمال الغربي من قرطاجنة واخذت سفنهم تتقدم من ثمة نحو المغرب وتتجر وتقيم نزلا

في القرنين الرابع عشر والثالث عشر نكبات عديدة متتالية انتزعت اكثر املاكهم فاقتح بنو اسرائيل فلسطين وطردوهم منها وغنموا ما كانوا يملكون واخرب الفلسطينيين صيدا واسترد الاراميون حماء منهم واذلوا من كان فيها من الكنعانيين وفصلوا بذلك بين الكنعانيين الذين كانوا يسكنون لبنان وجواره واخوانهم الحثيين سكان شمالي سورية وجبل اللكام فهذه المحن حملت من بقي من الكنعانيين في شمالي فلسطين على الانضمام فاتحمد سكان صور وعكا ومن بقي من الصيديونين ثم غيرهم من العشائر كالعريقين والصماريين والسينيين والارواديين الذين كانوا يسكنون السواحل البحرية الى ارواد فتألف منهم شعب واحد وعصبة واحدة وسموا فونيقيين على ان مدنها الشهيرة كبيروت وجبيل وسيميريا وغيرها حفظت لنفسها استقلالها المحلي وهيئة حكومتها التي كانت الملكية مقيدة بمجالس عامة مؤلفة من اغنياء الشعب ومرتبطة بمشورة الكهنة والقضاة الذين كان لهم الكلمة النافذة وكان هؤلاء القضاة يمشون في الحفلات العامة بجانب الملوك وكان الملوك يفاوضونهم في امر بعث السفراء الى صور مركز الامة وكان للكهنة نصيب وافر في تدبير شؤون الحكومة على انه لاسبيل الى القطع بما كانت تتصل اليه سلطتهم ولكن اذا راعينا ما كان يجريه كهنة بعل في اليهودية علمنا ان مقدرتهم كانت عظيمة وكانت نظمات جبيل دستوراً ومثالاً لهذه الحكومات الملكية المقيدة بآراء الكهنة والاشراف وكان ملوك المدن الفونيقية على استقلالهم بتدبير شؤون ولايتهم يقرون للملك صور بالسيادة على الامة كلها وكان يسمى حينئذ ملك الصيديونين وان اقام في صور وله ان يث جميع المسائل المتعلقة بالمصالح العامة وان يوقع على العهود مع الاجانب ويخضع لامرته الجنود البحرية والبرية وكان لديه مبعوثون من كل من مدن فونيتي وبقي الارواديين على شئ من الانفصال عن سائر مدن فونيتي وان كانوا من حلفائها ويقاسمونهم منافع التجارة والاسفار البحرية فاصبحت صور لذلك المرفأ الاول للتجارة

حول هيكل ملكرت الذي كان مركز الامة الديني ولم تكن صور اذ ذاك الا مدينة ثانوية فزادت هذه الاحداث في عداد شعبها ورقمتها الى اعلى مقام في الامة فخلفت صيدا في سووددها واصبحت عاصمة الفونيقين سياسة ودينياً وكان ذلك في بدائة القرن الثاني عشر قبل الميلاد ولم يميز بعضهم بين بناء صور وسووددها فجعلوا بناءها في تاريخ سووددها ومنهم يوسفوس فانه قال (في ك ٨ فصل ٢ من تاريخ اليهود) ان صور لم تبَن الا لمتين واربعين سنة قبل هيكل سليمان وادعى بعضهم ان يوفق بين القولين بان صور القديمة التي كانت في اليابسة وهي عريقة في القدم وصور الحديثة هي التي كانت في الجزيرة وهي التي ذكرها يوسفوس لكن الاثار القديمة تخالف هذا التوفيق وتثبت ان صور البحرية اقدم كثيراً من التاريخ الذي ذكره يوسفوس وصور البرية هي التي كانت مصايب صيدا فوائدها فانه لم يكن في الامكان توسيع نطاق الجزيرة لسكنى الغارة فيها ولم يكن فيها ماء صالح للشرب كما مر آنفاً في حكاية سفر العامل المصري وكان في شمال الجزيرة وجزيرة ملكرت مرفأ طبعي يسع سفناً عديدة وعليه فكانت صور ذات ثلثة احياء يفصل الماء احدها عن الاخر اي الحي البري وهو المدينة حقيقة على الشاطئ واكثرهم على ان موقعها كان في محل راس العين الان ثم الحي البحري وهو الجزيرة الاولى ثم الحي الكهنوتي حول هيكل ملكرت في الجزيرة الثانية في جانب الاولى وقد سمي اشعيا النبي (فصل ٢٣ عد ١٢) صورية صيدا اذ قال لها لا تعودين تقترخين ايتها المنهكة العذراء بنت صيدون فعصر سيادة صور هذا افتتح سنة ١٢٠٩ ق م (على ما ذكر لانرمان) واستمر خمسة قرون اعني الى ان حاصر سرغون ملك الاشوريين صور. وفي هذا العصر خاصة استحكم اتحاد الفونيقين وتوثقت عرى عهدهم فان الكنعانيين بعد ان استحوذوا على اكثر اعمال سورية زماناً طويلاً اصابهم

عليهم واسر السواد الاعظم منهم واسكنهم في التخوم الفأصلة بين سورية ومصر اي في غزة واسدود وعسقلون وغات وعقرون وكان ذلك في اثر تملك بني اسرائيل ارض الموعد ويظهر انه لحقهم الى هناك قوم من جلدتهم فتكاثر عديدهم واشتد ساعدهم ولم يمر عليهم قرن حتى كان منهم جنود مدربون في القتال يروعون من جاورهم وبنوا سفناً بحرية وعظمت سطوتهم وصولتهم واعانهم على ذلك خمول ملوك الدولة العشرين في مصر حتى سولت لهم انفسهم الاستيلاء على سورية الجنوبية كلها فضايقوا بني اسرائيل سنين طوالاً واذلوهم نحواً من نصف قرن وسطوا على الصيدونيين ايضاً ونكلوا بهم وفي نحو سنة ١٢٠٠ قبل الميلاد سيروا اسطولهم من عسقلون على حين غفلة الى صيدا اذا لم تكن مستعدة للقتال فاقتحوها عنوة ودمروا المدينة وابسلوا من وجدوا من اهلها فكانت بذلك نهاية سؤدد صيدا (لانرمان مجلد ٦ صفحة ٥٠٠)

الفصل الرابع

(في الفونيقين في عصر سيادة صور الى بناء قرطاجنة)

﴿ عد ١١٤ ﴾

— في جعل صور عاصمة للفونيقين وانضمامهم اليها —
قد سرّ الفلسطينيون بقهرهم ملكة البحر وتشتيت شمل اهلها واملوا ان ترثها عسقلون مدينتهم لكنهم لم يتولوا شؤون الفونيقين بل اكتفوا باقامة حرس في بلاد العبرانيين فكان بذلك فرجة للصيدونيين ومندوحة لهوضهم بعد سنين قليلة من ورطة مصابهم والذين ركنوا الى الفرار من سيدا اجتمعوا في صور

بلادهم ويمنعوهم استفرغ معادن الذهب والفضة التي هم بها اولى . فابتدأ
لصوص البلاسج يعتدون على سفن الصيغونيين في بحر الروم وشرع اعداءهم
يشيرون السكان الوطنيين على جالياتهم وينجدونهم عليهم فاضطر الفونيقيون ان
يتروكو مستعمراتهم في الارخيل الواحدة بعد الاخرى فلم يبق لهم منها الا نارة
ومالوس وتاموس لتمكنها من الدفاع ولم يجد فراغة مصر الفونيقين مسودهم
على اعدائهم بل اغضوا عن كل مساعدة لهم مادية او معنوية ولم يقف البلاسج
عند هذا الحد بل قطعوا على الفونيقين طريقهم في الدردنل والبصر ليمنعوهم
البلوغ الى البحر الاسود والى المراسي التي كانوا يتلقون فيها المعادن وذهب
كولشيد (معاملة في جنوب جبل قاف) خاصة وتطرفت سفن اليونان الى تلك
الامصار كافاً باحراز معادنها النفيسة

وعقب ذلك افتتاح بني اسرائيل بلاد الكنعانيين وطرد يشوع بن نون لهم
من مواطنهم وتمليكهم ارضهم لشعبه فهو لم يحارب ملك صيدا لكن غزوته
غيرت حالة البلاد واضنكت صيدا اذ دمر احدى وثلاثين مملكة صغيرة وقتل
ملوكها وقد كانوا عضداً للصيغونيين وتراحت اقدام الغارة في ساحل صيدا
فضاقت الارض بهم واثقلوا كاهل اهلها وكانوا عليهم وبالا وكرهوا على ان
يتنزع منهم كثيرون الى جهات عديدة والمشهور من هؤلاء المنازح الجاليتان
الانف ذكرهما في عد ١٠٥ اي جالية قدموس الى بلاد اليونان وجمالة الجرجسين
واليابوسيين خاصة الى بلاد المغرب حيث املاك تونس الان . واعتقب غزوة
يشوع بن نون حلول الفلسطينيين في جنوب بلاد الكنعانيين وسرى في تاريخ
العبرانيين ان هؤلاء الفلسطينيين اتوا من كريت وغيرها من جزر بحر الروم
وسواحلها بحراً قاصدين ان يستجوزوا على مصر وكانوا من اصحاب العهد
السالف ذكرها اي البلاسج والليبيين فهبَّ رعمسيس الثالث لمقاومتهم فانصر

حتى ان الدولة السادسة والعشرين ارادت ان تسير سفناً فلزمها ان تلتجئ الى القونيين ونرى من جهة اخرى الكتاب يثبتنا ان السفان التي بناها سليمان في ايله بعد معاهدته لحيرام ركبها ملاحون صوريون ليسيروها الى اوفير لاستغلال الذهب ونجاح هذه السفن منذ اول اسفارها دليل على ان التجارة الصوريين كان لهم مخبرة سابقة في تلك البحار وسواحلها تلقوها عن اسلافهم الصيدونيين من لدن اشتراكهم مع المصريين انتهى

﴿ عد ١١٣ ﴾

— في تنهقر صيدا وسقوطها —

قد كشفت لنا الاثار المصرية التاريخية عن خطوط كبيرة حدثت في القرن الخامس عشر قبل الميلاد على عهد ساقى الاول او قبيله وهي ان عشاير البلاسج (قداماء بلاد اليونان) احدثوا سفائن في البحر المتوسط وبعض فصائل الليبيين اليافيين غشوا افريقية بجرأ وحلوا على شواطئ بحيرة تريتون المسماة بحيرة فرعون في بلاد المغرب فعقدت عهدة بين البلاسج سكان جزر الارخبيل وبلاد اليونان وايطاليا وسكان كريت وصقلية وسردينيا وبين الليبيين في افريقيا ودامت هذه العهدة قرواً ولم يكن توسط البحر بين المتحالفين بمانع لهم عن المواصلات المستمرة في امور التجارة وغيرها وهذا يقتضي بلا بد مهارة قوم من المتحالفين في الملاحة وادارة السفن وعظمت صولة اصحاب هذه المعاهدة وانبسطت سلطتهم حتى غزا الليبيون في ايام منفتاح (فرعون الخروج) مصر السفلى الى ما وراء منف بالاتفاق مع بعض الايطاليين واليونان. فنجاح البلاسج في الملاحة كان جرحاً مؤثماً في نفوذ الصيدونيين الذين لم يكن لهم قبل ذاك مزاحم ولا مبار في البحر ولم يكتف هولاً بالمزاحمة بل كان الطبع نفسه يحملهم على معاداة الصيدونيين ليأخذوا منهم جزر الارخبيل وما جاورها في

السؤدد السامي والقراعة رغبوا في تنويلهم كل ما شأوا لحاجتهم اليهم اذ لم يكن في شعب مصر من يحسن نظيرهم الملاحة والتجارة (لانرمان مجلد ٦ صفحة

(٤٨٥

﴿ عدد ١١٢ ﴾

— في قيام الفونيقين بعمارة مصر البحرية —

قال لانرمان (مجلد ٦ صفحة ٤٩١) لم يحسن المصريون الملاحة بل كانوا مغضين لها كالاشوريين والفرس وكانوا يمتقنون البحر ويحسبونه نجساً يليه اله السوء فاذا ركب المصري البحر في سفينة خال نفسه على ظهر عدو يهدده ويلحق به نجاسة دينية فتشبههم بهذه المعتقدات الباطلة حرم عليهم ان يكون منهم بحارون ثم ان لم يكن للاشوريين عند استفحال امرهم اسطول بحري في بحر الروم الا سفن كيليكيا وفونقي وان لم يكن للفرس من السفن الا ما ركبه اليونان والفونقيون والكيليكيون فباولي حجة لم يكن لقراعة مصر من سفن الا ما قام فيها الفونقيون والصيدونيون خاصة . وقد تبين بالاثار والتواريخ المصرية انه كان لمصر في عهد توتمس الثالث احد ملوك الدولة الثامنة عشرة اسطول ينفذ سلطته ويجبي له الجزيات من الامصار الشاسعة وما تلك الامصار الا البلاد التي كان الصيدونيون يظبون التجارة فيها او حل فيها جالة منهم كقبرس وكريت وجزائر الارخبيل وشطوط افريقية الشمالية وغيرها . واذا كان جنود القراعة في البحر المتوسط فونيقين فلا يعدو ان يكون كذلك جنودهم في البحر الاحمر وعليه فقد كان الصيدونيون ينقلون العساكر المصرية الى بلاد العرب الجنوبية لتدوينها او لرد اهليها الى الطاعة وهم كانوا يلون السفن التي تنقل الى مصر حاصلات الهند وبلاد العرب من معادن واحجار واخشاب ثمينة وعاج وغيره والاسفار في البحر الاحمر محفوفة بالاعطار فتستلزم ملاحين ماهرين

المصرية التي جنباً بترجمة بعضها في الاعداد التي ذكرناها هنا فانك لا تجد فيها ذكرًا للصيغتين ومندهم في عداد من ثاروا او جاهدوا بالعداوة للملوك المذكورين مع ان سائر العشائر الكنعانية حتى من انضموا بعد ذلك الى المهدة الفونيقية كالاروايين والصمريين حازبوا اعداء مصر . وتجد الاثار الهيروكليفية تكثر من الكلام في صناعة الفونيقين وثروتهم

ان في المتحف البريطاني بابيراً يشتمل على حكاية سفر عامل مصري في سورية للسنين الاخيرة من ملك رمسيس الثاني بعد عقده عهدة الصلح مع الحثيين فهذا البابير ينبتنا حالة سورية في زمان كتبه ولذا كان له اهمية تاريخية فهذا العامل كان في بلاد الحثيين وانتهى الى حلبون (حلب) وعند عوده منها وقبل ان يباغ الى فلسطين مر بفونيقى وذكر جيل واسرارها واهميتها الدينية ثم بيروت ثم صيدا ثم صربتا اي صرفند ثم شاطئ تازانا (معبر نهر الحيصراني) ثم اوالثا حيث الان اخربة عدلون . ثم اتى « صور البحرية » وكلامه فيها مشعر بانها كانت حينئذ قرية على صخر في وسط البحر وقال « ان الماء يجلب اليها بالسفن وانه يتوفر فيها السمك » وانه سار بعد ذلك قليلاً نحو الجنوب فباغ الى سعره وان اسمها بالفونيقية معناه الزنبور الاساع وانه انتهى بعد ذلك الى كايكنا المعروفة اليوم بام العواميد ثم الى اخرب وهي المعروفة الان بالزيب وانه من هناك ترك الساحل وسار في الجبل قاصداً حازور . ويظهر انه اتم سفره هذا آمناً لا معارض له كانه في وادي النيل بل كان يستعمل السلطة احياناً آمراً ناهياً لانه عامل مصري ومن هذا ايضا يظهر ان الصيغيين والبيروتيين والجيليين استسلموا للحكومة مصر منذ تولت سورية مخلصين الطاعة والانتقاد لها وبدلاً من ان يناوؤوها لنيل الاستقلال الكامل لهم اجتزأوا بان تبقى لهم حكاهم الوطنيون وحرية العمل بسنهم وعدم الاعتراض لهم باسفارهم وتجارتهم وان يكون لمصر

العلاقة لاحداها بالآخرى وان بعض العشائر كان ينضم الى بعضها الاخر فيقر ملوكها بالسيادة والتقدم للملك عاصمتهم وكانت هذه السيادة اولاً للملك صيدا ولما كان الملوك الرعاة ياون مصر كان ملوك سورية ناعمي البال لا يخشون غارة ولا يتقون سطواً من قبل مصر بل كانت لهم ملجأ وملاذاً في كل نازلة ونائبة اذ كان الرعاة سوريين ولكن منذ طرد الرعاة من مصر واستتب ملك الدولة الثامنة عشرة فيها طمحت ابصار ملوكها الى الاستيلاء على سورية ولا اقل من تذليل ملوكها خيفة ان يتألبوا مع الملوك الرعاة ويعاودوا الغارة على مصر وعليه فقد غزا امون هو تاب الاول (ويسميه اليونان امانوفيس) سورية الجنوبية ثم اكمل توتمس الاول خافه اخضاع العشائر الكنعانية في فلسطين وتوغل في البلاد حتى وصل الى انحاء دمشق وكانت له وقائع عديدة مع الروتانو السالف ذكرهم فانتصر عليهم واراد تذليلهم كي لا يعاودوا العداوة له فوطى بجحافلهم بلادهم كلها حتى انتهى الى الفرات واقام على ضفته على مقربة من كركيش نصباً لذكرى انتصاره. ويظهر ان الصيدونيين ومن جاورهم من العشائر خضعوا منذ حينئذ لفراغة مصر واخلصوا في الطاعة لهم حتى لم يشتركوا او لم يجاهرُوا بالعداوة لتوتمس الثالث عند غزوته للروتانو والسوريين ولم يدخلوا حرب مجدو (اليجون) (طالع عد ٦٢) واستسلموا لرعمسيس الاول اول ملوك الدولة التاسعة عشرة عند غارته على الحثيين ولم يعترضوا طريقه عند مروره بهم (طالع عد ٦٣) وكذا فعلوا مع ابنه ساقى الاول عند حروبه في سورية مع الحثيين وادوه الجزية ونجدوه بذخائرهم (طالع عد ٦٤) وكانوا يماثلون ابنه رعمسيس الثاني عند معاداته الحثيين ايضاً (طالع عد ٦٥) وعليه فالصيدونيون ومن جاورهم سلموا فراغة الدول الثامنة عشرة والتاسعة عشرة والعشرين مؤثرين راحتهم ونجاح تجارتهم على العصاوة والخسارة وهذا بين من الآثار

هذه البحار وجزرها بقيت آثارها الى الاءصار التاريخية فاوصل القدماء اخبارها
الينا

وكان تجار الفونيقين في ذلك العصر نفسه يجدون في تسير سفنهم على
شطوط الابير (البانيا الجنوبية شمالي بلاد اليونان) وايطاليا الجنوبية وجزيرة
صقلية وصار لهم فيها ولاسيما في الابير مستعمرات ومحال تجارية ولم تنحصر
تجارة الفونيقين في هذه البحار وسواحلها بل كان لهم في مصر ايضا تجارة وسعة واقام
كثير من تجارهم في مدن مصر السفلى وكان لهم في منف حي خاص بهم
وكانت سفائن الصيدونيين والبيروتين تسير على شطوط افريقيا حتى قرطاجنة
حيث ولاية تونس الان وبنوا هناك مدينتين كمباه حيث بنيت قرطاجنة في ما
بعد وهيون على مقربة منها (لان زمان مجلد ٦ صفحة ٤٨٩) وبينما كانت سفائن
الفونيقين تتمخر البحور كانت قوافلهم تطوي اليد ايضا فيغترب تجارهم طلبا
للرزق والانتفاع وقد تطرقوا الى سائر انحاء سورية والى بلاد العرب والكلدان
وارمينيا ايضا وجميع الطرق التجارية من الشرق الاقصى (اي من الهند وتركستان
وبلاذ الكلدان) حتى انحاء جبل قاف كان اتجاها نحو المغرب ومؤداها في
صيدا وصور وكان للفونيقين في هذه الطرق محاط ثم مستعمرات اخصها في
حماء شاطئ العاصي وتبسالك على شاطئ الفرات من جهة بادية تدمر ونصيبين
على مقربة من ينبوع دجلة الى غيرها من المحال التي كان يتفاخر قداماؤها بانهم
من الفونيقين (مسبرو عن موفر واسطغان البيزنطي صفحة ٤٣٤ من تاريخه
لشعوب المشرق)

﴿ عد ١١١ ﴾

❦ في الحال السياسية على عهد الصيدونيين ❦

قد مرَّ ان العشائر الكنعانية كانت تنقسم الى ممالك عديدة قلما كان من

ان الكاريين سكان الجزيرة حينئذ اختلطوا بالفونيقين فزوجهم وتزوجوا بناتهم حتى اصبحوا شعباً واحداً يسمى كاريين وفونيقين ورقوا الحضارة درجات في الجزر والبلاد القريبة منهم ولما تقهرت حالة الفونيقين تقهرت حالهم ايضاً وتوصل الفونيقيون من جهة الى اكريت فبنوا فيها مدينة ايتانوس ومن اخرى الى جزيرتي ثارة وقيثارة فادخلوا فيها عبادة عشتروت اي الزهرة الفونيقية فكان ذلك اصلاً تفرعت عنه عبادة افروديت القيثارية معبودة اليونان . ونرى اثار اقامتهم في اولياريوس وانتياريوس ويوس وسيروس (سيرا) وعن اسطفان البينظي ان اولياريوس كانت للصيغونيين ومالوس لاجيليين واكتشف الفونيقيون معادن الفضة في جزيرتي سيفغوس وسيغولوس او جعلوا سكانها يكتشفونها وكل هذه الجزائر هي من الارخبيل في بحر الروم في شمالي رودس وغربي الاناضول . ثم توصلوا الى جزيرة تاسوس (بولاية الجزر في قرب شاطئ الرومي) فاستحوذوا عليها طمعاً بمعادن الذهب التي كانت فيها وقد شهد هيرودت هذه الجزيرة بعد عشرة قرون وقال انه دهش مما رآه في اثار الاعمال الكبيرة التي اجراها الفونيقيون في استخراج هذه المعادن

ولم يقف الفونيقيون عند تاسوس بل كان ملاحوهم يعدون ذخائرهم هناك ويسيرون سفائنهم الى الشمال ايضاً فيعبرون بوغاز الدردنيل وبحر مرمر والبوسفور فيتصلون الى البحر الاسود غير مبالين بعواصفه التي يخشاها بحارة سفائن هذا العصر نفسه حتى انتهوا الى جنوب جبل قاف وكانت سفنهم تشحن من هنالك المعادن الثمينة والاسيا الذهب المشهورة معادنه في تلك البلاد والقصدير اللازم لصناعتهم في عمل الصفر وكان الايباريون سكان تلك الامصار يستخرجونه من سلسلة جبل قاف ويأتون تجارهم به وبالرصاص والفضة لوجودهما في أنحاء اخرى من هذه البلاد وكان للفونيقين محاط ومستعمرات في سواحل

ان الجيليدين سبقوا الصيدونيين اليها لكن جبيل كانت مدينة هياكل ومعابدهما
الدين اكثر من التجارة فلم يكن لها املاك مهمة في الجزيرة بل اقامت هيكلًا
فسيحًا في بافوس (الباف) في غربي الجزيرة وكان عمال بعض اصقاعها المسمون
ملوكًا يخضعون اولاً لجبيل الى ان ذل جميعهم اسلطة صيدا وكثر منازيح
الصيدونيين بين اظهرهم حتى اصبحت الجزيرة بلدًا فونيقيًا وكانت غنية في
المعادن خاصة الحديد والنحاس وكانت اكثرت تامازوس مفعمة بالنحاس حتى
اعتاد الرومانيون ان يصفوا هذا المعدن بالقبرسي Cyprium وشاع هذا الوصف
في سائر لغات اوربا انتهى ملخصًا . وعن فردينند هوفر Ferd. Hocfer في تاريخ
فونيقي ان هذه الجزيرة افتتحها اولاً الحثيون Chittiens والحمايون من عشائر
الكنعانيين وبنوا اخص مدنها وهي شيتيوم وحماتونة (او حماسيا) ثم استحوذ
عليها الصيدونيون على عهد ملكهم بالوس وتجد صورتها على بعض الاثار القديمة
ناطقة بانها من مستعمرات صيدا القديمة . وهذا يطابق ما ذكرناه في مقالة
الحثيين من قول دي كارا ان قبرس كانت مستعمرة حثية لا يونانية (طالع عد
٨٥) وارى القول بان الحثيين بنوا شيتيوم التي سميت الجزيرة كلها باسمها اظهر
من قول لانرمان وغيره بان الصيدونيين بنوها وغيرها في القرن السابع عشر
الى الرابع عشر قبل الميلاد لان اول مدن الجزيرة التي سميت باسمها يلزم ان
يكون قبل هذا التاريخ ولان اسم شيتيوم لا يحتاج الا بدل الشين بالخاء ليكون
حيتيوم وحثيم اشعارًا بانها من ابنة الحثيين وحماتونة او حماسيا كما سماها بعضهم
مشعرة باسم حماء مدينة الحثيين

وانتقل اقونيقيون من قبرس الى رودس دون ان تكون لهم حاجة الى
كولبوس فسيرهم نحو الشمال على جانب الشاطئ اداهم الى مدخل الارخيل
وهو رودس وعن مسبرو (صفحة ٢٨٤ من تاريخه المذكور) عن سالون الاتيني

البرونز وهو الصفر (اي النحاس الاصفر) التي وجدت تلك الادوات مصنوعة منه فالمصريون والبابليون كانوا يحدون النحاس في ارضهم او ما جاورها واما القصدير اللازم لتركيب الصفر فلم يكن الا في بلاد شاسعة اذ لم يكن منه الا في جبل قاف وفي الهند واسبانيا وقد وجدوا في منف ادوات وآنية من الصفر مدفونة هناك منذ عهد بناء الاهرام فتتجوا ان لا بد من تجارة في تلك العصر المتناهية في القدم كانت تجلب القصدير من تلك الامصار القاصية الى فراغة مصر لخلو ارضهم وجوارها منه . وقد جنح بعض العلماء الى القول بان القصدير الذي كانت تستعمله الامم المتمدنة في الشرق اي المصريون والسكندان والاشوريون والفونيقيون كانوا يستجلبونه من جنوب سيبيريا ومن بلاد الصين الغربية ومن شبه جزيرة ملاكا حيث توفرت معادن القصدير ولا يخفى ما كان من المخاطر على القوافل في اسفارها بين قبائل رحل دأبهم السطو على ابناء السبيل وقد كانت الحروب والعداوات تقطع احيانا الطرق قطعاً على السالكين فحمت الضرورة الفونيقين الذين لا معاش لهم الا بالتجارة والصناعة ان يستنبطوا وسائل لاستجلاب القصدير وحاصلات المشرق لانفسهم ولغيرهم كالمصريين وان يستطرقوا طرقاً آمنة لا معتدٍ ولا منازع لهم فيها فاهتدوا الى الملاحة واخذوا اولاً يسرون سفائنهم الى جزر البحر المتوسط احداها بعد الاخرى الى ان بلغت اسفارهم الى البحر الاسود واقاموا لهم في تلك الجزر وفي اليابسة محطات لم تلبث ان اصبحت مستعمرات لهم كما ترى في العدد التالي

﴿ عد ١١٠ ﴾

— مستعمرات الفونيقين في مدة سودد صيدا —

كانت قبرس اول محاط الفونيقين في البحر لقربها من شطوطهم وعن مسيرو (في تاريخه القديم لشعوب المشرق صفحة ٢٣٧) عن اسطغان البيزنطي

فلم يكن لهم فيها مبارقرونًا

وهالك ما كتب فيهم العالم بوجولا الافرنسي (في كتابه المعروف براسلات
المشرق رسالة ١٣٧) ان ما يدهش في اعصر صيدا القديمة انما هو ذكاء
اهليها القدير على الاختراع وعلمهم بالصناعة وقد اطرا هوميروس الصيدونيين
بانهم اهل لكل شئ فاقدم التواريخ تقلد ابنا صيدون فخرًا ومجدًا فكانت
ارضهم اول مهد للعلوم البشرية واول مهد للصناعة فهيأت بذلك اسباب الحضارة
في المعمور فقد يمكن ان يكون الفونيقيون اخذوا عن المنود والفرس والبابليين
بعض المعارف الاولى وبعض التقليدات النافعة لكن ما لم يخترعوه قد كملوه
فقد اخذوا شرارة فصيروا منها شمسًا والحق يقال ان هذا الشعب جاد علينا
باكثر المنافع . فمصر القديمة جعلت حكمتها وعلمها اسرارًا فكانت تحجب
مصباحها لئلا ينبعث نوره لارض سواها واما فونيقي فلم تكن لتألو جهدًا في
تسطيع انوار معارفها في كل صوب فتترأى لي مصر في اعصرها الحالية بهيئة
كاهن لا ينطق بشئ بل يخبي نوره المقدس في اعرق خفايا هيكله واما فونيقي
فاراهها بهيئة اولئك الالهة القدماء الذين كانوا يقلون على رؤسهم منارة في وسط
البحور واطن ما يحق لفونيقي الفخار به اختراعان اعني اختراع الملاحة واختراع
الكتابة . انتهى

قال لانرمان (في مجلد ٦ صفحة ١٨١) ما ملخصه ان تنقيب العلماء في
مصنوعات الاولين اكسبنا العلم ثلاثة امور لا مزية فيها اولها ان المصنوعات
المعدنية في اسيا هي قديمة قدمًا مستغربة . ثانيها ان المصنوعات النحاسية اقدم
كثيراً من المصنوعات الحديدية . ثالثها انه منذ اهتدى الناس ان يذيبوا النحاس
ويصنعوا منه ادوات شعروا بالاحتياج الى ما يجعله اكثر صلابة ومتانة بان يدوفوا
به شيئاً اخر وعلموا ان مزج القصدير بالنحاس يصلح هذا الخلل اذ يتركب منهما

الفصل الثالث

(في الصيدونيين واختراعهم الملاحة ومستعمراتهم وحالتهم السياسية)

﴿ عدد ١٠٩ ﴾

— في اختراع الصيدونيين الملاحة وانكبابهم عليها —

كان السؤدد في القونيقين بل في اكثر العشائر الكنعانية في بادى امرها للصيدونيين فهم الذين رَقُوا الامة اولاً في مدارج الحضارة واخترعوا فيها الملاحة وذلّوا تيار البحور ساعين فوق الامواج بسلع مصنوعاتهم واقتحوا الجزر والبلاد الشاسعة واقاموا فيها المستعمرات العديدة فيما كان ابناء عمهم الحثيون يشنون الغارة على مصر فيستجوزون على ارضها الخصبه ويجلسون قادتهم على منصات القراغة كان الصيدونيون يغالبون البحر لينتصروا عليه ويمتطوه ويزلّوا امواجه كلفاً بالتجارة واعتياضاً بها وبالصناعة عن حراثة الارضين التي لم يكن لهم منها ما يكفيهم ويكفي سائر العشائر المرتحلة معهم والمحتلة البلاد قبلهم . فلم يكن لهم في كل غربهم ييس بل ماء وكان السواد الاعظم من ساكني شطوط البحر المتوسط على حالة الهمجية المعروفة بالمصر الحجري فلم يكن لهم خبر بعمل زورق تقله الامواج والبلاد المتقدمة بالحضارة كحصر نفسها لم يكن من اهليها من يجسر ان يركب خشباً يطفو به فوق الماء ولو مرمى حجر فكان الصيدونيون اول من اجاد على المعمور بهذا الاختراع الخطير الذي تشذ منافعه عن كل عد فركبوا البحر معاندين الرياح والعواصف يتطلبون في شاسع الارض المعادن والابخاشاب والحجارة الثمينة ويستجلبون المواد الاولى اللازمة للصناعة وينقلون الى الآفاق مصنوعاتهم وينشرون معارفهم وقد احتكروا هذه الصناعة

بعضهم انه سماها الكبيرة تمييزاً لها عن صيدون اخرى صغيرة فقالوا ما قالوا
ولم يحقق احد الجغرافيين وجود صيدونين) عن كلمت في معجم الكتاب في
كلمة صيدا) وسترى كلاماً مطولاً في صيدا وسوددها . ويلي صيدا جنوباً
سربتا المعروفة الان بصرفند ويظهر انها كانت في الاعصر القديمة ذات غنى
واهمية كبرى لكنها منذ القرن الثاني عشر قبل الميلاد خضعت لصور وكان بين
صرفند وصور عدة مدن صغيرة منها نازانا التي سميت بعد ذلك قيصرية وافاتا
حيث الان اخربة عدلون بل كان هذا الشاطئ معممًا بمحطات التجارة
ومستودعاتها . ويلي ذلك جنوباً صور ومعنى اسمها في الفونيقية صخر او حجر
وجعلها الجغرافيون القدماء مدينتين احدهما موقعها في جزيرة صغيرة غير بعيدة
عن الشاطئ وكانت محصنة كارواد والاخرى في الالبسة وجعل لانرمان (مجلد ٦
صفحة ٤٧٧) موقعها في محل راس العين الان وانها كانت تسمى بالي تير اي
صور القديمة وانها لم تكن في اول امرها الا اكواخاً من قصب يتخذها الصيادون
وسنجدى . بكلام مسهب في صور وملوكها وعظمتها وتجارها وحروبها . ويلي
صور جنوباً سرعة وكانت من نواحي صور ولا يعلم من امر موقعها الا انه كان
قريباً من صور ثم اوس وسماها اليونان اسكندرونة وهو اسمها الان ايضاً
وذكرت في الاثار المصرية باسم اوس ثم كيكننا وهي المسماة في ايام السلوقيين
اللاذقية والان تسمى ام العواميد ثم اكديا وهي المعروفة اليوم بالزيب ويلي هذه
جنوباً عكا وهي التخيم الجنوبي لبلاد الفونيقين وسماها اليونان بتولميس ثم
عادت الى اسمها القديم وهو اكو او عكو فهذه اخص مدن الفونيقين وسترى
ذكر كل منها مردداً بذكر ما كان من الاحداث فيها

ادونيس عندهم او في طبرجة او في صربا بجانب جونية
وفي جنوبي جونية نهر الكلب وهو المعروف بليكوس عند القدماء وهناك
الممر الشهير حيث ترك لنا اكثر غزاة فونيتي حتى بعض الملوك الرومانيين
تمائيلهم ذكرى لهم وفي جنوبيه بيروت قال لانرمان (مجلد ٦ صفحة ٤٧٦)
« قد اسمها الجليليون وكانت مدينة ملكية في كل عصر وكانت لها اهمية كبرى
في مراكبها البحرية وتجارها المتسعة النطاق وتأويل اسمها ابار وارضها تاخم
بلاد عشيرة صيدون بكر كنعان كما سماه الكتاب » وعن مسيرو (في تاريخه
القديم لشعوب المشرق صفحة ١٨٤) ان بيروت كانت تتفاخر كجيل بان الاله
ايل بناها وكان للمدينتين اهمية كبرى في السياسة بعد بلوغ الكنعانيين الى
سورية فلم تتمكن من المحافظة عليها ولكن لم ينحط لذلك شأنهما واستمرتا الى
منتهى ايام الوثنية اشد استمساكا بعري احد المذاهب الدينية السورية . قلنا
لكن اهليهما آمنوا بالانجيل عند بزوغ انواره واقام القديس بطرس الرسول
نفسه اسقفين فيهما كما حققه كثير من اصحاب التواريخ البيعية
ويلي بيروت جنوبا خلدوا ويظهر ان قد كان موقعها في محل خلد الان
على بعد نحو من ساعتين عن بيروت ثم يورفيريون ويظن ان قد كان موقعها في
محل الحية اليوم والاسمان لليونان ولا يعلم ما كان الفونيقيون يسمون هاتين
البلدين به

ويلي ما مرّ جنوبا صيدا صيدون القديمة اقدم مدن الفونيقيين وكانت
تسمى ام المدائن ما عدا جيل المتدسة ولذلك سماها الكتاب صيدون الكبيرة
(يشوع فصل ١١ عد ٨) وكانت منقسمة الى محلتين صيدون الكبرى على
شاطئ البحر وصيدون الصغرى على مسافة منه نحو الجبل . وانكر بعضهم ان
يكون اصل لذلك الا قول الكتاب الانف الذكر « صيدون الكبيرة » فتوهم

اي المدن الثلاث فجعلها العرب طرابلس وزادوا الحمزة في اولها تمييزاً لها عن طرابلس المغرب ويميزها بعضهم عن تلك بطرابلس الشام ويلي اطرابلس نحو الجنوب ايضاً قلموس ويرجح انها كانت في محل القلمون الان ثم جينارتوس ويحتمل ان كان موقعها في القرية المعروفة اليوم بانفة وذكر بوليب وبلين واسترابون مدينة اخرى صغيرة بين جيل واطرابلس وسموها ترياريس ولا يعلم موقعها حتى الان ويلي هذه المدن المحل الذي سماه اليونان ثأوروسيون اي وجه الله ويظهر انهم ترجموا الاسم الفونيقي وهو "فاني بعال" اي وجه بعل كانه كان هناك هيكل او معبد ويسمى هذا المحل اليوم وجه الحجر . وفي جانب وجه الحجر من جهة الغرب الجنوبي البترون وليست عريقة في القدم اذ روى يوسفوس عن بعض القدماء ان ايتو بعل ملك صور بناها

ويلي البترون من جهة الجنوب جيل وهي اقدم المدن حتى كان من تقليداتهم ان الاله ايل بناها وفي اسمها اقوال فمن قائل انه مركب من جب بمعنى قبر او مدفن ومن ايل بمعنى الاله اي مدفن الاله يريدون به ادونيس او تموز لاشتهار اهلها بعبادته ومن قائل انه مركب كذلك ولكن جب بمعنى حصن وتأويله حصن الاله ومن قائل انه بمعنى الجبل لان موقعها كان على الاكام القريبة منها او لان سكانها الاولين اتوها من الجبل وسموها اليونان بيلوس وروى مسبرو عن رنان انه كان على الاكمة التي تملأ اخربتها الان هيكل كبير بديع الصناعة كانت ترزح به اقدام الحجاج من كل صوب اذ كانت المدينة المقدسة عندهم حتى سماها رنان اورشليم لبنان . وكان في جنوبي جيل مدينة اخرى او ضاحية سماها اليونان بالي بيلوس اي جيل القديمة وفي موقعها اقوال بين ان كانت على مقربة من جيل في جنوبها او حداً نهر ابراهيم وهو نهر

اخربة واطلال ناطقة بعظمتها في الاعصار الحالية وقال فيها لانرمان (مجلد ٦
صفحة ٤٧٦) انها اهم ما بقي من اثار ابنة الفينيقيين وجعل بعضهم موقع
ماراتوس في شمالي ارواد حيث مصب نهر مرقية الان وذكر لانرمان (في المحل
السالف ذكره) بعد عمرت سيميرا وقال انها في الجنوب من عمرت قريبة من
مصب النهر الكبير وانها عاصمة الصماريين وانها لم تدخل في عهدة الفونيقين
ويتين لي ان الاظهر ما قلناه في عد ٣٧ اعتماداً على ان استرابون ذكر سيميرا
بين المدن الواقعة بين النهر الكبير جنوباً واللاذقية شمالاً وذكر ارتوسيا
(طرسوس) قبلها من جهة الجنوب ثم استثناساً بما في معجم الكتاب لكلمت
من ان موقع سيميرا بين النهر الكبير جنوباً ونهر مرقية (في شمالي ارواد)
شمالاً ويؤيد ذلك ان هناك اي في الشمال من ارواد لجهة المرقب وبلدة زميرن
او صمرين ووادي صفرة او سمرة والكلمتان تقربان من سيميرا او صميرا
وربما اشعر بشئ من ذلك قول لانرمان نفسه بان سيميرا لم تدخل في عهدة
الفونيقين اذ يكون وجهه كونها خارجة عن تخومهم التي لم تمتد شمالاً الا الى
ارواد

ويلي النهر الكبير الى الجنوب عرقا المعروفة حتى اليوم بهذا الاسم وكانت
عاصمة العريقين وجعل لانرمان موقع اوتسيا هناك على شاطئ البحر وقال ان
الاثار الاشورية تسميها شمرون وانها كانت من مدن فونيقى الكبيرة ويحتمل
ان صارت عاصمة العريقين من اقدم الايام لبعد عرقا عن البحر لكن المعلوم ان
ارتوسيا يراد بها طرسوس او بلدة اخرى قديمة تقرب منها ويلي عرقا من جهة
الجنوب اطرابلس ولا يعرف ما كان اسمها قبل ان يسميها اليونان تريبوليس
اي المدن الثلاث بل المعروف ان الاروايين والصيداويين والسوريين بنوا
هناك ثلاثة احياء لكل فريق حياً منفصلاً عما سواه فسميت باليونانية تريبوليس

﴿ عد ١٠٧ ﴾

﴿ في تخوم فونيقى ﴾

لم تكن تخوم فونيقى في كل عصر واحدة فقد كانت قبل افتتاح يشوع بن نون فلسطين تمتد من تخوم انطاكية الى غزة كما يتلخص من كلام هيرودت (كتاب ٤ فصل ٣٩) وكانوا يقسمونها الى فونيقى البحرية وتشمل على مدن سورية الساحلية وفونيقى لبنان ويشمل اسمها بعلبك ودمشق وغيرها حتى تدمر على انه بعد طرد يشوع الكنعانيين من جبال فلسطين وانحصار السواد الاعظم منهم في السواحل البحرية اصبح اسم فونيقى لا يشمل الا الاصقاع الساحلية من عكا او جبل الكرمل جنوباً والى ارواد شمالاً مع ما يجاور هذه السواحل من جبل لبنان

﴿ عد ١٠٨ ﴾

﴿ في مدن فونيقى ﴾

قد مر في عد ٥ ذكر اسماء بعض مدن فونيقى بين اسماء مدن سورية فنذكر هنا مدن فونيقى خاصة باكثر تفصيل مبتدئين بها من الشمال الى الجنوب واولاً ارواد وكانت عاصمة الارواديين من بني كنعان وكان موقعها في الجزيرة المعروفة حتى الان بارواد نحو الشمال من اطرابلس وروى مسبرو في التاريخ القديم لشعوب المشرق (صفحة ١٨٢) ان اهلها كانوا ابداً يكفون بالقلق والثوران على مجاورهم وحكامهم الاجانب من المصريين والاشوريين والقرس وقد بسطوا ولايتهم على سكان السواحل وداخلية البلاد فتولوا جيلة شمالاً وخضعت لهم حماء مدة ما هذا عدا املاكهم في اليابسة تجاه جزيرتهم منها طرسوس المسماة قديماً اثيرواد اى قبالة ارواد وعمريت الاقوي ذكرها وتلي ارواد جنوباً ماراتوس المعروفة اليوم بعمريت وقد بقي فيها حتى الان

المخلص) ولكن ترى مرقس (فصل ٧ عدد ٢٦) يقول انها من فينيقي سورية)
 لان انجيله كتب باليونانية . واسمها في الاثار المصرية كفتا وزاهي وفي الاثار
 الاشورية احارى اي بلاد المغرب . ومن الاقوال العديدة في سبب تسمية
 اليونان هذه البلاد فونيقي لا نرى الا قولين يقربان من الصواب اولهما مسبرو
 اوجب به ان اسم فونيقي وفونيقيين أخذ عن كلمة فون او بون التي عبرت بها
 اقدم الاثار المصرية عن بلاد العرب الشرقي وشاطي خليج العجم من حيث اتى
 الكنعانيون كما مر والحق العرب بالاسم حرفي النسب كما هما في اللغات الاعجمية
 فصار فونيقي او بونيقي ويسمون ايضاً بوني وبونين كما سمي اهل مستعمراتهم
 في افريقية وعليه فاسم فوني او بوني صحب الكنعانيين من شاطي خليج العجم
 الى سورية وفينيقيو سورية اوصلوه الى افريقيا وبونيو افريقيا اوصلوه الى
 مستعمراتهم الشاسعة (مسبرو في التاريخ القديم لشعوب المشرق صفحة ١٨٢
 طبعة ٤) وتابع لانرمان (في مجلد ٦ من تاريخه الشرقي صفحة ٤٧٣) مسبرو
 في قوله هذا وقال برؤ (في كتابه تاريخ الصناعة في القدم صفحة ١٢) ان
 اشهر العلماء الان يصححون هذا القول . واما القول الثاني فهو لكثير من العلماء
 القدماء والحداث ومقتضاه ان اسم فونيقي يوناني تأويله النخل سميت به هذه
 البلاد لكثرة هذا الشجر قديماً فيها ويؤيده وجود صورة هذا النخل على بعض
 المسكوكات القديمة في فونيقي وبعض مستعمراتها ايضاً رمزاً الى بلادهم .
 فهذان القولان ادنى الى الصواب من سائر الاقوال مثل قول بوشار Bochart
 ان فونيقي سميت كذلك نسبة الى بني عناق وقول بعضهم ان الكلمة في اليونانية
 معناها الاحمر وان الفونيقيين سموا بذلك لانهم هاجروا من جانب البحر الاحمر
 او نسبة الى البرفير الاحمر الذي كان من مصنوعاتهم وسمع تجارتهم

احتلال الفلسطينيين جنوبي البلاد المنسوبة اليهم ازاح من كان بقي ثمة من الكنعانيين عن مواطنهم وائضم من بقي منهم في سواحل فلسطين وفي شمالها حتى ارواد وفي بعض لبنان الى عهدة واحدة مؤلفة من عدة عشائر كنعانية وسميت ارجاؤهم فينيقي وسموا هم فينيقيين وعاليهم مدار كلامنا في بعض الفصول التابعة وقد بقي بقايا من الكنعانيين في فلسطين الى ايام المخلص فقد ذكر متي (فصل ١٥ عد ٢٢) خبر المرأة الكنعانية التي وافت المخلص في تخوم صور وصيدا تبتهل اليه ليبرى ابنتها ولما قال لها المخلص لا يجب ان يؤخذ خبز البنين ويعطاه الكلاب اجابته بذكائها والكلاب ايضاً تلتقط خبز البنين المتساقط عن الموائد

الفصل الثاني

(في اسم فونيتي وتخومها واشهر مدنها)

﴿ عد ١٠٦ ﴾

— ﴿ في اسم فينيقي ﴾ —

تسمى هذه البلاد فونيتي وفينيقي وتوفرت الاقوال وتضاربت في اصل هذا الاسم وتأويله وقد اكثر الاب مرتين اليسوعي في كتابه تاريخ لبنان (الذي نشرت جريدة البشير قسماً منه) من ذكر هذه الاقوال ومن المعلوم ان اسم فينيقي وضعه لها اليونان حتى لا تجدد هذا الاسم في الاسفار المقدسة التي كتبت بالعبرانية بل تسمى هذه البلاد كنعان وبلاد الكنعانيين ولكن تجده في سفري المكابيين واسفار العهد الجديد التي كتبت في اليونانية وترى متى يسمي المرأة الانفة الذكر كنعانية لان انجيله كتب بالعبرانية السريانية (لغة اليهود من عهد

منهم انما هو اقتتاح يشوع بن نون بلادهم وقهره ملوكهم وتخليكه ارضهم لبني اسرائيل كما سترى في تاريخ العبرانيين فقد ضرب واحد وثلاثين ملكاً (يشوع فصل ١٢) ودمر مدنهم ومع هذا بقيت منهم بقايا في السواحل البحرية خاصة ولم يتخطأ يشوع حدود صيدا في لحاقه ملوك الكنعانيين ولذلك تراحت اقدام الغارة من الكنعانيين في صيدا وضافت بهم الارض فارتحلوا الى آفاق عديدة فكان منهم جالتان خاصة احدهما ارتحلت الى تاب في بلاد اليونان وهي المعروفة بجالة قدموس لانه كان في مقدمة هولاء المرتحلين وهو علي رأي جمهور العلماء واضع الحروف اليونانية وحكم في تلك الاصقاع لكنه لم يستمر آمناً في ولايته وخلفه احد السبريتين وكان ذا قرابة لاسرة قدموس ثم استرد الكنعانيون الولاية لعشيرتهم فولي امرهم بوليدورس وقال بعضهم انه ابن قدموس واستمرت ولاية تاب تتنازعها سلالتان احدهما كنعانية والاخرى سبرية او وطنية نحواً من ثلاثة قرون هذا ملخص ما رواه لانرمان في مجلد ٦ من تاريخه الشرقي صفحة ٤٩٧ وهو قول جمهورهم وقد مرّ بك في المقالة في الحثيين عد ٨٧ قول دي كارا ان قدموس كان حثياً وانه ارتحل بقومه الى بلاد اليونان قبل افتتاح يشوع بن نون بلاد فلسطين بقرون

واما جالة الكنعانيين الثانية فتوطنت في افريقية في المغرب حيث تونس الان وقرطاجنة القديمة وكان لهم هناك من قبل مستعمرة تجارية وتبعهم غيرهم من الفينيقيين كما سترى واختلطوا مع عشائر الليبيين الياقبيين فكان منهم تلك الامة التي طارت شهرتها في حروبها واتقان اهلها الحراثة وقد تسمت بالامة الليبية الفينيقية وكسبت قرطاجنة تلك الشهرة العظمى خاصة في حروبها مع الرومانيين وكانت تتكلم اللغة الفينيقية او فرعاً منها يسمى البوني اي الفينيقي الى ايام القديس اغوستينوس اسقف هيونا التي وضع الكنعانيون اسمها ثم ان

(رافائيم) ، ويظهر انهم استمروا في فلسطين بعد ان عاد بنو اسرائيل من سبي بابل فقد جاء في سفر عزرا (فصل ٩ عد ١) ان الروساء اتوا يشكون الى عزرا . ان شعب اسرائيل والكهنة واللاويين لم ينفروا عن شعوب الارض ورجساتهم من الكنعانيين والحثيين والفرزيين واليبوسيين والعمونيين .

وبعد ان طرد المصريون الملوك الرعاة من ارضهم كما مر في اخر المقالة في الحثيين اخذ ملوك الدولة الثامنة عشرة في مصر يشنون الغارة على سورية والكنعانيين فينكلون بهم ويشخون في ارضهم ويفترضون عليهم الجزية لكنهم كانوا يتركونهم وما يدينون ولا يعترضونهم في شرائعهم ولا في ولاية شؤونهم ولا يزعونهم عن المحاربات الاهلية ولا عن محاربة ملك منهم لآخر ولا يصدونهم عن عقد عهديات بينهم بل كانت الدولة المصرية تكفي بان يعطيها هؤلاء الجزية ويشتحوا ابواب بلادهم لجنودها وينجدوها في حروبها مع اعدائها اذا دعتهم الى ذلك فلم يصنع المصريون ما صنعه بعد ذلك الرومانيون من انهم اذا خضعوا بلاداً جعلوها اقليماً رومانياً واقاموا عليها والياً رومانياً ولذلك لم تكن عرى العلاقة بين المصريين والكنعانيين وثيقة بل كان ان كلما مات ملك في مصر او كسرت جنوده او شاع خبر انكسارها او سمع خبر اضطراب في مصر تمرد الكنعانيون وابوا دفع الجزية او ناروا فماد ذلك الملك او خلفه الى الاقتصاص منهم وكتبهم للعود الى الطاعة ويستثنى من هذا صيدا فانها قلما دخلت في ثورة بل كانت تؤثر الراحة والسكينة على العصاوة والخسارة . انتهى ملخصاً عما رواه مسيرو في تاريخه القديم لشعوب المشرق في كلامه على الدولة الثامنة عشرة في مصر

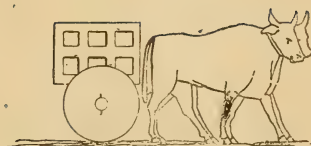
﴿ عد ١٠٥ ﴾

تشت الكنعانيين وجالياتهم

ان ما اوهن الكنعانيين ولاسيا الجنوبيين وشنت شمل السواد الاعظم

عشائر الكنعانيين كما رأيت وامتاز الفينيقيون بذكاء العقل والكب على التجارة والكد في الصناعة وتحمل مشاق الاغتراب وركوب مخاطر الاسفار البحرية واشار السلم وارباح التجارة على معاندة الغزاة في مواطنهم فكانوا يستسلمون غالباً لكل غازٍ قدير . وامتاز الحويون بأنه لم يكن في مدنهم ملوك يلون امرها بل كان فيها نوع من الجمهورية البلدية تسوس الاهلين بمقتضى سنن اشبه بسنة بني اسرائيل في ايام القضاة

وهم بعض المؤرخين انه كان في فلسطين ايضاً عشيرة تعرف بالفريزيين وانها الثانية عشرة من عشائر الكنعانيين وهذا خطأ ظاهر لان موسى لم يذكر لولد كنعان في سفر التكوين الا احدى عشرة عشيرة واما اسم الفريزيين الوارد في آيات اخرى من الكتاب فيراد به سكان القرى تمييزاً لهم عن سكان المدن لا فرع آخر من بني كنعان وعليه فالفريزيون بمعنى القرويين كذا قال لانرمان في المجلد السادس من تاريخه الشرقي صفحة ١٢٠ وعن كاهن في معجم الكتاب (في كاهنة الفريزيين) ان الفريزيين شعب قديم كان يقطن بفلسطين مختلطاً مع الكنعانيين ويظهر من ادلة كافية انهم من نسل كنعان لكنهم لم يكن لهم مستقر بل كانوا رحالاً يقيمون تارة في هذا الصقع واخرى في غيره وتأويل اسمهم المشتون والمفروزون او سكان المزارع والقرى وكانت محلهم في عبري الاردن ينتخبون الحزون والسهول وقد جاء ذكرهم دفعات في الكتاب مع الكنعانيين منها في التكوين (فصل ١٣ عد ٧) حيث قيل : وكانت خصومة بين رعاة ماشية ابرام ورعاة ماشية لوط والكنعانيون والفريزيون حيثئذ مقيمون في الارض ، ومنها في سفر يشوع بن نون (فصل ١٧ عد ١٥) حيث جاء ان بني يوسف شكوا الى يشوع ان ارضهم ضاقت عليهم « فقال لهم يشوع اذا كنتم شعباً كثيراً فاصعدوا الى الغاب ومهدوا لانفسكم هناك في ارض الفريزيين والجبابرة



صورة عربة كنعانية مأخوذة عن احد جدران تاب (طيبة) في مصر صفحة ٢٦١

تكن الا عبارة عن اعمال او كُور واصقاع ولم يكن للكنعانيين مملكة واحدة بل لكل عشيرة او صقع مملكة تستقل بتدبير شؤونها وليس ما يمنع من تخلل عشيرة ارامية بين بلاد الكنعانيين الجنوبيين والشماليين . واما قول لاثريمان (في المجلد ٦ من تاريخه الشرقي صفحة ١٢٠) ان مسكن السينيين كان في لبنان فهو منقوض بقول نفسه (في المجلد ١ صفحة ٢٧٤) انهم كانوا يسكنون في شمالي عرقا وهذا يستلزم من نظام ذكر الكتاب العرقيين ثم السينيين ثم الارواديين ثم الصماريين ومساكن كل عشيرة من هذه في شمالي مساكن الاخرى طالع ما ذكرناه في عد ٣٧ . ولا يُعلم الى الان متى اختلط هؤلاء الاراميون بالكنعانيين ولا كيف كان ذلك ويظن انه جرى عند استفحال امر الفينيقيين وانبساط سطوتهم واتساع نطاق تجارتهم

﴿ عد ١٠٤ ﴾

— في حال الممالك الكنعانية —

قد مرَّ ان كل عشيرة من الكنعانيين كانت تستقل بتدبير شؤونها فيلي امرها امير يسمونه ملكاً بل كان احيانا لكل عمل او مدينة ايضاً ملك ولا علاقة سيادة او خضوع بين هؤلاء الملوك ولم تكن تتحد كلمتهم الا اذا فاجأهم غارة او حلت بهم نكبة عامة ولم يكونوا مع هذا ليتألبوا دائماً عند حلول النوائب بل كثيراً ما تركوا العدو ينكل ويفتك بهم تباعاً ولم يكن عندهم عصية ولا تناصر بل توفرت بينهم العداوات والحروب الاهلية حتى بعد ان انضم بعض العشائر الى بعضها بعهدة كما صنع الفينيقيون فلم يكن للعشيرة الواحدة على الاخرى سيادة تامة او مطلقة بل كانوا احلافاً يتناصرون وللملك العاصمة المقام الاول والكلمة الاولى بينهم ويستثنى من هذه العشائر الحيثيون فانه كان لهم دولة كبرى واهمية سياسية وعصية شديدة وجندية منظمة لم تكن لسواهم من

نقش عليها اسم بعل . ثالثاً انه قد انبأت التواريخ والاثار بمخالفة او عهدة بين الكنعانيين وبين الجليليين والبيروتيين فيتبادر الى الفهم من ذلك انهم لم يكونوا من قبيلة واحدة اصلاً وليس لقدماء هذه الانحاء الا اعلان ارام وكنعان فان لم يكن البيروتيون والجليليون الاقدمون كنعانيين فلا يعدون ان يكونوا اراميين . رابعاً انه قد ثبت بالتواريخ وشهادة الاثار والاقاصيص التي لا تخلو غالباً من اصل تاريخي ان جيل عريقة في القدم جداً وان بيروت من مستعمراتها ولا يحتمل الصحة ان هذه السواحل البحرية لبثت خالية خاوية من السكان الى ان غشيها الكنعانيون بعد قرون من الطوفان وتفرق القبائل ولا نرى الكتاب ولا غيره ذكر مقاماً لاحدى عشائر الكنعانيين بين صيدا وعرقا ولما كان الاراميون اشهر سكان سورية وقد انتشروا في هذه الانحاء الى دمشق فيظهر من ذلك كله ان السكان الاقدمين في هذه السواحل وما جاورها من لبنان هم اراميون اصلاً يحملنا على هذا القول بيان ما نراه من الصواب لا غرض في النفس للفرار من وصمة لعنة كنعان ومن يعلم الان الاحامي هو ام سامي ام يافتي بعد مرور الدهور وتوالي الغزوات في سورية وتركها فيها بقايا من الفارين واما جعل الكتاب صيدا تحملاً لبلاد الكنعانيين من ناحية الشمال مع ان العريقين والسينيين والاروايين والصماديين والحمايين كنعانيون ايضاً وكانت مساكن جميعهم بعيدة عن صيدا نحو الشمال ففيه اقوال وتفسير متباينة نرى اظهرها واقربها الى الصواب ان موسى قسم الكنعانيين الى جنوبيين وشماليين وجعل صيدا تحملاً شمالياً للجنوبيين منهم خاصة لان ارضهم انما هي الارض التي ملكها بنو اسرائيل عند افتتاحهم فلسطين ولم يتجاوزوا تخومها قبل ان تملك داود عليهم ومهما يكن من تفسير الاية فيظهر منها ان سكان البلاد من تخوم صيدا جنوباً الى تخوم عرقا شمالاً لم يكونوا كنعانيين لاسيما ان الممالك في تلك الايام لم

الارض ، وسترى ان مهاجرة ابرهيم الى سورية كانت في القرن العشرين او الحادي والعشرين قبل الميلاد ولم تبين آية الكتاب أمن زمان مديد ام وجيز كان الكنعانيون في الارض التي بلغها ابرهيم والذي حدس فيه لانزمان وغيره ان حلول الكنعانيين في سورية كان بين سنة ٢٢٥٠ وسنة ٢٣٠٠ قبل المسيح وقالوا ان هذا يطابق عصر ثورة العيلاميين على الملوك الكوشيين في بابل وانحائها اذ جعلوا مهاجرة الكنعانيين من مسببات تلك الحوادث

﴿ عد ١٠٣ ﴾

— في المحال التي توطنها الكنعانيون في سورية —

قد سلف في عد ٣٧ ذكر المحال التي احتلتها عشائر الكنعانيين الاحدى عشرة في سورية وتزيد على ذلك هنا ان الكنعانيين لم يكونوا اول السكان في سورية بل سبقهم اليها الاراميون وغيرهم من العشائر السامية وعند احتلال الكنعانيين هذه البلاد ازاحوا بعض السكان الاولين عن مواطنهم واستمر بعضهم في محالهم الاولى . وذهب بعض العلماء منهم الاب مرتين اليسوعي في كتابه تاريخ لبنان الذي نشرت جريدة البشير قسماً منه من امد قريب ان السكان الاقدمين في مملكتي جبيل وبيروت لم يكونوا من الكنعانيين بل من الاراميين ولد ارام بن سام بن نوح وان بناء مدينة جبيل كان قبل حلول الكنعانيين في سورية . وقد اقاموا على ذلك حججاً وادلة نكتفي بذكر بعضها فنها اولاً ان موسى جعل تخوم الكنعانيين صيدا شمالاً وجرار وغزة جنوباً (تك فصل ١٠ عد ١٩) وسنأتي على بيان ما يرد على هذا من قبيل اقامة عشائر كنعانية في الشمال ايضاً كالعرقين والاروايين وغيرهم . ثانياً ان اسم معبود الجبيليين والبيروتيين يختلف عن اسم معبود الكنعانيين فهو لا ، كانوا يسمون معبودهم بعلاً واولئك يسمون معبودهم ايل فقد وجدت آثار للاراميين نقش عليها اسم ايل وآثار اخرى للكنعانيين

﴿ عدد ١٠٢ ﴾

﴿ في زمان ارتحال الكنعانيين الى سورية ﴾

روى هيرودت في تاريخه ان هيكمل ملكرت الشهير في جزيرة صور مضى عليه الى ايامه ٢٣٠٠ سنة بحسب اخبار الفينيقيين له . لكن هيرودت ولد سنة ٤٨٤ ق م ونشر تاريخه سنة ٤٥٦ ق م وعليه فيكون ذلك الهيكمل بني نحو سنة ٢٧٥٠ ق م وقد بناه الكنعانيون وهذا غير صحيح بل هو محمول على تعظيم الفينيقيين قدم هيكلمهم او على حساب هيرودت السنين بحسب الموالييد فلا يستقيم حسابها ففي ذلك زيادة قرون . واصح منه ما يظهر من البابير المحفوظ الان في متحف برلين وقد ترجم اكثره العالم شباس الافرنسي فهذا البابير ينطوي على تقرير رفعه عامل مصري ارسل في ايام الملك امون امهات الاول من ملوك الدولة الثانية عشرة في مصر الى بلاد ادوم وجرار وغيرهما من الاعمال في جنوبي فلسطين ليتجسس اخبار هذه البلاد ويسبر حالة سكانها ففي هذا التقرير لا تجد اثراً لوجود عشائر الكنعانيين في فلسطين بل يظهر منه ان سكان هذه البلاد كلهم من الساقى الذين كان يراد بهم في ايام الدولة الثانية عشرة قوم ساميون يسكنون هذه البلاد مع الرافائيم اي الجبارة وان اطلق هذا الاسم في عهد الدول المتأخرة على سكان سورية على اختلاف اصولهم . وقد وجدت اثار اخرى منذ ايام الدولة الثانية عشرة ايضاً تصرح انه لا مجاور للمصريين من جهة سورية في ذلك العهد الا العشائر التي من ذرية العمو فكان بنو مصرائيم يسمون ولد عمهم سام عمو وهي كلمة سامية معناها الشعب وفي السريانية **ܫܡܝܐ** على ان الكتاب المقدس انبأنا بان انتجاع الكنعانيين سورية كان قبل ان يحتلها ابراهيم آتياً من اور الكلدانيين فانه قال (تك فصل ١٢ عدد ٦) . واجتاز ابرام في الارض الى موضع شكيم والى بلوطة ممرة والكنعانيون حينئذ في

البحرين وقال : ان فيهما هياكل اشبه بهياكل الفينيقيين واذا صدقنا قول السكان هناك كان سكان صور وارواد في فينيقي من منازيحهم » ويظهر منه انهم سموها صوراً وارواد باسم محال مهاجرهم الاولى ذاك شان كثير من المهاجرين الى الان

واما ما كان الداعي الى مهاجرة وطنهم وانتجاع سورية فقال هيرودت ان لازل توات عليهم في بلادهم اكرهتهم على الاغتراب وجاء في الكتاب السرياني الكلداني الذي ألف في بابل في صدر النصرانية موسوماً بالخرائفة النبطية (ذكره لانرمان في تاريخه مجلد ٦ صفحة ١٠٦ طبعة ٩) ان الكنعانيين طردوا من اوطانهم نزاع وقع لهم مع الملوك الكوشيين حكام بابل من ذرية نمرود . وتؤيده اقول كثير من المؤرخين العرب الذين ذكروا مهاجرة الكنعانيين الى سورية وسموهم العمالقة من نسل حام تمييزاً لهم عن العمالقة من نسل سام وجعلوا سبب انتزاحهم حرباً تلظت بينهم وبين سلالة نمرود رواه العالم برسفال في كتابه تاريخ العرب قبل الاسلام (١) وقال لانرمان (في المحل المذكور) اما مهاجرة الكنعانيين اوطانهم لداعي خصومة ونزاع فامر قريب من الصواب ويرجح الظن صحته فان اكثر ارتحالات الامم كان لها مثل هذا الداعي واما ان هذا النزاع كان مع ابناء عمهم الكوشيين فامر يحق الامتراء فيه وصوب ان تكون علة هذه المهاجرة غارة الملوك العيلاميين على بابل نحو سنة ٢٢٥٠ ق م وقرضهم دولة الكوشيين القديمة فهذا من الاحداث التاريخية المهمة التي يرجح ان كان من نتائجها اكراه العشائر الكنعانية الحامية على الرحيل من جانب الخليج العجمي الى سورية وسترى ان هذه المهاجرة كانت معاصرة لتاريخ الفارة الساقطة الذكر



لما كان الفونيقيون فصيلة من قبيلة الكنعانيين استلزم مساق هذا التاريخ وبيانه ان تأتي اولاً على كلام مجمل موجز في الكنعانيين نجعله تمهيداً لكلامنا المخصوص بالفونيقين

الفصل الاول

(في الكنعانيين)

﴿ عدد ١٠١ ﴾

— في اصل الكنعانيين ومهاجرهم الاولى وداعي ارتحالهم الى سورية —
مرّ في عدد ٤٥ ذكر العشائر التي توطنت سورية قبل ان يشاها الكنعانيون
واما هولاء فلا مزية انهم ولد كنعان بن حام بن نوح وعليه صريح نص الكتاب
(تك فصل ١٠) ولكن اين كانوا قبل ان هاجروا الى سورية واقاموا فيها رحالاً
في بادىء امرهم فما رواه هيرودت نقلاً عن تقليد الفينيقين الذي تلقاه في صور
نفسها وما ذكره استرابون من تقليد سكان بلاد العرب الجنوبية وما جاء في
بعض الآثار القديمة كل ذلك مجمع على ان الكنعانيين قطنوا اولاً بجانب
الكوشيين ولد عنهم كوش على شاطئ خليج العجم من جهة بلاد العرب .
وذكر بلين انه كان هناك في ايامه عمل يسمى بلاد كنعان . وروى استرابون
ان هناك جزيرتين تسميان صور وارواد وهما من الجزائر المعروفة الان بجزائر

ارتحلوا من سورية الى هناك وان اسمها اليوناني بال مكسر فار ببدل الفاء
باء والراء بلام للقرب بين مخارج هذه الحروف وان موقع هذه
المدينة ذات الاسمين في شرقي خليج السويس وفي الجنوب
الشرقي من بورت سعيد وان موقع تانيس وهو سان
الان في الجنوب الغربي من بحيرة المنزلة
وفي شرقي المنصورة



﴿ عدد ١٠٠ ﴾

﴿ في موقع مدينة آفارى متحصن الرعاة ﴾

اطال الابد دي كارا (في فصل ١٧ من كتابه الملوك الرعاة) الكلام في اسم آفارى وموقعها فقال ان اسمها ورد في فقر مانيتون وفي ترجمة احمس امير البحارين الانفة الذكر وعلى تماثيل الملوك الرعاة التي وجدت في تانيس واورد اقوال العلماء في اصل هذا الاسم وموقع المحل المسمى به فقال ظن شنبوليون ان تأويل آفارى في اللغة المصرية اللعن والتجديف اي المدينة الملعونة اشارة الى مقتمهم الرعاة وان اليونان سموها ايرابوليس فكانت عنده آفارى وايرابوليس واحدة وهذا خطأ ظاهر ولا عجب فقد قال شنبوليون به قبل حله الرموز الميروكليفيه . وقال لبيسيوس ان بالوس وآفارى مدينة واحدة موقعها في شرقي ترعة بوبست (تل البسطة) في جانب الزقازيق وان اسمها القديم آفارى ثم سميت بالوس وان كلمة بالوس ليست اللفظ اليوناني الذي معناه الطين او الوحل كما وهم علماء اليونان وتابعهم العرب بتسميتها طينة بل أخذ هذا الاسم عن البستين احد الابطال الذي ورد في الاقاصيص انه اتى من سورية فاقام بقومه هناك . ورأى لبيسيوس ان اخربة المحل المسمى تل الهر الممتدة الى بالوس هي اطلال آفارى وعليه قتل الهر وآفارى مدينة واحدة في القدم ووافقه على قوله شباس وبروغش الذي قال ايضا ان بالوس كانت في محل القرية المسماة الان فرما عن كلمة قبطية فرومى اي مدينة الوحل وفي اليونانية بالوس بمعنى الوحل . اما الابد دي كارا فبعد ايراده هذه الاقوال وغيرها وتنديده باكثرها ذهب على سييل الحدس والتخمين الى ان آفارى وبالوس مدينة واحدة واسمهما واحد وان فرما قريبة منهما وليست احدهما وان كلمة وار او فار معناها في لغة مصر الهارب او المرتحل وعليه فعنى آفارى بلد المرتحلين او الهاربين اشارة الى من

آمنين حيث شأوا فخرجوا باموالهم ومقتناهم وكان عديدهم يبلغ الى مئتين واربعين ألفاً واخذوا طريق البرية الى سورية ولخوفهم من دولة الاشوريين المستحوذة يومئذٍ على اسيا لبثوا في البلاد المسماة الان اليهودية ، وصوب لانرمان شهادة مانيتون هذه لمطابقة الاثار لجوهر الخبر الذي روته وذكر من هذه الاثار ما رويناه انفاً مما كتب على مدفن احسن امير البحارين . وقد لاحظ الاب دي كارا (صفحة ٣٥٠ من كتابه الملوك الرعاة) ان استسلام الرعاة آفارى لم يكن الا لمضايقتهم بقطع طريق الذخائر عنهم اذ لم يبق لهم الا مدينة آفارى وقلعتها وان قول احسن امير البحارين انهم افتتحوا آفارى وان الملك فكك بالرعاة فيه المبالغة المعتادة في بعض اثار الفراغة فلو كان فكك بهم او قرضهم كما يمكن ترجمة كالمته لما اضطر بعد خمس سنوات ان يجيش الجيوش لاذلالهم في شروحانا وطردهم منها ولولا خشيته من معاودة سطوتهم على بلاده مع استفحال امره في مصر العليا والسفلى لما اضطر الى هذه الغزوة الحديثة فقد خرجوا اذاً من آفارى مكرهين ولكن غير مذللين ويؤيده شهادة مانيتون وهو من خصومهم كما مر على ان كثيرين من هذه العشيرة التي اقامت قروناً في مصر اثروا العبودية في مصر الخصبه على الارتحال والاعتراب فاستمروا في ناحية مصر الشرقية مع غيرهم من العشائر السورية وبني اسرائيل وسمح لهم احسن كلفاً بالانتفاع بهم ان يمكنوا لحراثة الارضين المسلمة اليهم ولم يخرجوا بعداً كما خرج بنو اسرائيل ولذا ذهب بعضهم ولاسيما لانرمان في تاريخه الشرقي ان من بقايا عشيرة الرعاة سكان القرى التي حول بحيرة المنزلة مستدلين على ذلك بهيئتهم الطبيعية ايضاً الممتازة عن هيئة سائر المصريين بقوة شهرتهم وطول وجوههم الى غير ذلك من السمات المميزة لهم والتي يقولون انها اشبه بهيئة بعض الملوك الرعاة في تماثيلهم التي وجدت في تانيس كما مر

جيوشنا وشاهد الملك اعمالى المشرفة واخذت مركبة مع خيلها ومن كانوا فوقها اسرى احياء واتيت بهم الى عظمته فتكرم عليّ بالذهب دفعةً اخرى وقد طعنت في السن وبلغت الشيخوخة . . . فهذا ذكر اعمالى الخطيرة وساستريج في المدفن الذي اعدته لنفسى .

وقد وجدت خطوط اخرى نقشت في عصر الخطوط السالف ذكرها على صفيحة هي الان في متحف اللوفر في باريس اخذت اليه عن مدفن رجل اخر اسمه احمس ايضاً فان هذا الاسم كان يسمى به كثيرون في عهد الدولة الثامنة عشرة التي ابتدأت بانتصارات احمس الاول على الرعاة ويعرف صاحب الصفيحة باحمس بنسوب وخالصة ما كتب فيها انه خدم احمس الاول وامانوفى الاول وتوتمس الاول وتوتمس الثاني وانه جاهد في حروبهم مع الرعاة وفي النوبة والحبشة وبلاد العرب وسورية وقتل واسر من الاعداء ونال قلائد الذهب « فهذه الخطوط وغيرها تثبت الحروب الاخيرة مع الرعاة وحصار قلعتهم آفارى وشدة دفاعهم امداً مديداً ولكن ليس فيها بينة قاطعة على افتتاحه عنوةً وقول احمس امير البحارة انهم افتتحوا آفارى لايفهم على اطلاقه كما سترى

﴿ عد ٩٩ ﴾

— استسلام آفارى وخروج الرعاة منها —

قال لانرمان (مجلد ٢ من تاريخه الشرقى صفحة ١٥٧) قال مانيتون في فقرة حفظها لنا يوسيفوس : وغلّب الرعاة اخيراً وطردوا من اعمال مصر فتألبوا في بقعة اتساعها عشرة الاف ارور (مقياس للارض) تسمى آفارى واحاط الرعاة هذه البقعة بسور رفيع منيع احتفاظاً على اموالهم ومقتناهم فحاول ابن الملك اخذ المدينة عنوة فحاصرها محققاً بها باربعمائة وثمانين الف رجل ولما يأس من افتتاحها صالحهم على شرط ان يترك الاعداء ارض مصر ويذهبوا

فرفعه اليه فتفضل عليّ بقلادة ذهب وجاهدت مرةً أخرى في هذا المحل
 واخذت يدًا (اي قتل عدوًّا واخذ يده) فنلت مرةً أخرى قلادة الذهب
 ويوم كان الوغى في نوكامي جنوب هذه المدينة اخذت اسيرًا حيًّا والقيت نفسي
 في الماء بعيدًا كي لا امرّ في طريق المدينة فعبرت الماء به ودرى ذلك مخبر
 الملك فتحليت بالذهب مرةً أخرى وقد افتتحنا آفارى واخذت حينئذٍ رجلًا
 وثلاث نساء اربعة رؤس أسرى فوهبتهم جلالته لي عبيدًا . وحاصرنا شاروحانا
 (في فلسطين لا يعلم محلها الى الان) في السنة الخامسة فافتحتها عظمتها واسرت
 منها امرأتين وقتلت رجلًا فأعطيت ثم ايضًا ذهبًا ثمينًا ووهب لي الاسرى
 عبيدًا وبعد ان فتكت عظمتها بالماناساتي (اي الملوك الرعاة) عادت حالًا تستأصل
 الاعداء في بلاد الثوبة فعمل بهم مذبحًا ، ويتبع كلامه في غارة احمس الاول
 على جنوب مصر الى الحبشة وهو بصحب الملك ويعدد انتصارات اخرى له
 وفوزه بقلائد ذهب اخرى ويقول ان الملك وهبه دفعتين في كل منها خمسة
 استا من الارضين (وهو مقياس للارض متعارف عندهم) وهذا مشعرٌ بشي
 مما جاء في سفر التكوين من ان يوسف جعل ارض مصر ملكًا لفرعون يتصرف
 به كيف شاء الى ان يقول صاحب المدفن انه نال الحظ بان يصحب الملك امنوفي
 الاول الى الحبشة لايسع تخوم مصر وان الملك اعلى مقامه وسماه محارب
 الملك ثم امير البحارين وانه صحب توتمس الاول الى بلاد الثوبة الى ان يقول
 ، وبعد هذا تحوات عظمتها نحو الروتانو (سكان سورية) انتقامًا منهم (لعل
 اهلها انجدوا الرعاة او قبلوهم بالترحاب بعد طردهم من مصر) فبلغ نهرينا
 (لعل المراد البلاد التي بين العاصي والفرات كما ورد اكثر من مرة) حيث التقى
 بذلك الوغد الحسيس (لم يذكر اسمه) واعدّ نفسه للقتال فانحنت جلالته في
 ارضهم واستاقت عددًا عديدًا من الاسرى احياء وكنت انا ذاك على قيادة

عندهم هنالك . خامساً انه كان عند الملوك الرعاة صنائع وعلوم دلّ عليها اقامتهم
هيكلاً بديع الصناعة يدوم قروناً لئلا يهتلك وجود كتّاب علماء في دولتهم .
سادساً ان الحروب بين الفريقين ابتدأت في ايام ابائي ملك الرعاة وساكن انده
ملك الجنوب والظاهر من آثار اخرى ان هذه الحروب استمرت اعواماً متطاولة
وان لم ننفذ حتى الان بما يدل على تفصيل مواقعها وظروف مكانها وزمانها وقد
ظفرنا بانار تدل على نهايتها كما ستري

﴿ عد ٩٨ ﴾

— حصار افارى محصن الرعاة —

قد كُشف عن خطوط قديمة نقشت على جدار احد المدافن القديمة
الكائنة حذاء قرية الكاب في مصر تنبئ تلك الخطوط بمواقع الحرب الاخيرة
على الملوك الرعاة وحصار قلعة افارى وتشتمل على ترجمة رجل يسمى احمس
بن ابانا امير البحارة الذي شهد هذه الحرب وتوغل في معامعها وهاك ترجمة
ما كتب على مدفنه « احمس الربان ابن ابانا المغفور له اليكم ايها الناس اجمع
اسوق كلامي لاقص عليكم ما عرض لي . فقد نلت قلائد الذهب سبع دفعات
على مشهد سكان البلاد قاطبة وكسبت عبيداً واماءً عدداً عديداً وما حزته بالسلاح
من الشرف والفخر يدوم مخلداً في هذه البلاد فقد جئت الى الوجود (ولدت)
في مدينة سوبان (الكاب) وكان ابني عاملاً عند الملك ساكن انرة وكان اسمه
بابا بن رونت ودونك ما فعلته انا اذ كنت رباناً مكانه في السفينة المسماة باماس
(الثور) في زمان الملك نباهتيرا (احمس الاول) المغفور له وكنت بعد شاباً
في سن لا اعرف النساء به والبس ملابس الشبان اتينا الحصار على مدينة
افارى وكنت احارب مترجلاً بحضرة جلالة الملك فأعلى رتبتي وبينما نحن
نحارب في جانب قناتة بتكو في افارى قتلت عدواً وعلم بذلك مخبر الملك

شتخ اله وربه ولم يعبد احداً من الهة البلاد كلها واقام له هيكلًا بديع الصناعة يدوم قرونًا وجعل اعيادًا وعين ايامًا لتقدمة الضحايا كل يوم لشتخ ، (صفحة ثانية) « واراد ابابي ان يرسل وفدًا الى الملك ساكن انده في بلاد الجنوب ودعا بعد ايام كتبه العلماء يستشيرهم في الوفادة الى ساكن انده الملك (وهنا عبارات ممحوة في البابير الى ان يُقرأ) لا اريد ان اعبد احداً من الهة البلاد كلها الا امون رع ملك الالهة . وبعد ايام طوال ارسل ابابي الى رئيس الجنوب في بلاد الجنوب اعلانًا لقنه اياه كتابه العلماء فسار وفد ابابي الى رئيس الجنوب ومثل بحضرته فسال الوفد من بعثكم الى بلاد الجنوب ولم آتيم لتجسوا البلاد فاجابه الوفد اوفدنا اليك الملك ابابي لنقول لك لعمرى لم استطع ان اذوق طعم الوسن ليلاً ولا نهاراً ولبث رئيس الجنوب برهة مرتعداً لا يدري ما يجب به وفد ابابي الملك (صفحة ثالثة) « ودعا رئيس الجنوب كبار قواده وعماله والخبراء في بلاده يكشفهم بما بثه اليه وفد الملك ابابي فلم يفهم احدهم بنت شفة واخذ الرعب والدهش منهم كل مأخذ ولم يدروا ما يجبون به ايجاباً او سلباً الملك ابابي ارسل » وهنا يقطع الكاتب الكلام ويأخذ في كلام آخر وعلى اختلاف الترجمة لهذا البابير لغموض بعض عباراته وتشويه بعضها يتبين منه ما لا يمكن الامترأ بصحته وهو اولاً وجود ملك من الرعاة يسمى ابابي كما يقرأ اسمه على تمثاله الذي اكتشفه مريات في تانيس . ثانياً وجود ملك من ملوك تاب يسمى ساكن انده يقرأ اسمه في بابير اخر يعرف ببابير ابوت ثالثاً اسم عمو مع اسم آفارى مدينة العمواي الملوك الرعاة وهذا يدل دلالة واضحة على ان هؤلاء الملوك من سورية الشمالية اصلاً لان خطوط الدولة القائمة عشرة سميت به سكان سورية الشمالية . رابعاً ان عبادة الاله شت او شتخ خاصة بالرعاة وقد كانت قبلاً عند الحثيين في شمالي سورية واستمرت بعداً

دينية ولا غرو فان هذه المسائل كثيراً ما كانت سبباً لحروب عديدة بين كثير من الامم كما انبأنا التواريخ فقد كان الملوك الوطنيون يتأوهون ابداً من استيلاء الاجانب على بلادهم ويفترصون كل وسيلة لاسترداد شرف وطنهم وكان يماثلهم على ذلك كثير من الولاة الوطنيين في مصر العليا والسفلى ايضاً . وكان في بدء هذه الحرب ان ابابي احد الملوك الرعاة الانف الذكر اوفد الى ملك تاب (طيبة) يطلب اليه ان يقر بشات او شتخ معبود الرعاة مقدماً اياه على الهة مصر فابى الاذعان لطلبه وجعل ذلك وسيلة تهيج قومه . وقد اجمع الباحثون في الاثار المصرية الا مسبرو على ان البابير المنسوب الى ساليار الاول السالف ذكره ينطوي على ذكر صحيح الاسباب التي دعت الى هذه الحرب وقال مسبرو ان ما في هذا البابير حكاية لا تاريخ وقول جمهورهم اظهر واضح

قد انبأنا كاتب هذا البابير ان ملك تاب الذي ارسل ابابي الوفد اليه كان اسمه ساكن انده وتأويله الشمس المحاربة او الظافرة وانه قد سمي بهذا الاسم ثلثة من ملوك تاب حاربوا جميعاً الملوك الرعاة لكن الحرب القاضية كانت في عهد الثالث منهم المسمى ساكن انده الاكبر وفي عهد احمس الاول من سلالة هولاء الملوك وهو الذي اذل الرعاة وطردهم من مصر وكان اول ملوك الدولة الثامنة عشرة التي انبسطت ولايتها على مصر كلها . وهاك ما كتب في بابير ساليار (صفحة اولي) . كان هذا لما كانت النقم حالة على بلاد مصر وعند هذه الاحداث لم يكن سيد ولا حيوة ولا صحة ولا ملك . ولما كان الملك ساكن انده هيكا اي ملكاً في انحاء الجنوب كانت النقم حالة في مدينة العمو (يراد بهم السوريون اي الرعاة) وكان الاور (اي السيد او الرئيس) ابابي في مدينة آفارى وكان سكان البلاد كلها يحملون اليه حاصلاتها وكان اهل الشمال (يريد مصر السفلى) يأتونه باحسن ما عندهم . وجعل ابابي الملك شت او

المصرية ظهر لنا انه لا يمكن تمييز آثار الرعاة عن آثار الملوك السابقين او التابعين لهم بل يلتبس بعض هذه الآثار ببعضها . واما ملوك الدولة السابعة عشرة فانقضت مدتهم في الحروب مع ملوك تاب الوطنيين فلم ينفسح لهم المجال للعناية بآثار مملكة او منافع عامة

﴿ عد ٩٧ ﴾

﴿ في حروب الملوك الرعاة ﴾

يظهر ان قبائل سورية وبلاد العرب لم تقلق خواطر الملوك الرعاة ولا سيطت على املاكهم في كل مدة ولا يتهم على مصر لما كان لهذه القبائل من جر النفع والمغنم من قبل هؤلاء الملوك فان اشتراك الفريقين في اللغة والدم والوطن القديم كان ميسراً لمن جأوا من سورية وبلاد العرب الى مصر كسب المال ورواج سوق التجارة واسباب العمل والراحة وحسن المعاملة حتى هاجر جم غفير من سورية والعربية الى مصر خاصة في ايام المحن والمجاعات كما وقع لبني اسرائيل على ان الذين كانوا ينكدون عيش الرعاة ويسلبون راحتهم انما هم الملوك الوطنيون الذين استمروا في تاب يلون مصر العليا والصعيد . ومن اغلاط الملوك الرعاة جعلهم عاصمة ملكهم في مصر السفلى في الطرف الشرقي من القطر اي في تانيس (مر انها سان في ناحية دمياط) وفي بوبست (في جانب الزقازيق) فكانوا بذلك نائين ومنفصلين عن مركز الشعب المصري فلو اقاموا في مصر العليا لآكروها الملوك الوطنيين ان يتوغلوا في البرية بعيدين عن الاتصال بشعبهم يتعسر عليهم اجهاز العساكر واعداد الازودة والعلوفات لها فابتأؤهم في تاب (طيبة) كان كانه ابقاء مفاتيح البلاد في يدهم

واشهر الحروب بين الملوك الرعاة وملوك تاب الحرب الاخيرة التي استمر لظاها متسعراً قرناً ونيماً وكانت اسبابها القريبة على راي جمهور المؤرخين مسائل

﴿ عد ٩٦ ﴾

— في ندرة اثار الرعاة —

واما الذي تركه الملوك الرعاة من الاثار المخطدة لذكرهم او المشرفة لبلاد
تولوا امرها وما الذي اتوا به من المنافع العامة او التجارة بترويح سوقها او بسط
نطاقها بين مصر وفينيقي وسورية وبلاد العرب وغيرها فكل ذلك ندرت
آثاره والاثاث الدليل عليه فترى استيلائهم على مصر مدة خمسة قرون ابكم لم
يفصح عما اتوه او تأتى عليهم . وقد اشتغل اهل البحث في الاثار المصرية في
بيان علة هذا الدور في اثار الرعاة فنسبه احدهم العالم فيادمان الالماني (في
كتابه تاريخ مصر) الى عدم الاهتمام حتى الان الى اثارهم قائلاً ان كشف
مريات في تانيس عن بعض تماثيل الملوك الرعاة يبعثنا على الظن ان لهم اثاراً
اخرى في محال اخرى وانكر ما اوجبه بعضهم من ان الدول التابعة قد محت
آثارهم بنقضاً بهم وحاول ان يثبت ان هذه البغضاء لم تكن . علي ان العلامة
ديكارا ردّ زعمه هذا مثبتاً وجود البغضاء والضعيفة بين الفريقين وهو امر
طبعي لكنه انكر ان تكون هذه الضغائن حملت المصريين على ازالة آثار الرعاة
ورأى ان هذه الاثار قليلة بنفسها لكنها غير معدومة وعلة ندرتها ما كان عليه
حالمهم فان الملوك الاولين منهم اشغلهم عن اقامة الاثار جدهم في بناء مدينة
وجعلها قلعة حصينة تقيهم وثبات اعدائهم المصريين وغيرهم عليهم وهي مدينة
آفارى (يرجح ان موقعها في قرب المحل المعروف الان بتل الهر او فرما في
شرقي خليج السويس) ولم تكن لهم حاجة الى بناء هياكل وقصور ملكية استثناء
بما بناء قبلهم ملوك الدول السابقة ولا سيما الدولة الثامنة عشرة . واذا راعينا
ان ملوك الدولة السادسة عشرة من الرعاة اصبحوا مصريين يستخدمون عملة
ومهندسين مصريين في الابنية والتصوير والحفر والنقوش مقتفين آثار المدارس

الالهة والقسوة على الابرياء من المصريين اذ ايسلوا بعضاً وسبوا النساء والاطفال
وتابع كثير من القدماء والحداث مايتون في بث هذه الشكايات وامثالها . على
ان الاب دي كارا عني بتبرئة ساحتهم من هذه التهم مستمسكاً بان لا دليل في
الاثار المصرية على ارتكابهم مثل هذه الامور الفظيعة الا شكاية مايتون التي
يلزم حملها على الشخفاء والتعصب لقومه كما يظهر من وصفه الملوك الرعاة بالحسة
والوغادة ومن تذبذبه عليهم باستيلائهم على مصر دون شديد مقاومة والمصريون
اولى بنسبة هذا الذنب اليهم ثم من تسميته لهم وباء ونقمة وما اشبه من الاوصاف
الذميمة واقام دي كارا برهاناً وضعياً على غرضه فقال انه اكتشف في اخص
مدن الرعاة كتائيس (سان على مقربة من دمياط) وبوبست (تل البسطة الان
في جنوب الزقازيق) عن تماثيل وصور تمثل ملوكاً تقدموا عصر الرعاة وبعض
هذه التماثيل يشاهد الان في متاحف اوربا نقل اليها من المدن المذكورة ولم
ينقض الرعاة هيكل تائيس الذي كان قبليهم وبعض التماثيل التي كانت فيه حفظت
في ايام الرعاة وكشف عن بعضها ولم يزل بعضها على ما يُظن مطموراً بالاتقاض .
وقد اهتدى نافيل Naville في سنة ٨٧ و ٨٨ و ٨٩ الاخيرة في بوبست الى اثار
عديدة للدول السابقة الرعاة لم ينقضوها في ايامهم ووجد بينها تماثيل للملوك
الرعاة منها تمثل ابابي اشهرهم وحسبك الاثار المبكدة في متحف بولاق
ومتاحف اوربا منقولة اليها من مصر السفلى وهي للملوك والهة قبل عصر الرعاة .
واذا كانت تهمتا مايتون الاوليان غير صحيحتين فيحق لنا ان نتمري في الثالثة
وهي القسوة على الابرياء واضطهادهم وان صح شئ منها فيلزم حمله على عادة
الايام السالفة وعلى حاجة الرعاة اليه لتأييد ملكهم ذاك دأب كل الفزاة . ولهذا
قد اضرب بعض علماء هذا العصر بعد الاكتشافات الحديثة عما كانوا قد عابوا
الرعاة به استناداً الى ما رواه مايتون

رعمسيس الثاني سنة ١٣٥٠ ق م اعتماداً على اصح الاقوال في هذه المباحث كان ملك ابابي سنة ١٧٥٠ (لجعل صفيحة رعمسيس بينهما اربعمائة سنة) ويزيد هذا الامر بياناً واهمية مطابقته لنص الاسفار المقدسة في عداد السنين التي اقام فيها بنو اسرائيل في مصر (وذكر الآيات التي ذكرناها آنفاً) ولما كان خروج بني اسرائيل من مصر بعد وفاة رعمسيس الثاني الذي جالس على منصة الملك نحواً من خمسين سنة فيكون منفتح الاحوال فرعون الخروج ارتقى الى عرش الملك سنة ١٣٠٠ فاذا اضفنا اليها ٤٣٠ سنة مدة اقامة بني اسرائيل في مصر كان المجموع ١٧٣٠ سنة وانطبق ذلك ضرورة على عهد وزارة يوسف في مصر اذ اتى اليه ابوه واخوته من فلسطين وابتدأت سنو العبودية . وانطبق ايضاً على عهد ولاية الملوك الرعاة في مصر وخاصة على عهد احدهم ابابي المسمى نوب ايضاً وسماه اليونان ابوفيس . واختتم بروغش كلامه قائلاً ان هذا الطباق بين نص الكتاب والاثار المصرية هو ذو اهمية كبرى واعتبار مزيد ويؤيده التقليد المسيحي القديم الذي حفظه لنا سينشولوس ولم يعبه احد وهو ان يوسف دبر شؤون مصر في ايام الملك ابابي الذي تسميه الاثار ابوبي وزادت ذلك بياناً وثبوتاً صفيحة اكتشفت في مصر من امد قريب اتضح منها حصول مجاعة في مصر دامت سنين عديدة ودأت قرائن الحال على ان وقوعها كان في مدة تدبير يوسف شؤون مصر (وسنأتي على ذكر هذه الصفيحة في الكلام على يوسف في تاريخ العبرانيين) فنسدي الله حمداً وشكراً لكشفه عن مثل هذه الاثار القديمة في هذا العصر الطامي بالغواية والعتو

﴿ عد ٩٥ ﴾

— في اعمال الملوك الرعاة في مصر —

شكى مانيتون هولاء الملوك تلك جنایات فظيعة حرق المدن وتقص هياكل

سنة

٤٥ بقي من مدة ابابي بعد ان استوزر يوسف لانه ملك ٦١ سنة وبعض
اشهر واستوزره في ١٧ للملكه
٢٣٤ مدة الدولة السادسة عشرة

١٥١ مدة الدولة السابعة عشرة مع الثامنة عشرة الوطنية والى عهد منفتح
٤٣٠ فالمجموع اربع مئة وثلاثون سنة طبق ما في الكتاب عن سني العبودية
هذا ملخص ما رواه دي كارا (في صفحة ١١٢ وما يليها من كتابه في
الملوك الرعاة) عن ارمان ويتراى الى ان فيه نظراً من قبيل ان الدولة الثامنة
عشرة كان منها عدة ملوك بعد طرد الرعاة وكذا كان بعض فراعنة الدولة التاسعة
عشرة قبل منفتح ولم يخرج بنو اسرائيل من مصر على اثر طرد الرعاة منها بل
بعد مدة وارى اننا لو اعتمدنا رواية يوسفوس لفقر مانيتون في ان مدة ملك
الرعاة كانت ٥١١ سنة ولبثوا سنين عديدة محاربين لكان البرهان اقوى واسلم
من النقد اذ تكون ١٥١ سنة او القسم الاكبر منها عبارة عن مدة ملوك الدولة
الثامنة عشرة بعد طرد الرعاة وبعض ملوك الدولة التاسعة عشرة الى منفتح
فرعون الخروج

على اننا لانستند الى هذا البرهان وحده في بيان سني العبودية باثار مصر
بل لنا غيره . فقد مر انه يتبين من صفيحة رعمسيس الثاني ان بين ملك ابابي
ورعمسيس هذا اربعمائة سنة وقد انقضت عبودية بني اسرائيل في عهد ابنه
منفتح وعليه فتكون مدة الثلاثين سنة انقضت بين حين كتابة الصفيحة وحين
خروج بني اسرائيل من مصر

قد اجاد بروغش العلامة في الاثار المصرية بملاحظات مهمة في هذا الفرض
فلخصها هنا . قال (في كتابه تاريخ مصر صفحة ١٧٤ طبعة ٢) اذا جعلنا ملك

خروجهم من مصر . ولذلك قال يوسفوس (ك ٢ من تاريخ اليهود فصل ٦)
 ان العبرانيين خرجوا من مصر لسنة ٤٣٠ من بلوغ اينسا ابراهيم الى ارض
 كنعان لسنة ٢١٥ من انحدر يعقوب الى مصر ، وقد حذا حذوه في هذا
 القول كثير من القدماء والحداثاء على ان الاكثرين اعتمدوا نص الاصل العبراني
 الصريح في الآيتين الانف ذكرهما وقد ايده سائر الترجمات القديمة غير السبعينية
 والسامرية . فاثبتوا ان مقام بني اسرائيل في مصر من انحدر يعقوب بولده
 اليها الى حين خروجهم منها هو اربعمائة وثلاثون سنة لا مئتان وخمس
 عشرة سنة فقط . وقد اقاموا على ذلك ادلة وحججاً عديدة لا محل الان
 لاستقراءها ومنها ان مئتين وخمس عشرة سنة لا تكفي لتكاثر عدد بني اسرائيل
 بالمقدار الذي ذكره الكتاب اي ليكون منهم ست مئة الف مقاتل

على ان الاكتشافات الحديثة زادت في بيان هذا المبحث فان العلامة
 ارمان السالف ذكره اهتدى الى طريقة للتوفيق بين ما عينه الكتاب من سني
 العبودية وبين الاثار المصرية وخلاصة ما قال . اجمع من ذكروا فقرات مانيتون
 علي ان يوسف كان في عهد ابابي اخر ملوك دولة الرعاة الاولى وصرح شنسلوس
 انه استوزره للسنة ١٧ من ملكه آخذاً ذلك بلا بد عن رواية الافريقي ومن
 المجمع عليه في ذلك العصر ان خروج بني اسرائيل من مصر كان في عهد
 اموسيس المسمى منفتاح بن رعسيس الثاني فيلزم ان تكون سنو العبودية من
 عهد ابابي الى عهد منفتاح . على ان الدولتين الخامسة عشرة والسادسة عشرة
 حكمتا مصر على رواية الافريقي ٥١٨ سنة اي الدولة الخامسة عشرة ٢٨٤ سنة
 والسادسة عشرة ٢٣٤ سنة واعقبتهما الدولة السابعة عشرة واستمرت ١٥١ سنة
 في الحرب مع الدولة الثامنة عشرة الوطنية فكان في مصر دولتان معاً وعليه
 فيمكن حساب سني العبودية على هذه الصورة

سنة ولا تخفى المقاربة بين الروايتين على ذلك اذ لا يبقى من فرق الاسبع سنين ثم ذكر الدولة السابعة عشرة وعين لملكها مدة ١٥١ سنة فكان ذلك كناية عن السنين المديدة التي ذكر يوسفوس انها اقتضت في الحرب مع الوطنيين وكان لهؤلاء ملوك ياون مصر العليا وبعض اعمال مصر السفلى على التدرج . فكان بهذا التوفيق بين الروايتين

وسترى ان ابابي آخر ملوك الدولة الاولى من الرعاة ملك في اواسط القرن الثامن عشر قبل الميلاد اي من سنة ١٧٤٠ الى سنة ١٧٥٠ فان اضعنا الى ذلك ٢٥٩ سنة وعشرة اشهر مدة ملك الدولة الاولى من الرعاة بحسب رواية يوسفوس ظهر ان بدء ملك الرعاة كان في القرن العشرين قبل الميلاد او اضعنا الى ذلك ٢٨٤ سنة بحسب رواية الافريقي كان بدء ملكهم في القرن الحادي والعشرين قبل الميلاد ويحصل من ذلك ان فرعون الذي كان يلي مصر وقت انحدار ابراهيم اليها قبل نحو مائتي سنة من انحدار يعقوب كان من الملوك الرعاة كما كان فرعون الذي استوزر يوسف

﴿ عد ٩٤ ﴾

﴿ بيان سني عبودية الاسرائيليين في مصر بسني الملوك الرعاة ﴾
 جاء في سفر التكوين (فصل ١٥ عد ١٣) ان الله ناجى ابراهيم قائلاً
 « ان نسلك سيكونون غرباء في ارض ليست لهم ويستعبدون لهم ويعذبونهم اربع مئة سنة » ثم جاء في سفر الخروج (فصل ١٢ عد ٤٠) « وكان مقام بني اسرائيل الذي اقاموه بمصر اربع مئة وثلاثين سنة » كذا ورد في النص العبراني وفي نسختنا السريانية وفي اللاتينية العامة وغيرها من النسخ على انه يظهر من الترجمتين السبعينية والسامرية ان مدة الاربع مئة وثلاثين سنة يراد بها مدة اقامة ابراهيم ونسله في فلسطين ومصر اي من خروجه من اور الكلدانيين الى

طردهم من مصر عادوا الى موطنهم الاولى في سورية ومن الادلة التي اقامها على ذلك وجود عبادة الاله سات بينهم في سورية الشمالية كما كانت لهم في مصر ثم وجود بعض العوائد وآثار التمدن المصري في انحاء سورية التي عادوا اليها ثم تعاظم القوة والسطوة في سورية الشمالية في زمن وجيز حتى حارب سكانها ملوك الدولة التاسعة عشرة في مصر واكروهوهم على صلاح. مشرف لهم كما رأيت في تاريخ الحثيين عن الآثار المصرية

﴿ عد ٩٣ ﴾

— في عصر غارة الرعاة على مصر ومدة ملكهم فيها —

توفرت الاقوال وتضاربت في تعيين زمان غارة الملوك الرعاة على مصر ولا نرى كبير فائدة في استقراء هذه الاقوال وحجج كل من القائلين بها فنقتصر على ذكر الاظهر والاعم من اقوالهم وهو ان هذه الغزوة كانت بين القرن لعشرين والحادي والعشرين قبل الميلاد وكان من الملوك الرعاة ثلث دول في مصر هي الخامسة عشرة والسادسة عشرة والسابعة عشرة وذكر مانيتون هذه الدول واسماء ملوكها ومدة ملكهم ولكن لما كانت غير الايام لم توصل اليها كتاب مانيتون بل وصلت اليها فقر اقواله يرويها يوسفوس في كتاب رده على ابيون ويوليوس الافريقي واوسابيوس وغيرهم فكان بين هذه الروايات بون كبير من قيل الاسماء وعدد السنين للملوك والدول الثلاث وقد وفق العلامة ادولف ارمان (Erman) مدير المتحف المصري في برلين بين روايتي يوسفوس والافريقي بما ملخصه ، ان يوسفوس حسب مدة ولاية الملوك الرعاة في مصر ٥١١ سنة وقال انه عقب ذلك سنون عديدة دام بها الحرب والنزاع وروى الافريقي ان الدولة الخامسة عشرة من هؤلاء الملوك ملكت ٢٨٤ سنة ثم ذكر ملوك الدولة السادسة عشرة وضم سني ملك الدولتين فكان مجموعهما ٥١٨

ساقى مقصياً لهم عن مدينة آفارى فاذا انقضا مائتي وساقى استعمالهما المصريون
علماً للملوك الرعاة الذين غشوا بلادهم من جهة مشرقها وسموا بهما سكان
سورية ايضاً ولاسيا شمالها

وقد سمّتهم الآثار ايضاً عمو في محلات عديدة ومن جملتها الأثر الذي
اكتُشف حديثاً على مقربة من قرية بني حسن حيث يقول احد الفراعنة الذي
يُظن انه توتمس الثالث « انا جددت ما كان آل الى الدمار انا اكملت ما بُدئ
به مذ كان العمو في مصر السفلى في جهة آفارى فان الغزاة تقضوا ما كان مشيداً
وحكموا ولم يعترفوا بالاله رع ، ونرى اسم العمو بين عداد الشعوب الذين
قهرهم توتمس الثالث في سورية مع الساقى والروتانو اصحاب المعاهدة في مدن
سورية الشمالية والجنوبية وفي فينيقي . ونجد ايضاً اسم عمو في صفيحة كتبت
عليها ترجمة امنهاب واكتشفها العالم ابار في قرية قرنة من اعمال مصر واذاع
ترجمتها سنة ١٨٧٣ ومما كتب في اعمال هذا القائد في حروب توتمس الثالث في
سورية انه قبض على اسرى من العمو واحضرهم احياء وذكر محال المواقع
فكان منها وان في غربي كالب (حلب) وكركيش وقادس ولا يختلف اثنان ان
هذه المدن في شمالي سورية وسمّيت الآثار سكانها عمو كما سمّيت الملوك الرعاة
بهذا الاسم نفسه . وليس اصحاب عهدة الرعاة الا المتحالفين الذين حاربهم
ملوك الدولة التاسعة عشرة ولاسيا ساقى الاول ورعمسيس الثاني في سورية
الشمالية كما مر وبانتور شاعر رعمسيس الذي كتب اخبار واقعته مع قادس اطالع
العدد ٦٥) يسمي الحثيين عمو كما رأيت فاذاً اسماء ساقى ومائتي وعمو التي
نراها في الآثار المصرية معبراً بها عن الملوك الرعاة نراها نفسها مراداً بها شعوب
سورية الشمالية ومن جاورهم من العشائر المتحدة معهم بل قال دي كارا ان
الحثيين الذين حاربهم رعمسيس كما مر من نسل هؤلاء الملوك الرعاة وانهم بعد

انتهى ملخصاً عن كتاب دي كارا في الملوك الرعاة (فصل ٣ من صفحة ٣٩ الى صفحة ٦١)

﴿ عد ٩٢ ﴾

م اثبات ان الملوك الرعاة حثيون بما ستمتهم به الآثار المصرية -
الحق دي كارا حججه الآتفة الذكر بحجج اخرى منها ان الاسماء التي عبرت بها الآثار المصرية عن الملوك الرعاة تثبت كونهم حثيين فان هذه الآثار تسميهم ساتي ومانتي وعمو فساتي يراد بهم على الاظهر الشعوب المتوطنون في غربي اسيا ولاسيما سكان شمالي سورية بدليل انه جاء في الاثر وهو الدرج المعروف بمرسوم كانوبوس ، ان الملك تولماوس افرجات الاول غشا بلاد الساتي واسترد تماثيل الالهة التي كان الفرس انتزعوها من هياكل مصر ولا جرم أن الماضي من مصر الى بلاد فارس يستلزم العبور بسورية فهي اذا بلاد الساتي والملوك الرعاة يسمون ساتي فهم اذا سوريون واشهر سكان سورية يومئذ الحثيون فاذا الملوك الرعاة حثيون . وقد ستمتهم هذه الآثار : مان ومانتي ، مرات والحال ان هولاء المانتي يراد بهم سكان سورية ايضاً . فقد جاء في جريدة اسماء القبائل التسع التي نقشت على جدار هيكل ارفو في مصر ، المانتي في بلاد اسور ، وفي الصفحة التي وجدت في سان (تانيس القديمة) مكتوباً عليها بثلاث لغات عبر فيها عن هولاء المانتي في الهيروكليفية بانهم سكان بلاد الروتان الشرقية وفي الترجمة اليونانية سكان سورية وفي لغة الشعب المصرية بلاد اسور فاذا المانتي الذين طردهم ملوك الدولة الثامنة عشرة من مصر هم من سكان سورية التي سميت في الهيروكليفية برّوتان في اثار عديدة وسميت بلغة الشعب اسور وهو اسم سورية عندهم (طالع العدد ٦) وفي الاثر القديم المنسوب لاحسن ابن ابانا يقال ان احسن الاول الذي طرد الملوك الرعاة من مصر اثنخ في المانتي

البريطاني وخلصته . ان الملك ابابي اتخذ شات او شتخ رباً له ولم يعد يعبد الهماً في ارض مصر الا شات واقام له هيكلًا بديعاً على مقربة من قصره وكان ينهض كل يوم فيقدم له الذبائح اليومية مصحوباً باعوانه ، وجاء في هذا البابير ايضاً ان ابابي كان اوفد الى ملك تاب (في مصر العليا) ليتابعه في هذه العبادة وقال : اذا اجاب امير الجنوب (يريد ملك تاب الذي كان اوفد اليه) انه يعمل بما اقول فلا آخذ منه شيئاً ولا اعود اسجد لاله اخر في ارض مصر الا لامون رع ملك الالهة ولكن اذا لم يجب سؤالي بان لا يعبد الا شات فما العمل ، وفي البابير ايضاً ان ملك الجنوب اطلع مستشاريه على رسالة ابابي فدهشوا ولم يأتوا اولاً ببنت شفة . ويظهر انه منذ يومئذ بدأ القلق والشغب على الملوك الرعاة والمحافظة على طردهم . ويستخلص دي كارا قائلاً ان الواضح من اثار عديدة لا سيما عهدة الصلح بين ملك مصر وملك الحثيين ان شات او شتخ انما هو اله الحثيين فيحصل مما مرّ ان الملوك الرعاة حثيون وان الاربعمئة سنة التي ذكرها رعمسيس في هذه الصفيحة يراد بها تعميم عبادة شات وتفضيله في مصر بامر ابابي احد الملوك الرعاة . هذا على اختلاف الترجمة والتفسير لهذا الاثر ونرى رأي دي كارا فيه راجحاً وبرهانه واضحاً واطبق للظاهر . ومن رأيه ايضاً ان تاريخ الاربعمئة سنة يوافق القرن الثامن عشر قبل الميلاد وعليه فصفيحة رعمسيس نقشت نحو سنة ١٤٠٠ الى سنة ١٣٥٠ قبل الميلاد اي نحو اربعمئة سنة بعد ابابي فيكون اتيان يوسف بن يعقوب مصر في ايام ابابي فان اضفنا اليها سني عبودية بني اسرائيل في مصر وهي اربعمئة وثلاثون سنة كان خروجهم منها في عهد دولة الرعمسيسيين فان القول الاعم والاظهر عند علماء الاثار المصرية ان خروج بني اسرائيل من مصر كان بعد وفاة رعمسيس الثاني في عهد ابنه منفتح الاول وسترى معارضة اقوال الكتاب في شان سني العبودية بما يظهر من الاثار المصرية والتوفيق بينهما

ولا نجد له في التاريخ مثلاً فمن افتتحوا مصرًا في ذلك العهد لم يكونوا اذًا امة واحدة بل الفاقد من قبائل شتى يرأسه ويقوده ملوك الحثيين ثم يثبت هذا اي انه كان للحثيين المحل الاول في هذه الغزوة وملوكهم وامرائهم السيادة فيها بالحجج الآتية اولها ان الصفيحة التي وجدها مريات سنة ١٨٦٤ في هيكل سمه (وهي تانيس القديمة) تثبت ذلك اذ 'نقش في اعلاها ثلاث صور احداها صورة سات او شات وما هذا الا شتخ معبود الحثيين ويده الصولجان وعلى رأسه التاج والثانية مثال رعمسيس الثاني قائمًا امام سات باسطًا يديه نحوه وفي كل منها كاس خمر والثالثة صورة من اقام هذه الصفيحة ساجدًا وبين سات ورعمسيس عمود خطوط هيروغليفية وبين رعمسيس والصورة الاخرى عمودان من هذه الخطوط وفي اسفل الصفيحة اثنا عشر سطرًا منها وهذا ملخص ما كتب هناك في سنة ٤٠٠ في الرابع من شهر ميسوري لملك مصر العليا والسفلى أمر رعمسيس الثاني ملك مصر ان تقام هذه الصفيحة تكرمة للاله شات اجلالاً لاسم ابي ابائه (كثيرًا ما سعى ملوك مصر لتهتم ابائهم وكثير منهم دعا نفسه ابن الشمس معبودهم) ويحيي شات تحيات اله سام ويستمد منه التوفيق والاقبال في ايامه والثبات في ملكه ، وما من منكر ان الرعمسيسيين امتازوا باجلال الاله شات وباقامة الهياكل تعبدًا له وبتسمية بعضهم انفسهم باسمه تبركًا منهم شاتي او ساتي الاول . وعليه يحقق دي كارا ان تاريخ الاربعمائة سنة المثبت في الصفيحة يراد به تاريخ اتخاذ شات الهًا ساميًا في مصر سويًا لرع وامنون وان الاربعمائة سنة في عهد رعمسيس الثاني توافق ايام ابابي احد الملوك الرعاة الذي عني بجعل شات او شتخ معبود الحثيين الهًا ساميًا في مصر

وثانية الحجج التي اقامها دي كارا على عناية ابابي بادخال عبادة شات معبوده

في مصر ما ورد في الباير المنسوب الى سايار الاول والمحفوظ الان في المتحف

من مصر اعتقد سائس سنداً الى ما قيل في سفر العدد (فصل ١٣ عد ٢٣) وهو « ان حبرون بُنيت قبل صوعن مصر (وهي تانيس الرعاة المعروفة الان بسان) بسبع سنين » ان مانيتون اعتمد في رأيه هذا في بناء اورشليم على شهادة التقليد ونتج سائس اخيراً ان قول مريات وغيره بان قادة الرعاة كانوا حثيين هو قريب من الصحة والصواب واما ميل سائس الى تصديق رواية مانيتون بان الرعاة بنوا اورشليم فيقال فيه ان صدقت هذه الرواية لم يكن المفهوم منها ان الرعاة اول من أسس اورشليم اذ جاء في سفر التكوين (فصل ١٤ عد ١٨) ان ملكيصادق ملك شليم خرج لاقاء ابراهيم وعامة المفسرين على ان شليم اورشليم وطرده الرعاة من مصر كان بعد نزول بني اسرائيل اليها

﴿ عد ٩١ ﴾

✠ تحرير رأي الاب دي كارا في الملوك الرعاة وحججه عليه ✠
 حرر الاب دي كارا (في الفصل الثامن من كتابه الملوك الرعاة) رأيه فقال ان الرعاة الذين غاروا على مصر لم يكونوا من بلد واحد ولا من امّة واحدة بل كانوا من بلاد عديدة تضمهم عهدة واحدة وغرض واحد ويقودهم ملك واحد او اكثر للامة التي هي مركز العهدة وتنسب الغزوة اليها ويرى ان الامة الحثية هي مركز هذه العهدة وهي التفاعلة في الحملة على مصر بجنودها الخاصة وجنود المعاهدين لها ومن براهينه على رأيه ان من ذلّوا دولة قوية رهية كما كانت مصر اذ ذاك وضبطوا زمام احكامها قرونًا لا بدّ ان كانت لهم قوة تفوق قوة مصر عددًا واعدًا ومالًا ولا يتصور لاحدى قبائل اسيا الغربية او الشرقية قوة وسطوة مثل هذه الا باتحادها مع قبائل اخرى فينفق ان تشنّ قبيلة الغارة على قبيلة اخرى اقوى منها وتتصر مرة ولكن ان تستحوذ عليها وتضبط اعنة حكمها رغم انوف اهليها قرونًا كما فعلوا الرعاة في مصر هذا يخالف الطبع

في التواريخ لغارة من التتر في تلك الايام على مصر فضلاً عما بين البلدين من البعد الشاسع وتوسط قبائل كثيرة بينهما . وايضاً ان الهيئات الطبيعية لا يمكن الاعتماد عليها وحدها في معرفة اصول الشعوب ونسبهم بل لابد من قرائن اخرى ومن اساس تاريخي يُستمدك بها . وقال دي كارا ان مسبرو كتب اليه رسالة في ٩ ك ١ سنة ١٨٨٨ جواباً على الفصل الذي أثبت به ان منشأ الملوك الرعاة سورية الشمالية يقول له فيها ان رأيه هذا يحوز احسن قبول وان المشابهة في الهيئات كثيرة الوجود على اختلاف النسب والوطن وانه رأى منذ بضع سنوات في نابولي امرأة اشبه هيئة بصورة امرأة ماديوم الكائنة في متحف بولاق وتيسر له اخذ صورتها الفوتغرافية بالزي الذي يرى التمثال به وان الصورة باقية عنده ويختتم مسبرو رسالته بقوله : هالك ايطالية يمكنها ان تدعي بانها مصرية وتثبت دعواها بتكونها وهيئتها الطبيعية فدونك ما يوقعنا به من السخریات الاعتماد في النسب على الهيئة .

وعاد العلامة دي كارا الى تفصيل الاقوال المسندة الى الاختلاف في تفسير الاسماء المعبر بها عن هولاء الملوك في الاثار المصرية كما روينها بالايجاز ومما يستوجب التفاتة مخصصة ويتحفنا بفوائد اخرى قول سائس الذي اكثر الكلام هذه السنين الاخيرة في هولاء الملوك فقال اعتبرهم بعض العلماء غزاة حثين وفي خطبة القاها في ٢٣ تشرين اول سنة ١٨٨٦ في مجتمع العلماء في لوندرد اظهر جنوحه الى التيقن بان قادة الرعاة كانوا حثين مطافى الامورين وانه يُستلمح من الكتاب المقدس ان هذه العهدة كانت في جنوب فلسطين لان سكان حبرون (الخليل) كانوا حثين وامورين وصرح بذلك حزقيال بقوله (فصل ١٦ عد ٤٥) لاورشلیم ان امك حثية وابوك اموري . ولما كان مانيتون روي في الفِقَر التي حفظها يوسفوس ان الملوك الرعاة بنوا اورشليم بمد طردهم



صورة مسخ دال على احد الملوك الرعاة وجدت في تانيس (صان) وهي
الان في متحف بولاق صفحة ٢٣٢

الاول) انهم مغول من التتر . فصور التباين في هذه الاقوال ندور اليينات والاثار الدالة على اصل الملوك الرعاة ومهاجرهم وغموض ما وجد منها وشيوعه فقد سمّهم الاثار المصرية مان ومانتي وساتي وعامو وكلها اسما شائعة لا تعين القبيلة التي تفرعوا منها ولا البلاد التي نشأوا فيها ولهذا التباين مصدر آخر هو انه قد وجدت تماثيل في تانيس (سحنه وصيان في شرقي مصر السفلى) وحُسب انها تمثل الهيئة الحقيقية لهؤلاء الملوك ولدى تفحص العلماء عنها قالوا انها اشبه بهيئة الصيادين الذين يسكنون الان في جانب بحيرة المنزلة في مصر السفلى وقدروا ان هؤلاء الصيادين من سلالة اوثك الملوك واخذوا ينسبون الرعاة الى القبائل التي خيل لهم ان هيئة فروعها تشبه هيئات التماثيل والصيادين المذكورين . وعليه فترد الاقوال المتباينة في هذا الشأن الى مصدرين اعني اقوالاً مسندها الاختلاف في تفسير الاسماء التي عبرت بها الاثار عن هؤلاء الملوك واقوالاً مسندها المشابهة بين هيئة هؤلاء الملوك في تماثيلهم وبين هيئات غيرهم من القبائل المعروفة فنسب اصحاب الاقوال الاولى هؤلاء الملوك الى سورية او العربية او فلسطين او الجزيرة او عدوتي البحر الاحمر . ومعظم الخلاف بينهم في ما اذا كان هؤلاء الملوك ساميين او غير ساميين . ومضى اصحاب الاقوال الثانية يفتشون على اصل الملوك الرعاة في شرقي اسيا او شماليها فجعلوهم من المغول والتتر ولا مستمسك لزعمهم الا المشابهة في الهيئة الطبيعية وسمات الوجوه بين هؤلاء الشعوب وبين تماثيل الملوك وسكان القرى التي حول بحيرة المنزلة

واما العلامة الاب دي كارا فردّ اولاً الاقوال المسندة الى المشابهة في الهيئة والتكون الطبيعي ميّناً خاصة انه لا يمكن ان يتأكد كون التماثيل المذكورة تمثل كل السمات الحقيقية في هيئة هؤلاء الملوك ولا كون الملوك الرعاة كلهم كانوا بهذه الهيئة لان التماثيل التي وجدت انما هي لأربعة منهم فقط وزاد على هذا انه لا اثر

كانت الجبابة بالشام والقراغة بمصر، وقال ابن خلدون « ولم يذكر في التوراة ولد لاوذ (وهو الواقع) وقال ابن اسحق وكان للاوذ اربعة من الولد وهم طسم وعمليق وجرجان وفارس، وقال ياقوت ان العمالة امتدوا من بلاد العرب الى سورية فكانوا ملوكًا في سورية وفراغة في مصر. وذكر بعضهم اسماء هؤلاء القراغة وقالوا ان اولهم في مصر يسمى الوليد. وتعقب بعضهم قول هؤلاء المؤرخين بان عماليق هو ابن اليفاز بن عيسو على ما في سفر التكوين (فصل ٣٦ عد ١٢ و ١٦) فكيف يمكن ان يكون فرعون ابراهيم كما قالوا من بني عماليق لكن هذا التنديد مردود بان سفر التكوين نفسه صرح بوجود العمالة قبل عيسو اذ قال (فصل ١٤ عد ٧) ان كدردلاومر ملك عيلام واحلافه « ضربوا كل ارض العمالة وايضًا الاموريين، ومن المعلوم ان هؤلاء الملوك هم الذين حاربهم ابراهيم واثقذ لوطًا ابن اخيه من ايديهم فلا يعاب على المؤرخين العرب قولهم ولكن هل كان الملوك الرعاة من هؤلاء العمالة فهذا موضع الخلاف الذي نبسط الاقوال فيه

واما علماء عصرنا اهل البحث في الاثار المصرية والشرقية فلهم في هؤلاء الملوك الرعاة اقوال متباينة متضاربة فقال لبسيوس هم حاميون من بني كوش اتوا من بلاد العرب المجاورة البحر الاحمر المسماة فوط او بونط والظاهر ان المراد بها عدوتا البحر الاحمر من جهة العربية وجهة الحبشة. وتابعه مسبرو في هذا القول. وقال بروغش لا بل هم ساميون من سورية صحبهم اقوام من اقاليم عديدة. وذهب دي روجه وإبر الى انهم ممن تسميهم الاثار المصرية ساتي وعامو ويراد بهم رعاة اسياويون. وذهب ليلايين انهم من فلسطين ومريات وسأسس ولازрман انهم حثيون واموريون وعيلاميون. ورأى القانوني را انهم ادوميون وعمالة وحثيون وقال كوندروهامي ولازрман (بعد هجره رأيه

علماء عصرنا هذا في ذلك مقالات مسبهة وآلف الاب دي كارا كتاباً برمته سماه الملوك الرعاة نشره اولاً فصولاً في مجلة التمدن الكاثوليكي ثم ضم تلك الفصول في كتاب طبع في رومة سنة ١٨٨٩ حيث لم يألُ جدّاً ليثبت ان الملوك الرعاة حثيون اصلاً ومهاجرهم سورية الشمالية غاروا على مصر منضمّاً اليهم غيرهم من القبائل السورية وعليه عنوان هذا الفصل بفاة الحثيين على مصر واودعناه الكلام في اقوال العلماء في اصل الملوك الرعاة ومهاجرهم ثم في زمان غارتهم هذه واية دولة مصرية كانت منهم وما كانت اعمالهم وكم سنة ملكوا في مصر ومتى طردهم المصريون من بلادهم بما يمكن من الايجاز ملخصاً خاصة عن كتاب الاب دي كارا السالف الذكر

﴿ عد ٩٠ ﴾

— اقوال العلماء في اصل الملوك الرعاة ومنشأهم —

قال مانيتون في اثر كلامه الذي ذكرناه نقلاً عن يوسفوس . قال بعضهم انهم عرب ، لكنه قال في محل اخر على ما روى يوليوس الافريقي . انهم رعاة اخوة فينيقيون ملوك اجانب ، فظهر انه لم يكن على يقين في اصلهم ومنشأهم بل يروى ما كان يقال عليهم في ايامه فينّ الخلاف في الاقوال ولم يصحح احدها . واما علماؤنا العرب فقالوا انهم عمالقة من نسل عمليق او عماليق وهو عندهم ابن لود (يسمونه لاوذ) بن سام بن نوح قال ابن الاثير في الكامل . فن ولد لاوذ بن سام فارس وجرجان وطسم وعمليق وهو ابو العماليق ومنهم كانت الجبارة في الشام الذين يقال لهم الكنعانيون والقراثة بمصر ، وتعبه ابو القداء من قبل انه جعل الكنعانيين من ولد سام وتابعه في الباقي اذ قال . نقل ابن الاثير ان بني كنعان من ولد سام والله اعلم وولد لسام عدة اولاد منهم لاوذ ابن سام وولد لاوذ فارس وجرجان وطسم وعمليق الذي هو ابو العماليق ومنهم

الفصل الثامن

(في غارة الحثيين على مصر اي في الملوك الرعاة)

﴿ عد ٨٩ ﴾

﴿ في اصل الملوك الرعاة ومهاجرهم ﴾

ان مانيتون (وهو كاهن مصري كان في القرن الثالث قبل الميلاد) الف كتاباً جمع فيه شتات تواريخ مصر فاغتالت يد غير الزمان هذا الكتاب ولم نظفر منه الا بققرات حفظت في كتب يوسفوس واوسابيوس ويوليوس الافريقي وغيرهم من القدماء فمن هذه الفقرات ما رواه يوسفوس في كتاب رده اقوال ايون (ك ١ فصل ٤) حيث قال « كان ملك يسمى تياوس دهننا في ايامه غضب الله فقاجانا من جهة المشرق على غير انتظار جيش اقوام اوغاد جسروا ان يغشوا بلادنا فاستحذوا عليها دون حرب واثخنوا في ارضنا واذلوا اصحاب الامر فيها واحرقوا المدن بقساوة ودكوا هياكل الالهة وانزلوا بالاهلين ما استطاعوا من السوء فذبجوا بعضاً واسروا نساء البعض واطفالهم » الى ان يقول « وكل هذه القبيلة دُعيت هيكسوس اي الملوك الرعاة لان معنى هيك في اللغة المقدسة ملك ومعنى سوس بلغة العامة رعاة »

فمن هم هؤلاء الملوك الرعاة ومن اين اتوا الى مصر ومن اية قبيلة هم اجتزأ مانيتون بان يقول فيهم انهم اتوا من جهة المشرق وهذا كلام شائع متسع اتساع المشرق لا يعلم منه من اية جهة من المشرق اتوا ولا من اي شعب تفرعوا ولذلك توفرت اقوال العلماء القدماء والحديثاء في اصلهم وفي مهاجرهم اي البلاد التي هاجروا منها فذهبوا في الامرين مذاهب عديدة متضاربة . وكتب

ابي البلاسج وهو ابو اجينور او اخوه وهذه الاقاصيص نفسها تجعل كيليك
 وفينيق وقدموس ابناء اجينور وعليه فهم احفاد بلاسكو او بنوه وتجعل نيوب
 الاجينور وبلاسكو وهؤلاء الاباء كانوا يسكنون ويلون الامصار نفسها التي
 كان الحثيون يسكنون فيها ويلون امورها كما يظهر من الاثار الحثية في اسيا
 صغرى كل هذا بين في البلاسج الاسياويين واما البلاسج سكان بلاد اليونان
 ايطاليا فقال فيهم ديونسيوس الايكارناسي انهم كانوا يُسمون آزيين والمقاربة
 ن آزي وحيي بيئة فابدل الحاء بالهمزة لسهولة اللفظ مستفيض وابدال الشاء
 لزاء لا تحصى امثاله فهذا معما تقدم يثبت لنا ان البلاسج في بلاد اليونان
 ايطاليا هم ذوو قرابة البلاسج الاسياويين وان الفصيلتين مع الحثيين قبيلة
 واحدة

وقد اختتم دي كارا كلامه بهذا القياس ذي الحدين لا يخلو ما اتينا به من
 الادلة العديدة على الوحدة بين الحثيين والبلاسج من ان يكون اما مصادفة
 واتفاقا اما واقعا وتاريخيا فان كان واقعا فيلزم اعتبار الوحدة بين الفريقين حقيقة
 تاريخية ثابتة ذات اهمية كبرى. وان كان كل ما جئنا به اتفاقا ومنسوبا الى المصادفة
 فيكون امرا لم يسبق له مثال ولا يبقى محل لتصديق برهان كهذا مهما كثرت
 ووضحت ادلته وهذا محال فلمعتمد اذا على الاول وهو ان الحثيين والبلاسج
 قبيلة واحدة سُميت باسمين. ان الاب دي كارا يهتم في فصوله التي نشرها في
 هذه الايام ليعين ان اسماء المدن القديمة والانهر والجبال في بلاد اليونان وايطاليا
 اصلها حثي ومن جملتها اسم اسيا فعلى رايه اصله حاثيا بدلت الحاء بالهمزة للخفة واثاء
 بالسين للمقاربة وان اسم البلاسج انفسهم مركب من كلمة بل معناها في لغتهم
 الغريب او الدخيل ومن كلمة اسي او اسكي او اسجي ومعناها الاسياوي
 فتحرير معنى البلاسج عنده الغرباء الاسياويون او الاتون من اسيا

لهم وخطوطهم منقوشة على صخورها ولا مرية بان سكان البلاد السكائنة بها ي
ذلك العصر انما هم الحثيون فكل ذلك يجهر بالنتيجة المقصودة اعني ان البلاسج
والحثين قبيلة واحدة

وقال اننا نرى شيم القبيلتين واخلاقهما واحدة فقد ذكر استرابون ان
شيم البلاسج الحل والترحال وتبين مما مر ان الحثين ارتحلوا من سورية وانتشروا
في اسيا الصغرى وجزيرة قبرس ثم في جزر بلاد اليونان فان كانت الشيم واحدة
والصناعة واحدة والبلاد التي سكنها الفريقان واحدة فلم لا تكون القبيلة المسماة
باسمين واحدة . وايضاً ان اسماء كثير من المدن والجبال والانهر والاعمال
اسيا الصغرى واسماء امثالها في بلاد اليونان وجزائرهم وفي ايطاليا هي واح
اصلاً ولم يطرأ عليها تغير في بعض الاسماء الا من قبيل تيسير اللفظ وجه
اواخر الكلمات كصيغة نهاية الاسماء في اليونانية او الايطالية . وايضاً
المشابهة بين العقائد الدينية والرموز المذهبية عند القبيلتين يحصل لنا منها برها
آخر على انهما قبيلة واحدة فالالهة الكبرى القديرة التي كان يعبدها البلاسج ان
هي الا الالهة المحاربة التي نراها ممثلة على صخور يازيلي كايا في اسيا الصغرى
مجنبة السيف معتقلة الرمح متنكبة القسي شبيهة بالالهة المحاربة الوارد ذكرها
في عهدة الصلح بين ملك الحثين ورعمسيس الثاني ملك مصر كما مر . والرمز
بصور الاسد وغيرها نراه عاماً في اثار الحثين في اسيا الصغرى واثار البلاسج
في بلاد اليونان وايطاليا

ومن الحجج التي اقامها دي كارا اثباتاً لفرضه التقليدات واقاصيص الالهة
التي يرى ويستشهد غيره من مشاهير علماء هذا العصر ان لها اصلاً تاريخياً
على الغالب وان داخلتها احاديث خرافة ومن هذه الاقاصيص ان آباء شعوب
سورية وفينيقي وكيليكيا وغيرها من اعمال اسيا الصغرى هم من اقرباء بلاسكو

او نينوى . ومما لا يمتري فيه ان البابليين لم يهاجروا الى بلاد اليونان ولا الى جزائرها ولا الى ايطاليا باولى حجة فاذا قد كان مستحيلاً نقل الصناعة البابلية الى هذه الامصار بغير واسطة قبيلة تتاخم بلادها بابل وتتوفر العلاقات بينهما ويلزم ان تكون تلك القبيلة ذات اقتدار على بث هذه الصناعة في تلك الامصار بوسيلة انبساط قوتها وامتداد حكومتها وكثرة مستعمراتها وتجارتها . فهذه هي الحقيقة وهذه هي الشرائط المستلزمة للكشف عن علتها فلا يبقى الا البحث عن اية قبيلة تستجمع هذه الشرائط للتوصل الى ادراك علة تلك الحقيقة فعلى رايه ان هذه القبيلة لا يمكن ان تكون الا قبيلة البلاسج الاولين الذين هم الحثيون انفسهم فان هاتين القبيلتين لا يمكن ان تكونا في العصر القديمة الا واحدة . او يرد علينا ان نسلم بامر مستحيل وهو ان قبيلتين قديرتين اقامتا في بلاد واحدة في حين واحد حاكمتين في هذه البلاد نفسها وكل منهما ليست الاخرى وقال انه بين في فصوله العديدة ان الاثار القديمة الكائنة في محال عديدة من اسيا الصغرى ليست الا حثية والحال ان اكثر هذه الاعمال هي بلاد البلاسج الامياويين باجماع رأي القدماء فاذا البلاسج والحثيون قبيلة واحدة واضاف دي كارا الى ما مر براهين اخرى اثباتاً لقرضه منها ان صناعة استخراج مواد المعادن والعمل بها واحدة عند البلاسج والحثيين . ومنها ان لتشييد المدن والحصون طريقة واحدة عند الفريقين فان اطلال بوغاز كوي وايوق وكاور قلعة سي وازمير المعروف انها من بقايا اثار الحثيين تشبه كل الشبه اطلال المدن والحصون البلاسجية الباقية في بلاد اليونان وايطاليا . ثم ان هذه الابنية في اسيا الصغرى متقدمة العهد وسابقة عصر اليونان فيستلزم انتسابها الى قبيلة توطنت هذه الامصار قبلهم وهذه القبيلة لا يمكن ان تكون الا البلاسج الاولين لان الابنية تعزى اليهم ويلزم ان تكون من صنع الحثيين لان العلامات المميزة

فصوله العديدة من البرهان على ان البلاسج الاولين والحثين قبيلة واحدة

﴿ عدد ٨٨ ﴾

— في خطبة الاب دي كارا في الحثين والبلاسج الاولين —

بعد ان ذكر الاب دي كارا في فصول عديدة هيئات الابنية والاسلحة والآنية الخزفية التي اكتشفت في بلاد اليونان وبعض اعمال ايطاليا وبين قربها ومشابهتها للمصنوعات الحثية التي تُشاهد في سورية واسيا الصغرى تلا خطبة في المجتمع التاسع العام المنعقد في لوندريه في شهر ايلول سنة ١٨٩١ بحضرة جم غفير من العلماء الباحثين في تواريخ المشرق وآثاره اثبت فيها ان تلك الابنية والمصنوعات انما هي من اعمال الحثين وان قبيلة الحثين والبلاسج الاولين واحدة . وقد اثبتت مجلة التمدن الكاثوليكي هذه الخطبة في عددها المؤرخ في ٢٠ شباط سنة ١٨٩٢ وذيلتها بما روته في شأنها جرائد انكلترا المهمة من حيث يظهر ان هذه الخطبة كان لها احسن وقع في ذلك المجتمع الحافل وانه اعتبرها ذات اهمية كبرى وقضى بايلاء مؤلفها علامة الشرف وطلب منها مئات من النسخ ليوزعها على اعضائه . وهالك خلاصة ما انطوت عليه

اورد دي كارا اقوال العلماء في الآنية الخزفية التي توجد في امصار عديدة متباعد بعضها عن بعض وكلها متقاربة الشكل عريقة في القدم وابان تضارب هذه الاقوال حتى لا يمكن تصويب احدها لضعف مستنداتها وايهاها بمستندات اخرى . ثم طفق يث رأيه فقال تراعى في هذا المبحث الحقيقة وعلتها فالحقيقة اننا نرى في اسيا وبلاد اليونان وجزرها وفي وادي النيل وايطاليا آنية خزفية ذات شكل واحد او متقارب ومثله شكل الاسلحة وهذه حقيقة لا يقيم احد عليها من تكبير وقد سلم كل عالم منصف ان الرسوم والنقوش التي تُرى على هذه الآنية لا مثيل لها الا في المصنوعات البابلية القديمة جداً لا في مصنوعات اشور

مكسر حتموس اي الحثي بابدال الحاء بالقاف كما جاءت امثال لذلك في ترجمة اليونان الاعلام الى لغتهم وبابدال الدال بالطاء للمقاربة بينهما

فان حق لنا ان نقول شيئاً بين هؤلاء العلماء الاعلام قلنا اننا لا نرى براهين الاب دي كارا كافية للعدول عن رأي جمهور العلماء القدماء وبعض علماء هذا العصر ايضاً وتقليدهم ان قدموس كان فينيقياً وارتحل الى بلاد اليونان في زمان غزوة يشوع بن نون لفلسطين وان الحروف التي ادخلها في بلاد اليونان هي الحروف الفينيقية لا الحثية وقد روى دي كارا نفسه انها تسمى فينيقية وقدموسية وارامية والمعلوم ان صور الحروف اليونانية القديمة واسماؤها اشبه واقرب الى صور الحروف الفينيقية واسماؤها من الخطوط الحثية ولو كانت الخطوط الحثية اصلاً للحروف اليونانية ليسرت قراءتها ولم يعتص حتى الان حل رموزها ولا يخفى التعسف في قوله ان قدموس مكسر حتموس ومهما يكن من هذا الامر فذلك احداس يعرضها الاب دي كارا على اهل العلم في هذا العصر مصرحاً انه لا يقطع بصحتها على ان ما اورده من الحجج ليثبت به ان البلاسيج الاولين والحثيين قبيلة واحدة اصلاً لا يبعد ان يكون صحيحاً واشبه بالصواب . وقد اشار الاب فيكورو الى شيء من ذلك حيث قال (في كتابه المسائل المثورة صفحة ٤٣١) « ان حاصلات الحثيين وتصوراتهم تطرقت مرحلة مرحلة الى بلاد اليونان فقد اخذ اليونان اشياء كثيرة عن الفينيقيين لكنهم لم يأخذوا عنهم كل شيء فالمصنوعات اليونانية الاولى لاسيما ما اكتشف منها في ميثان (في بلاد اليونان) لا يرى فيها اثر لاصل فينيقي بل هي اشبه خاصة بالمصنوعات الحثية في اسيا الصغرى وهذا مغزى الحكاية اليونانية الناطقة بان بيلوب استمد غناه من نهر بكتول الذي يروي سرد وليديا . (في اسيا الصغرى حيث ولاية ازمير الان) وقد جمع الاب دي كارا في خطبته الآتي ذكرها خلاصة كلما تضمنته

بلاد الحثيين وان سرغون انتصر عليهم فاجتازوا حينئذ الى جزائر بحر الروم
وببلاد اليونان والصحيح عنده ان سرغون الاول كان في القرن الثاني والعشرين
او الحادي والعشرين قبل الميلاد

﴿ عد ٨٧ ﴾

م رأي الاب دي كارا في قدموس وزمان ارتحاله الى بلاد اليونان م
خطأ دي كارا لانزمان في قوله (في كتابه في التقليدات الاولى) ان
قدموس اول المرتحلين من فينيقي الى بلاد اليونان كان ارتحاله في اواخر القرن
الرابع عشر او في النصف الاول من القرن الثالث عشر قبل الميلاد قائلاً ان
لانزمان لم يفرق بين ارتحالين سبق الاول منهما الثاني في مدة ثمانية قرون او
تسعة وان قدموس لم يشخص الى بلاد اليونان بمهاجرين فينيين بل حثيين ولم
تكن مهاجرتهم في القرن الرابع عشر بل في نحو القرن الحادي والعشرين قبل
الميلاد وان العالم برؤ (في كتابه في تاريخ الصناعة في القدم المار ذكره) تابع
لانزمان في رأيه فتسكع في غلطه وان مصدر هذا الغلط اغفال بعض العلماء
ان يراعوا ان اسم فينيقي متأخر عهداً وان بعض الرجال والاحداث التي تنسب
الى فينيقي في اقدم الايام لم تكن في فينيقي بل في البلاد المتاخمة لها اي في
سورية وان اسم سورية يشمل فينيقي ايضاً وان ادخال الحروف المهاجرة في
بلاد اليونان الذي ينسبه الجمهور الى قدموس حتى تسمى تلك الحروف فينيقية
وقدموسية وارامية ايضاً لا يخالف رأيه لان قدموس يمكن ان يكون فينيقياً
وسورياً وان سورية كانت في ايام تلك الارتحالات الاولى موطن الحثيين
وسائر القبائل المتحدة معهم ويستحصل من ذلك ان قدموس الذي يدعى فينيقياً
هو حثي وان المستعمرة التي جعلها في بواتسيا في بلاد اليونان وفي جزيرة كريت
وغيرها ان هي الا مستعمرة حثية حتى قال ان اسم قدموس نفسه ليس الا

في سورية واسيا الصغرى كما مر ذكرها. ومما يحتج به لرأيه ان التقاليدات الدينية عند البلاسج الاولين كانت مخالفة لتقليدات الياقيين وان لغتهم كانت حامية لا ياقية وقد استأنف دي كارا اقامة البراهين لتأييد قوله في فصل اخر اثبتته مجلة التمدن الكاثوليكي في عددها المؤرخ في ١٩ تموز سنة ١٨٩٠ وخلاصة ما قال فيه ان من التقليد العام المعتقد عليه اجماع المؤرخين ان السكان الاولين في قبرس ورودس وكريت وساموس وسائر جزائر بحر الروم وفي بلاد اليونان وبعض ايطاليا هم البلاسج الاولون والحال ان البلاسج الاولين هم حثيون فاذاً السكان الاولون في هذه البلاد والجزائر هم حثيون فكبرى هذا القياس ليس من يشدد عليها كثيراً لثبوتها بالتقليد المجمع عليه ولا مخالف وبأثار عديدة في هذه البلاد يرى عليها اسم البلاسج ورموز معتقدهم واما صفراء فيثتها ان البلاد التي سكنها الحثيون والبلاسج اولاً هي واحدة اي سورية الشمالية واسيا الصغرى والصناعة عند الفريقين واحدة كما شهدت اثارهم والعوائد والمعتقدات المذهبية واحدة الى غير ذلك من الادلة التي تراها مبسوطة في خطبة الاب دي كارا الآتي ذكرها

واما في تعيين وقت ارتحال البلاسج الاولين من اسيا الى الجزائر وبلاد اليونان فتقدر دي كارا ان الارتحالات ابتدئ بها في قرب الزمان الذي شخص ابراهيم فيه من بلاد ما بين النهرين الى فلسطين وربما كان في الوقت الذي كانت فيه غارة الملوك الرعاة على مصر اي في القرن العشرين او الحادي والعشرين قبل الميلاد ومن مستنداته اثار قديمة تعزى الى سرغون الاول ذكر فيها تواريخ حروبه في سبعين صحيفة وقد استنسخها اشور بانيبال لمكتبة نينوى فقي احداها يقول سرغون انه غزا بلاد مغرب الشمس وبحر المغرب ثلث غزوات بلغ في الثالثة الى بحر المغرب ونصب ثمة تماثله فيحسب دي كارا بلاد مغرب الشمس

وليس من هولاء يونان الا مهاجري اتينا ولا يمكن ان يكون هولاء السواد
الاعظم

﴿ عد ٨٦ ﴾

— رأي الاب دي كارا ان سكان جزائر بحر الروم رودس وكرت
وساموس وغيرها وبلاد اليونان وبعض ايطاليا الى توسكانا

هم خيون اصلاً

نه دي كارا في اخر الفصل الآنف الذكر الى التمييز بين خيم وهم الخيون
وبين كسيم وهم عشيرة ياقية من ذرية كسيم بن ياوان بن يافت بن نوح مبتأ
انه على هذا التمييز يتعلق حل المسألة أي الفريقين سبق الاخر في الارتحال
من اسيا الصغرى الى بلاد اليونان وجزرها والى ايطاليا ايضاً وان مصدر
الاشكال في معرفة اصل اليونان والايطاليين انما هو عدم التفرقة بين اسماء
القبائل القديمة ثم الانضمام على مراعاة الوقت الذي كانت الارتحالات فيه وان
من هذا الباب لزوم التمييز بين البلاسج الاولين اقدم سكان بلاد اليونان وبعض
ايطاليا وبين البلاسج المتأخرين وهم اقوام من قبائل ياقية ات بعد ذلك من
اسيا ايضاً فحلت في بلاد اليونان وايطاليا وانتصرت على البلاسج الاولين
وقاسمتهم السكنى في اوطانهم ويأخذ في تأييد قوله ان السكان الاولين في بلاد
اليونان وجزر بحر الروم وايطاليا الجنوبية الذين يسمون البلاسج الاولين انما هم
خيون ارتحلوا من اسيا الصغرى ومن شمالي سورية فحلوا في قبرس ورودس
وكرت وساموس وغيرها من الجزائر وفي بلاد اليونان وجنوبي ايطاليا الى
وسطها وفي قسم من توسكانا فهم من ولد حث بن كنعان بن حام لا من ولد
ياوان بن يافت مستدلاً على ذلك بان اثار الصناعة واسلوب تشييد المدائن
والحصون القديمة التي ترى في بلاد اليونان وايطاليا هي اشبه باثار الخيين التي ترى

منها وان الحروف التي كانوا يكتبون بها لم تكن يونانية بل ربما كانت حروف
الحثيين فيلزم من ذلك ان القبرسيين الاولين لم تكن لهم حروف كتابة خاصة
بهم بل تعين عليهم ان يستعملوا خطوط امة اخرى ربما كانت الحثية وعليه فلا
يخلو الامر باحد وجهين اما ان تلك الخطوط كانت في الجزيرة عند ما اخذ
القبرسيون يستعملونها اما انهم اتوا بها من الخارج عندما غشوا الجزيرة فان
كانت في الجزيرة فيلزم منه ان الحثيين اتوا قبرس قبل القبرسيين الذين ذكرهم
لان زمان لان الخطوط حروف الحثيين . وان كانوا اتوا بها من الخارج فيلزم ان
يكونوا اخذوها من اركاديا لان المكتوب بها اركادي بحسب زعم لان زمان
والحال ان لان زمان نفسه ايضا لا يسلم بحروف هجاء في بلاد اليونان قبل حروف
الفينيقين وسوف نقيم الادلة على ان الاركاديويين ايضا كانوا حثيين وكان بين
سكان قبرس فريق يتكلم باللغة الاركادية فاذا الخطوط التي كان القبرسيون
يستعملونها كانت حثية اصلاً في كل افتراض وسكان قبرس الاولون كانوا حثيين
لا من ولد كسيم بن ياوان اي يونان . ثم ينثني دي كارا باقامة البرهان على غرضه
قائلاً كان للجزيرة في اقدم الايام اسمان كشيما او حثيما وحماتوسيا والاسمان
مشعران بنسبتها الى الحثيين اما الاول فامر به بين واما الثاني فيؤذن ان هذا الاسم
اخذ عن حماء اخص مدن بني حث . الى ان يقول ان صح زعم من يقولون
ان القبرسيين يونانيون اصلاً فلا يلزم منه ان اليونان تقدموا الحثيين بتوطنهم
جزيرة قبرس بل غشوها بعدهم ولذا سلم بمقال هالافي في تسمية قبرس يمنا
او امنا مكسر يونا او يون ولكن انكر عليه ان هذا من اول اسماء الجزيرة
وحسب هذا الاسم متأخر الوضع وانكر ايضا ان السواد الاعظم من القبرسيين
يوناني اصلاً بدليل ان هيرودت ذكر (في ك ٧ راس ٨٩) الشعوب الذين
توطنوا قبرس فقال انهم « اثينيون واركاديون وشيتينيون وفينيقيون واحباش »

على اوطانهم وعشائرههم ولغاتهم . فالكتاب ذكر كتيتم كما ذكر اليشه وترشيش ودودانيم وسائر بني سام وحام فكما لا تدل اسماءهم على بلاد كل منهم كذلك لا يدل اسم كتيتم على بلاده . وما من جاهل بتضارب اقوال العلماء ومفسري الكتاب في تعيين البلاد والشعوب المقصودة بالاسماء التي ذكرها موسى في انسابه . فجزيرة قبرس اذا ليست معنية بنفسها باسم كتيتم بن ياون الذي ذكره الكتاب بل لا مناص من اقامة غير هذا الذكر دليلاً على ان كتيتم يراد به سكان قبرس الاولون

وقد ردّ دي كارا برهان لانرمان بالتقليد القديم فقال ما هذا التقليد الا مقصور على شهادة يوسفوس لان سائر من ذكرهم اخذوه عنه واعتمدوا فيه قوله بل ان القديس ايرونيμος لم ينسب القول بان المراد بكتيم وقبرس واحد الى التقليد بل عزاه الى تفسير بعض المفسرين وعليه فيوسفوس هو الشاهد الفردي لهذا التقليد القديم وهو من ذلك يجهل حقيقة اذ خلط بين الحثيين وكثيم وهذه عبارة يوسفوس (نزيدها نحن على ما في المجلة مأخوذة عن ك ١ فصل ٦ في تاريخ اليهود) ، كتيتم (بن ياون) الذي اقام في الجزيرة المسماة الان قبرس وسماها باسمه ولذا يسمي العبرانيون كل الجزر والسواحل البحرية كتيتم وحتى الان تسمى احدى مدن قبرس كيتيوم سماها كذلك من يضعون لكل شيء اسماً يونانياً وهذا يختلف قليلاً عن اسم كتيتم ، وقال دي كارا ان اسم كتيما او حتما التي سميت الجزيرة به منذ القدم هو من حثيم لا من كشيتم بمقتضى رواية يوسفوس . واما على برهان لانرمان المأخوذ عن حروف الهجاء التي وجدت في قبرس وعن ان المكتوب فيها فرع من اللغة اليونانية يقرب من لغة اركاديا وان تلك الحروف لم تكن يونانية بل ربما كانت خطوط الحثيين فيجب دي كارا ان صح قول لانرمان ان لغة القبرسيين كانت اركادية او فرعاً يقرب

ولاحظ هذا العالم في كلامه على الآثار الاشورية التي جاء فيها ذكر جزيرة قبرس ان هذه الجزيرة دُعيت فيها باسمين (بلاد يمتا او امنا وبلاد يمتانا) اما الاسم الاول فان لفظ يونانا او اونا ظهر قربه من ياوان الذي يسمي به العبرانيون احد ابناء يافت ويسميه اليونان ياون او يون ويطلقون هذا الاسم على البحر المتوسط . وكتيم في الترجمة العبرانية يراد به ابن ياوان وتسمى به جزيرة قبرس وهذا لا يشذ عن التاريخ بشيء اذ لامرية بان السواد الاعظم من قدماء القبرسيين يوناني اصلاً . واما يمتانا الاسم الثاني فلم يرد الا في اثار الاشوريين وخاصة في أثر لسرغون اكتشف في اخربة شيشيوم او كيتيون في قبرس فهذا مقال هذين العالمين الحديثين وهو مطابق لقول جمهور العلماء القدماء

﴿ عد ٨٥ ﴾

— رأي الاب دي كارا في اصل سكان قبرس الاولين —
افاض الاب دي كارا في فصله المثبت في مجلة التمدن الكاثوليكي (في عددها المؤرخ في ١٧ ايار سنة ١٨٩٠) في الكلام في هذا الشأن فروى قولتي العالمين المذكورين كما رويناها وبالغ في ردها وفي اثبات قوله الآتي بيانه . فانكر ان الكتاب يعني قبرس باسم كتيم بن ياوان لان كلمات الاية الرابعة من الفصل العاشر في سفر التكوين هي « وبنو ياوان اليشة وترشيش وكتيم ودودانيم » ولا شيء فيها يعني او يعين قبرس . وموسى عقب كلامه في كل من انساب بني نوح الثلاثة باية مترادفة فقال في بني يافت (عد ٥) « من هولاء تفرق اهل جزائر الامم في بلدانهم كل بحسب لغته وعشائره باممهم » وقال في بني حام (عد ٢٠) « هولاء بنو حام بعشائرتهم ولغاتهم في بلدانهم باممهم » وفي بني سام (عد ٣١) « هولاء بنو سام بعشائرتهم ولغاتهم في بلدانهم باممهم » فهذا الكلام لا برهان فيه على مواطن ابناء نوح بل لا بد من تميم مصادر اخرى للاستدلال

ان الانساب التي ذكرها موسى في الكتاب ايدتها الان اكتشافات العلم الحديثة لاسيما الخطوط القديمة التي وجدت في قبرس وامكن حل رموزها في هذه السنين الاخيرة فالاحرف الهجائية التي كتبت هذه الخطوط بها استعمالها القبرسيون من اقدم الايام وقبل ان تبلغ احرف الهجاء الفينيقية الى اليونان ولا يعلم اصلها ولعلها أخذت عن الحثيين الشماليين وقد كتب بها فرع من اللغة اليونانية القديمة يقرب من لغة اركاديا التي كانت اللغة الطائفية في الجزيرة وكلاهما مرَّ يثبت ان شعب قبرس كان يونانياً ولغتهم يونانية منذ الاعصر العريقة في القدم وان كتيـم هو ابن ياوان لا غيره

ثم ان العالم هالافي ذهب في المباحث الكتابية التي نشرها في المجلة المعروفة بالمجلة اليهودية الى ان المراد باسم كتيـم ابن ياوان وقبرس واحد فانه قال : واما نظراً الى ياوان فيمكننا ان نسلم بان كتيـم ودودانيـم يراد بهما قبرس ورودس ونعتقد ذلك امرًا مؤكدًا ، وقال بعد ذلك : ان اسم كتيـم في التكوين يراد به جزيرة قبرس لا غير ، وفي محلٍ اخر : ان جزيرة قبرس كتيـم الكتاب وهو ابن ياوان ، وقال في مقالة نشرت بين مقالات مجتمع (اكادمي) الخطوط القديمة سنة ١٨٨١ متكلمًا في اسم الحثيين ما ملخصه ان هذا الاسم يراد به سورية باسرها يعني كل البلاد الواقعة في عبر الفرات الغربي ممتدة من جبل امانوس (الاسكـام) الى تخوم مصر اي سورية وفينيقي وفلسطين واسم الحثيين في اثار تجلث فلاصر الاول (في اواخر القرن الثاني عشر قبل الميلاد) يشمل سورية التي بين الفرات والعاصي واما فينيقي فتسمى هناك عارو اي المغرب والمصريون كانوا في الدولة الثامنة عشرة بعنوان بالحثيين شعوب سورية الشمالية واسم حثيين في الكتاب المقدس يراد به سكان سورية الشمالية ويُطلق ايضًا على بعض سكانها الجنوبيين اذا لا ريب في القربي بين الحثيين سكان فلسطين والحثيين الشماليين فالفصيلتان من ولد حث بن كنعان

إيطاليا وجزائر بحر الروم انما هو عبارة عن ان جاليات من هولاء الحثيين اجتازت من اسيا الصغرى فبنت ثم المدن المذكورة واستقرى الالب دي كارا غرضه هذا مقيماً الحجاج عليه لا من المشابهة فقط في البناءات والتحسينات بل من ان المعبودات ونوع العبادة والاسلحة وصناعة الآتية وغيرها كل هذه واحدة عند الحثيين والسكان القدماء في البلاد المذكورة وسيريك كلامنا الآتي بيان ذلك مفصلاً

﴿ عد ٨٤ ﴾

﴿ في اقوال العلماء في سكان بلاد اليونان وجزائر بحر الروم القدماء ﴾
 ذهب عامة العلماء القدماء وكثير من علماء هذا العصر ايضاً الى ان سكان بلاد اليونان وجزائر بحر الروم انما هم من نسل ياوان الرابع من ابنا يافت بن نوح وخاصة من ذرية كتيمة احد ابنائه فقد جاء في سفر التكوين (فصل ١٠)
 • بنو يافت جومر وماجوج وماداي وياوان ٠٠٠ وبنو ياوان آليشه وترشيش وكتيم ودودانيم من هولاء تفرق اهل جزائر الامم في بلدانهم كل بحسب لغته وعشائره بامهم • وقال فرنيشيس لانزمان (في كتابه اصل النوارنج تبعاً للتوراة مجلد ٢ قسم ١ من طبعة باريس سنة ١٨٨٢) • وكل يرى بناءً على البنات التي عثينا بجمعها ان لاسم كتيمة في اسفار العهد القديم معنى واحداً متفقاً عليه اعني جزيرة قبرس وبهذا المعنى يلزم فهم هذه الكلمة في الفصل العاشر من سفر التكوين وقد انبأنا التقليد القديم ان كتيمة بن ياوان يُعبر به عن سكان جزيرة قبرس وهذا التقليد حفظه لنا يوسفوس (في تاريخ اليهود لك ١ فصل ٦) والقديس ايرونيوس (في المباحث العبرانية في التكوين فصل ١٠) والقديس ايفانيوس (في كتابه ضد البدع) وتاودوريطوس (في تفسير نبوة ارميا) وزوناراس (في ك • من تاريخه) وزاد لانزمان على ذلك

من يتجشم معارضة صناعة الحثين بصناعة اليونان ويبين ما بينهما من المشابهة او الفرق فلعل هذه المعارضة تكشف عن مشابهات كثيرة ومهمة بين الحصون الكبادوكية واقدم الاسوار والحصون في بلاد اليونان خاصة في مدينة تيرينت (Tiryntes) في القرب من خليج ارغوس وينسب بناؤها الى تيرنس بن ارغوس (Mycenae وهي ايضا في عمل ارغوس) وينجلي التقليد الذي يحمل مشيدي هذه المدن ابطالا اتوها من اسيا ولعل التقيب والتروي بهذه الاثار يأتينا باثبات لشهادة الاقاصيص القديمة التي قلما حفل بها المؤرخون ولا اعاروها جانب التصديق فالاب دي كارا يصرح في انفصل المذكور ان جل عنايته مصروف في ما تمناه برؤ من المعارضة بين الاثار الحثية واليونانية وان المشابهة بين اثار القريقتين تامة وليست مقصورة على اثار المدن التي ذكرها في بلاد اليونان بل تمتد الى اثار في ايطالية خاصة في جنوبيها وفي جزر البحر المتوسط . وان الاقاصيص القديمة يتبين منها ان الابطال الذين اتوا من اسيا لم يشيدوا المدن التي ذكرها برؤ في عمل ارغوس فقط بل بنوا كثيراً غيرها ايضا في اركاديا والمورة والابيروتساليا وايليريا وفي جزر البحر المتوسط وايطاليا وانه اذا كان المؤرخون لم يحفلوا بتلك الاقاصيص فلم يكن ذلك الالجل العلماء قبل الخمسين سنة الاخيرة بحالة الممالك القديمة واثار الشعوب الشرقية خاصة في بلاد الكلدان واشور وسورية الشمالية ومصر فان الخطوط المهيروكليفية والمسمارية التي فتحت لنا كنوز المعارف كانت علامات بكما لا تنطق بشيء ولا يُستدل بها على شيء فاصبحت الان لسناء فصيحة تنبئنا بحقائق مهمة . واقاصيص الالهة وان داخلها خرافات ومبالغات فغالبا مسند الى اصل تاريخي شوهته الخرافات ولم يكن يُهتدى الى اصلها للجل بحقيقة تواريخ الشعوب فما جاء فيها عن الابطال الذين اتوا من اسيا فشيّدوا المدن في بلاد اليونان وجنوب



تمثال اسد وجد في مرعش من اثار الحثيين وهو الان في متحف الاستانة وما
 كتب عليه هو بالحروف الحثية صفحة ٢١٤

فتعين بهذه العلامات انهما من صنع الحثيين ولعلهما صورتا ملك وابنه افتتحا هذا العمل

وقد ذكرت المجلة المذكورة في عددها المؤرخ في ١٨ تموز سنة ١٨٩١ اثاراً وجدت في مرعش منها تمثال اسد هو الان في متحف الاستانة العلية نقله اليها حمدي بك الشهير وهو من صخر اسود صلد طوله نحو متر وعلى صدره وبطنه وذراعيه خطوط حثية (وترى صورته عد ٧) ووجد ايضاً في مرعش تماثيل واثار اخرى عديدة ضربنا عن ذكرها خشية الملل هذا فضلاً عما وجد في اسيا الصغرى وسورية الشمالية من الاختام المحفور عليها خطوط حثية حتى ألف منها مجموعات عديدة من مجلتها المجموع الكائن الان في متحف اللوفر في بريس فكلما مرر وما ضربنا عن ذكره حباً بالايجاز لا يدع محلاً للريب في ان الحثيين ارتحلوا منذ اقدم الايام من شمالي سورية وانتشروا في اعمال اسيا الصغرى وتولوا امرها

الفصل السابع

(في جاليات الحثيين الى بلاد اليونان وايطاليا وقبرس)

﴿ عد ٨٣ ﴾

— مذهب الاب قيصر دي كارا في اصل السكان القدماء —
في هذه البلاد

روى الاب دي كارا في فصله المثبت في عدد المجلة التمدن الكاثوليكي المؤرخ في ١٧ ك ٢ سنة ١٨٩١ ان العالم برؤ الآنف الذكر بعد ابداء اندهاشه من صناعة الحثيين وحذقهم في تحصين مدنها ومناعة اسوارهم تمنى ان يتجدد

محتضناً ملك الحثيين . فاي العجب ان تكون صورة الكبادوك كذلك

﴿ عدد ٨٢ ﴾

﴿ في اثار اخرى للحثيين في اسيا الصغرى ﴾

روت المجلة العلمية التمدن الكاثوليكي في عددها المؤرخ في ٢٠ حزيران سنة ١٨٩١ انه يوجد في قرية حقيرة تسمى ايوك او ايوق تبعد مسافة خمس ساعات عن بوغاز كوي نحو الشمال الشرقي اطلال بناء قديم وجد فيها صور عديدة ناتئة تمثل آلهة وآلهات وكهنة ونساءهم ورجالاً ونساءً ومسوخاً واسوداً وثيراناً معدة للتضحية بها ونسراً ذا رأسين وغيرها ولا مرية انها حثية لمطابقتها باقي اثارهم من حيث الهيئة والملابس والصناعة والصور الرمزية ويظهر انها اقدم قليلاً من اثار بوغاز كوي ويازيل كايا . ومن رأي برؤ ان تلك رسوم قصر ملك او امير ومُسندة ان النقوش في هذه الاطلال اشبه بالنقوش التي على ابواب قصور الملوك الاشوريين لكن بناء ايوك كان نحو القرن الخامس عشر قبل الميلاد وقصور الاشوريين شيدت في القرن الثامن قبله فالاولى ان تكون هذه القصور على مثال ابنية الحثيين كما قدمنا والاوجه ان اطلال ايوك كانت معبداً للحثيين بدليل وجود صور الالهة والآلهات والمذبح واشخاص في حالة السجود والتعبد وثيران وغيرها مما تستلزمه الضحايا وقد وجد برؤ اطلال حصن في الجنوب الغربي من انكوراء على مسافة تسع ساعات ويسمى هذا الحصن بلدة اهل البلاد كاور قلعة سي (اي قلعة الكافر) ويظهر ان هذا الحصن كان فسيحاً منيعاً وقد نُقش على صخر في قرب مدخله صورتان ارتقاع كل منهما ثلاثة امتار وهيئة ملبسهما واحدة وعلى رأسيهما التاج المخروطي واحداهما ذات لحية والثانية لا لحية لها وملبسها الثوب القصير المتصل الى الركبة وهو مشدود على الوسط وفي النطاق سيف قصير والرجل مشدود عليها بالحذاء المعطف

المدينة خرج المحاصرون من ورائهم وجعلوهم في الوسط

ثم ذكرت المجلة المذكورة في عديها المؤرخين في ٢١ شباط وفي ١٨ نيسان سنة ١٨٩١ اطلاقاً اخرى في القرب من بوغاز كوي على بعد كيلومتر منها نحو الشرق في محل يسمونه هناك يازيلي كايا (اي الصخرة المكتوب عليها) فترى هناك عرصة تحيطها صخور من جهة وبناء من اخرى طولها نحو خمسة وعشرين متراً وعرضها نحو احد عشر متراً وعلى جدرانها سبع وستون صورة ناتئة عجيبة الصناعة وفيها كل السمات الدالة على كونها من صنع الحثيين ولا مرا بذلك لان على بعضها خطوطاً حشية على ان غير الايام غيرت تلك الصور حتى تعسر الان التمييز بين ما كان منها رجلاً وما كان منها امرأة فرأى برؤ ان اكثرها صور رجال ورمساي ان اكثرها صور اناث واتفقا في ان المشهد يمثل حفلة دينية واثبت رمساي انه كان للنساء في اسيا الصغرى المقام الاول في امر الدين كأنه بسبب عبادة الالهة الام كما مر وقدّر مكاتب المجلة ان نقش هذه الصور لم يكن قبل القرن الخامس عشر ولا بعد الرابع عشر قبل الميلاد وفصل هيئات اكثر تلك الصور ومن جملتها صورة الاله الام وهو عستروت ومن ورائها صورة ابنها او عروسها وهو انيس او تموز يستوي كل منهما على ظهر فهد او اسد واجمل هذه الزخارف صورة على رأسها التاج المخروطي المطرز وفي رجلها الحذاء المتعكف الطرف ويدها اليمنى ممتدة الى صورة طفل او رجل ويسراها تحتضن صورة رجل آخر مارة على عنقه وقابضة على معصم يده ومن رأي مكاتب المجلة ان هذه التماثيل يشار بها الى تملك الحثيين بلاد الكبادوك آتين من سورية الشمالية بمون الهتهم المنقوشة صورها في هذا المحل وعليه فالصورة المذكورة آنفاً تشير الى ستخ يحتضن ملك الحثيين وخاصة لانه كتب في صورة المعاهدة مع ملك مصر ما نصه وما في وسط الصفحة النفضية هو صورة ستخ

من اميا الصغرى نفى هذه الفصول نلخص ما نزويه في هذه الاثار
فهذه المجلة ذكرت في عددها المؤرخ في ١٧ كانون الثاني سنة ١٨٩١ اطلال
بوغاز كوي من عمل الكبادوك حيث الان ولاية سيواس وقرمان فقالت ان
هذه القرية الحقيرة الان دلتنا اثارها انها كانت مدينة كبيرة لا ينقص مدار
اسوارها عن خمسة او ستة كيلومترات وقد بقيت منها اطلال حشة مدهشة اخذ
رسومها العالم برؤ واطال الكلام فيها في كتاب نشره سنة ١٨٦٢ موسوماً
« بالكشف عن الانار القديمة في غلاطية وبيتينيا » (١) ثم في كتاب اخر نشره
سنة ١٨٨٧ سماه « تاريخ الصناعة في القدم » (٢) ومن هذه الاطلال ما
حسبه بعضهم هيكلًا والاظهر انه قصر ملكي طوله ٥٧ متراً وعرضه ٤٢ متراً
وبعض احجاره لا ينقص عن خمسة او ستة امتار طولاً ومترين عرضاً وهناك
اطلال ردهة لا ينقص طولها عن خمسة وعشرين متراً وعرضها عن واحد
وعشرين متراً وعرش قائم على اسدين من صخر وللردهة اربعة ابواب امام
كل منها رواق فسيح وفي جانبيها مخادع للخفر وفي داخل القصر غرف لسكنى
الملك وآله وحمامات وكل ذلك على غاية من الاتقان والزخرف واسوار المدينة
غاية في المناعة والمتانة وقد بني هناك على صخرين حصنان يسميهما السكان الان
ساري قلعة (اي القلعة الصفراء) وينجي قلعة (اي القلعة الجديدة) وفي كلا
المحصنين اباراً للما منقورة في الصخر وثخانة السور المتوسطة اربعة امتار ونصف
واحجاره الخارجة ضخمة والداخلة اصغر منها والحشو بينهما حصى صغيرة .
وعلى مدار الاسوار من الخارج خليج فسيح يمنع الدنو منها وتحتها سراديب
وسبعة ذات مخارج خفية حتى اذا رأى الاعداء الابواب موصدة وهاجوا

(١) Perrot Exploration Archéologique de la Galatie et de Bithynie

(٢) Histoire de l'Art dans l'Antiquité

العلماء في بريس وبرلين مغترين بالاحرف المهيروكليفية المنقوشة في جانب التمثال الى ان وجد العالم روزليني فرقاً بين الخطوط المصرية والخطوط المنقوشة على التمثال لكنه قال ان الكاتب لا يعرف الكتابة المصرية واراد ان يقلدها فقاتته امور كثيرة وبقي امر هذه الصورة بين الشك واليقين الى ان كشف عن الاثار الحية فتمحقق الان ان تلك الصورة لا تمثل رعمسيس الثاني بل ملكاً حثياً كان يلي تلك البلاد

وجاء في المجلة العلمية المعروفة بالتمدن الكاثوليكي في عددها المؤرخ في غرة تشرين الثاني سنة ١٨٩٠ انه عدا هذه الصورة قد كشف العالم هومان هناك سنة ١٨٧٦ عن صورة ملك آخر اصغر من الاولى لكنها تطابقها هيئة وقد انقطع الصخر المنقوشة عليه من الجبل ووجد سائس بعد ذلك في جانب هذه الصورة قطعاً كتبت عليها خطوط تطابق خطوط الحثيين التي وجدت في سورية وسمات هذه الصورة الثوب القصير والحذاء المتعطف الطرف والتوس والسيف والتصوير الناقى لا المحفور فتعين انها حثية

﴿ عد ٨١ ﴾

— آثار الحثيين في بوغاز كوي ويازيل كايا —

ان المجلة العلمية التمدن الكاثوليكي المار ذكرها شرعت منذ اوائل سنة ١٨٩٠ تنشر فصولاً متتالية موضوعها الحثيون وارتجالاتهم ومؤلف تلك الفصول هو الاب قيصر دي كارا اليسوعي صاحب الكتاب في الملوك الرعاة في مصر وقد اطال واجاد بذكر كثير من اثار الحثيين في اعمال اسيا الصغرى متعمداً غرضين احدهما ان يثبت توطنهم وولايتهم في هذا الاقليم منذ اقدم الالعصر والثاني ان يعارض اثارهم هذه بامثالها في بلاد اليونان وبعض ايطاليا وجزر بحر الروم لينتج من ذلك ان سكان هذه البلاد الاولين حثيون اصلاً ارتحلوا اليها

الفصل السادس

(في آثار الحثيين الدالة على توطنهم اسيا الصغرى وولاياتهم فيها)

﴿ عد ٨٠ ﴾

تمثال نمفيو

ان اثار الحثيين التي كُشف عنها في محال عديدة من اسيا الصغرى دلّت على ان مستعمراتهم لم تنبسط جنوباً وغرباً فقط حتى دمشق ولبنان بل امتدت شمالاً ايضاً في اعمال اسيا الصغرى الى مدخل البحر الاسود وقد استفحل امرهم في هذه البلاد على هيئة معاهدة ضمت جميع ولايتهم . واثارهم المؤذنة بذلك كثيرة واول اثر اكتشف هو تمثال ملك حثي في قرية اسمها نمفيو على الطريق المؤدية من ازمير الى سرد (المعروفة الان بسرت وهي سرديس القديمة) في وادٍ يسمى الان قَرَبال . فقد مرّ في ذلك الطريق جَوَّالان انكليزيان سنة ١٨٣٩ فشاهدا صورة على صخر وظهر لهما انها سابقة عهد اليونان وكان حينئذٍ في ازمير العالم تكسيا الافرنسي فذهب مع بعض الافرنسيين فاخذ رسم الصورة وارسله الى بعض اهل العلم في اوربا ولما كان هيرودت قد ذكر هذه الصورة (في كتابه ٢ صفحة ١٠٦) وقال انها صورة رعمسيس الثاني ملك مصر فاجمع رأي مجتمع العلماء (اكاديمي) في بريس وبرلين على ان هذه الصورة ليست الا ما ذكره ابو التاريخ هيرودت لعدم العلم وقتئذٍ بتاريخ الحثيين الى ان اخذ بعض علماء الآثار الريب في صحة مقال هيرودت بناءً على ان الثوب المتقمص به التمثال قصير والحذاء الذي في رجله معطّف الطرف الى غير ذلك من العلامات المخالفة لعوائد المصريين ومع هذا لبث اكثر العلماء يقولون بمقال مجتمعي

ويشاهد احياناً مدوراً ومزدان بعصائب على شبه من القرون . ويرى على رأس
 احد تماثيل الالهة في بونغاز كوي تاج حائطي اي اشبه بحائط او سور . وتشاهد
 ملابس النساء طويلة تشمل الرجلين فصورة امرأة الكاهن الساجدة لازهرة في
 الصورة التي وجدت في كركميش (كما مر) متشحة بثوب طويل يستر جسمها
 الا الذراعين وبعض الصدر محترمة بنطاق من حبل مشدود الى الورا . فهذا
 ولا ريب هو النطاق المقدس الذي اشار اليه ارميا (في رسالته التي رواها باروك
 في فصل ٦ من نبوته عدد ٤٢) بقوله : والنساء يقعدن على الطرق متحزمات
 بالجلال ، وترى مثل هذا المحزم في التماثيل الصغيرة التي وجدت في هيكل أنات
 في بابل وفي هيكل افروديت في قبرس . وكانت ملابس كهنتهم مستطيلة ايضاً
 متسعة الاكمام . واما ملابس رجالهم فقميص تتصل الى الركبة فقط مشدودة على
 الوسط بنطاق يعلق به خنجر وكانت هذه الملابس من الصوف والكتان
 مصبوغين بالوان واعتادوا تزيين اثوابهم بنقوش وطرارز على اطرافها وسلاحهم
 الرمح والقوس يُشد على الظهر والقاس ذو الحدين وهو من مختصاتهم وقد
 صار في ما بعد رمزاً الى الاله زفس وهو المشتري ووجدت لهم آنية واسلحة من
 حجر كانوا يستعملونها في بدء نشأتهم وقد عثر بعضهم على فأسين حجريين في
 ارفاد (تل ارفاد في انحاء حلب) وافسس يختلف شكلهما عن غيرها فكانهما كانا
 مختصين بخدمة الالهة (سائس في كتابه في الحثيين فصل ٨ ملخصاً) هذا ما
 ادتنا اثارهم الى معرفته ولننظر ما تؤدينا اليه من معرفة مستعمراتهم وانبساط
 ولايتهم

الى ان تغلبت على عبادته عبادة الالهة الام التي كانوا يسمونها عشتروت او انتارانا وليست الا سميراميس الهة اسيا الشهيرة . وقد كان الهيكل الذي ترى اطلاله في منبج في انحاء حلب مفرداً لعبادة هذه الالهة الام العظيمة وقد بُني على مثال هيكلها في كركميش بعد انتقاضه . وقد وصفه لوقيانوس على ما كان عليه في القرن الثاني بعد الميلاد فقال انه كان اشبه بهيكل سليمان فكان مؤلفاً من دار خارجة وهيكل داخلي يحوى قدس اقدس ويفصله عن باقي الهيكل حجاب كبير ثمين وعلى جانبيه عامودان مخروطيان (اي يتديان من سطح ويرتفعان مستدقين حتى ينتهما الى نقطة) رمز الى آلهة الخصب وفي الدار الخارجة مذبح كبير من النحاس وعلى شماله صورة آلهة هي سميراميس ومن ورائها حوض ماء فيسبح فيه السمك المقدس وفي داخل الهيكل عرش للشمس وتماثيل آلهة شتى ومن جعلتها تماثيل آلهة اشبه بصورة الالهة التي في بوغاز كوي الاقي ذكرها منتصبه على أسد والاله بعلمها واقف على اظهر ثيران وهو ايضاً اشبه بما تمثله صورة الاله في المحل المذكور وتحت الهيكل الجب المار ذكره (في الكلام على الطوفان) الذي يزعمون انه ابتلع ماء الطوفان وتقلايد الطوفان عند الحثيين مطابق لما في التوراة اخذه اجدادهم من بابل (ملخص عن الفصل السادس من كتاب سائس في الحثيين)

﴿ عد ٧٩ ﴾

— في ملابس الحثيين واسلحتهم —

عدا الحذاء المتعكف الطرف الذي اصبح دليلاً على الحثيين لانه يشاهد في آثارهم كلها كان لهم نوع من القفاز (الكفوف) يدفى الراحة ولا يشمل الاصابع ليطلق لها العمل ولهم نوعان من القبعة احداها تنطبق على الراس كالعراقية والثانية كبيرة بشكل تاج مستطيل اعلاه مخروطي على الغالب

واحدة وان اختلفت اسماً فمشتروت البابلية هي من معبودات الحثيين والكنعانيين ايضاً وابن عشتروت البابلية وعروسها هو تموز او ادونيس عند الفيزقيين ويسميه الاراميون في سورية هداد وهو في اسيا الصغرى اينس راعي النجوم الساطعة وهو بلا شك الاله الشاب المنقوشة صورته على صخر في يازيلي كايا عند بوغاز كوي وراء تماثيل الالهة الام مستوياً نظيرها على ظهر فهد او اسد . وجميع هذه القبائل تبكيه كل سنة لانه قتل يافعا ثم تحنفل بالمسرة لقيامته من الموت . وفي لبنان صورته قتيلاً في قرية الغينة في الفتوح على صخرة وصورة الزهرة معشوقته على صخرة اخرى تبكيه واجمةً وصورته قائماً من الموت على صخرة في محل قبالة الغينة يسمى المشنقة من عمل جبيل وقد وجد هندرسون قنصل انكلترا في حلب (الذي كلّفته ادارة المتحف البريطاني ان ينقب في اطلال كركيش) صفيحة من صخر في حائط صرح اكتشف هناك مصوراً عليها صورة الزهرة السورية تسجد لها امرأة احد الكهنة والالهة عريانة مجنحة بجناحين وهذا اقدم مثال لصورة هذه الالهة التي عمت عبادتها اسيا وبلاد اليونان . فانات او نانا البابلية وايستار الاشورية وعشتروت الكنعانية وفانوس الزهرة القبرسية ليست الا اسماً متعددة لالهة واحدة هي المعبودة والمصورة في كركيش (فيكورو صفحة ٤٠٩ من كتابه المذكور) وعثر بعضهم على قطع نقود في ترسيس تمثل الهما يسمى في لغتهم سنداس او سندن وهو الاله الشمس في كيليكيّا على ما برهن ادوار ميار . وقد تبين من نص العهدة التي عقدت بين رعمسيس الثاني ملك مصر وكيتاسار ملك الحثيين ان اخص معبودات الحثيين كان ستخ او شتخ وعشتروت ويظهر ان الملوك الرعاة (الذين يرجح كونهم حثيين كما ستري) اوصلوا الى مصر عبادة ستخ وسموه سات وكان اعظم الالهة عندهم وكانوا يقيمون له المعابد في المدن فيقولون ستخ تاب وستخ ممف مثلاً والمعبود واحد

اشياء كثيرة عن الفينيقين لكنهم لم يأخذوا عنهم كل شئ فين مصنوعاتهم اشياء كثيرة اشبه بصناعة الحثيين في اسيا الصغرى وليس فيها ما يدل على انها فينيقية هذا ما رواه الاب فيكورو

على ان الاب قيصر دي كارا برهن في القصول التي ينشرها في المجلة العلمية المعروفة بالتمدن الكاثوليكي وخاصة في عددها الصادر في ١٦ نيسان سنة ١٨٩٢ هذه ان صناعة الحثيين خاصة بهم لم يأخذوها عن غيرهم بل اخذ غيرهم عنهم وان دعوى اخذهم الصناعة عن المصريين او البابليين او الاشوريين لم تثبت حتى الان وان قال بها بعض المشاهير واطال البرهان على ذلك ومن اقوى حججه ان اثار الحثيين في بوغاز كوي وغيرها من اسيا الصغرى هي اقدم كثيراً من اثار الملوك الاشوريين بل روى ان تجلت فلاصر الثاني نفسه تفاخر في ما كتبه على بعض اثاره بانه بنى في كالح مدينته صرحاً اشبه بقصور بلاد الحثيين وان سرغون تفاخر بانه شيد ايواناً اشبه بقصرٍ حثي وقال دي كارا ايضاً ان الاثار الحثية في اسيا الصغرى هي اقدم ايضاً من حروب المصريين مع الحثيين فلم يأخذوا صناعة التحصين وغيرها عن المصريين بل ربما اكسبهم اموراً مهمة في صناعتهم على عهد الملوك الرعاة الحثيين اصلاً على مذهب دي كارا وغيره كما سترى . وعلى كلا القولين فاليونان اخذوا اشياء كثيرة في صناعتهم عن الحثيين . وقال سانس (في كتابه في الحثيين فصل ٦) ان مصدر فلاح اليونان هو الحثيون الذين افتتحوا اسيا الصغرى من اقدم الالعصر

﴿ عد ٧٨ ﴾

﴿ في ديانة الحثيين ﴾

اما ديانة الحثيين فيظهر انهم اخذوها عن بابل وبثوها في سورية واسيا الصغرى وتطرقت من ثم الى بلاد اليونان فان معبودات قبائل البلاد المذكورة

فالاعلام المذكورة في الاثار المصرية والاشورية قلَّ فيها ما يمكن رده الى اصل سامي على ان الحثيين الذين توطنوا جنوب فلسطين فلا جرم انهم تركوا لغة اصلهم الحثي وتكلموا بلغة مواطنيهم من الساميين هذا رأي سانس وقد رأيت مخالفة هالاثي له ودعواه ان في لغتهم اسماء كثيرة سامية والاصوب ما رآه فيكورو اي انه لا يلزم التعجيل بالحكم على لغتهم قبل الوقوف الكافي عليها وحل رموزها اما الصنائع فقد اشتهروا منها بالنحت وتشهد لهم بذلك اثارهم الباقية لا سيما اطلال بוגاز كوي وايوق في اسيا الصغرى . وقد اتقنوا هندسة التحصين كما يرى في محاصن بוגاز كوي وخنادقها والحصن المنيع الذي في وسطها وقد مهروا في استخراج المعادن كما يظهر من مناجم بلغارداغ في اسيا الصغرى وتنسب اليهم صناعة تحويل الحديد فولاذًا وقد وُجدت لهم اختام من حجار كريمة بديعة الصناعة تمتاز عن مصنوعات سائر الامم برسم ثلاث دوائر تتخللها رموز وصور مذهشة

قال الاب فيكورو (صفحة ٤٣٠ من كتابه المذكور) شرع عامة العلماء الان يقرّون ان قسماً كبيراً من الصناعة عند اليونان انتحلوه عن الاشوريين منتقلًا اليهم من اسيا الصغرى بواسطة الحثيين فان الصناعتين المصرية والاشورية اجتمعتا في كركيش مدينة الحثيين من اقدم الايام فقد رأينا الحثيين يحاربون المصريين والاشوريين من اقدم الالعصر ورأينا كيتاسار ملك قادس يزور صهره رعسيس اثاني في مصر فالحروب والتجارة ادنت القبائل بعضها من بعض فاخذ كل فريق منها ما راق له من صناعة الاخر . ويظهر ان صناعات الحثيين اتقنوا من صناعة مصر ونيوى وبابل اسلوباً خاصاً بهم واخترعوا اشياء منها النسر ذا الرأسين الذي صار بعد ذلك شعاراً للسلاطين السلجوقيين ولبعض ملوك اوربا وتطرقت صناعة الحثيين مرحلةً مرحلةً الى بلاد اليونان فاخذ هولاء

(٤١٦) ان الحثيين اوجدوها ولم يأخذوها عن غيرهم وتختلف عن الخطوط المصرية وان قُدر ان مشاهدتهم للخطوط الميريوكليمية نبهت افكارهم لاختراع خطوطهم ويحمل على القول بذلك ان في اقدم الكتابات علامات تمثل بعض المتاع المختص بالحثيين دون غيرهم كالحذاء المتكف الطرف والاكيل الحائطي واذا تتبعنا هذه الخطوط وجدنا هيئتها تتحسن بمرور الزمان فالخطوط المنقوشة على الاثار في اسيا الصغرى اشبه بخطوط كركيش لكن الخطوط التي ترى على الاثار في حماء ايسط واقل تلبكاً فهي احدث لان استيلاء الحثيين على حماء كان متأخراً . وقدّر سائس انه لا يبعد ان تكون الابجدية التي بقي استعمالها في جزيرة قبرس الى عهد اسكندر الكبير هي الحروف الحثية لعدم مطابقتها للحروف اليونانية الفينيقية الاصل ولا احتمال ان تكون فرعاً عن الحروف المستعملة في انحاء اسيا الصغرى القريبة من قبرس والتي سنيين ان السواد الاعظم من سكانها القدماء كان من الحثيين ويؤيده ان الآنية التي وجدت في ترويا كتب عليها بتلك الاحرف القبرسية فيظهر من ذلك ان هذه الحروف القبرسية كانت تستعمل في اسيا الصغرى قبل ان تخلفها الحروف الفينيقية . وكان من عادة الحثيين ان يرسموا خطوطهم نائثة لا محفورة فتطرق من الوراء على صفائح معدنية لتتأ الحروف في جهتها الاخرى فكذا كانت عهدتهم مع مصر مكتوبة على صحيفة من فضة وتقرأ هذه الحروف تارة من اليمين الى الشمال وتارة بالعكس فان كانت رؤوس الحيوانات المصورة بها متجهة الى اليمين فتقرأ منها وان الى الشمال فنما ايضاً وتقرأ احياناً من اعلى الى اسفل ومن اسفل الى اعلى

﴿ عد ٧٧ ﴾

— في لغة الحثيين وصناعتهم —

واما اللغة المكتوبة فيها هذه الخطوط فيرجح انها ليست من اللغات السامية

انخذ لهم ورواها كتبة ملاقون لموكلهم فلا اقل من ان سكتوا فيها عن كل ما
يشعر بحطة شأنهم ورفعة شأن اعدائهم فلا تحسب اخبارهم على صدقها منزلة
عن المبالغة والتعظيم ولا يأتينا بصحيح اخبار الحثيين الا اثارهم ولا يحق لنا ان
نأتي بالحكم الفاصل الا بعد التروي بينات الفريقين . وقد أهتدي في هذه
الايام الى اثار عديدة للحثيين كان بعضها يظن مصرى فتحقق الان انه حثي
فدللتنا هذه الآثار على انبساط دولتهم وشدة صولتهم وكثرة مستعمراتهم وتوغل
منازيجهم في اقصى البلاد وما برحنا نحتاج الى الكشف عن رموز خطوطهم
وفتح الله علينا باب كنوزها فلم يهتد العلماء بعد الى مفتاح لما ونعل النفس بأمل
الفوز بذلك عن امد قريب فنغم منها ما غنمناه من الكنوز الهيروكليفية
والمسمارية

قال العالم سائس عن نفسه (في كتابه في الحثيين) انه عثر على مثال
قطعة مستديرة من فضة وجدت في ازмир نقشت عليها صورة بطل وبيميناه
رمح وشماله على صدره ولباسه قيصر تملوه منطقة مطرزة وعلى رأسه قبعة
منطبقة على اعلاه وفي رجله حذاء يشمل الساق (جزمة) معكف الطرف وفي
نطاقه خنجر وعلى دائرة القطعة احرف مسمارية سهلت عليه قرائتها وحول
الصورة خطوط حثية يسر له ان يقرأ فيها « تركوديمة ملك بلاد إرمه » وقد كان
ملك في كيليكيّا لهذا الاسم وتكثر التسمية به في سكان اسيا الصغرى واما بلاده
فيترجح انها اريما في بلغارداغ في اسيا الصغرى فاذا وجدت اثار اخرى حثية
وقد كتب عليها بلغة اخرى مع لغتهم تيسرت قراءة لغتهم وتوسل بها لادراك
معانيها كما حصل في حل رموز الخطوط الهيروكليفية والمسمارية

ان الخطوط الحثية تختلف عن الخطوط الهيروكليفية المصرية وقد رأى
سائس (في كتابه المذكور) والاب فيكورو (في كتابه المسائل المثورة صفحة

ومشرفها يتقاطر التجار اليها من كل افق وانبأنا الآثار المسماة ان « منه كركميش » اي وزنتها كانت معياراً لموازين اسيا كلها وما برح موقعها مفتاحاً لكل ما ورا القرات غرباً فجعلها ذلك مطمحاً لعيون الملوك اليها . فقد جاء في سفر اخبار الايام اثماني (فصل ٣٥ عد ٢٠) « ان نكو ملك مصر صعد لقتال كركميش عند القرات » كما مر . وجاء في نبوة ارميا (فصل ٤٦ عد ١) « كلمة الرب التي كانت الى ارميا النبي على الامم على مصر على جيش فرعون نكو ملك مصر الذي كان عند القرات في كركميش الذي ضربه نبوكدنصر ملك بابل » ولم تنهقر الا عند سقوط نينوى في القرن السابع قبل الميلاد على انه بقي لها شيء من الاهمية في مدة ولاية اليونان وسموها هيرابولس اي المدينة المقدسة كما رأيت

الفصل الخامس

(في تاريخ الحثيين مأخوذاً عن آثارهم)

﴿ عد ٧٦ ﴾

— في آثار الحثيين وخطوطهم وتفسير فهم رموزها الى اليوم —

ان كل ما روينا حتى الان من تاريخ الحثيين اخذناه عن آثار غيرهم اعني الآثار المصرية والاشورية وتبين منها انه كان للحثيين دولة كبرى حاربت مصر واشور حروباً عتواً واكرهت مصر على عقد عهدة صلح مشرف لها ولم يقوَ الاشوريون عليها الا بعد قرونٍ من السنين . على ان اخبار هذه الاحداث كتبها اعداء يهوون طبعاً تخليد حسن الذكرى لهم ويأنفون من تخليد ذكرى

(١) • وفي حماتي الخامسة (سنة ٧١٧ وسنة ٧١٦ ق م) كان بيزيريس ملك كركميش عصى كبار الالهة واوفد سعاة الى ميتا ملك بلاد موشكى (ماشك) لاشهار العداوة للاشوريين وعقد على ذلك عهداً ومواثيق فرفعت يدي الى اشور سيدي خاشعاً فقيض لي ان اخرجته من مدينته واخذت خزائنه وكتبته بقيود الحديد وغنمت ما كان من الفضة والذهب في قصره وجالوته مع سكان كركميش الى بلاد اشور لانهم شاركوه في ثورته واخذت اموالهم وغنمت منهم خمسين مركبة واسرت مئتي فارس وثلاثة آلاف راجل ووسعت املاكي واسكنت قوماً من بلاد اشور في مدينة كركميش بعد ان نقلت اهلها الى بلاد اشور • واقام سرغون حاكماً اشورياً في كركميش فانه استطرق سياسة حديثة وهي ان لا يجترى بضرب جزية على من يقهره من الملوك بل ان يعزل هؤلاء الملوك عن منصات ملكهم ويرفع اليها حكاماً اشوريين ويجعل بلادهم اقليماً من مملكته

وعليه فقد لحق الحثيون سكان كركميش ببني اسرائيل المسيبين الى اشور وبابل وكانت هذه الضربة قاضية وانقرضت بها مملكة الحثيين وكان بيزيريس آخر ملوكهم • وامست كركميش ولاية اشورية يليها حاكم من نينوى وتبدلت بسقوطها حالة المشرق كله وكان اشعيا النبي يهتف في احدى نبواته على اشور • اليس كنتنة (مدينة في الجزيرة يظن انه كان موقعها حيث بنيت قطيسفون بعداً) مثل كركميش وحماه مثل ارفند (تل ارفاد في انحاء حلب كما مر) والسامرة مثل دمشق • (فصل ١ عدد ٩) على ان استحواذ الاشوريين على كركميش اضر بالحثيين لكنه جداً بكبير النفع على المدينة فان انبساط سلطة الاشوريين في سورية زاد في حركة تجارتها فاصبحت مركز تجارة متوسطة بين مغرب اسيا

الرابع من تاريخ لانرمان)

﴿ عد ٧٥ ﴾

— في الحثيين وسرغون ملك اشور —

لم يوجد حتى الان اثر مسماري ينبي بما كان من اعمال سلنصر الخامس فكأنه لانه لم يملك الا خمس سنين من سنة ٧٢٦ الى سنة ٧٢١ لكن يوسفوس (في ك ٩ ف ٤ من تاريخ اليهود) حفظ لنا فقرات من تاريخ ميناندر يتكلم فيها على اعمال هذا الملك لاسيما حصاره صور والكتاب المقدس اشبع الكلام في محاربته مملكة اسرائيل وحصاره السامرة وسنأتي على ذلك في كلامنا على الفينيقيين والعبرانيين واما الحثيون فلا نعلم من احداثهم في ايامه الا محاولتهم التملص من استيلائه على ان خطوط سرقين او سرغون الذي تخلف له بعد موته حتف انفه او قتله افاضت بذكر الحثيين فنلخص منها ما يأتي

ان بيزيريس ملك الحثيين كان ولي امرهم في كركميش نيفاً وثلاثين سنة وكان يقاتل الاشوريين كلما تيسر له قتلهم فاذا انتصروا عليه اداهم جزية وان ثقيلة واستمر في منصة ملكه وافتتح سرغون السامرة وصور ودمشق واغضى على بيزيريس لقربه من بلاده وراه بيزيريس متشاعلاً في الحرب في ارمينيا وبلاد مادي فحسب الفرصة تلائمه للتشبث بملكه وتقويته تجاه الاشوريين ولم يكن له ان يتطاب حلفاء في دمشق والسامرة تعرض سرغون ملكهما فعن له ان يحالف ملوك الشمال لاسيما ميتا ملك الموشكيين (وهم من ذرية ماشك ابن يافت ومقامهم في بلاد الجركس) وامريس ملك توبال (وهو ابن يافت ايضاً ومقام قبيلته في جانب بني ماشك المذكورين ارجع الى عد ٤١) واودسا ملك ارمينيا فعقد عهدة معهم ودرى بذلك سرغون فدهمه على حين غفلة وهاك ما كتبه سرغون (نقلاً عن مينان في تاريخ ملوك اشور صفحة ١٦٢)

حينئذٍ حثين ومن هناك ارسل يستدعي جميع ملوك سورية ليأتوه بالتقادم دلالة على انقيادهم اليه وان ابوا عدَّ اباءهم مصارحة بالعداوة فوافوه وقطار مركباتهم وخيولهم وجمالهم ثقل هداياهم وتقادمهم فانصرف مظهرًا الرضى عنهم حينئذٍ على ان تلك التقادم الثمينة هيجت مطامعه وحملته ان يعاود غزواته في السنة التالية فلم يكن هولاء الملوك هذه المدة اوغادًا بل اخذتهم الحمية وضمتهم العصية فقاوموا النازي شديد المقاومة . فارباد وحدها تحملت الحصار سنتين لكن افتتاحها يسَّر للغازي ان يقهر مدن سورية باسرها ففتحت حماء ابوابها للظافر فجلا من اهلها جما غفيرًا ومن سائر مدن سورية الوفا مؤلفة الى بلاده واداه الجزية ملوك سورية وقد عدَّ هولاء الملوك متفخرًا في احد اثاره فكان منهم بيزيريس ملك كركميش وانيال ملك حماء وراسن ملك دمشق ومخيم ملك السامرة وحيرام ملك صور وسييتي بل ملك جيل على ان تجلت فلاصر ترك الملوك الحثين وغيرهم من ملوك سورية على منصات ملكهم وعاد الى اشور واما هم فبدلاً من ان يغنوا بلم شعث شعوبهم واصلاح احوال بلادهم وتجديد قواهم بالاتحاد اقبلوا الى المغامرة والانقسام ومعاداة بعضهم بعضاً فعاد تجلت فلاصر يئشي بلادهم بجحفل جرار سنة ٧٣٤ ق م فاستحوذ على مدنهم ونكل في اهلها وجلا كثيرين منهم وبسط غزوته وسطوته الى اطراف فلسطين الجنوبية ولما هم بالعود الى بلاده استدعى هولاء الملوك لمقابلته فكانوا خمسة وعشرين ملكاً منهم بيزيريس ملك كركميش وغيره من ملوك الحثين وسنأتي على ذكر هذه الحروب في تاريخ العبرانيين باكثر تفصيل ومات تجلت فلاصر سنة ٧٢٦ ق م وخلفه سلمناصر الخامس وعاد الشعب والقلق في بلاد اشور فانهز بيزيريس ملك كركميش الفرصة فثار بغية ان يتخلص من ولاية اشور ويعود الى استقلاله الذي انتزعه منه سرغون خلف سلمناصر الخامس كما سيجي* (ملخص عن المجلد

على اداء الجزية . ومن بعد موته استراحت كركميش والحيثيون مدة لشغب وقع في بلاد اشور عقبه وهن ملوكها فاغنم جيرانها هذه الفرصة فخلعوا نيرها

﴿ عدد ٧٤ ﴾

— في الحثيين وخلفاء سلماصر حتى تجلت فلاصر الثاني —

لم نر الى الان اثرًا لحلفاء سلماصر واسلاف تجلت فلاصر الثاني يذبنا بشيء من اخبار الحثيين الا ما رواه لانرمان (مجلد ٤ صفحة ٢١١ من تاريخه الشرقي) من ان رمان نيرار الثالث حفيد سلماصر حمل بسلاحه على بلاد الحثيين ثم فينيقي حتى صيدا وصور وبلاد عمرى اى مملكة اسرائيل وبلاد ادوم وبلاد فلسطين وانه دخل دمشق واسر ملكها المسمى مرياه او مرياح فقد كتب في اثر له قد راعه خوف سيدي اشور فوقع على ركبتى صاغراً خاضعاً فقرضت عليه جزية الفين وثلاثمائة وزنة من الفضة وعشرين وزنة من ذهب وثلاثمائة وزنة من نحاس وخمسة الاف وزنة من حديد ونسائج صوف وكتان واخذت سريراً من عاج وعرشاً من عاج واثائه وخزينته وكل ما كان في دمشق قاعدة ملكه وفي قصره على ان خضوع هذه البلاد كلها للاشوريين لم يكن الا موقوتاً فاذا عاد الغازي الى عاصمة ملكه عاد الحثيون وغيرهم الى استقلالهم واستفحل امرهم في بلادهم لا سيما في هذه الحقبة التي استحوذ الوهن فيها على ملوك اشور فاستمر الحثيون يعمون بالآ باستقلالهم الى ان رقى منصة الملك تجلت فلاصر الثاني في ١٣ ايار (نيسان في عرفهم) سنة ٧٤٥ ق م وبعد ان ذلل صعاب الامور في بلاد السكندان وغيرها غزا سورية سنة ٧٤٣ ويتلخص من فقرة وجدت من اثاره انه عبر في سورية ظافراً فاكره ملك الحثيين الذي كان يسمى حينئذ بيزيريس على الخضوع له واقام بمسكركه على جبل يقرب من مدينة ارباد المعروفة الان بـ تل ارفاد على بعد نحو ساعتين نحو الغرب الشمالي من حلب وكان سكانها

وزنة من النحاس ومئة من الحديد وعشرين وزنة من النسيج الابيض والبرفير وخمسة اعراش وابنته مع حلالها ومئة بنت من الاشراف وخمسمائة ثور وخمسة الاف خروف ، ثم يقول انه تقدم الى سفح جبل امانوس (الكام) وفرض على كايانا ملكه وزنة من فضة ووزنة من نحاس ووزنة من حديد وثلاثمائة ثوب من صوف وكتان وثلاثمائة ثور وثلاثة الاف خروف ومئتي جائز (يراد به ما تسميه العامة عندنا المدد والرومية فالجائز الحشبة المعترضة بين الحائطين والتي توضع عليها اطراف الحشب) من الارز وبناته مع حلالهن . وجاء في الخطوط المنقوشة على الثيران التي اقامها في قصره في نينوى انه افتتح في احدى حملاته سنة ٨٤٦ ق م سبعا وثمانين مدينة من بلاد سنغار ملك الحثيين

وبعد ان تشاغل سلمناصر مدة في الحرب في بلاد ارمينيا سولت له نفسه المغرمة بالفتح ان يخضع للملك السورية الوسطى ايضا فعبث القرات مرة اخرى واستوفى الجزية من ملك كركميش وباقي الولاة الخاضعين له في سورية الشمالية وسار الى وادي العاصي فتألب عليه ايركولينا ملك حماه وابن هدر الاول ملك دمشق وعصابة كبيرة من فصائل الحثيين فكان المتحالفون على سلمناصر اثني عشر ملكا من جملتهم احاب ملك اسرائيل فاستعرت نار الحرب في كركر (لم يتعين حتى الان موقعها) وكان النصر لسلمناصر وقد كتب في اثاره انه قتل من الاعداء حينئذ اربعة عشر الف قتيل ومع هذا جمع ابن هدر بقايا عساكره وازرم نار الحرب ثانية فلم يصادف نجاحا ايضا بل ترك في ساحة القتال عشرين الف قتيل وخمسمائة قتيل وانهزم نحو البحر فاخذ سفنا فنزلها مع بعض قادته فاتبعه سلمناصر وقد تفاخر بانه لحقه مع جنوده في وسط ثيار البحر لكنه لم يدركه وسنجي على ذكر بعض غزواته عند الكلام في تاريخ فينيقي والعبرانيين فان سلمناصر هذا هو الذي كسر احاب ملك اسرائيل واكره ياهو ملك السامرة

ويظهر ان سنغار كان استمر ملكاً عليهم وعصا سلمناصر فجهز عليه الحملة الثالثة من حملاته فانتصر عليه سنة ٨٥٤ فانه كتب على صفيحة في كورخ ما ملخصه
 • ان سنغار ملك كركميش وغيره من الملوك وثقوا بقوتهم وهبوا لمحاربي
 فوكلت على قدرة نركال السامية وعلى الجيوش المظفرة التي حشدتها لي اشور
 سيدي فحاربتهم وشتت شملهم وبسلت جنودهم بالنبال كالاله بالي (اله العواصف
 والصواعق) وامطرت عليهم طوفان نبال وافعمت البرية من قتلاهم وذريت
 جثثهم كالتبن في الصحراء واخذت كثيراً من مركباتهم وخيولهم المروضة لجر
 المركبات واقت رابية من رؤوس قتلاهم على مدخل المدينة ودمرت مدنهم
 ودفعها للهب (فيكورو في مسائل مثورة صفحة ٣٩٦) وروى لانرمان
 (مجلد ٤ من تاريخه الشرقي صفحة ١٩٢) ان سلمناصر بلغ بغزوته هذه الى
 جبل امانوس (الكام) واقام هناك نصباً ذكراً لانتصاره وسار حتى وادي
 العاصي فحضر جيش المتحالفين الذين تجمعوا هناك فاجبت بهم ايدي سبا
 وتجندل منهم في ساحة الحرب الفان وستمائة قتيل وقبض سلمناصر على اربعة
 الاف وستمائة اسير استاقهم الى نينوى

ولكن لم يزايل ملك اشور بلاد الحثين ليضع غنائمه واسراه في مأمن الا وجيش
 لروساء الحثين عسكرًا اخر وتعقبوا اثار الفازي مستتردين المواضع التي كان
 يغادرها حتى بلغوا الفرات فعاد سلمناصر على اثره منكلاً بالملوك الذين جسروا
 على معاودة العصاوة وكان سنغار ملك الحثين قد حصن مدينة من املاكه تسمى
 سازاي لم نعلم حتى الان موقعها في بلاده فحاصرها سلمناصر وافتتحها عنوة
 فانه كتب على مسئله • دنوت من مدينة سازاي احد حصون سنغار ملك كركميش
 فحصرتها وافتحتها وقتلت كثيراً من الرجال وغنمت غنيمة ثمينة وخربت مدن ولايته
 واحرقها وافترضت جزية على سنغار ثلث وزنة ذهب ووزنة من فضة وثلاثين

عند دنوه من املاكه ذلّ له وقدم له ائمن ما كان يملكه . ودوَّخ هذا الملك بلاد امانوس (جبل اللكام) وجد المسير نحو العاصي فعبه وسار بجيشه على جانبه اياماً كانت له فيها حروب ليست بذات بال الى ان بلغ لبنان وملك سفحيه من جهة البحر وجهة سهل بعلبك والبقاع العزيز وقدم محرقة للالهة على صخر تتلاطم عليه امواج البحر شكراً لهم على احسانهم اليه وقد عدّد ملوك شاطىء البحر الذين اخذ الجزية منهم فكان منهم ملوك صور وصيدا وجيبل وارواد التي في وسط البحر وكانت جزيتهم فضة وذهباً ونحاساً وحديداً وادوات من حديد ونسائج من صوف وكتان واخشاباً من الصندل والابنوس وجلود حيوانات بحرية . ولم يأت بذكر قادس مع انه سار في وادي العاصي كافة لانها كانت قد خربت او تقهقرت كثيراً وقال انه ركب السفن التي اخذها من ارواد متنزهاً في البحر فقتل دلفيناً وانه اكبّ على الصيد في لبنان فاصطاد خنازير برية وبقرًا وحشية وانه اخذ بعضها حياً وارسله الى اشور وانه قتل نموراً وضباعاً وثعالب واصطاد ايالاً وغزلاناً ونسوراً الى غير ذلك من الوحش والطير

﴿ عد ٧٣ ﴾

— في الحثيين وسلمناصر الثالث —

خلف اشور نسيربال ابنه سلمناصر الثالث فاستوى على سرير الملك سنة ٨٥٨ ودام فيه الى سنة ٨٢٣ ق م وكانت له حروب عديدة مع الحثيين الذين كانوا منقسمين على ممالك عديدة تضمها عهدة واحدة وكانت لهم مراكز مهمة وحصون منيعة منها كركميش وحاب وحماه الا ان عرى الوفاق لم تكن بينهم متوثقة بل كان يغاير بعضهم بعضاً ولذا نراهم احسنوا الدفاع ولم يتيسر لهم الانتصار على عدو شديد البأس ودولة جبارية كالاشوريين وقد جدد سلمناصر حملات ابنه عليهم بل قضى اكثر مدة ملكه يحارب الحثيين ومن جاورهم

تمثاله في اسوار حصن نمرود وهو الان في المتحف البريطاني وتجد مكتوباً على صدره « اشور نسيربال الملك العظيم الملك القدير ملك البلاد من ضفة دجلة الى بلاد لبنان (لبنان) اخضع لسطوته البحار الكبيرة وكل البلاد من مشرق الشمس الى مغربها » وقد نقش تاريخ غزوته لسورية على صفيحة من صخر فهاك ماله « في اليوم الثامن من شهر ايرو (نيسان) غادرت كالح وعبرت دجلة قاصداً مدينة كركميش في بلاد الحثيين (سورية) واجتزت نهر بورات (الفرات) على قطع من اديم واقتربت من كركميش وفرضت على سنغار ملك بلاد الحثيين عشرين وزنة من الفضة وحلى عديدة من الذهب ومائة وزنة من النحاس ومائتين وخمسين وزنة من الحديد والقصدير واللات من حديد ونحاس (ذكر اسماءها ولا تعرف مسمياتها) وغنائم بلاطه واثائه شيئاً كثيراً لا مثل لظرافته واثائاً من ابنوس واعراشاً من خشب السنديان ومائتي امرأة رقيقة وأنسجة من صوف وبرفير ومركبات مرصعة بالعاج وتماثيل من ذهب والمركبات والادوات الحربية التي كانت لقائد جيش كركميش حفظتها في مخازني » فن هذه الغنائم الثمينة العديدة الاصناف تتبين عظمة غنى سنغار ملك الحثيين واتساع نطاق التجارة في بلاده ونسميته ملك الحثيين لا ملك كركميش دليل على انبساط ملكه في سورية كلها ولا اقل من اشماله على القسم الاكبر منها ولذا لا عجب من كون انخذه افضى الى استسلام الاقيال الخاضعين له الى الغازي في كركميش فان اشور نسيربال كتب ايضاً « ان ملوك هذه الاعمال ذات اعناقهم ليرسطوني بعد ان تهبوا ولما واتي فقبلت رهائنهم ودانوا لسلطتي وتركت كركميش وصرت قاصداً بلاد لبنان » (لبنان) على ان اميراً حثياً كان يلي السهول المجاورة نهر عبرا (هو المعروف الان بنهر عفرين) وبعض المدن الشهيرة منها هزاز (المعروفة الان باعزاز) نوى ان يعترض مرور الغازي لكنه

الشرق من حلب واعزاز وعلى ضفة الفرات الغربية وعلى بعد ثلث ساعات تحت
 الساجور وست ساعات من بيره جك . ثم وجدت في هيرابولس قطعة من
 اجر من اثار سرغون ملك اشور الذي كان سنة ٧٢١ ق م يتبين منها ان هذا
 الملك بنى هناك قصراً وتبين من اثار اخرى له انه افتتح كركميش و اضافها الى
 مملكته وبنى فيها صرحاً لسكنى الحاكم الاشوري الذي اقامه هناك . وايضاً وجد
 في هيكل بلاوات في شمالي نمرود باب كبير من نحاس اصفر نقش عليه
 صور حروب سلمناصر الثالث والمدن التي افتتحها ومنها كركميش واذا عورضت
 خرائب هيرابولس وهيئة موقعها بصورتها على ذلك الباب قضى بلا مشاحنة ان
 جرابولس او هيرابولس هي كركميش وهذا الباب محفوظ الان في المتحف
 البريطاني . وروى سانس (في كتابه في الحثيين) ان اسم هيرابولس نقل وقتاً
 ما الى موبوغ او منبج ونقل اليها ايضاً هيكل عستروت الالهة (من هذا اسم
 هيرابولس اي المدينة المقدسة) وبعد خراب منبج رد اسم هيرابولس لكركميش
 وهذا وجه التوفيق بين تسمية المدينتين باسم هيرابولس

وقد كان افتتاح كركميش مخفرة الفرات مقدمة لا بد منها لكل غزوة في
 سورية من جهة المشرق كما كان افتتاح فلسطين ضربة لازب لكل من الفراغة
 عند حملاتهم على سائر ارجاء سورية والجزيرة . ومنذ زمان احاب ملك اسرائيل
 لم تكن مملكة السامرة لتأمن سطو الاشوريين الا اذا كانت كركميش مستقلة
 عنهم غير خاضعة لهم ولما دمر سرغون ملك اشور مملكة السامرة وقرضها قرض
 هو نفسه دولة الحثيين في كركميش واخضع بلادها لغير سلطانه

﴿ عد ٧٢ ﴾

❧ في الحثيين واشور نسيربال ❧

ملك اشور نسيربال من سنة ٨٨٣ الى سنة ٨٥٨ ق م وقد اكتشف لايرد

كركيش نكرة لم تعرف الا في سنة ١٨٧٥ فكان بعض اهل العلم يقول انه بين نهري الخابور والفرات وجعله راولينسون من علماء الانكليز ومسبرو من علماء افرنسة في محل منبج في قرب حلب سندا الى رواية الترجمتين السريانية والعربية الآتفة الذكر الى ان اكتشف سكان قنصل انكلترا في حلب موقعها الحقيقي سنة ١٨٧٤ و ١٨٧٥ وصدقه في ذلك العلامة جرج سميت اشتهر بعلم الامور الاشورية فقد اتفق ان مر هذا العلامة بحلب ماضيا الى نينوى فاخبره سكان انه وجد على ضفة الفرات الغربية خرابات مدينة كبيرة واسوار منيعة مؤذنة بانه كان هناك مدينة قديمة وان العرب تسمي هذا المحل جرابولس ويسميه الاتراك جرابيس وانه يرى ان ليس هذا الاسم الا مكسر هيرابولس اي المدينة المقدسة التي ذكرها علماء اليونان وان كثيراً من الجوالين ذكروا هذه الخرابات البعيدة مسافة ست ساعات عن بيره جك وانه يرى ان هناك كركيش الشهيرة فشخص سميت الى جرابولس وتفحص خراباتها ونسخ كل ما وجد من الكتابات واستوضح النقوش وسائر الاثار التي عثر عليها فتابع سكان في رايه وكتب الى انكلترا ان قد اكتشف كركيش عاصمة الحثيين ثم توفي سميت بعد اسبوعين على مقربة من تلك الخرابات ضحية في سبيل العلم واخذ بعده بعض علماء الانكليز يقبون في هذا الامر ويحفرون في تلك الخرائب فادى جهدهم الى ما رآه سكان وسميت. وايده انه تبين من اثار اشور نسيروال ملك اشور الذي كان سنة ٨٨٥ ق م واثار ابنه سلمناصر الذي ملك سنة ٨٦٠ او سنة ٨٥٨ ق م ان كركيش موقعها على الفرات في الشمال من نهر الساغور المعروف الان بالساجور وفي الشرق من حلماو او حلقان وهي حلب ومن خرزاز المعروفة الان باعزاز في قضاء كلس وفي الجنوب من بلاد مكوما المعروفة الان ببلقيس وكل هذه القرائن تدل دلالة صريحة على ان هيرابولس هي كركيش فهي نحو

شيئاً من مدنها ونهبها واحرقها ودمرتها ، ويظهر من كلامه انه لم يفتح كركيش وقال لانرمان (مجلد ٢ من تاريخه الشرقي صفحة ١٥٣) ، لم يحسر تجلت فلاصر ان يحاصر كركيش لتيقنه بان هذا المحصن المنيع لا تقوى عليه جنوده ولو كثر عديدها وعظمت بساتها . فاجترأ ان يضرب الجيوش التي كانت تنتظره في معبر الفرات ويفتح المدن الست المشار اليها وتابع تجلت فلاصر غزوته في بلاد الحثيين حتى بلغ جبل امانوس (الانكام) فنكل باهله ونهب اموالهم فدانوا للغازي صاغرين فحسب نفسه كريماً اذ عفا عن حياتهم وابتز اموالهم لكنه لم يبلغ نينوى الا واحتشد عشرون الف مقاتل من اهل هذا الجبل الحثيين مؤثرين الموت على ذل اوطانهم ولكن لم تقن ثورة هؤلاء شيئاً لانهم كانوا افراداً غير مدربين في الحرب فان جيوش تجلت فلاصر عادت على اعقابها اليهم فبسلتهم وشتمت شملهم ودمرت هانوسا مدينتهم ودكت كل بناء فيها الا بيتاً صغيراً تركته ذكراً واقام تجلت فلاصر منصباً هناك كتب عليه خبر حملته وانتصاره ودكه المدينة وان لا يجترى احد على تجديد بناءها

﴿ عد ٧١ ﴾

﴿ كركيش مدينة الحثيين ﴾

كانت كركيش في محاربة الاشوريين للحثيين ما كانت قادس في محاربة المصريين لهم فكانت قادس حصناً منيعاً يخفر طريق اسيا في وادي العاصي وكانت كركيش مثلها على الفرات وتفضلها بانها كانت محطة تجارة ايضاً بين مغرب اسيا ومشرقها وقد ورد ذكر كركيش في نبوة اشعيا (فصل ١٠ عد ٩) وفي نبوة ارميا (فصل ٤٦ عد ٢) وفي سفر اخبار الايام الثاني (فصل ٣٥ عد ٢٠) حيث قيل « صعد نكو ملك مصر لقتال كركيش عند الفرات فخرج عليه يوشيا ، وفي السريانية لقتال مبوغ وفي العربية لقتال منبج عند الفرات وكان موقع

الفصل الرابع

(في تاريخ الحثيين مأخوذاً عن اثار الاشوريين)

﴿ عدد ٧٠ ﴾

مـ في الحثيين وتجلت فلاصر الاول مـ

ان تجلت فلاصر الاول هو اول ملك من ملوك نينوى انبأنا شيئاً من اخبار الحثيين فهذا الملك كان نحو سنة ١١٣٠ (او سنة ١١٢٠ على رواية لانرمان) قبل الميلاد في ايام قضاة اسرائيل ويتلخص من آثار تجلت فلاصر انه كان للحثيين حينئذ صولة كبرى في شمالي سورية خاصة حتى كانت البلاد تسمى باسمهم اي بلاد الحثيين وكانت ولايتهم تمتد من لبنان الى الفرات وكانت بلاد الاراميين خاضعة لسلطتهم وتنبسط ولايتهم شمالاً الى مدخل البحر الاسود فتؤديهم الجزية قبائل الكبادوك (في اسيا الصغرى) وكانت عاصمة الحثيين كركميش (سيأتي تعريف موقعها) وهوذا ملخص ما كتبه تجلت فلاصر في احدى صفائحـ « انا تجلت فلاصر المحارب الشريف ذلت بلاد سوبير القسيحة ٠٠٠ قد استحوذ اربعة الاف رجل من فصائل الحثيين العصاة على مدن سوبرتا المتعبدة لاشور سيدي فروعتهم مخافة سلاحي فاذعنوا دون حرب وذلت رقابهم لثيري فغنمت اموالهم واخذت مئة وعشرين من مركباتهم ووهبتها لرجال بلادي ٠٠٠ وبعد السجود لاشور الهي جمعت مركباتي وجيشت جنودي المظفرة ومشيت على بلاد ارام التي لم يحلّ اهلوها اشور زبي وسرت حتى مدينة كركميش في بلاد الحثيين (سورية) فعبرت الفرات وصنعت ملحمة كبرى وغنمت من عبيدهم واموالهم ما لا يدركه عدّ وبعد ان عبرت الفرات افتتحت

الكنعانية ولكن لا يظهر ان الحثيين الشماليين أنجدوا هذه التفاصيل في حربها مع يشوع بن نون الذي قصر غزوته على سفح لبنان كما يظهر من سفر القضاة (ف ٣ عد ٣) فلم يمس الحثيين الشماليين بضر . ولم نجد في الآثار المصرية ذكراً للحثيين بعد ما مرّ الا في عهد رمسيس الثالث احد فراعنة الدولة العشرين . فقد نبأنا آثاره انه لزمه في السنة الثامنة من ملكه ان يحارب الشعوب الذين حملوا على مصر من اسيا الصغرى وجزر اليونان برّاً وبحراً والظاهر ان سلطة الحثيين حينئذٍ على اسيا الصغرى لم تكن على ما كانت عليه فيها في ايام رمسيس الثاني لان رمسيس الثالث يقول في ما كتبه على هيكل النصر في مصر : ارتعدت فرائص الشعوب فان المتحالفين خرجوا من انحاءهم وجزرهم وانتشروا بغتة في اعمال عديدة فلم يانصبتهم شعب فذهبوا واذلوا شعوب الحثيين وسكان كاتي (عمل في كيليكيا) وكرميش وارواد، فاضطر الحثيون ان يصحبوا المتغلبين عليهم لقتال المصريين ولما انكسر هؤلاء العداة انكسر ملك الحثيين معهم . وقد نقشت جريدة اسماء الملوك الذين اذلهم رمسيس الثالث على جدر مدينة ابو فسان بينهم : ملك الحثيين المنكود الحظ الذي أضر حياً في الحرب ، فهذا آخر ما ذكرته اثار مصر في الحثيين ونراها بكمت عن ذكر قادس وذلك اما لانها هُدمت واما لانها هُجرت واصبحت كرميش مركزاً لدولة الحثيين التي تقلصت شيئاً فشيئاً نحو الشمال وقامت مكانها دولة الاراميين التي سترى اخبارها

﴿ عد ٦٨ ﴾

— في تيسير حرب المصريين والحثيين دخول بني اسرائيل —
ارض الموعد

كانت هذه الاحداث بين المصريين والحثيين عندما كان موسى منهزماً من غضب رمسيس في برية سيناء بعد قتله الرجل المصري آخذاً بثار عبراني اهانته فكان الله يعد موسى لانقاذ شعبه من عبودية مصر ويهيئ بهذه الحروب ما ييسر تملك شعبه ارض الموعد بعد سنين فلو تيسر لملك الحثيين ان يقهر ملك مصر ويذله لاستحوذ على ارض الكنعانيين برمتها وتعذر على يشوع بن نون افتتاحها على ملك الحثيين القدير الرهيب ولو تيسر للمصريين ان يبيدوا الحثيين لاستمروا متمكنين في ارض الموعد وعجز بنو اسرائيل عن امتلاكها والنجاة من غضب فرعون فيسرت العناية الصمدانية طريق العبرانيين الى ارض الموعد بان اضعف كلا العدوين قوة الاخر واعاقت بني اسرائيل في البرية اربعين سنة الى ان فقدت كاتما المملكتين ما كان لهما من الصولة والاقدار فتهاً لشعب الله ان يرث بسهولة الارض التي وعد بها ابراهيم واسحق ويعقوب

﴿ عد ٦٩ ﴾

— بقية ما كان بين خلفاء رمسيس والحثيين —

مات رمسيس الثاني بعد ان ملك ٦٧ سنة منذ وفاة ابيه وخلفه ثالث ابنائه المسمى منفتاح وهو فرعون الذي خرج في ايامه بنو اسرائيل من مصر ولم تهدنا الاثار علاقة لمنفتاح مع الحثيين الا بانه ارسل اليهم مؤونات عند حصول مجاعة في بلادهم فقد كتب هذا الملك على فيكل امون وشخت السفن مؤونات يعيش بها شعب الحثيين لانني الملك الذي اختاره الالهة ، ولما استفتح بنو اسرائيل فلسطين قاومهم الحثيون الجنوبيون منضمين الى سائر الفصائل

الان في المتحف البريطاني ان كيتاسار استدعى احد محافيه اميركاتي في اسيا
الصغرى ليصحبه في سفره الى مصر فقال له « هلم نذهب الى مصر فقد صرح
الملك بدعوته فلنطع رعمسيس فطاعته حياة لمن يحبه فتجلبه الارض كلها وهو
والحيون الان واحد ، ومضى كيتاسار الى مصر فالتقاه رعمسيس الى مدينته
التي شيدها في ارض جاسان حيث كان بنو اسرائيل واثا معا الى تاب واقيم
هناك نصباً وعليه صورة رعمسيس وحميه وامراته حيث يرى رعمسيس على
اريكته وحموه وزوجته يديان التجلة له وقد توطد السلم بين المصريين والحيين
بعد تلك الحروب الدموية المديدة حتى اصبح الاعداء اخدانا والمحاربون اخوانا
قد لاحظ مسبرو (في تاريخ شعوب المشرق) ان المصريين اخذوا يدخلون
حينئذ في لغتهم كلمات من فروع اللغة السريانية وان يعلّموا ابناءهم بل عبيدهم
ايضاً هذه اللغة واستحسن علماءهم ان يرصعوا كلامهم بالفاظ وجل من لغة
اجنبية مثلاً بدلاً من ان يسموا الباب « رو » كما في لغتهم المصرية سموه ترعو
ماوفا كما في السريانية وبدلاً من ان يقولوا في التحية « آو » كما في لغتهم
اخذوا يقولون شلم ~~الله~~ السلام بالسريانية فكأنه كان عندهم يومئذ ما هو
كائن عندنا الان من ادخال الفاظ وعبارات اجنبية في لغتنا العربية . وروى
لانرمان (في مجلد ٢ من تاريخه الشرقي صفحة ٢٦٥) ان التحاب بين دولتي
مصر وسورية حينئذ كان وسيلة لدخول عبادة كثير من المعبودات السورية
الفينيقية عند سكان وادي النيل فانتشرت عندهم وقتئذ عبادة بل وعستروت
وغيرهما من الالهة والالهات على ان الظاهر ان هذه العبادة استمرت فردية
فلم نجد حتى الان هيكلًا على اسم هذه المعبودات السورية الا سوتخ اله الحثيين
الذي ادخل عبادته الملوك الرعاة وجدد له رعمسيس الهيكل العظيم في تانيس بعد
ان لبث مهتمداً في عصر الدولة الثامنة عشرة

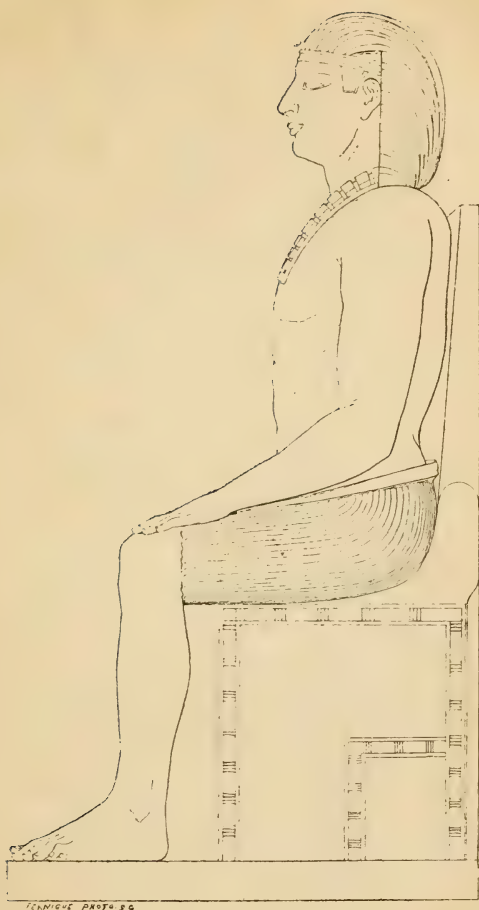
ولا على فمه ولا على قدميه وفي الجملة فلا تقبل عليه لذلك شكوى جزائية .
ويلزم ان تكون المساواة التامة والاشتراك الكامل بين الشعبين المصري والحيثي .
وتبرم عهدة الدفاع والهجوم هذه بين المملكتين . واخيراً يستدعي السكان
المتعاهدان آلهة كل قبيلة منهما ذكوراً واناثاً للشهادة عليهما وللاستقام من يخالف
شيئاً مما أبرم الاتفاق والعهد عليه ويسالان الالهة ان يجزوا من يرعى بنود هذه
المعاهدة بمنحه التوفيق والعافية له ولعِياله ولمن يلوذ به ،

وقد حافظ المصريون والحيثيون على العمل بمقتضى هذه المعاهدة وجعلوها دستوراً
للتعامل بينهما مدة قرنٍ كامل فلم نعر على اثر نبئٍ حصول حرب او نزاع بين
الامتين في تلك الحقبة ويظهر ان كل ما كان من جيبيل نحو الغرب والجنوب
خص المصريين بموجب هذه المعاهدة وكل ما كان منها الى الشمال والشرق
خص الحثيين . فقد وجد بابير هو الان في المتحف البريطاني وترجمه العالم
شباس معلقاً عليه بعض الشروح ينطوي على اخبار رحلة عامل مصري أوفد
في ذلك العصر الى فينيقي فيذكر المدن الخاضعة لصولجان مولاه والتي تجوّل
فيها فنما كابونا (جيبيل) مدينة الاسرار وباروت (بيروت) وصيدونا (صيدا)
وسربوتا (صارقة صرفند) وتسار (صور وكانت حينئذ مأوى للصيادين)
ومستتب محطات سفره نحو الجنوب في فلسطين الى ان عاد الى مصر (ملخص
عن رواية فيكوردول هذه المعاهدة في كتابه المسائل المنشورة وعن لازمان في المجلد
الثاني من تاريخه الشرقي في فراعنة مصر)

﴿ ٦٧ د ٤ ﴾

— زواج رعمسيس بآبنة ملك الحثيين —

قد وطد رعمسيس وفاق الوفاق بتزوجه بآبنة ملك الحثيين ودعا حماه
كيتاسار الى زيارته في بلاده وقد جاء في البابير المعروف بانستازي المحفوظ



صورة رعسيس الثاني تقلاً عن تمثال في متحف اللوفر في باريس صفحة ١٨٥

مذ هذا النهار فصاعداً يكون سلام واخاً مؤبدان بين بلاد مصر وبلاد الحثيين
 فلا تنشأ عداوة بينهما البتة بل يكون ملك مصر العظيم اخاً لي مستمراً على
 السلم معي واكون اخاً له مقيماً على السلم معه منضمّاً اليه كأن لكلينا قلباً واحداً
 وابناء ابناء ملك الحثيين العظيم يكونون بالاتفاق والاخاء مع ابناء ابنا رعسيس
 ملك مصر العظيم وهكذا يكون خلفاء رعسيس العظيم مع خلفاء كيتاسار
 العظيم ويكون سكان مصر وسكان بلاد الحثيين على وفاق واخاء مؤبدين لا تنشأ
 عداوة بينهم الى الابد . ولا يسطو ملك الحثيين على ارض مصر البتة لياخذ
 منها شيئاً اياً كان ولا يسطو ملك مصر على ارض الحثيين لياخذ منها شيئاً اياً
 كان . وارعى العهدة التي عقدت في ايام سبالات ملك الحثيين والعهدة التي وقع
 عليها اخي موتار واسلك بمقتضاها دون خال ويرعى ملك مصر العهدين ويسلك
 بموجبهما دون خلاف فاذا غشا عدو ارض رعسيس ملك مصر واوفد يقول
 لملك الحثيين تعالى فانجذني عليه لزم ملك الحثيين ان يأتي ويضرب العدو واذا
 تعذر عليه الحضور بنفسه لزمه ان يرسل رجاله وخيله للايقاع بالعدو . وكذا
 اذا غشا ارض الحثيين عدو واستنجد ملكهم ملك مصر لزمه ان ينجده بنفسه
 او برجاله وخيله . وكل جانٍ حاول النجاة من الجزاء الذي تفترضه الشرائع
 فقرر الى احدى المملكتين لزم تسليمه الى ضابطة قبيلته . وكل عبد ابق من
 احدى المملكتين الى الاخرى واضر بمولاه لزم رده على طالبه . وكل منتقل
 لغير داعي جنائية من احدى المملكتين الى الاخرى وكل مأخوذ جبراً الى
 احدهما وكل صاحب صناعة او عمل اراد ان ينقل سكناه من احد القطرين الى
 الآخر هولاً جميعاً يردون على شعبهم لدى طلبه اياهم . ولكن لا يسوغ احتساب
 انتقامهم من وطنهم جنائية فن رد على شعبه في هذه الصورة لا يمسه ضرر في
 بيته ولا تزعج امراته ولا اولاده ولا تضرب امه ولا يضرب هو على عينيه

التأويل غير صحيح اذا اعتبر اصل هذا الاسم سامياً لان اللغات السامية لا يتقدم فيها المضاف اليه على المضاف وعليه فيكون معنى الاسم خوف الملك او الخائف من الملك اي الله وتحرير المعنى خائف الله او مجل الله . وكانت الدولتان المحاربتان قد كاتا من القتال وسئمت نفوسهما الحرب فعولتا على عقد صلح نهائي مستمر ووقعتا على عهده وروى مسبرو (في تاريخ شعوب المشرق) ان نص العهدة كتب اولاً في اللغة الحثية ونقش على صفيحة من فضة وقدم افرعون وهو في المدينة التي شيدها ودعاها رعمسيس باسمه وهذه اول عهدة ظفرنا بنصها

﴿ عد ٦٦ ﴾

— عهدة الصلح بين رعمسيس ملك مصر وكتاسار ملك الحثيين —
قد نقش نص هذه العهدة على ظاهر جدار هيكل الكرنك حيث يشاهد حتى الان لكن اخره مشوه وهاك ماخصه

« في السنة الحادية والعشرين واليوم الحادي والعشرين من شهر طيبي (هو الشهر الخامس من السنة عندهم) الملك رعمسيس ميامون (محب امون) بينما كان جلالة الملك رعمسيس في مدينة بيت رعمسيس (هي المدينة التي شيدها وسمها باسمه) مقدماً التقادم استرضاء لابه امون رع (ويعدد اسما باقي معبوداته ويتوسل الى هولاء الالهة ليقضوا له سنين عديدة يقضيها ناعم البال ويخضعوا له القبائل والبلاد ابداً) وافاه مفوضان من قبل كيتاسار ملك الحثيين المعظم مصحوبين بصفيحة من فضة كتبت عليها شروط الصلح والاخاء الموبدين بين ملك مصر العظيم وكتاسار ملك الحثيين العظيم وهذا هو الاتفاق الذي وقع عليه بينهما بصورة عهدة ابد الله معاودة كل عداوة بينهما قد كانت في ايام اخي موتار ملك الحثيين المعظم حروب مع ملك مصر المعظم على انه

تتم ما اعزمته ايها الملك المظفر فيا روح تسر بالقتال تكرم بان تمنحنا نسمة الحياة ه فاستشار رعمسيس اركان حربه فعقد صلحاً مع ملك الحثيين وعاد الى مصر ظافراً وكان ذلك لاسنة الخامسة من ملكه

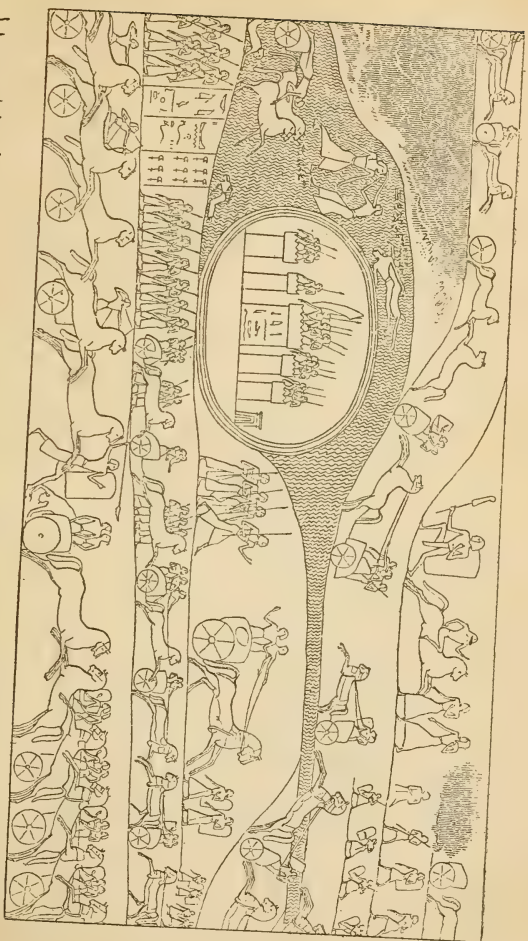
على ان ذلك الصلح لم يكن الا هدنة على دَجَنٍ فان ملك الحثيين لم يلبث ان همَّ بتجديد الحرب اخذاً بشاره على انه لم يقتحم بادىء بدء مواقع كبيرة بل اجتزأ اولاً ان ينفخ نار الثورة على مصر مهيجاً القبائل الخاضعة لها للخروج عليها ففي السنة الثامنة لرعمسيس هيج الشر بينه وبين الكنعانيين في الجليل فترى عساكره تحارب عند بحيرة ميروم اي في الحولة وفي جبل طابور لترد العصاة الى طاعة مصر وفي السنة الحادية عشرة للملكه تقوى الاسياويون على المصريين حتى خيل انهم حصروهم في وادي النيل وقد خرجت اكثر اعمال فلسطين عن طاعة رعمسيس الى ان تمكن من استرداد عسقلان بعد حصار عنيف وحسب ذلك فوزاً كبيراً ثم استرد شلاما (اورشليم) والكرمل واسعدهم الحظ في اخضاع مدن اخرى بل وفق ايضاً في طرد عساكر المتحدين من فلسطين وفينيقي وسورية المجوفة (سهول البقاع وبلبك) ثم وصل بعد ذلك الى قادس وافتتحها مرة اخرى وتوغل في وادي العاصي الى وسط بلاد الحثيين واتحفتا آثاره بجريدة اسماء مدن افنتحها عليهم وتمثله احدى الصور المنقوشة في تاب (طيبة) جالساً بعد حرب مع الحثيين وحلفائهم وقواد جيشه يكردسون امام قدميه ما قطعوه من ايدي الاعداء ودامت هذه الحروب اربع عشرة سنة او خمس عشرة سنة ولم تخمد جذوتها الا بعد ان قتل موتار ملك الحثيين غيلة في احدى معامع الحرب

وخلفه اخوه كيتاسار وقد تأول كثيرون هذا الاسم بمعنى ملك الحثيين اي ان سار معناه ملك وكيتا او حيتا الحثيون ولكن لاحظ العالم بليكس ان هذا

التمساح فيتهافت بعضهم على بعض قتلى ، ثم يطرى الشاعر بسالة بطله هذا واختراقه صفوف العداة دفعات ولمه شعث جيشه وانتصاره . على انه لا بد في ذلك من مبالغة على عادة الشعراء فالصحيح ان رعسيس عرض نفسه للهلكة لانفراده مخفوراً بعدد قليل من الجند فوثب عليه العدو فدافع عن نفسه مدافعة الكمي بجنده القليل الى ان ادركه عسكره فكان ذلك دليلاً على عظم بسالته وقلة دربه معاً لانخداعه بكلام اعرابين مجهولين

وبعد نجاة الملك تسعرت نار الحرب النهار كله فاضطر موتنار ملك الحثيين ان يلوي غير يأس من الظفر فخدمت جذوة الحرب مساءً وجدَّ شوبها صباحاً فكانت موقعة هائلة دارت فيها الدوائر على الحثيين فتفرقت صفوفهم في تقط عديدة وقتل حامل سلاح الملك وقائد الرجلة ورئيس الخصيان وكاتب الوقائع الرسمي وغيرهم كثيرون وحاول بعض المنهزمين ان يعبروا النهر سابحين فراراً من لحاق المصريين ففرق كثيرون ونجا اخو ملك الحثيين المسمى ميسرائيم وغرق ملك نينا واستخرج ملك حلب من الماء وفيه رمق ويرى في الصورة الممثلة لهذه الموقعة ملك حلب معلقاً برجليه يندفق من فيه الماء الذي كان يظن انه ابتلعه ولولا خروج حرس المدينة للذَّب عن المنهزمين لم يبقَ منهم باقٍ

فعوّل ملك الحثيين على طلب الاستئمان فسير وفدًا الى رعسيس يقول له على ما في الانار المصرية ، ان شعب الحثيين مشترك مع المصريين مقدمًا خدماته امام اقدامك فان رع (الشمس) اباك السعيد ولاك امرهم فاكفف عنا سخطك فانك شديد البأس فتكت بسالتك بامة الحثيين فهل يحسن بك ان تقتل عبيداً انت سيدهم فارى محيّاك مغضباً مكفهرًا ولا تشأ اخاد غضبك . وصلت امس فقتلت ميئات الوف فان عاودت القتال اليوم فلا يبقى من يخضع لك فلا



صورة حرب رعحسيس الثاني على قادس مدينة الجنتين قترى قامته قادس بهيئة جزيرة في المعاصي والحرس في
 صور الجنتين يته والمصر بين يسرة وترى بعض الجنتين غرق
 المصربين قترى الجنتين يته والمصر بين يسرة وترى بعض الجنتين غرق
 اعلانا وبعضهم خارج من المين ياجم المصربين قترى الجنتين يته والمصر بين يسرة وترى بعض الجنتين غرق
 ١٨١

المتحف البريطاني فثبت هنا شيئاً من ترجمتها لما بها من الفائدة والفكاهة . كنت وحدي لا يصحبني رئيس ولا قائد ولا آمر ولا ضابط انهزمت الجنود والفرسان ولبثت احارب العدو مفرداً فصرخت حينئذٍ اين انت يا ابتاه امون هل ينكر ابُ ابنه او يغادره في ضيقه هل اقدمت على عمل دون رضاك او مشيت او وقفت ولم اشخص ابصاري اليك هل خالفت اوامر فكك او نبذت مشوراتك هل تحمل ان يُذل ملك مصر وسيدها امام شعوب يعاندونك فن هولاء العمو (يريد بهم الاسياويين المتحالفين عليه) بعيشك يا امون بدد من لم يقرأوا بألوهيتك . اما شيدت لوجهك اثاراً لا اعداد لها . اما افعمت هيكلك بالغنائم التي احرزتها من الاعداء . اما بنيت لك معابد تدوم الوفاً من السنين . فبك استجير واياك ادعو يا ابتاه امون فقد احدثت في جماعات لا اعرفها وتألبت عليّ قبائل وانا وَحْدٌ لا احد معي فادعو وليس من يجيب على انني موقن بان امون خيرٌ لي من الوف جنود تجتمع معاً ٠٠٠ ، وقد أستجيب دعاء رعمسيس وتداركه العون فان الشاعر يقول بلسانه : قد استجابني رع (وهو امون ايضاً ويراد به الشمس) لما دعوته ومدد اليّ يده فظفح قلبي سروراً وناجاني من ورائي قائلاً لا تخف رعمسيس ميامون (لقبٌ له تأويله محب امون) انا معك انا ابوك رع يدي نعضدك انا خيرٌ لك من الوف الجنود انا رب النصر وعاشق الشجاعة فاذا رأيت شجاعاً مثلك همت بحبه وامتلاً فؤادي سروراً وكل ما اردته كان فارمي سهامي بيميني مثل مُونت (اله الحرب) وتقبض شمالي على الاعداء مثل بار (يريد به بعلأ باعتبار كونه الهاً للحرب) في ثورة غضبه فأرى الان الفين وخمسمائة مركبة وانا في وسطها وقد قلبتها خيولي وليس من ركبها من يمد يداً الى القتال قد تولى الرعب والذعر قلوبهم وشلت ايديهم فلم يعلموا كيف يرمون السهام فارقمهم قلبهم فلم تضبط ايديهم الحراب فاغرقهم بالماء كما يفرق

الذين وخسماية مركبة ودرى رعمسيس ما يدبره عليه اعداؤه فزحف في فصل الربيع للسنة الخامسة من ملكه بجيش جرار وسورة الشباب وحميته وصلفه تأخذ برأسه فاجتاز فلسطين حيث كان الحرس المصري الذي اتامه ابوه كما مرّ وبلغ الى محل يسمى شبطون . قال لانرمان ان موقعه عند ينبوع النهر السبتي في جهة الحصن الى الغرب من حصن فوقف جيوشه ثمة ليستجس مراكز عداته ويدبر حركات جنوده بما تقتضيه الحال وكان مونتار ملك الحثين رجلاً مدرباً في امور الجندية والحرب يؤثر الحيلة على استعمال القوة فاعلمه جواسيسه موقف رعمسيس فمزم ان يأخذه بوهق احتياله فارسل اليه اعرابين متكرين يقولان له « ارسلنا اخواننا روساء القبائل المتحدة مع ملك الحثين الحثيس لنسراً الى جلالة الملك اننا نأيقون ان نخدم فرعون ونغادر رئيس الحثين الحثيس وهو الان في حب في شمال المدينة حيث ازوى بغتة خائفاً بطش الملك » فاغتر رعمسيس بالخدعة واقبل على قادس بعدد قليل من جنوده مطمئناً . وصف ملك قادس جنوده في شمالي المدينة وغربها ليثب على فرعون في حين غفلة فيهلكه وجيشه على ان رعمسيس قبض حينئذ على جاسوسين فاستنطقهما معذباً لهما فباحا اليه بسر المكيدة فعظمت دهشته وحيرته وعلم الخطر العظيم الملم بنفسه وجيشه وبينما هو على عدوة العاصي يفكر بما يتسوّل به لنجاته اذ وثب ملك الحثين بغتة على قلب جيشه فشتته وشر جنود رعمسيس شطرين فعظم الخطر على رعمسيس في موقفه ولم توجه الا شدة شجاعته وقد كتب في خطوط آثاره انه اخترق صفوف العدو المحدقة به ثماني مرات الى ان اقدرته العناية على ضم صفوف جيشه واصلاً نار الحرب على العدو النهار كله ان شاعراً مصرياً اسمه بنتأور نظم تاريخ هذه الواقعة باشعار نقشت على جدران هيكلي الكرنك والاقصر ووجدت مكتوبة في بابير محفوظة الان في

الحصون كغزة وعسقلان وماكتا وهي مجدو المعروفة الان بالاجون وتوفي
ساقي بعد ان ملك نحواً من ثلاثين سنة على الاظهر وخلفه ابنه رعمسيس الثاني

﴿ عد ٦٥ ﴾

— في الحثيين ورعمسيس الثاني —

سمى اليونان رعمسيس الثاني سيسوستريس وعزوا اليه حروباً وانتصارات
على الحثيين وغيرهم اكثر مما كشفت عنه الخطوط المصرية بعد استطلاع سرها
وقد فضل غيره في ما اتت به اثاره من اخبار الحثيين وعنها اخذنا ما نرويه هنا
فقد رقي رعمسيس منصة الملك في اواخر القرن السادس عشر واولئ الخامس
عشر . فلم يتجشم حروباً مهمة في السنين الثالث الاولى للملكه . بل بدت اثار
ثورات في بعض اعمال فلسطين يترجح ان يداً حثية اثارها فحملت رعمسيس
ان يغشي هذه البلاد مرتين بلغ في احداها الى بيروت وترك صورته منقوشة
على صخر عند مصب نهر السكاب (اثبت لانزمان مثلاً لها في مجلد ٢ من
تاريخه الشرقي صفحة ٢٥١) على ان العدو الذي كان يروعه انما هو الحثيون
فكان موجساً منهم خيفة لانهم حافظوا على عهدة الصلح مع ابيه ما حي
واخذوا بعد موته يتأهبون لثورة هائلة وكانوا حينئذ في اوج سؤددهم
وصولتهم وكانت املاكهم منبسطة من قادم الى اطراف اسيا الصغرى ومن
لبنان الى الفرات وقد ابقنا لنا اثار رعمسيس على اسماء الشعوب الذين تألبوا
مع الحثيين لمناوأة ملك مصر فمنهم سكان حلب وكرمكيش والجر جاشيون احدى
فصائل الكنعانيين والاراميون سكان سورية المجوفة والارواديون من الفينيقيين
واما اهل صيدا وجبيل فكانوا يمالئون رعمسيس ولا يعلم كم كان عدد جيوش
المتحدين ويظهر انه كان كثيراً يشد عن الحصر فان ملك حلب وحده كان اتي
بثمانية عشر الف جندي وبينت الاثار ان عدد المركبات الحربية لم ينقص عن

ما بين النهرين والعراق العربي وارسلوا اليه هدايا يسترضونه بها فحسبها جزية لكن الطامة الكبرى ادر كته عند بلوغه تخوم مملكة الحثيين في قرب العاصي فقد استعرت نار الوغى على قلعة قادس وطال اجيجها وتعددت المواقع الى ان افتتحها المصريون فلم يكن فتحها ختام الدفاع بل كان الحثيون يذبيون عن مواطنهم قدماً قدماً وكلما كثر عديد المواقع اشتدت حميتهم وبسالتهم حتى اعياوا فرعون فاضطراً ان يوقع على عهدة صلح مع موتار ملكهم ضمنت لهم سلامة املاكهم حتى ردت عليهم قادس مدينتهم ولم يلزموا انفسهم الا الانكفاف عن الاعتداء على الاعمال المصرية وان لا يثيروا ثورة على سلطة ملك مصر بل يكون بين المملكتين عهدة دفاع وهجوم . ان خطوط الكرنك لا تصرح بانخزال ساتي بل تحاول اخفاء ما تبديه قرائن الحال وتقرّ ببسالة الحثيين بتعظيمها نفسه مشاق الانتصار عليهم وتشبه ساتي بالالهة وتدعوه تارة جقلا يطوف البلاد سحراً وتارة اسداً ضرغماً يعرف الطرق الخفية في كل بلاد وتارة ثوراً شديداً لاقتدار قويّ القرون . وقد كتب على الصورة الممثلة هذه الحرب . ها هي تي ذرية الحثيين وقد صنعت جلالته فيها ملحمة .

ان نجاح الحثيين بهذه الحروب زادهم جسارة ففقطعوا على المصريين طريق حلب والقرات الذي كانت عساكر توتمس الاول وتوتمس الثالث تمر به ظافرة او لا تجد فيه من مقاوم واصبحت املاك مصر في سورية مقصورة على فلسطين وما جاورها من بلاد ارام الجنوبية وعلى فينيقي التي كان تجارها يؤثرون اعطاء ملك مصر الجزية على فوات ارباح تجارتهم البحرية وضياع كسبهم في مصر . واجتزأ ساتي بان يحسن سياسة ما بقي من املاكه في مصر وسورية موثراً ثبوت هذه الاملاك والانتفاع بها على انبساط سلطته ونفقات الحرب لضبطها . وبذل الحكام الوطنيين بعمال مصريين واقام حرساً مستمراً في اخص

﴿ عد ٦٤ ﴾

﴿ في الحثين وساتي الاول ﴾

خلف رعمسيس ابنه ساتي الاول ويسميه اليونان ساتوس وهو الذي بدأ يضطهد العبرانيين في مصر كما في سفر الخروج وقد بنى هذا الملك اثاراً مدهشة اغربها واجملها الردهة الشهيرة المعروفة بردهة الاعمدة في هيكل امون في الكرنك التي ما برحت على كرور القرون آية تحمل الجوالين والمتفرجين بها على العجب العجيب وقد نقشت على جُدره صور غزواته وتاريخها مطولاً فمن هذه الصور ما يمثل محارباً الشاسو وهم العرب الرحل في جانب خليج السويس ومنها ما يمثل اهل لامون اي سكان اعالي لبنان يقطعون اخشاب الارز والسرو لابنية الملك الذي ظفر بهم ومنها ما يمثل مدينة قادم وحصنها يحاصرها المصريون ويفتحونها على الحثين ومنها ما يمثل مركبات الحثين وعلى كل منها ثلاثة رجال ويجرها فرسان ومنها ما يمثل هذا الملك عائداً من الحرب ظافراً محفوقاً بكثير من الاسرى يلتقيه عظماً مملكته عند تخوم مصر فيقدم الاسرى للاله امون في (طيبة) وفي جوانب هذه الصور خطوط كثيرة تأخذ عنها ما نذكره هنا بتصرف

حارب ساتي في السنة الاولى للملكه العرب الذين كانوا اكثروا من السطو والاعتداء في تخومه الشرقية فشنت شملهم في البرية وزحف في السنة التالية بعساكر جرارة الى سورية فقل من قاومه في فلسطين لان ملوك الكنعانيين ولاسيما الفينيقيين لم يكن لهم همٌّ الاً بأرباح تجارتهم فاستسلموا اليه وادّوا اليه جزيّتهم وقدموا الذخائر لجنوده . ثم دان له الاراميون دون شديد نزاع . وانقاد اليه من كانوا لبوا قبلاً على استقلالهم في بلاد دمشق وفي السهول التي بين الفرات ولبنان الشرقي لجهة تدمر وفي اعالي جبل لبنان حتى ارتاع منه ملوك

ايضاً ولما كان هولاء من قبيلة الملوك الرعاة على الأرجح هاموا ان يستحوذوا على سورية كلها ليشاروا باجدادهم الرعاة من المصريين الذين طردوهم من مصر بانتزاعهم منهم املاكهم في سورية (ملخص عن لانرمان في مجلد ٢ صفحة ٢١٩ من تاريخه) وكان ملك الحثين حينئذ يسمى سابالت وهو اول من نعرفه من ملوكهم فعني ورعمسيس اولاً باصلاح شؤون مملكته في مصر وهم باعادة سكان سورية الى طاعته ولكن لم يكن خصماؤه في سورية هذه الدفعة كما كان خصوم اسلافه الروتانو الذين كانوا ضعفاً لا تقسامهم الى عدة قبائل مختلفة الاغراض والنزعات لا تجتمع كلمتها بل كان الحثيون حينئذ ذوي دولة قديرة فسيحة الارعاء بهم بالحروب وتبادل مصر قوة فدخل ورعمسيس الاول فلسطين فلم يصادف شديد مقاومة فقد اعتاد اهلها ان يستسلموا الى كل غازي اقبل على بلادهم لكنه لم يبلغ نهر العاصي الا وقابلته جيوش لم تكن له في الحسبان ولم نطلع على تفاصيل هذه الحرب فربما اضرب المصريون عن ذكرها لانها لم تكن مشرفة لهم لان الظاهر من قرآن الحال ان ورعمسيس لم يقوَ على اخضاع الحثين بل أُلجئ ان يعقد مع ملكهم عهدة صلح تشترك بموجبها كاتتا الدولتين بالدفاع والمهاجمة على من يناوي احدهما ليتقي ورعمسيس غائلة الحرب التي اوقد نارها وقد لاحظ مسبرو (في تاريخ المشرق) ان الفراعنة لم يكونوا الى تلك الايام يعتبرون ملوك سورية بمنزلة ملوك مساوين لهم او يتنازلون لعقد صلح معهم بل كانوا يحسبونهم اعداء ينكرون بهم او عصاة يجرون عقابهم وكانت نهاية الحروب معهم خضوعهم صاغرين دون شرط او تدميرهم التام ، ولم يملك ورعمسيس هذا الا ست سنين او سبعة

حملة لا نعلم من امرها الا ما وجد مكتوباً على صفيحة من حجر وجدت في
هيكمل امون في تاب (طيبة) جل ما كتب فيها ، غزوة الملك (توتمس الرابع) في بلاد
الحثيين ، وقد ظهر بأس الحثيين وسطوتهم في عهد دولة الرعمسيسيين وهي
الدولة التاسعة عشرة

﴿ عد ٦٣ ﴾

— في الحثيين ورعمسيس الاول —

ابتدأت دولة مصر التاسعة عشرة برعمسيس الاول فان هوراً مهب الملك
الاخير من الدولة الثامنة عشرة توفي ولم يعقب فرقي منصة الملك رعمسيس
الذي كان قائداً للجنود واشتهر بخدماته لوطنه ولم يكن من نسل الملوك بل لم
يكن مصرياً اصلاً فان سمات وجهه ووجه ابنه ساقى الاول وحفيده رعمسيس
تظهر في تماثيلهم جميلة لا شبه فيها لوجوه ذرية مصرائيم فدل ذلك على انهم
من شعب غير مصري وايد هذا ان العلامة ماريات اكتشف صفيحة قديمة في
تائيس كتب فيها ما يثبت ان رعمسيس الثاني جدّد عبادة الاله سوتك او سوتخ
وهذا هو معبود الملوك الرعاة في تائيس عاصمتهم ويسمى رعمسيس هناك
ستماعتي احد الملوك الرعاة ابا او جدّاً له ويجعل ارتقاء هذا الملك سدة مصر مبدأ
تاريخ يؤرخ به اعمال الملك فكان ذلك دليلاً على انه وملوك دولته من سلالة
الملوك الرعاة السوريين اصلاً وبقي بعض نسلهم في مصر بعد طردهم منها
وكان حصل في اخر سني الدولة الثامنة عشرة شعب سياسي وديني اضعف
قوة مصر عن ضبط املاكها الخارجية فنبتت سورية وفلسطين طاعتها وكان
الحثيون في هذه الاثناء تغلبوا على الروتانو في شمالي سورية وازاحوهم من
مراكزهم وانضموا في مملكة واحدة فسيحة الارجا تنبسط من شاطي الفرات
الى جبل طوروس والى البحر المتوسط وتمتد جنوباً الى قادس بل الى دمشق

الكرنك تقادم الملوك وجزيات البلاد ومن جملتها جزيرة بلاد الحثين حيث قيل « جزيرة سكان بلاد الحاتاس الوسيعة كانت هذه السنة ثماني حلقات من فضة وزنها ٣٠١ ليبرا Livre وحجرًا ثمينًا كبيرًا ابيض ومركبات واخشابًا » الى غير ذلك فهنا نجد اسم الحثين لأول مرة في الاثار المصرية . ولما كان اللبنانيون لم يخلصوا الطاعة لتوتمس اضطر ان يبحث في السنين التابعة الى بلادهم والى بعض المدن الشمالية عسكريًا يتكفل باستتباب الراحة والسكينة وقد حمل حملة اخرى على بلاد الروتانو اي سورية لسنة ٣٩ من ملكه فانقصر ايضًا وادى اليه الحثيون الجزية اذ قيل في تواريخه المذكورة « من ملك بلاد الحاتاس الفسيحة اربعون ليبرا ذهب وواحد وعشرون عبدًا وامة وثيران وبقر »

وعاد ملك قادس فحصن مدينته وحمل غيره من ملوك سورية على الخروج عن طاعة توتمس فاضطر في سنة ٤٢ للملكه ان يجيش الجيوش مرة اخرى للتكسيل بالروتانو والسوريين حلفائهم فافتتح قادس عنوةً وبدد شمل المتألمين وقطع دابر ثوراتهم عليه فعاش بعد ذلك اثنتي عشرة سنة ناعم البال طيب القلب من قبل ملوك سورية فتكون مدة ملكه اربعًا وخمسين سنة كل ذلك كشفت لنا عنه الخطوط المنقوشة على جدار هيكل الكرنك وكان اول من ترجمها اغوسطوس ماريات ومن انباء هذه الخطوط ايضًا ان توتمس في ٣٣ و ٣٤ و ٣٨ من سني ملكه اخذ الجزية من سكان جزيرة اسابي وهي قبرس بلا ريب وقد وجدت ايضًا في الكرنك صفيحة كتبت عليها اشعار فصيحة منبئة بغزوات توتمس هذه فترجمها الفيكننت دي روجه de Rouge وهي منبئة باخضاعه سكان زاهي المار ذكرها والروتانو وشعب فينيقي وقبرس وسكان مدين وغيرهم . ومن بعد توتمس الثالث لم نجد اثرًا ينبئ بان احد القراغة الستة او السبعة الذين تخلفوا له حارب الحثين او الروتانو سوى توتمس الرابع فانه حمل على الحثين

ثم في ربيع السنة التالية زحف توتمس بعساكره الى سورية فاتم اخضاعها لسلطته واجتاز الفرات ثانية وشيد حصناً على نهر الخابور بقيت اثاره الى الان وقد وجدت ثمة صفائح صغيرة كتب عليها اسمه فدان له الروتانو في عبر الفرات وارسل اليه ملك اشور وملك بابل جزيتهما قبل ان يدخل بلادهما. وعبرت اربع سنين لم تتخللها حرب فجدها فيها ملك الروتانو في قادس بلم شعث قومه واصلاح شؤون بلاده واعداد معدات الحرب واستمال اليه سكان شمالي سورية ولا بد ان كان الحيون بينهم فهب توتمس للتكامل بهم للسنة التاسعة والعشرين من ملكه ويظهر انه سير جنود حملته هذه في طريق سواحل البحر ففتح اراتو (ارواد) وحيلبون (حلب) وغيرها ودخل بلاد زاهي التي يراد بها على ما روى لانرمان (في صفحة ١٩٥ من المجلد الثاني من تاريخه) قسم من لبنان بين مدن فينيقي وسورية المجوفة وحاصر في السنة التالية قادس فافتحتها عنوة وغنمت جنوده بما كان فيها وذلك بعض حصونها فاسرع ملوك الروتان السفلي (يراد به ما بين النهرين) فادوه الخضوع واثارت ارواد عليه فاذهبا ثانية وعاد الى مصر ظافراً ومعه ابنا الملوك واخوانهم ليكونوا رهينة الامانة له ، وحتى اذا مات احد الملوك او الولاة ارسلت جلالته من لديها من يتخلف له ، (ترجمة الاصل) فكان من دأب القراعنة حينئذ ان يستبقوا في كل مملكة ملكاً من سكانها يقر لهم بالسؤدد وفيهم الجزية وينجدهم برجاله ابان الحرب

ثم عاد توتمس للسنة الثالثة والثلاثين من ملكه فحمل على بلاد الاشوريين وبلغ نينوى فعمظت سطوته واشتد بأسه وعم الروع كل من ناواه ولذا التقاه عند عوده وفود من قبل شعب زاهي ولمنون (لبنان) واسو (وهي على رأي لانرمان عمل في شمالي لبنان كانت مشهورة بمعادن الحديد فيها) ولعلها جبة بشري والضنية) وغيرها فقدموا للملك الظافر جزيتهم وقد عدت على جدران

غزة ولما شب توتمس واستتب له الامر خرج في فصل الربيع للسنة الثالثة والعشرين من ملكه الى غزة وولي بنفسه قيادة جيوشه وكان ملوك سورية والكنعانيين المتحالفين عليه القوا قيادة عساكرهم الى ملك قادس واقاموا معظم جحافلهم في مجدو وهي المعروفة الان بالاجون في جانب جبل الكرمل فزحف بحماقله اليهم فانتشبت الحرب بين الفريقين في ظاهر المدينة فانهمزمت عساكر المتحالفين وسعت جنود توتمس في اثرهم الى اسوار المدينة وكان حرسها وصد الابواب خيفة فالحجى ان يُدلى جبالا يسحب بها المنهزمين من أعلى السور وحاصر توتمس المدينة مضيقاً عليها فاستسلمت اليه ودان له الامراء المتحالفون الذين لجأوا اليها فاجتاز توتمس بعساكره مرج ابن عامر وما يليه الى لبنان واعمال سورية حتى الفرات ولم يكُ ثمة من يقاومه فان من لم يشهدوا حرب مجدو تسابقوا في الخضوع واطهار الامانة والانقياد له وفتحت الحصون ابوابها ومن جسر على النزال أكره على الاستسلام وقد عدت على جدران الكرنك المدن التي سلمت الى توتمس فكان عديدها مئة وتسع عشرة مدينة منها باروتا (بيروت) وتماسكو (دمشق) فانهما سلمتا الى توتمس قبل وصوله اليهما ثم اكثر المدن الواقعة في فلسطين وعبر الاردن من بلاد الموابين الى دمشق واتصل بحملته هذه الى سورية الشمالية حتى ما بين النهرين وعاد الى مصر ظافراً تحف به الوف من الاسرى ومن رغبوا في ان يتطوعوا في جنديته ومن اخذهم رهنية الانقياد له وذكرت تواريخ توتمس غنائم حربه هذه فتبين منها انها كانت تسعماية واثنين واربعين مركبة وعديداً من الصفائح الذهبية والفين وواحداً واربعين فرساً وظهر منه ان معظم قوة العساكر الكنعانية كانت منذ وقتئذٍ بالمركات الحربية كما كانت في عهد يشوع والقضاة (طالع سفر يشوع فصل ١١ عد ٤ وفي سفر

فاذلوا الروتانو واستأثروا بملكهم فهذا ما أنبأنا به الآثار الهيروكليفية لاننا نرى الخطوط المنقوشة على جدار هيكل الكرنك والمسماة «توارينج توتمس الثالث» لم تأتِ بذكر الحثين البتة في اخبار حملة هذا الملك الاولى على سورية بل ذكرت الروتانو وحدهم لكنها في اخبارها عن حملته الاخيرة ذكرت تقدم الحثين له كما سترى بعينه وتوتمس هذا كان قبل مولد موسى وبعكس ذلك نرى الخطوط التي أرخت بها حملات رعمسيس الثاني على سورية تذكر الحثين ولا تتعرض لذكر الروتانو الا من حيث الجغرافية لانها تسمى البلاد التي كان فيها الحثيون بلاد الروتانو ورعمسيس الثاني هذا هو الذي فرّ موسى من وجهه بعد قتله الرجل المصري آخذاً بثار الاسرائيلي

﴿ عد ٦٢ ﴾

— غزوات توتمس الثالث ملك مصر للروتانو والحثين —
قد كان لقراعنة الدولة الثامنة عشرة بعد طرد الملوك الرعاة من مصر غزوات في سورية فان امون هوتبو اول خلفاء احمس اصل هذه الدولة غزا بلاد الكنعانيين واخضع ملوكها المتعديين وتوتمس الاول خليفته اتم اخضاع الكنعانيين في فلسطين واتصل الى انحاء دمشق وانتصر على الروتانو وتوغل في شمالي سورية الى الفرات واقام عليه بمقربة من كركيش نصباً يذكر الحلف بغزوه وتوتمس الثاني ابنه لم يملك الاّ زمناً قصيراً وخلفه اخوه توتمس الثالث فكان له في سورية غزوات اكثر اهمية نقش توارينجها على جدار هيكل الكرنك كما مر فجادت علينا بكثير من الفوائد في تاريخ بلادنا فاثرا ان نلخص منها ما كان مهماً . ارتقى توتمس منصة الملك طفلاً فكانت اخته المسماة هاتشبو تدبر الملك فسول صغر سنه لسكان سورية الذين كانوا يؤدون الى ملك مصر الجزية ان يأبوا اداءها وعمت الثورة فلسطين ولم يبقَ على طاعة ملك مصر الا سكان

لعتروت الآلهة وهي القمر عندهم ، فتكون حدشي بهذا المعنى اي المقدسة
لجعلها معبدًا للالهة المذكورة

﴿ عدد ٦١ ﴾

— في الروتانو والحثيين في سورية الشمالية —

نجد في الاثار المصرية ذكر قادس قبل ذكر الحثيين فيظهر من ثم ان هذه
المدينة كانت قبل الحثيين من املاك الشعب الذي تسميه هذه الاثار روتانو
ويراد بهم سكان سورية الشمالية وتسمى بلادهم روتان ويرجع على ما مرّ
انه مكسر لودان اي بلاد ذرية لود بل ان بعض اهل العلم بالاثار المصرية
يقرأون العلامة الدالة على هذا الاسم لودانو لا روتانو فيظهر ان اللوديين
والاراميين سكان دمشق وما يليها نحو الشرق والشمال اختلط بعضهم ببعض
فسمتهم اثار مصر روتانو اي لوديين ومن بعد انقراض الحثيين وتقلب الاراميين
في القرن الثامن قبل الميلاد عادوا يسمون اراميين هذا ما رواه لانرمان في
المجلد الاول من تاريخه (صفحة ٢٩٠) على انه قال في المجلد الثاني من تاريخه
المذكور (صفحة ١٧٦) ان اسم الروتانو كان احيانًا شائعًا يراد به سكان سورية
على اختلاف الاصول ومن رأي الاب دي كارا (في كتابه في الملوك الرعاة
فصل ٩) ان اطلاق هذا الاسم على سكان سورية في اثار غزوة توتمس لها كما ترى
بعيده لم يكن الا لان قيادة عساكر السوريين حينئذ كانت لقبيلة الروتانو
فهولاء الروتانو كانت سلطتهم منبسطة في سورية الشمالية على عهد ابرهم
الخليل وفي اكثر المدة التي اقام فيها بنو اسرائيل في مصر واستمرت سيادتهم
عليها الى عصر الدولة الثامنة عشرة في مصر قبل خروج بني اسرائيل منها وكان
الحثيون ينزعون املاكهم مدينة مدينة مضمين ان يظفروا يومًا ما باسيادهم
الاراميين الروتانو الذين كانوا يأذونهم الجزية الى ان ادركوا ما كانوا يتفنون



صورة مركبة روثانية مأخوذة عن احد جدران تاب (طيبة) صفحة ١٦٩

الصناعة الى اسكندر الكبير ، والصحيح انها قبله قروناً ولا بد ان كانت مدينة قادس على جانب هذه البحيرة كما حقق كثير من اهل العلم ومنهم اخيراً الاب جوليان اليسوعي في تذكرة تطوافه في سورية المجوفة سنة ١٨٩٠ التي طبعت في المجلة المعنونة الدروس الدينية الفلسفية التاريخية في شهر حزيران من السنة المذكورة فوق قادس في المحل المذكور كان يجعلها حصناً منيعاً يوقف العدو عن مسيره في الشمال في سهول حمص وحماه ولذلك كثر عدد الوقائع هنالك كما سترى في هذه المقالة وما يليها

اما الكتاب فذكر عدة مدن باسم قادس فمنها قادس برنع في العربية احدى محطات بني اسرائيل في طريقهم من مصر الى الاردن وقادس يهوذا في نصيب سبط يهوذا وقادس نفتالي في نصيب سبط نفتالي بين بحيرة الحولة وبحيرة طبرية (المعروفة الان بقادس محولة) وسنتكلم في موقع هذه المدن في المقالة في العبرانيين ولم يذكر الكتاب قادس مدينة الحثيين الا مرة واحدة في سفر الملوك الثاني (ف ٢٤) على ما ذكرنا في عدد ٥٦ بحسب رواية بعض نسخ الترجمة السبعينية في طريق الوفد الذي سيره داود لاحصاء الشعب على ان النص العبراني يسميها هناك حدشي او حدسي او حدثي . قال الاب فيكورو (في كتابه المباحث المنشورة صفحة ٣٥٢ طبعة ٢) ان كان كاتب النص العبراني لم يحرف سهواً (كما قدمنا) اسم مدينة الحثيين هذه فينتج من ذلك انها كانت تسمى اسماً يختلف عن اسماء باقي المدن التي سماها الكتاب قادس فيتبدى اسم هذه بحرف الحث (الحاء) واسم تلك بالقاف وعليه فيكون تأويل قدسي بالقاف المقدسة اي المدينة المقدسة وتأويل حدثي بالحاء الجديد (فكلمة مهملاً في السريانية معناها الجديد) وكانوا يعبرون بذلك عن اول الشهور القمرية فيسمونه المستجد اي المسهل او ظهور الهلال فتسمية المدينة بهذا الاسم يشير الى جعل المدينة معبداً

﴿ عدد ٦٠ ﴾

— في قانس مدينة الحثين —

ان اسم قانس هذه نفسه كان مجهولاً قبل الكشف عن الكنوز
 الهيروكليفية عما قريب . واما الان فكل من له االم بالاثار المصرية يعلم انها كانت
 في برية حمص فقد كثر ذكرها في هذه الاثار بل حفظت لنا صورتها ومناظرها
 في اطلال هياكل مصر ومن جملتها صورة ناتئة على جدار هيكل الاقصر مثل
 فيها حصار رعمسيس الثاني لهذه المدينة (انظر الصورة السادسة) تر حصن
 قانس في جزيرة تحيطها امواه العاصي وحامية الحثين على اسوار المحصن وترى
 يمتة فريقاً من الحرس خارجاً من الحصن يهاجم العدو ويسرة رجالاً يعنون بانقاذ
 قائد غرق في النهر وفي اسفل الصورة فرسان الحثين يمتة وفرسان المصريين
 يسرة . وفي مصر ايضاً في الكرنك صورة اخرى ناتئة من عهد الفرعون ساتي
 الاول تمثل حصار عساكر مصر لقانس ولا شك بان البحيرة التي صورها
 مصورو رعمسيس الثاني هي التي زارها روبنسون عام ١٨٥٦ واطال الكلام
 فيها وهالك ما كتب هذا الجوال الاميركاني الشهير . يتكون من نهر العاصي
 على بعد من نحو ثلث ساعات من ربله نحو الشمال بحيرة تسمى بحيرة قانس
 وبحيرة حمص طولها مسافة ساعتين وعرضها مسافة ساعة واحدة وطرفها الشمالي
 يبعد عن حمص مسافة ساعتين واكثر اجزاء البحيرة (حتى لا نقول كلها) صناعية
 فهي مؤلفة من سد قديم يعترض جريان ماء النهر وطول هذا السد من اربعةماية
 الى خمسةماية يرد وعلوه لا يتجاوز الاربع عشرة قدماً وعلى طرفه الشمالي الغربي
 برج صغير وفي جهة الشمالية جزيرة صغيرة وتل ٠٠٠ وذكر ابو القدا هذه
 البحيرة وسماها بحيرة قانس واعتبرها صناعية لانه لو هُدم السد لجري الماء ولم
 يبق ثم بحيرة بل نهر وكانت العامة على عهد ابي القدا تنسب هذه البحيرة

يتحلون بمثل هذه الحلي

وكانت حكومة الحثيين ملكية يتخلف فيهم الملك للآخر بحق الارث وكان الملك يلقب بلنتهم بكلمة سار او سيرا على ما يظهر من اسماء ملوكهم وكان لهذا الملك ولاية على ملوك آخرين او اقبال منهم يعدون العساكر تحت امرته ابان الحرب وكانت اهم اشغالهم الحرب والتجارة وكانوا يكثرون من الحيلول كسائر سكان السهول وقد مرّ نقلاً عن سفر الملوك الثالث ان تجار سليمان كانوا يجلبون لهم الخيل فجأت الاثار المصرية مصداقاً لآية الكتاب وكان معظم قوتهم الحربية في الخيل والمركبات وكانت جيوشهم ذوي بسالة في الحرب محنكين في القتال يتوفر فيهم الانقياد لقوادهم منقسمين الى فرسان ورجالة وكان الفرسان يحاربون في المركبات ايضاً ومركباتهم خفيفة صغيرة تدور على دولابين فقط ويجرها فرسان وتقل ثلاثة رجال سائقاً ومقاتلين ففي اثار مصر صور عديدة لمركباتهم هذه

واول محل احتلوه اودية جبل امانوس (الكام) ثم اخذوا يبسطون ولايتهم شيئاً فشيئاً نحو الشرق والجنوب حتى اتصلوا شرقاً الى الفرات فاستحوذوا على كركميش وغرباً الى وادي العاصي فاستولوا على حماء ثم على قادس في جانب حمص ثم غالبوا الاراميين على دمشق نفسها فحكموا فيها مدة ومدوا استيلائهم في وقت غير معلوم الى الشمال والشمال الغربي حتى ضبطوا اسيا الصغرى كلها كما تبين اثارهم الباقية هناك وسنأتي على ذكرها وقد شهدت لهم الاثار المصرية بذلك باحصائها شعوب هذه البلاد ابدأً بين محانفي الحثيين ومنجديهم ويحتمل ان يكونوا الكتيوا الذين ذكرهم اوميروس الشاعر اليوناني في اشعاره وامنع حصونهم في الجنوب مدينة قادس التي طارت شهرتها بحروبهم مع المصريين ولما كان ذكرها كثير الورود في هذه المقالة رأينا ان نبسط الكلام فيها

الصغرى سنأتي على بيان كثير منها وقد برع بالعلم بهذه الاثار سايس ودرىكت وباروت Perrot وغيرهم ستمربك اسمائهم وتغنم بمطالعة بعض اقوالهم في كلامنا الاتي حيث نفرد لكل من مصادر تاريخ الحثيين الثلاثة فصلاً مخصوصاً

الفصل الثالث

(في تاريخ الحثيين مأخوذاً عن الاثار المصرية)

— ❧ — عد ٥٩ — ❧ —

﴿ في هيئة الحثيين ونوع حكومتهم وبسطة ملكهم ﴾

نرى في الاثار المصرية صور عديدة تمثل كثيرين من الحثيين الشماليين وهيئة وجوههم الطبيعية اقرب الى الروتانو (كذا تسمي الاثار المصرية شعباً كان يسكن سورية الشمالية قبل الحثيين او في جانبهم) منها الى سكان فلسطين ولون وجوههم ابيض ضارب الى الحمرة فيمتازون عن العمو (يراد بهم في هذه الاثار الساميون) الذين لون وجوههم مائل الى الصفرة . ولا يطلق الحثيون لحاهم خلافاً للساميين بل يحلقون لحاهم وشواربهم وشعور رؤسهم ويتركون في اعلاها ناصية وشعورهم سوداء ولباسهم قيص مستطيل يتصل الى العقب وصورتهم الاثار المصرية حفاة كأنه للدلالة على اشرهم وذلمهم لكن اثارهم في اوطانهم تُصوّر احذيتهم معكفة او معظفة الى ما فوق كما كانت الاحذية في القرون الوسطى وبقي شيء منها في بلادنا الى عهد قريب ويرى في صورة احد الحثيين في مدينة ابو حلقه مدورة في اذنيه فكان رجالهم كانوا

واين كانت مساكنهم وما كانت قوتهم وسطوتهم واي المعبودات عبدوا الى غير ذلك من تاريخهم . والثاني الاثار السكداية المسمارية ومنها تبين لنا ما كان لهم مع ملوك نينوى واشور من الحروب والمغالبات وما افضت اليه هذه الحروب واين كانت مدنهم وحصونهم الى غير ذلك . والثالث اثار الحثيين انفسهم فقد دلتنا (وهي بكماء لانستوضح الى اليوم ما كتب فوقها) على مستعمراتهم وجالياتهم وصنائعهم وكشفت لنا عن نوع بناياتهم واسلحتهم وملابسهم الى غير ذلك مما ستره في كلامنا الاقي

قد انبأنا فرنسيس لانرمان (مجلد ١ من تاريخه القديم لشعوب المشرق صفحة ١٣٠ طبعة ٩) كيف اهتدى الى الاثار الحثية ومتى كان ذلك فقال ما ملخصه ان جواله انكليزيا اسمه بوركرد Burckhardt مر في حماه سنة ١٨١٢ فابصر على جدار ازقتها خطوطاً قديمة هيروكليفية تختلف عما يشاهد في الاثار المصرية فعلق ذلك بين اخبار رحلته فلم يكن لصوته صدى يوقظ اهل العلم بالاثار القديمة او يحمل المجتهدين والجوالين على التنقيب في هذا الاثر الى ان زار حماه جوالان امريكيان وهما جونسون Johnson وجاسوب Jessup

فعنيا بنسخ تلك الخطوط التي كان بوكرد اشار اليها واكتشفا خطوطاً اخرى فنسخاها ايضاً فتنبه العلماء الى اهمية هذه الخطوط وكلفت لجنة الاكتشاف في فلسطين العالم شرال دراك Charles Drak بالتنقيب عن هذه الاثار في حماه واعتقبه العالم وريكت wright احد اعضاء جمعية الرسائل الانكليزية فتهياً له بمساعدة صبحي باشا والي سورية حينئذ ان يأخذ من حماه خمس كتابات ذات اهمية وهي محفوظة الان في متحف الاستانة العلية ثم اخذ العلماء في التنقيب عن امثال هذه الاثار فعثروا على كثير منها في حماه وحمص وحلب ومرعش وكركيش (ايرابوليس الان) وفي الكبادوك ومحال اخرى عديدة في اسيا

ان اسم الواحدة لا يزيد على اسم الاخرى الا حرفاً واحداً فحشو الكتاب اذا هم الحاتاس او السكاتاس الوارد ذكرهم في الاثار المصرية وهم الحثي او الحنا الوارد ذكرهم في الاثار المسمارية

الفصل الثاني

(في تاريخ الحثيين مأخوذاً عن الاثار القديمة)

﴿ عد ٥٨ ﴾

❧ في مصادر تاريخ الحثيين ❧

قد رأيت ان ما جاء في الكتاب المقدس من تاريخ الحثيين قليل غير واف لان غرض كتبة الاسفار المقدسة ديني وروحي لم يتخطأ تاريخ شعب الله الا في ما كان له علاقة بهذا التاريخ المقدس وقد قلت علائق اليهود مع الحثيين ولم يذكر المؤرخون القدماء من تاريخهم الا نزراً يسيراً ولم تكن الاثار المصرية والمسمارية الا طلائع خفيت رموزها واستعصت معمياتها على الحل الى اواسط هذا القرن ولذلك كان تاريخ الحثيين ميتاً مدفوناً قد انبعث من امد قريب فهو حديث النشأة وقد اخذ يشب وينمو ويتقدم سنة فسنة بل شهراً فشهرًا او ما برح الامل معقوداً ببلوغه الكمال خاصة متى فتح الله باب الكشف عن اصطلاح علاماتهم الكتابية الذي ما زال منلقاً الى اليوم ولكن يرجى فتحه من شهر الى اخر وما عُرف الى الان من تاريخهم كأن له ثلثة مصادر الاول الاثار المصرية الهيروكليفية فنما علمنا ما كان للحثيين مع دول مصر من حرب وصلاح

دي كارا وقد رجح ان لغة الحثيين حامية اكسبتها المجاورة للساميين والتجارة معهم الفاظاً وجمالاً واصولاً نحوية سامية وقد تكون اللغة المكتوبة بها الاثار غير لغة الشعب العامة . كما اعتاد سكان ايطالية مثلاً ان يكتبوا اثارهم باللاتينية لا بلغة عامة الشعب الايطالية

زعم شباس (في كتابه سفر مصري الخ) (١) سنداً الى مثل هذا البرهان اللغوي ان الكاتاس او الحاتاس الوارد ذكرهم في الاثار المصرية غير الحثيين الذين ذكرهم الكتاب مدعيًا ان اعلام الحثيين الواردة في الكتاب من اسماء رجال ونساء ومدن انما هي سامية اي عبرانية والاسماء الواردة في الاثار المصرية ليست من هذه اللغة في شيء ولا تقرب منها فرد العالم ليا بلان Lieblein

اعتراضات شباس في خطبة القاها في مجتمع العلماء بامور المشرق في بطرسبورج سنة ١٨٧٦ وقال الاب فيكورو (في كتاب المباحث المذكور صفحة ٣٣٢) . لو سلمنا بصحة برهان شباس لما نتج عنه ان الحاتاس الذين ذكرتهم الاثار المصرية غير الحثيين الشماليين الذين ذكرهم الكتاب بل جل ما ينتج من ذلك ان الحثيين الشماليين والحيثيين الجنوبيين لم تكن لهم لغة واحدة ، وقال هناك ايضاً اجمع العلماء بالاثار المصرية ان الحاتاس في هذه الاثار هم الحثيون الوارد ذكرهم في الكتاب ولا اقل من ان يكونوا الشماليين . وما احسن وما اقوى برهان الاب دي كارا حيث قال (في المحل المار ذكره) ان الاثار المصرية على عهد ساقى الاول ورعسيس الثاني اعلمتنا بقبيلة سميتها كاتاس او حاتاس ووصفتها بانها كانت محبة للحرب ممتدة في شمالي سورية وفي ارض الحثيين التي ذكرها يشوع بن نون وقد حاربها هذان الملكان وغيرهما من فراعنة مصر فكيف يمكن ان يكون في بلاد واحدة وفي وقت واحد قبيلتان مختلفتان مع

بينهما من قبيل اللغة والهيئة الطبيعية على ان لغة الحثيين الشماليين موضوع البحث حتى الان بين العلماء فلا تصالح ان تكون حجة حتى لو ثبت انها تخالف لغة الشماليين لم يكن ذلك حجة ايضاً فعلاقة اللغة بالمسكن اكثر منها بالاصل فلفات قدماء سورية كاهم سامية مع انهم من اصلين سام وحام وكذا قل في الهيئة الطبيعية فلم يثبت حتى الان اختلاف فصيلتي الحثيين هيئة وهب ثبت فلا يثبت شيئاً كما سترى في كلامنا في الملوك الرعاة وخاصة لان الفريقين من نوع واحد هو الابيض . قال الاب فيكورو (في كتابه مباحث منشورة صفحة ٣٣٠ طبعة ٢) انه يسلم بان اصل فصيلتي الحثيين واحد وانهم من ذرية واحدة لان الكتاب لم يفرق بينهما ولكن بما ان الكتاب لم يصرح بانهما اولاد اب واحد فبقى القربى بينهما موضوعاً لبحث العلماء

قد صرح الاب قيصر دي كارا اليسوعي (في كتابه الملوك الرعاة Hyksos Gli فصل ١٠) بان الحثيين حاميون لاساميون وبان فصيلتهم الجنوبية والشمالية استوت فيهما الهيئة الطبيعية وكانت صناعة الحرب وانواع الاسلحة والملابس واحدة عندهما وروى ما كان من الخلاف بين سايس Sayce وهلافي Halévy في اصل الحثيين فقال سايس ان الحثيين غير ساميين مسنداً قوله الى اسماء كثيرة جمعها وهي اعلام رجال وشعوب ومدن حثية وليس فيها ما يشعر بانها سامية . وقال هلافي ان الحثيون ساميون لان اكثر الاسماء نفسها التي جمعها سايس سامي وبقاياها لا يختص بالحثيين بل بغيرهم من الشعوب فقال دي كارا خلط العالمان مسألة الاصل بمسألة اللغة وعندي انه لم يصب احد منهما ولم يخطئ احد منهما فقد يكون احد الشعوب حامياً ولغته سامية اكتسبها من محل سكناه فلا تدل اللغة على الاصل الا ان يصحبها ادلة اخرى فالحثيون حاميون اصلاً لا ساميون سواء كانت لغتهم سامية ام حامية . كل هذا من كلام

وجاء في سفر الملوك الرابع (فصل ٧ عد ٦) ان الاراميين بينما هم يشدون الحصار على السامرة في ايام يورام بن احاب اسمعهم الرب اصوات مراكب وخيول وعسكر عظيم . فقال كلُّ منهم لصاحبه هوذا ملك اسرائيل قد استجار علينا ملوك الحثيين وملوك المصريين ليأتوا علينا فقاموا وهربوا ، وكانت هذه الاية ايضاً قبل بضع سنين لغزاً يستعصي حله حتى زعم بعض اهل العلم انه لا يمكن التصديق بها على ظاهر حروفها اذ لا يتصور ان ملك الحثيين الضعيف يروّع ملك ارام القدير او تتهيأ له ان يحالف فرعون مصر . قال سايس (في كتابه في الحثيين) تعقب احد علماء هذا العصر كاتب السفر المقدس قائلاً انما الحليف الطبيعي للملك اسرائيل هو ملك يهوذا فلم يأت الكاتب بذكره بل بدله بالحثيين الخاطي الذكر وهذا مشعر بجهله بتاريخ عصره فلا صدق لروايته وردّ سايس على المندّد سهام قدحه مبيّناً انه الاولى بالانتساب الى الجهل وان الاكتشافات الحديثة اثبتت ان الحثيين الشماليين كانوا حينئذٍ دولة اقوى من ملك يهوذا وكانوا خلفاء مصر ويعادولونها قوة وبأساً . انتهى ملخصاً عن كتاب الاب فيكورو المسمى مباحث مثورة كتابية *Mélanges Bibliques* مع زيادات عليه

﴿ عد ٥٧ ﴾

— في اصل الحثيين بالخصوص —

بقي علينا ان ننظر في اصل الحثيين أمن اصل واحد هم ام من اصلين رأى جمهور العلماء ان لفصيلتين اصلاً واحداً هو حث بن كنعان كما مر لكن لانزمان بعد ان تابع رأي الجمهور هذا في المجلد الاول من تاريخه (صفحة ٢٧٣ طبعة ٩) عاد في المجلد الثاني (صفحة ٢٢٠) يقول ان الحثيين الشماليين ليسوا من ولد سام ولا من ولد حام بل هم من ولد يافت وعليه فلا قرى بين الجنوبيين والشماليين بل بين الشعيين مشابهة الاسم ليس الا . واسند ذلك الى اختلاف

قادس كانوا في جنوبي حماه وشمالي فلسطين فإذا تحرير معنى الآية ان وفد داود اتوا ارض الحثيين في قادس او ارض حثيي قادس وما هذا مجرد تقدير وحسب بل حقيقة مثبتة بما يأتي فقد روت بعض نسخ السبعينية الآية هكذا « واتوا الى جلعاد وارض حثيي قادس » وطبعت الآية كذلك في جامعة نسخ الكتاب التي نشرها الكردينال سيمانس المعروفة بالكملوتية وفي جامعة لحاي البريسية وفي جامعة انفر . ثم ليس بين كلتي تحتم وهحتم في العبرانية الا ابدال الهاء بالياء وصورة الحرف الواحد تقرب كثيراً من صورة الاخر في هذه اللغة ولم تكن فيها حينئذ حركات ولم يكن النساخ يعرفون الا حثيي الجنوب فتصحفت عليهم الهاء بالياء للمقاربة بين صورتيهما فكتبوا ارز تحتم التي ترجمت الارض السفلى بدلاً من ارز هحتم ارض الحثيين ومثل ذلك قل في كلمة حدشي فهي قدسي او قدشي اي قادس مدينة الحثيين الشهيرة وسيأتي الكلام فيها قد جاء ذكر الحثيين الشماليين على عهد سليمان ايضاً ففي سفر الملوك الثالث (فصل ١٠ عد ٢٩) ان تجار هذا الملك كانوا يشترون له الخيل من مصر « ويجلبون على يدهم لجميع ملوك الحثيين وملوك ارام » ولا جرم ان ملوك الحثيين هؤلاء لم يكونوا في فلسطين التي استقل سليمان في ملكها وكان « يسخر الشعب الذين بقوا من الاموريين والحثيين » الجنوبيين وغيرهم من فصائل الكنعانيين في ما يبينه من المدن والحصون (ملوك ٣ فصل ٩ عد ٢٠) بل كانوا ملوك الحثيين الشماليين الذين كانوا بسطوا ولاياتهم في سورية الشمالية واعمال اسيا الصغرى . ويظهر من الاثار المصرية انه لم يكن لهم ملك واحد بل كان لكل فصيلة منهم ملك فجاء ذلك مصداقاً لقول الكتاب « جميع ملوك الحثيين » وكان من رأي بعض المفسرين قبل الاكتشافات الحديثة ان اسم الحثيين في الآية بدل من اسم الكنعانيين فظهر الان بطلان ما وهما

وظن بعضهم ان لوز الجديدة كانت في قبرس لتسميتها كيتيم او حيتيم كأن المراد بلاد الحثيين وغيرهم انها كانت في بلاد العرب حيث مدينة تسمى ليزا او لوزا واما بعد ان دلتنا الاكتشافات الحديثة على بلاد الحثيين في سورية الشمالية فيرجح ان لوز الجديدة كانت هناك

وفي سفر الملوك الثاني (فصل ٢٤ عدد ٥ وما يليه) ان داود اراد ان يحصي الشعب فارسل يواب قائد جيشه وغيره من الرؤساء يجولون في البلاد ويحصون الشعب فمبروا الاردن ونزلوا بعروعر (عراعر الان في شرقي البحر الميت) واتوا الى جلعاد (السلط) الى الارض السفلى في حدشي . ثم اتوا الى دان (بانياس) ثم الى صيدون (صيدا) والى حصن صور ثم خرجوا الى جنوبي يهوذا الى بر سبع (في الطرف الجنوبي من ارض الموعد) انتهى كلام الكتاب . فطريق هؤلاء معلوم وتخطيطه سهل فانهم اجتازوا الاردن وتجولوا في شرقيه حتى انتهوا الى بانياس في الشمال قرب منبع الاردن ثم انحدروا غرباً الى صيدا وصور وعادوا جنوباً الى اخر فلسطين ولا غموض الا في قوله الارض السفلى في حدشي وفي العبرانية . ارض تحتيم حدسي ، او حدشي وقد كاد مفسرو الكتاب يأيسون من تفسير هذه الكلمات وتعيين المحل المحكى عنه فيها حتى قال العالم كايل سنة ١٨٦٤ (في كلامه في سفري صمويل) ان بيان المراد بها ضرب من المستحيل . على ان ما كان كايل يحسبه من امد قريب مستحيلاً لم يبق الان كذلك لان ارض تحتيم هي ارض حثيم اي ارض الحثيين والفضل بهذا ايضاً للاكتشافات الحديثة فان قرائن كلام الكتاب تدل على ان هذا المحل يلزم ان يكون في شمالي فلسطين وقد حققت الاكتشافات ان شمالي فلسطين ارض الحثيين الشماليين وقد انبانا الكتاب (ملوك ٢ فصل ٨ عدد ٩) ان توعي ملك حماه خضع لداود ويظن انه كان حثياً والحثيون المقيمون في

بن كنعان وكانت منازلهم أولاً في جبل امانوس المعروف الان بالسكام ثم انتشروا
بكرور الايام من الفرات الى حماه وحمص ومن دمشق وبرية تدمر الى الكبادوك
وقد جاء في سفر يشوع بن نون (فصل ١١ عد ٣) ان الرب قال له « قم فاعبر
هذا الاردن انت وجميع هولاء الشعب الى الارض التي انا معطيها لبني اسرائيل
... من البرية ولبنان هذا الى النهر الكبير نهر الفرات جميع ارض الحثيين والى
البحر الكبير الذي في جهات مغارب الشمس تكون تخومكم ، وكانت هذه
الاية من معضلات الكتاب على مفسريه لاطلاقها اسم ارض الحثيين على ارض
الموعد كلها ومن المستغرب ان يكون الحثيون سكان حبرون القدماء تغلبوا على
كل هذه البلاد حتى نسبها الكتاب اليهم ولذلك قال بعض المفسرين ان اسم
الحثيين هنا بدل من اسم الكنعانيين وقال اخرون ان هذا الاغلط ركه النساخ
وقد اغفلت بعض نسخ الترجمة السبعينية ذكر الحثيين في هذه الاية على ان
الاكتشافات الحديثة جلت لنا مدلول هذا النص اذ علمتنا الاثار المصرية ما
كان حينئذٍ للحثيين الشماليين من الصولة والسودد في سورية كلها لانهم كانوا
قبل عهد يشوع قد حاربوا رمسيس الثاني فرعون مصر متراًسين على الكنعانيين
وسائر شعوب سورية كما ستري وعليه فحق لسكاتب سفر يشوع ان يسمي
وقتيئذٍ ارض الموعد ارض الحثيين

وقد جاء في سفر القضاة (فصل ١١ عد ٢٣ وما يليه) ان آل يوسف
ارسلوا جواسيس الى بيت ايل وكان اسمها قبلاً لوز فدلهم رجل منها
على مدخل المدينة فضربوا اهلها بحد السيف واطلقوا الرجل وعشيرته فانطلق
الى ارض الحثيين وبني مدينة وسماها لوز وهو اسمها الى اليوم . وقد اعتاصت
هذه الاية ايضاً على المفسرين خاصة لعدم علمهم باعمال تعرف في تلك الايام
بارض الحثيين فذكر اوسايوس مدينة باسم لوز على بعد تسعة اميال عن نابلس

الخروج والعدد وثنية الاشتراع مع الجرجاشيين والاموريين واليابوسيين وسائر فصائل الكنعانيين وفي سفر العدد (فصل ١٣ عد ٢٩) أكثر تفصيل حيث قيل ان جواسيس موسى قالوا عند عودهم اليه « رأينا ثم ايضاً بني عناق العمالة مقيمون بارض الجنوب والحثيون واليوسيون والاموريون مقيمون بالجبل والكنعانيون مقيمون عند البحر وعلى عدوة الاردن »

وكان الحثيون من جملة الكنعانيين الذين تألبوا على يشوع بن نون فبدد شمل المتألبين في جبعون في جنوب فلسطين ثم في شمالها عند بحيرة الحولة كما سترى في تاريخ العبرانيين . ويستدل من قول حزقيال (فصل ١٦ عد ٣) في اورشليم « ابوك اموري وامك حثية » ان الحثيين شاركوا الاموريين واليابوسيين في بناء اورشليم . والظاهر من الكتاب ان الحثيين لم يقرضهم بنو اسرائيل بل بقيت في فلسطين منهم بقايا اذ جاء في سفر الملوك الثاني (فصل ١١) ان اوريا احد قوادعساكر داود كان حثياً وقتل بامر داود فتزوج الملك بامرأته بتشيع فولدت له سليمان فكانت جدة بعيدة للمخلص . قال سايس ان نسبة اوريا هذا الى حثي حبرون حيث ملك داود سبع سنين اولى منها الى الحثيين الشماليين . وانبأ ناسفر الملوك الثالث (فصل ١١) انه كان بين نساء سليمان العديدات نساء حثيات ولا يمكن القطع بانهن من الحثيين الجنوبيين او الشماليين والراجح انهن من الفصيطة الشمالية اذ كان لها ملوك وكان بينهم وبين سليمان علاقات وداد وتجارة منها استجلابه لهم الحثيل من مصر كما في سفر الملوك الثالث (فصل ١٠ عد ٢٨) هذا في الحثيين الجنوبيين

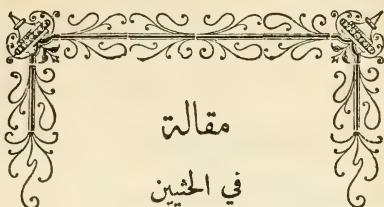
﴿ عد ٥٦ ﴾

❧ في الحثيين الشماليين ❧

اما الحثيون الشماليون فالارجح انهم والجنوبيون من اصل واحد هو حث

انهم وزنوا اربعمائة المثقال من الفضة التي دفعها ابراهيم لعفرون ولم يذكر ان ابراهيم استجدهم عند محاربته كدرا لا عومر بل استجار بالاموريين وقد وفرت العلائق بين الحثيين والعمانيين فاننا نقرأ في سفر التكوين (فصل ٢٦ عد ٣٤) • ولما صار عيسو ابن اربعين سنة اتخذ يهوديت بنت بئري الحثي وبسمة بنت ايلون الحثي امرأتين له • ويظهر ان اطوار الحثيين وادابهم كانت تخالف اداب العمانيين لاننا نرى رقعة تقول لاسحق • قد سئمت حياتي من اجل ابنتي حث (اللتين تزوج بهما عيسو) فان تزوج يعقوب (ابني) بامرأة من بنات حث مثل هاتين او بنات سائر هذه الارض فما لي والحياة • (تكوين فصل ٢٧ عد ٤٦)

ويظهر ان فصيلة الحثيين هذه كانت أمست قليلة العدد واهية القوة يسطو عليها جيرانها فتلجأ الى الفرار وتبديل منازلها لاننا لا نرى لهم اثرًا ولا عينًا في حبرون وما جاورها من البلاد عند عود بني اسرائيل من مصر وغزو يشوع بن نون فلسطين بل نرى مكانهم في حبرون بني عناق فالظاهر ان الحثيين كانوا استحوذوا على حبرون في زمان غير معلوم قبل ابراهيم طاردين منها سكانها القدماء بني اربع اذ كانت تسمى قرية اربع (١) باسم اول من بناها وهو اربع ابو عناق اصل العناقين فاسترد هولاء مدينتهم واستمرت في حوزتهم الى ان افتتحها يشوع بن نون وخص بها كالب بن يوفنا من سبط يهوذا • فقد جاء في سفر يشوع (فصل ١١ عد ٢١) انه • جاء في ذلك الوقت وقرض العناقين من الجبل من حبرون • ثم قال (فصل ١٤ عد ١٣) • واعطى حبرون لكالب بن يوفنا ميراثًا • وقد اقام الحثيون بعد طردهم من حبرون في الجبل والمراد به جبل افرائيم على الاظهر فقد ورد ذكر الحثيين في اسفار



الفصل الاول

(في اصل الحثيين وموطنهم وما يظهر من تاريخهم في الكتاب المقدس)

﴿ عد ٥٥ ﴾

— في الحثيين الجنوبيين —

قد رأيت في المقالة السابقة ان كنعان هو الرابع من ابناء حام وانه ولد له احد عشر ابناً اولهم صيدون وثانيهم حث الى سائر ابناء الفصائل الكنعانية وعليه فأصل الحثيين حث بن كنعان بن حام بن نوح وبعد ان هاجر الكنعانيون الى سورية وجدنا لولد حث بطنين او فصيلتين سكنت احدهما وادي ممرا وحبرون (الحليل الان) في جنوبي سورية والآخرى بين الفرات والعاصي في شمالها . وكان الحثيون في حبرون قبل ان ياتيها ابراهيم بشاهد انه عند وفاة سارة امراته ، كلم بني حث قائلاً انا غريب وزيل عندكم اعطوني ملك قبر عندكم فادفن ميتي ، (تكوين فصل ٢٣ عد ٤) فابتاع من عفرون الحثي مغارة المكفيلة اي المغارة المضاعفة وما بجانبها من الحقل فكانت مدفناً لسارة وله ولاسحق ابنه ويعقوب حفيده . ويظهر ان هؤلاء الحثيين كانوا يوثرون حينئذ التجارة وامتلاك الحقول على الحرب والغزو لاننا نرى الكتاب ذكر

وشمال بلاد العرب وكان الحوريون يسكنون قبلهم هذا الجبل فطردهم منه
الادوميون كما في سفر التثنية (فصل ٢ عد ١٢) تاسعاً الفلسطينيين وكانت
مساكنهم البلاد التي سميت باسمهم وقد اتوا اليها من اكريت وغيرها من
الجزر ومن اسيا الصغرى بعد ان اسرهم المصريون واحلوهم في فلسطين واصلهم
يافتي او حامي على احد القولين وسوف ترى تفصيل اخبارهم في الكلام على
بني اسرائيل . عاشراً السامريون وقد جلاهم ملوك اشور من بلاد السكلمان
الى السامرة وانحانها بعد جلائهم الاسرائيلين الى بابل

فهذه اخص القبائل التي سكنت سورية الى عهد اسكندر الكبير . وان
نتكلم في كل منها على حدة امر طويل المجال رابك موجب لاعادات يمكن
تنكبها . وان نتكلم في سورية كانها مملكة واحدة ينافيه انقسامها في تلك الاعصر
الى ممالك عديدة ولذلك اثرا ان نقصر كلامنا على اشهر قبائلها فنضع مقالة في
الحثيين سكان شمالي سورية ومقالة اخرى في الفينيقيين سكان وسطها واخرى
في العبرانيين سكان جنوبها الذين انتشروا بعداً في اكثر ارجائها ونضمن تاريخ
باقي القبائل في المفايلات الثلث ونضع فهرستاً هجائياً في اخر هذا الكتاب يتبين
منه تاريخ كل قبيلة في سورية وكل مملكة ومدينة فيها الى ايام اسكندر الكبير
المكدوني فيكون ذلك وافياً بالمقصود ومصيباً الغرض على ما رأينا . وعلى الله
الاتكال في كل حال

عدد ٢٠) وكانوا يسكنون في عبر الاردن ايضاً في الارض التي سكنها بعداً العمونيون اذ جاء في الآية المار ذكرها من التثنية ان هذه الارض • تحسب من ارض الجبارة لان الجبارة اقاموا بها قبلاً والعمونيون يسعونهم زمزميين • ثم الايميون قد جاء ذكرهم في سفر التكوين والتثنية (في الفصلين المذكورين) وكانوا يسكنون في شرقي البحر الميت في الارض التي سكنها بعدهم الموابيون اذ قال موسى في سفر التثنية في هذه الارض • وكان الايميون قد اقاموا بها قبلاً وهم شعب كثير طوال القامات كالغناقيين • والموابيون يسعونهم ايميين • ثم بنو عناق ويظهر انهم المسمون نيفيليم اي الجبارة وكانت مساكنهم في قرية اربع وهي حبرون في ايام ابراهيم والخليل في ايامنا ثم اليقيم وكانوا يسكنون السهول الواقعة في الجنوب الغربي من فلسطين الى غزة ويظهر انهم العويون الذين قال فيهم موسى (تثنية ف ٢ عد ٢٣) • العويون المقيمون بالقرى الى غزة ابادهم الكفتوريون الحارجون من كفتور واقاموا مكانهم • ويظهر ان هذه القبائل توطنت في سورية قبل ان يصلها الكنعانيون

ثالثاً الكنعانيون وقد سكنوا شمالي سورية الى حماه ثم بعض الشطوط البحرية والبلاد التي سميت بعد ذلك فلسطين وقد مر بك ذكر المواضع التي اقامت فيها كل فصيلة منهم (ارجع الى عد ٣٨) • رابعاً العبرانيون واولهم في جنوبي سورية ابراهيم الخليل وابن اخيه لوط • خامساً شعبان اصلهما لوط من بنتيه وهما الموابيون وكانت بلادهم في الشرق من البحر الميت والعمونيون وكانت مساكنهم في عبر الاردن كما مر آنفاً • سادساً ذرية اسماعيل بن ابراهيم ولكن اكثر هولاء من سكان بلاد العرب • سابعاً المديون ذرية مدين بن ابراهيم من قيطورا ويحسبون من سكان بلاد العرب • ثامناً الادوميون ذرية ادوم وهو عيسو بن اسحق وكانت مساكنهم في جبل سعير في جنوب سورية

في ارمينية كما ابناً (ارجع الى عد ١٣) ولا جرم ان الناس على طول حياتهم قبل الطوفان تكاثر عديدهم فالحقبة التي هي ١٦٥٦ سنة بحسب النسخة العبرانية او ٢٢٤٢ سنة بحسب الترجمة السبعينية كانت فوق ما يكفي لتفرق ذرية آدم وانتشارهم في اصقاع عديدة ويثبت ذلك تفرق ذرية بني نوح في الافاق لاقل كثيراً من هذه الحقبة وما بين النهرين متاخماً لسورية ولا يفصل بينهما الا الفرات غرباً وارمينيا ايضاً لا تبعد كثيراً عن سورية وليس بين سورية وارمينية وما بين النهرين بحوراً او جبال يستعصى مسلكها بل سهول خصبة طيبة الهواء جيدة المرعى تغري القلوب بالانتجاع اليها والتوغل فيها وعليه فقد كانت سورية بلا مراء مأهولة قبل الطوفان بعدد عديد من الناس لا نعلم من اخبارهم ولم نغز من قصص احداثهم الا بما ذكرناه في الكلام على آدم والاباء الاولين قبل الطوفان

﴿ عد ٥٤ ﴾

— في سكان سورية بعد الطوفان —

قدمر في كلامنا على انساب موسى ان سورية سكنها اولاً الاراميون ولد ارام بن سام بن نوح وكانت مواطنهم في سورية المجوفة وما يليها في الجنوب وفي دمشق وما يليها وسيجيء في كلامنا على الفينيقيين ان من توطن من الاراميين في سهول بعلبك وحمص اتصلوا الى لبنان الشمالي والى انحاء اطرابلس والبترون وجبيل وبيروت ايضاً على قول بعضهم . ثانياً بعض قبائل الجبارة والاطهر انهم ساميون من اقارب الاراميين ومن هولاء الرافائيم اي الرافائيون وقد ورد ذكرهم في سفر التكوين (فصل ١٤ عد ٥) بين القبائل التي ضربها كدراً لعومر ملك عيلام وكانوا يسكنون ما وراء الاردن في بلاد باسان ثم النزيم اي الزوزيون وجاء ذكرهم هناك وفي سفر تثنية الاشتراع (فصل ٢

الفصل الثاني عشر

(في سكان سورية الاولين)

﴿ عد ٥٣ ﴾

﴿ في سكان سورية قبل الطوفان ﴾

لامرية بان سورية كانت قبل الطوفان ايضاً مأهولة بولد ادم . ولا نعتمد في هذا على التقليدات العامة التي روى كثيراً منها الاب مرتين اليسوعي في كتابه تاريخ لبنان الذي نشرت جريدة البشير بعض مقالاته حيث روى التقليد ان الفردوس كان في انحاء دمشق او لبنان وان آدم عاش في سورية وان مقتل قاين هابيل كان في صحارى دمشق وان قبر قاين هناك وان مدفن هابيل في الجبل الشرقي وان مدفن نوح في سهول البقاع وان المدينة الاولى التي بناها قاين هي بعلبك وما اشبه من تقليدات العامة التي ركن اليها بعض الجوّالة وكذا لانعتقد بما رواه يوسفوس (تاريخ اليهود ك ١ فصل ٢) من ان بني شيت نصبوا عمودين من حجر ولبن وكتبوا عليهما ما علموه حتى اذا حصل الطوفان وغرق عمود اللبن يستمر عمود الحجر حافظاً للخلف ذكر ما كتبوا وقال انهم يؤكّدون بقاء هذا العمود الى الان في سورية وايضاً لانعتقد في هذا الحكم على اقوال بعض اهل العلم في هذا العصر كقول دي لامرتين بان بعلبك شيدها الجبابرة قبل الطوفان فان هذه التقليدات والآراء على احتمال صحة بعضها لاتصلح ان تكون بينة علمية على ان سورية كانت مأهولة بولد ادم قبل الطوفان بل الحجة القاطعة في ذلك هي موقع سورية الطبيعي فان اخص الاقوال في مهد النوع البشري واوجعها واقربها الى الصدق ان هذا المهد كان في ما بين النهرين او

المؤلفة كالماتما من تهجيات متعددة وتقدم تدريجاً الاصطلاح على تصوير التهجيات
الا انه ما برح في ذلك صعوبات وتطويل وحاجة الى مهارة في صناعة التصوير
واستمرت الفاظ كثيرة ترسم بصور دالة على تصور ولذلك استمر عدد
العلامات يتصل الى الوف فكان هذا الاصطلاح على تقدمه احرى ان يكون
نوعاً من التصوير من ان يكون كتابة

﴿ عد ٥٢ ﴾

— في الكتابة بالحروف —

اجمع القدماء على ان الفينيقيين اول من اوجد الكتابة بالحروف فقد كان
منهم جم غفير يقيم في مصر او يكثر التردد اليها للاتجار فاخذوا العلامات
الصوتية من اصطلاح المصريين معتاضين بخطوط عن الصور فوضعوا الاثنى
والعشرين حرفاً هجاء لغتهم واخذوا يكتبون بها ما شاؤا من الفاظها وعندهم اخذ
سائر معاصريهم فلم يجد العلماء حتى الان حروف هجاء قبل حروف الفينيقيين
وكل ما وجد مكتوباً بالحروف على الاثار او محفوظاً بالاستعمال يرد عن قرب
او بعد الى الحروف الفينيقية وقد عارض كثير من العلماء هذه الحروف بغيرها
من حروف جميع اللغات فبين ان الاصل هو الفينيقي طرأت عليه تدريجاً
تحسينات واختصارات في اللغات الاخرى وسنين عند كلامنا في الفينيقيين
كيف اوصلوا حروفهم مع بضائعهم الى الافاق القاصية من العالم المعروف
حينئذ . على انه لا يعلم في اي عصر بالخصوص اوجد الفينيقيون هذا الاختراع
الوفير الالهية ولا شك بانه كان قبل عصر موسى

امر اخر متعارف عندهم فكان من ذلك الغاز لا يحلها الا من عرف اصطلاحهم او اهتدى اليها ببعض القرائن من ذلك رسم المصريين صورة رجل ويده الى فمه كناية عن الاكل . ونجح بعض القبائل بهذا الفن فكان منه ستة انواع هيروكليفية اي تمثل صور اشياء مادية يراد بها مسمى الصورة او شئ يقرب منه او يشير اليه واول هذه الانواع الهيروكليف المصري ثم العلامات الصينية ثم المسمارية في بلاد السكلمان ثم الحثية عند الحثيين في شمالي سورية وفي اسيا الصغرى ثم المكسيكية عند قدماء المكسيك ثم الكانوتية في امريكا والاظهر ان كلاً من هذه الاصطلاحات كان مستقلاً لا علاقة له بغيره وبقي الى الان اصطلاحان منها هما الحثي والامركاني لا تعرف حقيقة مدلولهما وقد اهتدى سايس الى كلمتين او ثلث من الاصطلاح الحثي

على ان الاصطلاح على رسم الصور كان قاصراً لا يمكنه ان يؤدي الا بيان تصورات قليلة العدد ومادية ويتعذر ان ترسم به التصورات المجردة عن المادة كتصور الفضيلة والعدل وما اشبه من التصورات التي يسميها المنطقيون مجردة ولذلك الجأت الحاجة من تقدموا في الحضارة ان يبحثوا عن طريقة اخرى يتيسر بها بيان افكارهم فكانت اولى خطاهم جعلهم ما كانوا ينقشونه من الصور دالاً لا على مسميات الصور بل على الهجاء الاول من اسمها اي على اللفظ المصطلح عليه لها فاصبحت تلك العلامات صوتية بعد ان كانت تصويرية ولكي نمثل بما يدركه ابناء العرب نقول ان صورة الشمس التي كانت تدل على الشمس في اصطلاحهم الاول جعلوها في اصطلاحهم الثاني تدل على الهجاء الاول من كلمة الشمس اي الشين مع حركة لها . وصورة الهلال الدالة عليه في اصطلاحهم الاول اصبحت في اصطلاحهم الجديد دالة على حرف الهاء مع حركة له وكان هذا الاصطلاح الجديد في اللغات ذات الهجاء الواحد لكل كلمة اكثر ملائمة منه في اللغات

الفصل الحادي عشر

(لمحة في الكتابة)

— ❧ عد ٥١ ❧ —

❧ الكتابة بالصور ❧

مذاخذ الإنسان يكسب المعارف اللازمة لتقدمه في مدارج الحضارة
شعر باحتياجه الى ما يعاون ذاكرته على حفظ تلك المعارف والى ما يبلغ
افكاره ورغائبه الى غيره اذا تعذرت عليه المشاهدة. وكان له في ذلك وسيلتان
الاولى ان يرسم صورة لما يتصوره ويرغب فيه والثانية ان يرسم صورة لاصوات
كلامه والصورة في الوسيلة الاولى اما ان تكون حقيقة ان كان الشيء المرغوب
في بيانه مادياً يمكن تصويره اما ان تكون مجازية دالة في سبيل الكناية والرمز
على المقصود والصورة في الوسيلة الثانية تدل اما على الكلمة برمتها او على
بعض حروف هجائها فكان الناس في بدء نشأتهم وحضارتهم يرسمون صورة
لما رأوه او فكروا به وارادوا تذكره فينقشونها على حجر او خشب او مادة
اخرى صلبة ولما لم يكونوا يحسنون التصوير كانوا يحفرون او يجسمون
خطوطاً كما تسمح قريحتهم القاصرة لتذكرهم تلك الخطوط ما ارادوا وقد
وجدت اثار دالة على مثل ذلك في محال عديدة فهذا اول طور للكتابة

ثم تدرج الناس الاولون بحسب حضارتهم الى التعبير عن افكارهم برسم
صور دالة على مسمياتها بحقيقتها او مشيرة الى الفرض بقريئة ما فاذا ارادوا
مثلاً التعبير عن حرب رسموا صور رجال متعاركين وادوات حرب او عن
حيوان او طائر او شيء اخر مادي صوروه للدلالة عليه او دلوا بصورته على

عدة فروع منها اللغة الالمانية واللغة النمساوية

واما الفرع السلافي او الصقلي الشامل فله فرعان عامان ايضا السلاف بالخصوص واللاتيك والسلاف قسمان ايضا شرقي وغربي فمن السلاف الشرقي اللغة المكتوبة فيها الكتب الطقسية في جميع كنائس الصقالة ومنذ القرون الوسطى لم تعد اللغة العامة بين الشعب وتقرب منها اللغة البلغارية وهي مشتقة من لغة الصقالة الجنوبيين اخذها البلغاريون عنهم عند احتلالهم اعمال الدانوب السفلي ومن هذا الفرع ايضا اللغة الروسية وقد انتشرت كثيرا بامتداد املاك دولة روسيا. ثم اللغة السريية التي يتكلم بها السكان بين بحر الادرياتيک ونهر الدانوب .

واما الفرع السلافي الغربي فهو لغة اهل بولونيا وبوهاميا وغيرها من الفروع غير المشهورة . والمقاربة بين اللغات السلافية اكثر منها بين فروع لغة اخرى فمن عرف احداها فهم الكلام في باقيها الا لغة بولناريا لانه طرا عليها تبديلات وتغييرات في اصولها . واما الفرع الثاني المسمى اللاتيك فكان من فروعه لغة قديمة في بروسيا نسختها الالمانية ولغة اخرى كان يتكلم بها شعب قرضه البولونيون .

قد اخذنا عن لانرمان (في المجلد الاول من تاريخه) اكثر كلامنا في اللغات ونحسسه بما اختتم به كلامه وهو اننا خرجنا بعيدا عن غرضنا في كتابة تاريخ سورية او مقدمة له ولكن اذا تبصر المطالع بتوفر الفائدة مما اتينا به احل عذرنا لديه محل القبول والاستحسان

اللغة الارمنية ولم يتجدد من الاثار ما يكشف لنا عن حالتها القديمة والمعلوم ان القديس مسروب هو الذي وضع احرف هجائها في القرن الخامس للميلاد عند تنصر الارمن والهجاءات بهذه اللغة عديدة

واما الفرع الثاني الشامل وهو الهندي الاوروباي فله خمسة فروع وهي اليوناني واللاتيني والسلتي والجرماني والسلافي اي الصقلي . ولكل منها فروع ايضا وكان يُظن قبلاً ان اليونانية ام اللاتينية فظهر الان ان الصحيح انهما اختان حتى يمكن تنزيل اللاتينية منزلة البكر وهي ام للايطالية والافرنسية والاسبانية والبرتوغالية والرومانياوية وكان لها في اقدم الايام فروع كالسايينية وغيرها من الهجاءات التي استفرقتها سطوة المملكة الرومانية . واما الفرع اليوناني فقد طرأ عليه تبديلات وتغيرات لكنها لم تبعد الفروع عن الاصل بعداً كثيراً وهذه الفروع هي الايولياني والدوري والاتيكي والمكدوني . وقد اعتبر كثيرون لغة الالبانيين الان من فروع لغة البلاسيج وان داخلها كثير من الكلمات اليونانية والسلافية وبعض صيغها اقرب الى السنسكريت منها الى اليونانية والفرع السلتي امسى الان محصوراً في اعمال قليلة من افرنسة وجزائر بريطانيا وله فرعان خاصة احدهما يسمى العالي لغة سكان عمل غال في جزائر بريطانيا والثاني يسمى بروتون وهو لغة بعض سكان شمالي افرنسة ومن هذا الفرع لغة ايرلندا

واما الفرع الجرمانى الشامل فله فرعان خاصة الغوتيك اي الغططي (نسبة الى قبيلة جرمانية اصلاً) والالاماني فالغوتيك لانعلم منه الا ما بقي منه على الاثار ومن جملتها فقر من ترجمة للكتاب المقدس عني بها اسقف يسمى ولقيلا Vulfila في القرن الرابع للميلاد . ومنه تفرعت اولاً لغة الدانيرك واسوج . ثانياً الفرع المعروف بانكلو ساكسون الذي نتجت منه ومن الافرنسية القديمة اللغة الانكليزية . ثالثاً الالاماني السافل وفيه عدة لهجات . واما الفرع الالاماني العام فله

من تلك اللغات الميتة وقد جمع العالمان ارنو ويوسف الافى (١) صور كتابات قديمة عديدة بهذه اللغة كانت كافية لمعرفة اصولها وظهر ان لهذه اللغة اربعة فروع السباوي او الحميري وكان لغة اليمن خاصة وبها كتبت اكثر الانار المذكورة فعرنا اصولها اكثر من غيرها وهي مثال لباقي القروع . ثم الفرع الحضرموتي وهو لهجة حضرموت القديمة والضماير فيه اشبه بضماير لغة اشور والفرع الميناوي وكان لغة سكان الشمال الشرقي من اليمن والفرع العقيلي (نسبة الى عقيل احد بطون العرب القدماء) وهو لغة مهرة من اعمال اليمن

﴿ عد ٥٠ ﴾

م في السنسكريت وفروعها

ان الاصل الثاني العام للغات يسمى مع فروعها اللغات الياقية لان كل من نطقوا بها من نوع الانسان الابيض هم من ذرية يافت والاصل الذي ترد اليه هذه اللغات يسمى السنسكريت ومعنى هذا اللفظ عند الهندوس ما هو كامل بنفسه ، فكانهم سموا هذه اللغة كذلك لان تصاريفها كاملة وكان موطنها الهند وكانت اللغة العامة في نحو من عشرين قرناً ثم امست لغة العلم والدين هنالك وهي اس لمجموع اللغات الهندية الكثيرة القروع والتي لاوجه لنا لتبينها بل حسبنا ان نبين ان السنسكريت اصل لفرعين شاملين الاول الهندي الايراني والثاني الهندي الاوروباي وللإيراني مثالان قديمان الزند واتقارسي فالزند هو اللغة المكتوبة بها انكتب الدينية المنسوبة لزورواستر واضع دين الفرس القدماء او مصلاحه . والفارسي نجده في الكتابات المسمارية التي خطها ملوك الفرس القدماء . واللغة الكردية تقرب كثيراً من هذه اللغة الفارسية فهي مكسرة عنها ويدخلها كثير من الالفاظ الاجنبية . ومن فروع الايرانية

اللغة انها كانت ذات ثلث لهجات او فروع فرع جيل وهو الاقرب الى العبرانية وفرع صيدا وهو الالهم والاكثر انتشاراً ويمكن اعتباره مثلاً لهذه اللغة . ثم الفرع البوني وهو لغة الفينيقيين الذين هاجروا الى قرطاجنة كما سترى في تاريخهم واما الفرع الثاني العام من اللغات السامية فهو اللغة العربية وهي ذات فرعين احدهما الفرع القحطاني او اليقطاني والثاني الفرع الاسماعيلي نسبة الى اسماعيل بن ابراهيم من هاجر امته فان اسماعيل عاش بين قبيلة جرهم كما قال ابن خلدون في تاريخه . وشب اسمعيل بينهم (اي بين جرهم الثانية) وتعلم اللغة العربية منهم واعجبهم وزوجوه امرأة منهم وماتت امه هاجر فدفنها في الحجر ، ومن جرهم قریش والحاصل ان هذا الفرع هو صحيح المستعمل في كتبنا وبلادنا وهو لغة الامصار من العراق والجزيرة الى اطراف مراکش ومن شطوط البحر المتوسط الى الحجاز واليمن وقد انتشرت بالمسلمين العرب وهي الان ذات اربع لهجات خاصة اي لهجة بلاد العرب ثم لهجة سورية ثم لهجة مصر ثم لهجة المغاربة ولا حاجة الى القول ان هذه اللغة من اغنى اللغات في اصولها واذا عورضت قواعدها النحوية بنيرها من قواعد اللغات السامية ظهر انها ركن لكتب الاصول في باقي هذه اللغات وقد اخذت بعض لغات اسيا واوربا الفاظاً كثيرة من العربية فنما في اللغات الايرانية لاسيما الفارسية الفاظ لا يدركها عاذاً واللغة التركية نحو النصف من الفاظها عربي ومنها الفاظ عديدة في بعض لغات الهند الان وفي الاسبانية والبرتوغالية كلمات كثيرة اخذت عن العرب مدة اقامتهم في اسبانيا ولا تخلو الافرنسية عن كلمات منها يعرفها من علم اللغتين وفي علم الفلك كثير من الفاظها منها السميت والدبران والطير وبنات نعش والمغز الى غيرها . واما الفرع اليقطاني فيشمل اللغات الميتة التي كانت في بلاد العرب الجنوبية وبعض اللغات الحية الان في بلاد الحبشة وحفظت لنا الاثار القديمة بعض فقرات

اليونانية وكانت موصلاً للعلوم بين اليونان والعرب فأكثر ترجمات الكتب من اليونانية الى العربية عنى بها علماء السريان او اخذت عن ترجمات سريانية واستمرت هذه اللغة في بعض قرى جبل لبنان كحصر و وجوارها الى امد غير بعيد اعني نحواً من قرنين فقط . ومن الفرع الارامي اللغة التي استعمالها اليهود وغيرهم في سورية وفلسطين في ايام المخلص وقد كتب الريون بها التلمود الاورشليمي والتلمود البابلي وتسمى السريانية الكلدانية وسماها بعضهم عبرانية نسبة الى العبرانيين الذين تكلموا بها بعد عودهم من السبي البابلي . ومن هذه الفروع ايضاً الفرع التدمري الذي كان مستعملاً في تدمر ونواحيها وفي شمال سورية في ايام دولة تدمر وبقي منه كتابات عديدة قديمة . ومنها ايضاً الفرع النبطي وكان لغة اهل العربية الحجرية يداخله كثير من الالفاظ العربية وبقيت منه ايضاً كتابات قديمة . ثم الفرع السامري انتشر في السامرة في عهد ولاية الاشوريين والبابليين والفرس عليها وقد حفظ بحالة لغة علمية عند السامريين والنسخة السامرية مكتوبة به

ولغة الكنعانية فرعان خاصة اولهما اللغة العبرانية وهي كقطب يدور عليه درس اللغات السامية وقد كتبت بها اكثر اسفار العهد القديم وقد انبأنا الاكتشافات الحديثة والاثار القديمة انها كانت لغة الموابين والعمونيين من نسل لوط ومن المؤكد انها لم تكن لغة ابراهيم ونسله قبل ان زابل بلاد الكلدان بل تلقاها عن الكنعانيين بعد ان توطن بين اظهرهم وسماها اشعيا النبي لغة كنعان . والفرع الثاني هو لغة الفينيقيين على انه وان كان الفينيقيون من ولد كنعان فقد كان لهم لغة مخصوصة قريبة من اللغة العبرانية لكن بين الفرعين فروقاً تجعل كلاهما فرعاً ممتازاً عن الاخر فيظهر ان العبرانية كانت لغة الكنعانيين سكان جبال فلسطين والفينيقية لغة السواحل وقد دلتنا اثار هذه

ان المراد بالارض كلها ارض شعمار كلها لا الارض باطلاق لفظها فسيان في
صدق الكتاب ثبت وجود لغة واحدة هي اصل كل اللغات ام لم يثبت والراجح
الان ثبوته

﴿ عدد ٤٩ ﴾

اللغات السامية

قد مر ان اصل اللغات الذي سمته عامة اهل العلم سامياً رأى بعضهم ومنهم
لازيمان ان الاولى تسميته بالسرياني العربي لانه اصل لبعض لغات الحاميين
ايضاً فتسميته سامياً لا تشمل هذه اللغات ولان اخص فروعه السريانية والعربية
فكانت السريانية والعربية فرعين عامين يسمى الاول منهما شمالياً والثاني
جنوبياً ولكل منهما فروع تأتي على ذكرها كافياً بتوفر القوائد فالفرع العام
الشامي الذي هو السرياني تفرع منه اللغات الارامية والاشورية والكنعانية
فالارامية لغة الشعوب الذين سماهم الكتاب ارام فكانت لغتهم في سورية
ثم اوصلتها ولاية الاشوريين والفرس الى كل ما بين النهرين حتى خليج العجم
وفلسطين وبلاد العرب الشمالية واستمرت الارامية اللغة المتغلبة في هذه الاقاليم
الى ان نسختها وخلفتها العربية بعد ظهور الاسلام . ومن فروع الارامية
الفرع الذي كتبت فيه بعض اجزاء من اسفار الكتاب المقدس كنبوة دانيال
وسفرا عزرا ونحميا وسفر استير وقد بقيت فقرات منها مكتوبة من القرن
الخامس الى القرن التاسع بعد الميلاد يتبين منها حالة هذه اللغة وقتئذٍ

ومن فروع الارامية ايضاً اللغة السريانية التي كان يستعملها سكان الرها
ونصيبين وقد كانت زاهرة خاصة من القرن الثاني الى القرن التاسع بعد الميلاد
وهي المكتوبة فيها ترجمة الاسفار المقدسة المسماة بسيطة وكتب القديس افرام
السريانية وكتب طقوس طائفتنا المارونية وقد داخلها كثير من الالفاظ

(صفحة ٣٧٠) ان اصل هذه اللغات واللغات السامية واحد بدليل ان اصولها
 النحوية واصول الضمائر فيها وصيغة التأنيث والجمع ونحو نصف اصول
 الكلمات جميعها واحدة في اللغتين والنصف الثاني من اللغات الحامية حتى ان الفرع
 المصري نفسه هو من لغات افريقية يتكلم بها شعوب السودان ويظهر ان
 انفصال اللغات الحامية عن السامية قديم جداً وقد سبق تقدم اللغات وتحسينها .
 واما الاصل الثاني فهو السنسكريت ويقسمونه الى الهندي الايراني والهندي
 الاوروباي ومن فروع الاول الفارسي والارمني ومن فروع الثاني اليونانية
 بفروعها واللاتينية بفروعها والجرمانية بفروعها والسلافية بفروعها الى غير ذلك
 من اللغات او الفروع المستعملة في اوربا ومستعمراتها وسأتي على بيان ذلك كله
 وقد اسند هؤلاء العلماء نتائجهم الى مقدمات هي قرب الفروع من الاصل
 والمشابهة بين الاصول النحوية وازمنة الفعل وتصاريفه ونوع الكتابة واستعانوا
 بتواريخ القبائل وارتحالهم وانسابهم الى غير ذلك من الادلة المقررة عندهم
 واما مرجع هذين الاصلين الى لغة واحدة اولية فهو ما يتني اهل هذا
 العلم وقد تقدم كثيراً على حداثة نشأته وان لم يتمكن ذووه حتى اليوم من
 الاهتداء الى كل حلقات هذه السلسلة المتقطعة وايصال احداها بالآخرى وما
 ادركوه حتى الان وليس هو باليسير اثباتهم اثباتاً علمياً امكان وجود لغة واحدة
 اولية هي اصل سائر اللغات واهتدأوهم الى قرآن قوية دالة على ان اللغات
 مشتركة في الاصل ولها اصل واحد يعم جميعها خاصة اذا روعي دورها الاول
 اذ كان كل اصل ذا هجاء واحد حتى قال بعضهم ان بعض ما كان في اللغات
 السامية من ثلاثة احرف اصله حرفان فقط . هذا واذا تعذر الوصول الى التيقن
 بوحدة الاصل في جميع اللغات فيبقى قول الكتاب « وكانت الارض كلها لغة
 واحدة » على سلامته وتنزهه عن كل خلاف اذ ابناً ان الاظهر من معنى الآية

وهم كثير من الاباء والمفسرين ان الله غير بقتة لغة بناء البرج حتى استحال على احدهم ان يدرك كلام الاخر وانطق كل فريق بلغة تلك معجزة لا يعجز الله صنعها . قال فم الذهب (مقالة ٣٠ في التكوين) • ان وحدة اللغة دعت الى الاجتماع واختلاف اللغة اوجب التفرق • وقال القديس افرام السرياني (في تفسيره سفر التكوين مجلد ١ من كتبه السريانية صفحة ٥٩) • يظهر ان الله محا من ذاكرتهم اللغة القديمة التي كانت تعمم جميعاً وبدلها بلغة خاصة بكل فريق منهم واستمرت اللغة القديمة عند اسرة واحدة فقط • وعلى كلا القولين كان بلبال الالسن معجزة خارقة ناموس الطبيعة لا ينكر امكانها الا من ينكر قدرة الله على تغيير سنن الطبيعة وهو على كل شئ قدير على ان المعجزة في القول الثاني مضاعفة اي انشاء اللغة الاولى وانطاق كل فريق بلغة

﴿ عد ٤٨ ﴾

علم معارضة اللغات

هو علم حديث النشأة عني وما برح يعني به كثير من اعلام اهل العلم في هذا العصر والغرض منه معرفة اصل اللغات واشتقاق بعضها من بعض وما دخل من احداها في الاخرى وردها الى اصولها والبحث في ما اذا كان لها اصل واحد ترد اليه سائر اللغات وقد ردوا حتى الان كل اللغات التصريفية المعلومة الى اصلين خاصة الاول السامي والاولى على رأي بعضهم ان يسمى السرياني العربي واخص فروعه الكنعانية بفروعها والارامية اي السريانية بفروعها والاشورية والعربية بفروعها ولغة بعض اهل الحبشة بفروعها ومن هذا الاصل ايضاً اللغة الحامية وهي ذات ثلثة فروع المصري القديم المكتوب بالحروف الهيروغليفية ولغة بعض سكان الحبشة غير المار ذكرها ولغة سكان ليبيا وهي المغرب اي الاقاليم الواقعة في غربي مصر فقد اثبت لانرمان (مجلد ١ من تاريخه

ذلك في غير العربية لا يخفى على الخبير بها فثمة زيادة بعض الحروف في اللغات الاوربية للدلالة على تجديد عمل الفعل مثل Commencer ابتداء Recommencer ابتداء ثانية او استأنف ومثل honorer كرم ووَقَّرَ Dés honorer عاب واحتقر . وفي الدور الثالث اكتسبت كلم اللغات التصريف وهو تغيير الاصل الى هياث متعددة للدلالة على معانٍ منها تصريف الافعال في الازمنة ومع الضماير وبنائها للمجهول والحاق الضماير بالاسماء والافعال ومثل النسب والتصغير وما اشبه واذا علمت ذلك ظهر لك ان اللغة العبرانية وغيرها من اللغات السامية لا يمكن ان تكون في حالتها الحاضرة اللغة الاولى التي تكلم بها آدم فان نحو كل منها ومعجماتها تبيننا انها في دورها الثالث ولكن يمكن ان تكون احدى هذه اللغات السامية لغة آدم او لغة نوح من حيث جوهرها واصلاها وقد قدّر لانرمان ان اللغات ذات الهجاء الواحد يتكلم فيها نحو ٤٤٩ مليوناً في العالم واللغات المركبة غير المتصرفة يتكلم بها نحو ٢١٦ مليوناً والمتصرفة ينطق بها نحو من ٥٣٧ مليوناً (مجلد ١ من تاريخه القديم صفحة ٣٣١)

﴿ عد ٤٧ ﴾

— ببللة اللغة —

واما كيف كان بلبال اللغة في بابل فلآباء ومفسري الكتاب في ذلك قولان قال بعضهم انشأ هذا البلبال عدم ادراك بناء البرج ما يقوله احدهم للآخر بارادة الله عقوبة لكبريائهم ففارقوا فنشأ عند كل فريق منهم لغة تقدمت شيئاً فشيئاً ومن استمسكوا بهذا القول القديس غريغوريوس نيصص ومما قاله (في رده مزاعم اونيموس ك ١٢) : لما كان موسى ولد بعد قرون من بناء برج بابل فاستعمل لغة من اللغات المتأخرة ، اي التي نشأت بعد البلبال وجرت في مدارج التقدم وجنح اهل العلم بمعارضة اللغات الى تأييد هذا القول . وقال آخرون

المدة التي تخللت بين الطوفان وبناء برج بابل اربعة قرون على ما في النسخة السبعينية فلا بد ان يكون قد طرأ على اللغة التي كان نوح تكلم بها مثل تلك التبدلات والتغيرات والزيادات الحديثة وعليه فالأظهر ان اللغة التي كان يتكلم بها من بنوا برج بابل هي اللغة الاولى مهذبة ومكملة ومزاداً عليها الفاظ جديدة وصور حديثة . وان بني سام تيسر لهم أكثر من سواهم حفظ اللغة التي نطق بها اباؤهم لانهم استمروا ادنى من غيرهم الى مهد النوع البشري وان طرأ على لغتهم ما طرأ ويطرأ على كل لغة كما ابتناه

ذهب بعض الآباء منهم اوريغانوس (في مقالة ١١ في سفر العدد) والقديس اغوستينوس (في كتابه مدينة الله فصل ١٦) وغيرهم وكثير من العلماء حتى ايامنا ان اللغة العبرانية هي اللغة الاولى التي تكلم بها آدم في الفردوس وذهب كثيرون غيرهم ايضاً انها لغة اخرى سامية كالسريانية او الكلدانية او العربية. على انه قد تبين من العلم الحديث النشأة وهو علم معارضة بعض اللغات ببعضها ان كل اللغات القديمة تعاقبت عليها ثلاثة ادوار ففي دورها الاول كان كل من كلماتها ذا هجاء واحد فتوضع الكلم احداها بعد الاخرى بحسب نظامها المنطقي لتأدية المعنى المقصود وما برحت لغة الصين ولغات بعض القبائل في داخلية افريقية وغيرها من هذا النوع . وفي الدور الثاني أخذ بالحاق كلمة الى اخرى فيؤدي اللفظان المعنى الاول مضافاً اليه معنى جديد او يحصل من تركيب الهجائين او أكثر معنى اخر . وفي هذا الدور ايضاً أخذ بزيادة احرف على الاصول في اولها او اخرها او بين حروفها للدلالة على معانٍ ترافق المعنى الاصلي مثال ذلك في لغتنا العربية زيادة الالف في مثل قاتل للدلالة على المشاركة وزيادة الالف والسين والتاء في مثل استغفر للدلالة على طلب الفعل ومن ذلك تشديد اوسط الفعل للدلالة على المبالغة او ادخال الهمزة او التشديد على الافعال للتعدي ومثال

بناءً برج بابل وبلبال الالمن به وجد عند الارمن ولم تخلُ عنه كتب اليونان
لانه جاء في قصصهم عن الالباد (اي الجبابرة) انهم شرعوا يبنون برجاً
يبلغ رأسه الى السماء فعاقيهم الالهة على قحتهم واهالوهم بالصواعق واهبطوهم
الى الجحيم وروى مارونياه أنفأ وقال لم نجد أثراً لذلك في الهند ولا في ايران
لانه خُصَّ بسكان بابل او بمن كانوا مجتمعين في شنعار او بمن تفرع منهم
بعد ذلك

الفصل العاشر

(في اللغة)

﴿ عد ٤٦ ﴾

— في اللغة الاولى —

لما كان جميع الناس من ولد ادم وحوا اولاً ثم من ولد نوح بعد الطوفان
لم يكن اشكال ولا ريب في انه كان للاولين في الدورين لغة واحدة يحسن
تسميتها اللغة الاولى وجاء الكتاب ينبئنا انه عند بناء برج بابل كانت الارض
لغة واحدة وكلاماً واحداً ، وقد ابنا مفهوم هذه الاية على ان الاختبار في كل
اين وأن حقق لنا انه لا يمكن ان تكرر اعوام عديدة على لغة الا وتدخل عليها
تبديلاً في الفاظها وتغيراً في صورها وزيادة عليها وتحريراً وتصحيحاً في حروفها
لا سيما اذا كانت تلك اللغة غير مكتوبة وعليه فليس لنا ان نقضي بان اللغة التي انطق
الله ادم بها استمرت محفوظة على سلامتها الى ايام الطوفان واذا سلمنا ببقاء
اصلها وجوهرها فلا اقل من تبدل هيئتها الخارجية ودخول بعض التغير فيها الا
ان يكون ذلك بمعجزة ولم ينبئنا الكتاب بشئ من هذه المعجزة . ثم اذا كانت

وسلوقوس . مع انه لم يكن لهم شيء من ذلك بل كانت مدارس بلاد الكلدان لم تزل عامرة زاهرة تعلم قراءة الخطوط المسمارية وتفسيرها حتى كان كل ما بقي من فقر باروز وامكن معارضته بالآثار المكتشفة حديثاً قاضياً علينا ان نوقن انه تلقاه عن اثار قديمة في وطنه وانه كان على غاية من الدقة في ما ينقله ولا وجه لاستثناء روايته في برج بابل وبلبله اللسن من هذا الحكم وليس في ذلك ما يشرف قبيلته او يعود عليها بنفع

ويزيد ذلك تحقيقاً ما اكتشفه عن قرب جرج سميت من صفائح نُقش عليها بالخط المسماري تاريخ برج بابل وهي الان في المتحف البريطاني الا انها لسوء الحظ مشوهة ممحو قسم منها والصحيفة الاولى التي يظن انه كان مكتوباً فيها خبر تكبر من شيدوا البرج لم يهتد اليها بد على ان الباقي من هذه الصفائح يشف ظاهراً عن الغرض وهوذا ترجمة ما كان منه كذلك . كانت افكار قلبه سيئة ... وكان ترك ابا كل الالهة ... فلبلهم كباراً وصغاراً على البرج ... كان يبنى الجدران النهار بطوله وفي الليل عقاباً لهم ... لم يترك بقية ... في غضبه جاهر برأيه الخفي بان يبلبل السنتهم فحول وجهه وامر فتلبلت اراؤهم ... سر - تولى - إلي (تأويله اله البرج السامي وهو أنو) اباد (او عاقب) ... فالتقوه مرتعدين فنظرهم ... ولما لم يتوقعوا وعصوا الالهة ... فبكوا بكاءً مرّاً على بابل وانتحبوا وقلبهم ... فالحاصل من هذا الكلام المتقطع ان شعب تلك الايام عصي الالهة واراد بناء برج غير مبالي بأسخطهم فبلبل الالهة السنة الشعب واراؤهم ودمروا ليلاً ما كانوا يننون نهاراً فشق عليهم ذلك وناحوا على بابل وما كانوا بنوه فيها وهذا مؤذن ببناء برج بابل ودكه وبلبله السن من بنوه بل لا يمكن تخريجه او صرفه الى معنى غير هذا

روى لانرمان (مجلد ١ من التاريخ صفحة ١١٥) ان التقليد الدال على

سواء ذكر الطوفان في ذلك الخط أم لم يذكر

عد ٤٥

✠ في الآثار المثبتة تاريخ برج بابل ✠

ان عالماً اسمه ابيدان يظن انه كان كاهناً مصرياً في هيكل ازوريس في مصر على عهد خلفاء اسكندر الف كتاباً اعتمد فيه التاريخ البابلي لباروز الشهير وضمنه اخبار السكندان والاشوريين الا ان غير الزمان لم تبقى منه الا فقرات رواها اوسايبوس في الاستعداد الانجيلي والقديس كيرلس الاسكندري في كتابه ضد يوليانوس وجرج سينسال في تاريخه ومنها فقرة رواها اوسايبوس وغيره قال ابيدان فيها روى ان الرجال الاولين استكبروا بقوتهم وارتفاع قاماتهم فاخذوا يحرقون الالهة ويظنون نفوسهم اسمى واعظم منهم فحملتهم كبرياؤهم على ان يشيدوا صرحاً عجباً في ارتفاعه وهو الان بابل وبينما كاد رأسه يناطح السماء عصفت الارياح بامداد الالهة فحطمت مراقي البناء وكفأتها على البنائين وسميت هذه الخرابات بابل . والناس الذين كانت لهم لغة واحدة الى ذلك الحين شرعوا منذ حينئذ يتكلمون لغات مختلفة بامر الالهة . وقد حفظ اسكندر بوليستور (اي العلامة وهو كاتب يوناني توفي في القرن الاول قبل الميلاد) رواية اخرى اشبه بهذه اخذها عن باروز

ان التقليدات البابلية التي بلغت الينا فقرات باروز وغيره في شأن برج بابل وبلبال اللغة فيه تشبه كل الشبه ما رواه موسى في سفر التكوين بهذا الشأن حتى لم يجد توش ورنان وغيرهما من كفرة عصرنا مفراً من قوتها فاجأوا الى الزعم ان باروز لم يلق ما كتبه في برج بابل عن اثار كلدانية بل تلقاه عن كتب اليهود واهمهم ميلهم السيء انه كان لليهود سكان بلاد السكندان صولة وسطوة في هذه البلاد ايام كان باروز يكتب تاريخه على عهد اسكندر الكبير

اننا كافأ بالايجاز نكتفي عن ذلك بايراد بعض فقرات من كتابة مسمارية
 خطها بختصر على هرم قديم في محل برج نمرود وكان اول من ترجمها اوبر
 المشار اليه وشرحها في كتابه الدروس الاشورية فبختصر بعد ان يستغث
 بالاهلين مروداخ ونابو يقول : ان هيكل انوار الارض السبعة المعلق عليه اقدم
 ذكر لبرسيديا بناء ملك قديم (يحسبون من عهده الى اليوم اثنين واربعين عمراً
 بشرياً) لكنه لم يكمل قته فتركه الناس منذ ايام الطوفان متكلمين كلاماً مشوشاً
 وزلازل الارض والعود زعزعت اللبن (الاجر الغير المشوي) وشققت الاجر
 المشوي الملبس به البناء فهدم اللبن فتكوّن منه تلول فالحم مروداخ الاله العظيم قلبي
 لاجدد بناء فلم امسس الاساس بل اخترقت في شهر الخلاص واليوم المسعود
 اللبن والاجر بقناطر اقتها وكتبت اسمي المجيد على وجه القناطر وغنت
 بتجديد بناء البرج ورفع قته كما كان يلزم ان تكون وكذا اعدت تشييده كما كان
 يلزم ان يكون في العصر الحالية القاصية وكذا رفعت اعلاه ، وقد يقن اوبر
 وغيره من اهل العلم بالاثار ان خط بختصر هذا مشعر بلا شك ببرج بابل
 الذي ذكره الكتاب على ان لانزمان تابع اوبر على هذه الترجمة في موجز
 تاريخه القديم ثم عاد في مطول هذا التاريخ وفي موجز تفسير فقر باروز يشته
 بصحة الترجمة خاصة في الفقرة تركه الناس منذ ايام الطوفان متكلمين كلاماً
 مشوشاً ، مترجماً لها بمعنى اخر ولما كانت الخطوط المسمارية عرضة لتأولات
 عديدة ولقرآت مختلفة فلم نحصل حتى الان على التوكيد المطلق ان برج نمرود
 هو برج بابل حقيقة وان كان رأي اوبر هو الاقرب الى الصواب والاضهر
 خاصة لاستمسাকে بحجج قوية واسناد قوله الى بينات عديدة ولانه يتبين من
 اي تفسير كان لخط بختصر انه جدد بناء برج كان من اقدم الايام ولم يتم
 صانعه سقفه او قته ولا يخفى ما في ذلك من الاشارة الواضحة الى برج بابل

﴿ عد ٤٤ ﴾

﴿ في موقع برج بابل ﴾

لاجرم ان ارض شنعار التي سُيِّدَ البرج فيها هي ارض بابل لتصريح الكتاب بان ما بنوه سمي بابل اخذاً عن بلبلّة السنتهم ويظهر ان العلامات المسماة الدالة على شنعار تشير الى معنى ما بين النهرين لانها على ما روى اوبر (في كتاب رحلته ما بين النهرين) « مات مات را » فعلامة مات تدل على اسم البلاد ورا معناه ري الماء او السقي اي النهر فكان المعنى البلاد المسقية بنهرين اي ما بين النهرين . واما اين كان موقع هذا البرج من ارض بابل فاختلف القدماء في تعيين محل بابل ادى باولى حجة الى الاختلاف في موقع البرج والظاهر الان ان موقع بابل انما هو مدينة الحلة الان موطن الشيخ صفي الدين الحلي صاحب البديعة المشهورة واما موقع البرج فجعله بعضهم في الشمال من بابل في محل الهرم القديم الذي ذكره استرابون وسماه قبر بالوس وجعله غيرهم في بورسيبا القديمة التي هي الان برج نمرود في وسط الطريق بين بغداد وبابل على بعد اثني عشر كيلومتراً في الجنوب الغربي من الحلة حيث خرابات كبيرة من اجرّ بعضها متزجج بالنار وهناك صرح بقي من ارتفاعه ستة واربعون متراً ومحيطه سبعمائة وعشرة مترات وقد اثبت العالم اوبر (١) الافرنسي ان هذه الخرابات هي في موقع برج نمرود حتى افضل على العلم بابلاغ هذا المبحث الى درجة من التوكيد فقد جمع (في كتابه الدروس الاشورية وفي كتاب رحلته بين النهرين) شهادات المؤرخين وفقرات الخطوط المسماة التي جاء فيها ذكر الهرم القديم وبرج نمرود واستخلص مثبتاً ان برج نمرود هو برج بابل الذي بلبت اللسن عند بنائه

(١) Oppert Etudes Assyriennes P 192 et Expédition en Mesopo.
T. 1 P. 213

برج بابل وفي التالي على اللغة وبلبالها

واما من هم الذين اخذوا يبنون هذا البرج فذهب بعضهم الى انهم جميع الاحياء حينئذ من نسل نوح وانهم اجتمعوا في ارض شنعار يتعاضدون ويتنافسون بتشيد مدينة و برج . وذهب غيرهم ان هولاء كانوا بني سام فقط وبعض ولد حام وأيد هولاء مذهبهم بحجج عديدة منها ان التعميم المتحصل من قوله . وكانت الارض كلها لغة واحدة ، لا يراد به كل الارض المأهولة يومئذ بل كل الارض التي اجتمع فيها المرتحلون اي ارض شنعار ولا يستفاد من نص الكتاب البتة ان كل الاحياء حينئذ اجتمعوا في هذه الارض . ومنها ان موسى ذكر اخبار تفرق ابنا نوح قبل خبر برج بابل وبلبال الالسن ومن خاتمة الفصل العاشر من سفر التكوين وهي « هولاء عشائر بني نوح ومنهم تفرقت الامم في الارض بعد الطوفان » يتلخص ان هذا التفرق كان بعيد الطوفان وقبل بناء البرج . ومنها ايضا ان قوله انهم ارتحلوا من المشرق لا يستلزم انه لم يبقَ منهم احد حيث كانوا ولا انه لم يتخلف احد منهم في اثناء الطريق ومن حججهم ايضا ان الظاهر من النص العبراني ان ببللة الالسن كانت بعد سنة ١١٧ من الطوفان ولكن يؤخذ عن الترجمة السبعينية ان ذلك كان بعد ٤٠٠ سنة من الطوفان واذا اعتمدنا هذه الرواية الاخيرة كان اجتماع نسل نوح برمته في بابل مستحيلاً . ويظهر من الاثار المصرية ان بني مصرائيم كانوا مقيمين في وادي النيل قبل القرن الرابع بعد الطوفان . والحاصل من ذلك كله ومن قرائن النص المقدس ومجموعه ان الذين هموا بتشيد المدينة والبرج في ارض بابل وبلبلت لغتهم لم يكونوا جميع الناس على اخرهم واذا فهم كلام الكتاب بهذا المعنى سقط كل ما يعترض به على رواية موسى من حيث وحدة اللغة او غيرها كما

ورومانيا . والرابعة اليونان ومنها سكان بلاد اليونان والالبانيون وبعض سكان
ايطاليا الجنوبية . والخامسة السلاف اي الصقالبة ومنهم خاصة سكان روسيا
والبشناق والسرب والبلغر والبولنيون وغيرهم

الفصل التاسع

(في برج بابل)

﴿ عد ٤٣ ﴾

﴿ آيات الكتاب في برج بابل ثم من بناء ﴾

بعد ان ذكر موسى انساب بني نوح وتفرق قبائلهم في الافاق انبأنا بما كان
في بابل فقال (تك ف ١١ عد ١ وما يليه) وكانت الارض كلها لغة واحدة
وكلاماً واحداً . وكان انهم لما رحلوا من المشرق (نحو المغرب) وجدوا بقعة
في ارض شتعار فاقاموا هناك وقال بعضهم لبعض تعالوا نصنع لبنا ونضجه طبعاً
فكان لهم اللبن بدل الحجارة والحمر كان لهم بدل الطين وقالوا تعالوا نبني لنا
مدينة وبرجاً رأسه الى السماء وتقيم لنا اسماً كيلا نتبدد على وجه الارض كلها .
قبل ان نشيد لنا اثراً نتفاخر به فاستكبروا واغاظوا الرب فقال « هوذا هم شعب
واحد ولجميعهم لغة واحدة وهذا ما اخذوا يفعلونه والان لا يكفون عما هموا به
حتى يصنعوه هلم نهبط ونبلل هناك لغتهم حتى لا يفهم بعضهم لغة بعض فيددهم
الرب من هناك على وجه الارض كلها وكفوا عن بناء المدينة ولذلك سميت
بابل لان الرب هناك بلبل لغة الارض كلها . فهذا ما جاء في الكتاب وهو شامل
امرين الكلام في برج بابل ثم بلبال لغة الارض فتكلم في هذا الفصل على

كما سيجي . ثانيا ذرية ماجوج وهم التتر Scythes وكانت مساكنهم في شمال جبال قاف وانتقل بعضهم الى جنوبه ومن هولاء ايضا اصل لبعض قبائل اوربا . رابعا الترك ونسبهم ابن خلدون الى كومر (او جومر) بقوله « وشعوب الترك كلهم من بني كومر ولم يذكروا من اي الثلاثة هم والظاهر انهم من ترغما (توجرمة) ، ولكن في الكامل لابن الاثير « ومن ولد تيرش (تيراس) الترك والحزر ، خامسا اليونان واصلهم ياون وابناؤه ومساكنهم بعض اسيا الصغرى وبلاد اليونان والجزر القريبة منها وبعض ايطالية ومنهم او هم البلاسيج على رأي علمتهم ولكن على رأي الاب دي كارا البلاسيج لاسيا الاولين هم حيثيون . سادسا الايباريون واصلهم توبل وماشك ومواطنهم الاولى بين بحر الحزر والبحر الاسود اي بلاد الجركس وبعض شروان . سابعا وقد كان تيراس بن يافت اصلا لبعض قبيلة السلاف اي الصقالبة

ان التقليد العام عند جميع سكان اوربا ان اصلهم من اسيا ارتحلوا اليها من جهة اسيا الصغرى وبوغاز الدردنيل والبصفور ومن جهة البحر الاسود وجبل قاف وبحر الحزر واكثرهم من ذرية يافت واصلهم خمس قبائل كبرى اولها التتو ولها ثلاثة فروع الاول السكنديناف ويظن انهم ظعنوا من اسيا في القرن الاول قبل الميلاد ومنهم سكان اسوج ونروج والدانيرك . والثاني الجرمان ومنهم اكثر سكان جرمانيا . والثالث الانكليزي ومنهم الانكليز بحصر اللفظ وسكان سكوتسيا . والقبيلة الثانية السلت انتشرت من اقدم الايام من المشرق الى المغرب في اواسط اوربا والسواد الاعظم منها حل في افرنسة فهم الغال سكان افرنسة القدماء او نزلواهم وجالية من هولاء اقاموا في بوهاميا وبافيارا وفي بعض اعمال ايطالية وانكلاطرة ايضا حيث بلد غال . والثالثة اللاتين ومنها الافرنسيون من غير الاصل السابق ثم السواد الاعظم من سكان ايطالية واسبانية والبرتوغال

منهم اولاً الكوشيون وامتدت مساكنهم من بابل وعلى شطوط الاوقيانوس الهندي حتى بلاد الحبشة ومصر والاثار المصرية مؤيدة لذلك اذ تسمي شعوب اعلى النيل كوش كما مر وبقي من الكوشيين نمرود وقومه في بابل ومملكته التي ذكرناها . ثانياً ذرية مصرائيم وقد توطنت مصر واسمها في اكثر اللغات الشرقية حتى اليوم مشعر باسملها . ثالثاً ذرية فوط وقد سكنت شطوط افريقية الشمالية على قول بعضهم او بعض اليمن وسومال على قول الاخرين وهو الاظهر . رابعاً الكنعانيون وقد اهلّت بهم سهول سورية الشمالية وشطوط البحر المتوسط الى جنوبي فلسطين ومن هولاء الفينيقيون واقاموا في وسط قبيلتهم والحثيون وامتدوا الى الشمال كما ستري

واما ذرية سام ففهم اولاً العيلاميون سكان بلاد عيلام التي صارت بعد ذلك من اعمال الفرس . ثانياً الاشوريون سكان اشور وهي الجزيرة اي القسم الشمالي من بلاد ما بين النهرين وجواره . ثالثاً العبرانيون من ولد عابر بن شالح ابن ارفخشاد واستمر بعضهم في بلاد الكلدان وهاجر منها ابراهيم الى بلاد الكنعانيين فكان من نسله بنو اسرائيل . رابعاً العرب واصلهم يقطان او قحطان بن عابر بن شالح بن ارفخشاد بن سام وامتدوا في الحجاز واليمن وسائر اعمال بلاد العرب وهم العرب العاربة او العرباء . خامساً الاراميون وهم ولد ارام بن سام وكانت مساكنهم دمشق واعمالها وأضيف اليهم ولد لود بن سام ومن هذين الاصلين العرب البائدة اي عاد وثمود وجديس وجبرهم الاولى الخ اما ذرية يافت ففهم اولاً الايرانيون وهم الماديون والفرس وغيرهم واصلهم مادي ومساكنهم بلاد فارس وجوارها وبعض الهند . ثانياً الكومريون او الجومريون واصلهم جومر بن يافت ومساكنهم على شطوط البحر الاسود من جهة اوربا وجهة اسيا ويظهر ان منهم السلت Celtes اصل بعض قبائل اوربا

فيلزم ان تكون ذريته توسطت بينهما اي كان مقامها في جزر الارخبيل او في الشواطىء الغربية من الاناضول هذا ملخص ما قاله لانزمان في المحل المذكور وجاء في تاريخ بن خلدون « ان ترشيش اهل ترسوس ، اي ترسيس الان وارى هذا اقرب الى الصواب مما سواه لالوحدة الاسم فقط بل للمجاورة في الاحتلال ايضا فكيليكيا وقبرس وبلاد اليونان متقاربة احداها من الاخرى ، وكثيم ، والاكثر على ان المراد بهم سكان قبرس الاقدمون ويقويه ان اقدم مدن قبرس تسمى كيت او كيتون وكانت محطة للتجارة بين اهلها والفينيقيين وان الاكتشافات الحديثة في هذه الجزيرة تبين منها ان سكانها الاقدمين من اليونان البلاسج وان لغتهم فرع من فروع اللغة اليونانية ولكن احرفها مخصوصة بها هذا ما قاله لانزمان (مجلد ١ صفحة ٢٩٨) ولكنك ستري في كلامنا على الحثيين ان الاب دي كارا يرى ان كثيم يراد به حثيم اي قبيلة الحثيين وان قدما قبرس حثيون لا يونان ويعقب على لانزمان وغيره في هذا الصدد . وبقي من ولد ياوان « دودانيم » كذا في النص العبراني في سفر التكوين وعنه ما في اللاتينية العامة ولكن في السبعينية والسامرية « رودانيم » وكذا في الاصل العبراني في سفر اخبار الايام حيث تعاد انساب موسى وعليه فيرجح ان صحيح الرواية رودانيم لا دودانيم ويظهر من ثم ان هذه الفصيلة كان موطنها رودس الشهيرة بقدما والقريبة من قبرس فيتبادر الفهم اليها ولا يبعد ان تكون هذه التسمية تعم العمل المقابل لرودس في اليابسة . ومن اعتمدوا رواية دودانيم جعلوا محطة هذه الفصيلة في دودون في الابير او ان المراد شعب الدردنيين في ترويا

﴿ عد ٤٢ ﴾

— مجمل هذه الانساب —

ان المتحصل من هذه الانساب على سبيل الاجمال هو ان ولد حام كان

الاشكينين القدماء ظاهر وهؤلاء كانوا يسكنون بيتينيا حيث مدينة نيقية المسماة
الان ايسنيك وفي جنوبها وشمالها بحيرتان تسمى كل منهما ايسنيك والجزر
الواقعة تجاه ترويا تسمى جزر اشكانيا وعليه فيظهر ان قبيلة اشكناز بن جومر
سكنت اطراف اسيا الصغرى من جهة الاستانة العلية . واما ريفات فعلى تقليد
اليهود الذي حفظه يوسفوس كان مقام ذريته بفلاغونيا وهي ولاية قسطنطيني
الان وهذا ينطبق مع مركز اشكناز في بيتينيا ومركز ذرية ترجومة في
ارمينية الغربية كما سيجي . فيكون مركز ريفات بينهما ويؤيده ان اليونان سموا
هذه البلاد ريفاس . وترجومة . ورد ذكر نسله مرات في الكتاب منها قول
حزقيال المذكور آنفاً حيث يجعله مجاوراً لنسل جومر وقريباً من اقاصي
الشمال ومنها قول هذا النبي ايضاً (فصل ٢٧ عد ١٤) في صور . آل ترجومة
بالخيل والفرسان والبغال اقاموا اسواقك . فيتحصل من ذلك ان بلاد هذه
القبيلة لا يمكن ان تكون بعيدة كثيراً عن فينيقي بحيث يمكن ان يؤتى منها الى
صور بالخيل والبغال براً . ومن تقليدات الارمن ان جدهم يسمى ترجوموس
او ترجوم وهو ابو هيك الذي ينتسبون اليه . وعليه فساكن ترجومة كانت في
ارمينية الغربية

ثم ذكر الكتاب بني ياوان فقال . وبنو ياوان اليشة وترشيش وكتيم
ودودانيم ، فاليشة يراد به سكان بلاد اليونان في قارة اوربا وقد كثر ذكره
في الكتاب دالاً على هذه البلاد واما . ترشيش ، فكان علماً لاسبانيا في ايام
الفينيقيين اذ كان تجارهم يأمنون ترشيش اي اسبانيا طلباً للكسب على انه لا يظن
ان موسى اراد بترشيش اسبانيا في هذه الانساب فترشيش هو ابن ياوان
فيلزم ان يكون اقام بين قومه او في جوارهم وقد احله موسى بين اليشة
المراد بها بلاد اليونان كما مر وبين كتيم المراد بها قبرس على قول اكثرهم

وتابالي . وعامة العلماء على ان مقر قبيلة توبال في الجنوب من جبل قاف وجعل يوسفوس مسكنهم بين بحر قزوين (بحر الخزر) والبحر الاسود حيث جورجيا الان والاثار المسمارية تؤيد هذا . واما قبيلة ماشك فرأي الاقدمين ان مواطنها كانت في الشمال من اشور بين البحر الاسود وبحر قزوين مع قبيلة توبل وهذا وجه ذكر الكتاب القيلتين معاً وقد ورد مرات ذكر تابال وموشكي في كتابات سرغون الملك في خرشباد حيث عدّ من جملة اقاليم ملكه « تابال الى موشكي » وقال في محل اخر انه انتصر على ميلا ملك الموشكيين . وذهب اوسان وغيره ان المسكوبيين هم من ذرية ماشك هذا (فيكورو مجلد ١ صفحة ٢٩٢)

واما « تيراس » الاخير من ولد يافت فاكثر مفسري الكتاب وفي مقدمتهم يوسفوس (ك ١ في تاريخ اليهود فصل ٦) على ان ذريته اقامت في تراسه (١) ولكن خالفهم لانزمان (مجلد ١ من تاريخه صفحة ٣٠٠) قائلاً بان مساكن ذرية تيراس كانت في جبل توروس وفي كيليكيا البلاد الفسيحة التي لم نر لها ذكراً في انساب موسى وبان بعض الفقهاء ارجع الى هذه القبيلة اسم ترسيس مدينة هذه البلاد وقد وجدت فيها بعض قطع مصكوكة كتب عليها اسم ترس وتسميها الكتابات الاشورية تارسي والحاصل ان قبيلة تيراس على قوله اقامت في ترسيس وفي كيليكيا حيث جبل توروس ايضاً . وسترى ان الاظهر نسبة ترسيس الى ترشيش بن يوان ثم ذكر الكتاب ابناء جومر فقال « وبنو جومر اشكناز وريفات وتوجرمة » اما اشكناز فقد جاء ذكر قبيلته مع غيرها من سكان ارمينية بقول ارميا النبي (فصل ٥ عد ٢٧) متكلماً في خراب بابل « نادوا عليها ممالك اراراط وميني واشكناز » وشبه هذا الاسم لاسم قبيلة

(١) هي حيث الاستاة الى البحر الاسود شرقاً والى جزر الارخيل جنوباً والى الروملي الشرقية شمالاً ومكدونية غرباً

هانذا اليك يا جوج فاديرك ... واخرجك انت وجميع جيشك ومعهم فارس وكوش وفوط ... ومعك جومر وجميع جيوشهم وال ترجومة واقاصي الشمال ... فتأتي الى جبال اسرائيل ، ذكرنا كلام النبي مطولاً لتضمنه كثيراً من اسماء الشعوب الذين نتكلم فيهم وهو نبوة على غزوة التتر لبلاد فلسطين في القرن السابع قبل الميلاد . وجوج رئيس او ملك ارض ماجوج يريد النبي به ملك التتر الاوربيين على ما رأى لانرمان فهولاء التتر كانوا اجتازوا في اواسط القرن السابع قبل الميلاد من شمالي جبل قاف الى جنوبه واقاموا بين ارمينية الشرقية وبلاد ماداي واستمروا على اسمهم فقد ورد في كتابات اشور بانيبال الذي لم يكن بعيداً عن عهد حزقيال ذكر كوج او جوجي ملك شخا او شتا (اي شيت Scythes الذين اعتاد العرب ان يسموهم تترًا) يسكن في الشمال من اراراط اي ارمينية فهذا هو جوج ارض ماجوج الذي ذكره النبي ووصفه برئيس ماشك وتوبل لان جيوش التتر كانت مستحوذة حينئذٍ على هذين الشعبين الاقي ذكرهما (لانرمان مجلد ١ من تاريخه صفحة ٢٩٤)

واما ماداي ، ثالث ابناء يافت فلا اشكال ان ذريته هي قبيلة الماديين المتواتر ذكرها في الكتاب والاثار ومسكنها بلاد مادي وهي الان ادريجان والعراق العجمي ومادي اصل شعوب ايران . . واما ياولان ، فالتقليد العام انه جد اليونان في اسيا واوروبا فقد انقسم هولاء الى فرعين اجتاز احدهما بوغاز الدردنيل واقام في تراسه Thrace ومكدونية وامتد في سائر بلاد اليونان وجزرها واستمر الفرع الثاني في اسيا الصغرى فكان منه من كان من اليونان فيها هذا وسترى في كلامنا على الحثيين تفصيل السكان الاولين في هذه البلاد . ثم ذكر الكتاب توبل وماشك ، وكلاهما ورد ذكرهما فيه ذكرًا معًا كانه لاتفاق نسلهما واقامة احدهما في جانب الاخر وذكرتهما الاثار المسمارية مراراً باسم ماشكي

سكان دمشق وبلاد كنعان منهم والى روتان المشرق او الاعلى وتريد بهم سكان شمالي سورية وجزء من غربي ما بين النهرين فمادة كلمة روتان الاصلية روت او لوت لا يبعد ان تكون تحريف لود كما حرف المصريون انفسهم اسم جدتهم لوديم بن مصرائيم بن حام بتسمية انفسهم لوت او روت لجا مر في عد ٣٥ . وعليه فتكون القبيلتان اللودية والارامية المتميزتان اصلاً اختلطت احدهما بالآخرى وبعد انقراض ملك الحثيين في القرن الثامن قبل الميلاد عم اسم ارام بلاد هولاء ايضاً فاصبح القسم الاكبر من سورية يسمى ارام

﴿ عد ٤١ ﴾

— في بني يافت —

ذكر الكتاب ابناء يافت (تك ف ١٠ عد ٢) اولاً فقال : بنو يافت جومر وماجوج ومداي وياوان وتوبل وماشك وتيراس ، ولم يذكر من ولد هولاء الابني جومر وبني ياوان فتكلم اولاً في الاصول ثم في الفروع التي ذكرها فجومر ويسميه العرب كומר هو اصل قبيلة الجماريين او الكومريين القدماء الذين ذكرهم هيرودت وكانوا يسكنون على شاطي البحر الاسود في جهة اسيا وفي جهة اوربا . وربما أخذ عنهم اسم بلاد القرم وقد غزوا اسيا الصغرى مرات في القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد وتسميهم الاثار المسمارية جيميراى . واما ماجوج ، فتأول بعضهم اسمه بمعنى الجبل الكبير مركباً من كلمتين ما وجوج يريدون بذلك جبل قاف وان قبيلته سكنت هناك . لكن هذا التأويل لا يعتمد عليه واكثر المفسرين وفي مقدمتهم يوسفوس (في ك ١ من تاريخ اليهود ف ٦) ان قبيلة هذا يراد بها التتر ولا مرية بكونهم من ذرية يافت . وقد جاء في نبوة حزقيال (ف ٣٨ عد ٢ وما يليه) : وكانت الى كلمة الرب قائلاً يا ابن البشر اجعل وجهك نحو جوج ارض ماجوج رئيس روش وماشك وتوبل وتباً عليه وقل ...

بين الشام والحجاز كذا في تاريخ ابن خلدون وغيره وعن يوسفوس والقديس ابرونيوس ان عوص بن ارام هو الذي بنى دمشق

اما « حول » فيظهر ان ذريته اقامت في البلاد الواقعة بين باسان والجولان ممتدة الى بحيرة الحولة وان هذا الاسم عن حول بن ارام واما « جائر » فكان مقام اعقابهم في ناحية ايطورية المار ذكرها المعروفة الان بالجيدور في الجنوب الشرقي من دمشق وجعل بعضهم موقع ايطورية في الشمال من الجيدور وفي الجنوب من جبل الشيخ وانها مملكة جشور القديمة حيث الان بانياس وقسم من اقليم البلان ولا تحقّق المقاربة بين جائر والجيدور وجشور . وبقي « ماش » الرابع من ابنا ارام وكان مفسرو الكتاب يترددون بين ان يكون مقام ذريته في ميسا مسالك المار ذكرها او في ماسيوس او ماشيوس في جوار نصيبين فجأت الاثار المسمارية قاضية بتبؤهم مسالك اذ ابانت هذه الاثار انه كان فيها شعب ارامي وربما كان هناك مقام بني ارام كلهم اولاً فنجع بعضهم الى سورية وبلاد العرب واستمر نسل ماش في مفرهم الاول

ان فصائل القبيلة الارامية قد استفحل امرها في وسط سورية وشرقيها وكان قطبها دمشق يليها عدة ممالك او ولايات كما سترى في محال عديدة من هذا التاريخ ويظهر ان ذرية لود اخي ارام التي كانت تسكن بعض شمالي سورية كما اشرنا آنفاً اختلطت بالاراميين من اقدم الايام فكان هذا ما حمل بعض المؤرخين العرب علي حسبان لود الذي يسمونه لاوذ ابناً لارام مع انه اخوه ومنهم ابن خلدون عن ابن حزم اذ جاء في تاريخه (في المقدمة الاولى من مجلد ٢) « قال ابن حزم عن قدماء النسابين ان لاوذ هو ابن ارام بن سام اخو عوص » واهم من ذلك ان الاثار المصرية عند ذكرها الشعوب الذين عرفوا بعدئذ باسم اراميين تسميهم روتان او روتانو وتقسّمهم الى روتان المغرب يُراد بهم

فكان بنو قحطان يسكنون منطقة فسيحة تبدي من مسالك من طرف العراق العربي وتمتد الى جبل شومر ونجد وجنوبي الحجاز واليمن وحضرموت ومهرة

﴿ عدد ٤٠ ﴾

— في ابناء ارام —

ذكر الكتاب ابناء ارام قبل بني ارفكشاد فقال « بنو ارام عوص وحول وجائر وماش » فقد مر ان بني ارام اقاموا في دمشق وانحائها وقد حفظ اسم ارام لهذه الاعمال عند كل القبائل القديمة وفي كل اللغات اما ابنه عوص فاقام نسله في الارض التي سماها الكتاب باسمه اذ قال في فاتحة سفر ايوب « كان رجل في ارض عوص اسمه ايوب » وروى يوسفوس (في ل ١ من تاريخ اليهود فصل ٦) « ان عوص بكر ارام اقام في عمل تراخونيد (او تراكونيت) الواقعة بين فلسطين وسورية المجوفة » وقد ورد هذا الاسم في بشارة لوقا (ف ٣ عدد ١) حيث قيل « فلبس رئيس ربع على ايطورية وبلاد تراكونتس » فالكلمة يونانية من تراخوس معناها الوعر او الحزن او البلاد الكثيرة الحجارة وقد فهم بعضهم بها بلاد الشقيف و كلام يوسفوس مؤذن بشئ من ذلك والظاهر ان المراد بها اللجا التي كان القدامى يسمونها ارجوب وليس معناها الا الصبرة بمعنى الحجارة الغليظة المجتمعة وايطورية هي مملكة يطور القديمة وهي الناحية المعروفة الان بالجيدور وكل ذلك في الشرق من الاردن والجلولان وفي الجنوب الشرقي من دمشق فهناك كانت قبيلة عوص وهناك كان ايوب يؤيده انه وجد في بعض الاثار المسمارية ذكر شعب يسمى عوصو ويظهر من الاثر ان مقره في جهة حوران واللجا . وفي كتب المؤرخين العرب ان عاد احدى قبائل العرب البائدة هي من ولد عوص وان ثمود وجديس من هذه القبائل ايضاً هما من ولد جائر اخيه الذي يسميه العرب كاثر وان منزل ثمود كان بالحجر

كانت اوفير علماً لمحل واحد او لمحلين اذ ورد ذكر اوفير هنا ثم في سفر الملوك الثالث عند الكلام في ارسال سليمان سفنه الى اوفير لاستحضار الذهب وغيره . والظاهر على ما حقق الالب فيكورو (في الكتاب والاكتشافات الحديثة مجلد ٣ فصل ٨) ان اوفير هذه غير اوفير محل تجارة سليمان فهذه في بلاد العرب الجنوبية في بلاد عمان على بعد نحو من خمسة عشر كيلومتراً من مدينة سوهار وتلك في بلاد الهندوان سفن سليمان كانت تسير حتى اوفير الهندية ومما قاله لانرمان (مجلد ١ من تاريخه صفحة ٢٨٥) ان اوفير التي في بلاد العرب كانت محطة للتجارة بما يرد من اوفير التي في الهند فكانت السفن الهندية تقل البضائع والحاصلات الهندية الى مرفأ عدن فتقلها سفن اخرى او قوافل الى مصر وبلاد العرب وسورية

« وحويلة » الثاني عشر من ابناء يقطان استوطنت ذريته في بلاد خولان في شمالي اليمن على تخوم الحجاز حيث امتدت بعد ذلك ذرية اسماعيل كما جاء في التكوين (فصل ٢٥ عد ١٨) « ويوباب » قد رأيت انه يسمى في كلام ابن خلدون يوفاف . قال لانرمان (في المحل المذكور صفحة ٢٨٦) يظهر ان هذا الاسم مكسر والصواب ان يقال « يوبار » فقد ذكر بتولميس قبيلة اليوباريين في جنوبي العربية . وجاء في تواريخ العرب ان وَّبر من ولد قحطان وان فصيلة وَّبر كانت تسكن شرقي عدن الى تخوم حضرموت

واختتم موسى كلامه في ولد يقطان بقوله « كل هؤلاء بنو يقطان وكان مسكنهم من ميشا وانت آتٍ نحو سفار جبل المشرق » فيشا عند مصب الفرات ودجلة في الخليج العجمي مع البلاد التي تسمى الان مساليك وهي البرية التي يسكنها الان قبيلة بني لام من العرب وتتصل بالعراق العربي وسفار هي التي كانت عاصمة بني سبا وتسمى الان زعفر . وجبل المشرق يظهر ان المراد به جبل نجد وعليه

القاموس دقلة محركة موضع في اليامة . ثم « عوبال » ، ويقرب هذا الاسم من اسم بني عيل الذين كانوا يسكنون في الغرب من صنعاء على شاطئ البحر وكانت عاصمة بلادهم ثمة مدينة كبرى حوت من الهياكل خمسة وثلاثين هيكلاً . وفي التاج بنو عيل بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام قبيلة من العرب العاربة قد انقرضوا وهو اخو عاد بن عوص . وذكر ابن خلدون عيل من شعوب العرب العاربة . وذكر الكتاب بعد هولاء « ايمائيل » ، وكان هذا الاسم علماً لعمل في بلاد مهرة من اليمن واخص حاصلاته البخور وروى ثيفورست اليوناني المشهور بعلم الطبيعة ان احسن البخور كان يؤتى به في ايامه من عمل مالي الذي لا يبعد ان يكون مائيل او ابي مائيل . ثم « سبا » او سبا وهذه القبيلة مشهورة وكان منها اكثر سكان اليمن غير ان بعض المؤرخين العرب لا يجعلون سبا بن قحطان كما في الكتاب بل يقولون ما قال ابو الفدا « واسم سبا عبد شمس فلما اكثر الغزو والسبي سمي سبا وهو ابن يشجب بن يعرب بن قحطان . . . وكان لسبا عدة اولاد فمنهم حمير وكهلان وعمرى واشعر وعاملة بنو سبا » الى ان قال ان من بني حمير التابعة ملوك اليمن ومن بني كهلان قبائل طي ومن بني عمرى نجم ومن بني اشعر الاشعريون ومن عاملة بنو عاملة من القبائل اليمنية التي ارتحلت من اليمن ونزلت بالقرب من دمشق في الجبل المعروف بجبل عاملة . انتهى ملخصاً عن تاريخ ابي الفدا واصح من ذلك قول ابن خلدون في جدول بني سام سبا بن يقطن بن عابر كما مر في التوراة وقوله هناك ان من بني يقطن « سبا وهم اهل اليمن من حمير والتبابعة وكهلان »


اما « اوفير » ، فلا شك ان في بلاد العرب الجنوبية محلاً يسمى باسمه سكنه ابناؤه بجانب ابناء اخوته ولكن توفرت الاقوال وتضاربت في ما اذا

ولد يقطان بعد ان ذكر خمسة منهم هولا، خمسة وثمانية اخرى نتقل اسماءهم وهي عبرانية ولم نقف على تفسير شئ منها ولا يعلم من اي البطون هم. وهم يياراح واوزال ودقلا وعوثال وافيميل وايوفير وحويلا ويوفاف، والجملة ثلاثة عشر نقلاً عن الكتاب بتغير ما وهوذا ما امكن التوصل الى معرفته في هذه الايام من شان هولا.

ذكر الكتاب بعد ييارح هدورام، قال لانرمان (صفحة ٢٨٥) لا ريب ان هولا هم الحضارمة Adramites الذين جعل الجغرافيون منازلهم في جوار قبيلة حضر موت وكان في الشام قبيلة الحضارمة بعد الاسلام اتوا اليها من العجم وفي التاج الحضارمة قوم من العجم خرجوا في بدء الاسلام فسكنوا الشام. وفي الصحاح ففرقوا في بلاد العرب فمن اقام منهم بالبصرة فهم الاساودة ومن اقام منهم بالكوفة فهم الاحامرة ومن اقام منهم بالشام فهم الحضارمة ومن اقام منهم بالجزيرة فهم الجراحة ومن اقام منهم باليمن فهم الابناء، ومن اقام منهم بالموصل فهم الجرامة. ثم اوزال، وبهذا الاسم عمل في اليمن كان حيث صنعاً الان واستمر يسمى ازال او عزال الى ان غزا الاحباش هذه الديار في القرن الخامس للميلاد فسموها صنعاء وفي التاج ازال كسحاب اسم صنعاء اليمن في الجاهلية الجهلاء... او ازال اسم بانها وهو ابن يقطن ابن عابر وهو والد صنعاء كانت امرأة ملكة. ثم دقلا، قال لانرمان ما من عمل في بلاد العرب يقرب اسمه من هذا الاسم على ان معنى دقلا في العبرانية النخل فيراد بدقلا عمل كثر فيه النخل او كان فيها نوع من العبادة لهذا الشجر كما كان عند قدماء نجران في اليمن وموقع نجران هذه يناسب كثيراً ان يكون موطناً لفصيلة دقلا من حيث الجوار لمساكن اخوانه على انه جاء في التاج نقلاً عن الصائب قال ابو حنيفة الدقل المجهول من النخل كله الواحدة دقلا وفيه عن

واما العرب البائدة فأكثرتهم من ولد ارام ومنهم عاد وثمود وجرهم الاولى وسموا بائدة لانهم بادوا فلم تبق لهم ذرية مستقلة بل اختلطت بغيرها ، واما العرب المستعربة فهم على ما قال ابو الفدا (في تاريخه) ولد اسماعيل وقيل لهم العرب المستعربة لان اسماعيل لم تكن لغته عربية بل عبرانية ثم دخل في العربية فلذلك سمي ولده العرب المستعربة ، وقد ذكروا ان اسماعيل نزل في جرهم الثانية وزوجوه امرأة منهم ومن هولاء العرب المستعربة آل قريش

اخذ الكتاب في تعداد بني يقطان فقال « ويقطان ولد الموداد » ان ال الداخلة على هذا الاسم هي اداة التعريف العربية بلا مرآء ولكن هل الاسم المأخوذ هنا عن لغة اعجمية هو في العربية كذلك ام هو المرذاذ بن قحطان على ما روى ابن خلدون او هو مضاض او المضاض وقد كثر هذا الاسم في قبيلة جرهم الثانية التي هي من ولد قحطان كل ذلك لا سبيل الى تحقيقه الان . وفي تواريخ العرب ان من نسل قحطان من ملك في اليمن واول ملك منهم يعرب بن قحطان ثم يشجب ابن يعرب الى غيرها ومن ملك في الحجاز واول ملك منهم جرهم بن قحطان ثم عبدياليل بن جرهم الى غيرها ثم ذكر الكتاب من ولد يقطان « شالف » وعن ابن خلدون « سالف وهم اهل السلفات » وفي التاج السلف كسر د بطن من ذي السكلاع من حمير وهو السلف بن يقطان وقال لانرمان ان هذا العمل اي السلفات او سلفية هو في الجنوب الغربي من صنعاء في اليمن ثم « حضرموت » وقد بقي هذا الاسم حتى الان علماً لاقليم حضرموت على الطرف الشرقي من شبه جزيرة العرب ثم « يارح » وعن لانرمان انما هذا الاسم مترجم الى العبرانية عن كلمة هلال العربية ولذلك وقف المفسرون بين ان يكون المراد به بني هلال وهم شعب قديم في شمالي اليمن او جبال القمر الواقعة في حضرموت نحو الشرق . قال ابن خلدون في يارح هذا ومن تبعه من

لم يذكر الكتاب ولداً لعميلام واشور ولود بل اجتزأ بذكر اعقاب ارفكشاد وارام فقط لان العبرانيين من ذرية ارفكشاد وجل غرض موسى ان يكتب لهذا الشعب تاريخه ولان الاراميين اقاربهم الادنون وجيران موطنهم وكانت بين الشعبين علاقات تاريخية كثيرة كما ستري . ومما يستوجب الالتفات ان اسما من ذكرهم في الكتاب من بني ارفكشاد جميعها تاريخية جغرافية دالة على انتجاع هذه القبيلة من المشرق نحو المغرب فقال « ارفكشاد ولد شالح » وشالح تأويله البعث بالشئ الى الامام وتلك اشارة الى تقدم هذا الفرع من ذرية ارفكشاد من محل اقامته الاول نحو الغرب ثم قال « وشالح ولد عابر ، بمعناه بالعربية اي العابر او المجتاز فانه عبر الفرات الى الغرب وعنه اخذ سكان سورية قبل ابراهيم يسعون ذرية عابر عبرانيين او بني عابر يريدون انهم اتوا من عبر الفرات . ثم قال الكتاب « وولد لعابر ابنان اسم احدهما فالج (او فالغ) لانه في ايامه انقسمت الارض واسم اخيه يقطان . فقالج او فالغ معناه القاسم او المقسم ففي السريانية  بمعنى قسم وشق وفي العربية فالج الشئ فلجين شقه نصفين وفلج الشئ قسمه وفلغ رأسه شدخه فكان موسى يقول ان بني عابر انقسموا بعد عبورهم الفرات الى فصيلتين اقامت الاولى منهما في اور الكلدانيين (وسيجيء الكلام فيها عند ذكر ابراهيم) وارتحلت الثانية اي بنو يقطان الى بلاد العرب

﴿ عد ٣٩ ﴾

— في يقطان وولده جدود العرب —

ان يقطان هذا يسميه العرب قحطان وهو ابو العرب العاربة وسموا كذلك على ما قال ابن خلدون . اما بمعنى الرساخة في العروية كما يقال ليل آلل وصوم صائم او بمعنى الفاعلة للعروية والمبتدعة لها بما كانت اول اجيالها .

القبيلتين الظاهرة من صور قديمة تدل صريح الدلالة على انهما من ذريتين كل ذلك يزيد صحة الكتاب ثبوتاً علمياً ايضاً . وقد توهم يوسفوس وغيره ان العيلاميين هم الفرس سكان فارس وهو خطأ ظاهر لان الفرس ياقتيون والعيلاميين ساميون بلا مراء

والثالث من بني سام ، ارفكشاد ، ويروى ارفخشاد وارفخشذ ومعنى الكلمة جار السكداني ومتاخمه على ما روى لانرمان (مجلد ١ من تاريخه صفحة ٢٨٣) فذلك ناطق بان مهد ذرية ارفخشاد التي منها العبرانيون والعرب معاً كان في جوار ابناء عمهم السكدان الذين هم ذرية كوش بن حام كما مر في الكلام على نمروذ . واما « لود » رابع ابناء سام فزعم بعضهم ان ذريته اقامت في ليديا القديمة حيث ولاية ازميز الان مغترين بالمقاربة بين الاسمين لود وليديا . لكن وحدة الاسمين او تقاربهما لا يكفيان وحدهما الدلالة على ان الاصل واحد . فقدماء ليديا ياقتيون ومحلهم من حيث موقعه الجغرافي لا يمكن ان يقرب الى محل ابناء لود لانهم ساميون والكتاب جعل مساكن بني سام متناسقة تباعاً فيلزم ان يكون مقر ذرية لود بين بني اشور وارفكشاد من جهة وبني ارام من الجهة الاخرى ومن كلام ابن خلدون في تاريخه « ولم يذكر في التوراة ولد لاوذ (لود) قال ابن اسحق كان للاوذ اربعة من الولد وهم طسم وعملق وجرجان وفارس ، وفي تاريخ ابي القدا في ذكر العمالة « وهم من ولد عملق بن لاوذ بن سام « وبقي « ارام » خامس ابناء سام وتأويل الكلمة العالي او المرتفع ولا شك ان ابناءه اقام بعضهم في سورية الجنوبية اي في دمشق وانحائها حتى لبنان وبقي بعضهم بين النهرين كما سيجيء عند ذكر كل منهم . وكثيراً ما ورد اسم ارام في الاثار المسمارية مراداً به طوراً مساكنهم في سورية وطوراً بين النهرين او في الاقليمين معاً

سكان جزيرة ارواد وما قابلها في اليابسة خاصة طرسوس وعمريت والصماريين ،
 قصبتهن سيميرا وذكرها استرابون بين المدن الواقعة بين النهر الكبير في عكار
 جنوباً واللاذقية شمالاً فقال « ارتوسيا (طرسوس) وسيميرا ، وفي معجم الكتاب
 لكلمت ان موقعها بين النهر الكبير جنوباً ونهر مرقية شمالاً وهناك بلدة
 تدعى صمره وناحية تسمى ناحية زميرين او صمرين ، والحمايتين ، وهم سكان
 حماه على العاصي وباسمهم سميت فسان هولاء بين الحثيين في الشمال
 والاراميين في الجنوب

﴿ عد ٣٨ ﴾

﴿ في ابناء سام ﴾

فرغ موسى من ذكر انساب بني حام فاخذ في تسريب بني سام متبعاً فيه نظاماً
 جغرافياً مرتباً فقال « وبنو سام عيلام واشور وارفكشاد ولود وارام ، فعيلام
 سميت باسمه البلاد التي سكنها اعقابه والكلمة في اللغة السامية تأويلها البلاد
 المرتفعة او الجبلية فيظهر انها سميت كذلك تمييزاً لها عن سهول بلاد الكلدان
 وكان الاشوريون والعبرانيون يسمون هذه البلاد سوسيانا وموقعها بين دجلة
 وبلاد فارس وهي خورستان الان ومنها الاهواز . ويظهر من بعض الآثار
 المسمارية ومن بعض صور تمثل حروب ملوك نينوى في بلاد عيلام ان العيلاميين
 اختلطوا من اقدم الايام بقبائل اخرى ولكن استمرت السيادة لهم . واما « اشور »
 ثاني ابناء سام فاليه ينسب الاشوريون وبلاد اشور وهي الجزيرة كما مر اي القسم
 الشمالي من بين النهرين ومن كلام ابن خلدون عن ابن اسحق « ان بني اشوذ
 (اشور) هم اهل الموصل وبني غليم (عيلام) اهل خورستان ومنها الاهواز ،
 وقد رأيت انفاً ما بين الكلدان البابليين والاشوريين من وحدة اللغة والمعبودات
 والحضارة الى غير ذلك مع كون اولئك حاميين وهولاء ساميين وهيئات

كان لها من السطوة وامتداد السلطة والحروب مع المصريين والاشوريين ولم يكن في حطام المؤرخين شيء من هذه الامور قبل الكشف عن كنوز الكتابات الهيروغليفية والمسمارية وقبل الاهتداء الى الاثار الحثية منذ بضعة سنين فقط « واليابوسيين » اي ولد يابوس وقد سكنوا اولاً المحل الذي سُمي بعداً اورشليم « والاموريين » وكانوا يسكنون جبل افرايم ويهوذا عند استيلاء بني اسرائيل على ارض الموعد وكانوا قد امتدوا حتى غربي البحر الميت وعبروا قبيل عهد موسى الاردن وشيدوا مملكة باسان وحشبون وفي الاثار المصرية ذكر لفصيلة امورية تسكن جهة قادم وعند منبع العاصي في الشمال من بعلبك

« والجرجاشيين » وكان مركزهم في عبر الاردن وتمتد بلادهم الى الجليل وجبل الكرمل على الاظهر وجاء ذكرهم في الاثار المصرية ويظن ان بحيرة الجرجسيين (وهي بحيرة طبرية) تنسب اليهم « والحويين » ويظهر من الكتاب عند كلامه في استيلاء بني اسرائيل على فلسطين انهم كانوا يسكنون في جوار جبل حرمون (جبل الشيخ الان) وفي سيحام وجبع والرامة وقرية يعريم (ابو غوش الان) وقد ترجم اسمهم في الترجمة (الترغوم) الاورشليمية بالطرابلسيين كانهم بعد ان طردهم يشوع بن نون من فلسطين ارتحلوا الى طرابلس او انحأها « والعرقين » وكانوا يسكنون عرقاً وجوارها في عمل عكار في الشمال من طرابلس الى النهر الكبير « والسينيين » وكانوا يسكنون مدينة سين في الشمال من عرقاً. كذا روى لانرمان في المجلد الاول من تاريخه (صفحة ٢٧٤) ولا يبعد ان تكون املاك هذه الفصيلة توصلت الى نهر السين او السن بين جيلة شمالاً والمرب جنوباً لكن لانرمان قال في المجلد السادس (صفحة ١٢٠) انهم كانوا يسكنون في جبل لبنان وان استرابون ذكر مدينة اسمها سينا او شينا واقعة في هذا الجبل فوق البترون ولا يعلم محلها الى الان « والاروايين » وهم

بلاد فوط وكتب تاريخ هذه الغزوة في باير مصري والمتحصل من كل ما ذكر في هذه الاثار ان بلاد فوط ليست في قارة اسيا وحدها ولا في قارة افريقيا فقط بل هي في القارتين معاً قسم في اليمن وما جاوره من العربية وقسم في افريقية لجهة الحبشة اي في سومال المار ذكرها

﴿ عد ٣٧ ﴾

— كنعان بن حام وذريته —

بقي من ولد حام كنعان والكلام في ذريته اهم منه في غيرها لان ابناء كنعان توطنوا ديارنا هذه . قال فيكورو (مجلد ١ من الكتاب والاكتشافات ٢٩٣) لم نجد اسم كنعان حتى الان في الاثار الاشورية مع انها اكثر من ذكر البلاد التي سكنها ابناؤه وكان الاشوريون يسمون هذه البلاد « مات احاري » وتأويله الارض التي الى الورا « او البلاد الغربية فكان من عادتهم انهم اذا ارادوا تعيين الجهات الاربع التفتوا الى جهة مشرق الشمس فسموا الشرق الامام والغرب الورا » وقد فصل في كتابة لنيرار الثالث احد ملوكهم ما تشتمل عليه هذه البلاد فانه ذكر الاعمال التي تؤديه الجزية فقال من جملتها « ارض احاري كلها » اعني ارض صور وارض صيدا وارض عمري (اي مملكة اسرائيل) وارض ادوم وارض بلاسطاف (اي فلسطين) حتى الى بحر مغرب الشمس « (رواه اوبر في كتاب رحلته بين الهرين مجلد ١ صفحة ٣٣٣)

قال الكتاب « وكنعان ولد صيدون بكره » وتوطنت ذريته في صيدا وما جاورها وسمتها باسمه وسنفرد مقالة خاصة بتاريخ الفينيقيين نسب فيها الكلام في صيدا وصور وما يليهما « « وحثا » ومواطن الحثيين البلاد التي بين العاصي والفرات وجبل اللكام وفصيلة منهم سكنت حبرون اي الخليل الان وجوارها قبل ان ياتيها ابراهيم وسنفرد لهذه القبيلة الكبرى مقالة مخصوصة ايضاً تريكم

اعقابه ولا جرم ان كان له ذرية فاين اقامت . قال فيكورو (مجلد ١ من الكتاب والاكتشافات صفحة ٢٩٠) ذهب كنبول وكايل وغيرهما ان هذه القبيلة توطنت ليبيا . وذهب ابار (في كتابه مصر واسفار موسى مجلد ١ صفحة ٦٣) انها توطنت بعض بلاد العرب وسومال الواقعة في الجنوب من خليج عدن وفي الشرق من الحبشة على ما ظهر من الاكتشافات ماريات الاقي ذكرها واما لانرمان فبعد ان ذكر (مجلد ١ من تاريخه القديم صفحة ٢٧١) ان مواطن هذه القبيلة لا يبعد ان كانت في ليبيا جنح الى قول ابار بانها كانت في بلاد العرب وسومال وقال ان من تقليدات اهل سومال الان انهم من اقارب اقدم الشعوب الذين توطنوا اليمن وحضر موت وحرر رأيه بان هذه القبيلة انقسمت الى فصيلتين يفصل بينهما السودان فساكن احدهما في سومال وجوارها على الشاطي الشرقي من افريقيا ومساكن الثانية في ليبيا ممتدة في شمالي قارة افريقيا من تخوم مصر حتى الاتلتيك وجزائر كاناريس فيه . على ان الذي اطال واجاد في ذكر قبيلة فوط هو الاب دي كارا (في الفصل الثامن من كتابه في الملوك الرعاة) وملخص ما قاله ان المصريين القدماء كانوا يسمون بلاد العرب الجنوبية فوطاً وان اكتشافات ماريات في الكرنك (مصر) عن جريدة الاسماء الجغرافية افادتنا ان ارض فوط التي كان يحصرها اهل العلم بالاثار المصرية في العربية السعيدة واليمن تمتد الى قسم من قارة افريقيا وهو ما يقابل مضيق باب المنذب الى ارض الحبشة اعني سومال وذكر ان احد ملوك مصر المسمى سنكسارا من الدولة الحادية عشرة ارسل قائداً اسمه حانو الى بلاد فوط ليأتيه ببعض حاصلات هذه البلاد وان الملكة ماكارا ابنة توتمس الاول احد فراعنة الدولة الثامنة عشر ارسلت قائداً اخر الى بلاد فوط ونقش تاريخ سفره على جدران دير البحارى (مصر) وان دغمسيس الثالث احد فراعنة الدولة العشرين ارسل جيوشاً تغزو

سميت فلسطين نسبة اليهم وهم من قبيلة البلاسج اصلاً وبين الاسمين مقارنة ظاهرة
 فعلى القراءة ان الفلسطينيين وكفتوريم خرجوا من الكسلوحيين تكون اشارة الى ان
 الغزاة الآتين من الشمال اختلطوا بالسكان القدماء الحاميين في مصر فخرج من
 الكسلوحيين الفلسطينيين لا ولدوا منهم على ان قراءة نسختنا السريانية « ومن
 هناك خرج الفلسطينيون » هي اظهر وانسب لتأدية المعنى وليان الحقيقة التي
 كشفت لنا عنها الاثار المصرية اذ يتبين منها ان الفلسطينيين خرجوا من بلاد
 الكسلوحيين التي هي الشطوط المصرية على البحر المتوسط حيث أسر الغزاة
 وجلوا الى فلسطين . وقد كان من تقليدات عامة العلماء ان البلاسج الاولين
 ومنهم سكان اكريت وما جاورها من الجزر واليابسة هم من ذرية يافت ومن
 اعقاب ابنه ياوان ابي اليونان على ان الاب دي كارا ينشر الان فصلاً متتالية (في
 المجلة المعنونة بالتمدن الكاثوليكي) يبين بها ان البلاسج الاولين من قبيلة
 الحثيين ولد حث بن كنعان وعليه فيكون الكسلوحيين والفلسطينيين جميعاً من
 ذرية حام فهم ابناء اعمام الاولون من ولد مصرائيم والثانون من ولد كنعان اخيه .
 وسترى تفصيل هذه الامور في كلامنا على الحثيين وعلى بني اسرائيل وحرورهم
 مع الفلسطينيين

واما كفتوريم او الكفتوريون على ما في نسختنا السريانية فنسبتهم الى
 كفتور وهي جزيرة اكريت وقد ورد اسم هذه الجزيرة ونسبة الفلسطينيين اليها
 في ايات عديدة من الاسفار المقدسة فكأن الغزاة المار ذكرهم انفاً كان قسم
 كبير منهم من اكريت فخصه موسى بالذكر

﴿ عد ٣٦ ﴾

— في فوط بن حام —

واما فوط الثالث من ابناء حام ويسمى بوت وبونت ايضاً فلم يذكر الكتاب

يشمل قديماً كل الاعمال الواقعة في الغرب من مصر الى بوغاز جبل طارق
فممكن هولاء يلزم حصره على المغرب الشرقي وهو من برقة الى تخوم مصر
وشعب هذه الاعمال تسميه الاثار المسمارية لآبو ولا يخفى القرب بين لهائم
او لآبيم بالتخفيف ولآبو « ونفتوحيم » ويراد بهم سكان بلاد منف واسمهم في
الاثار المصرية الكهنوتية « نافتاح » اي ملك الاله فتاح احد معبوداتهم .
« وفتروسيم » وهم سكان الصعيد واسمهم في لغة مصر القديمة بتورس ومعناه
البلاد الجنوبية « وكسلوحييم » وفي عرفان هذه الفصيلة غماضة ناشئة من عدم
وجود اسم يقرب من هذا لا في الاثار المصرية ولا في الاثار المسمارية ولذا
كان في هولاء لاهل العلم احداث ضعيفة المبني على ان النسخة السبعينية
لا تسميهم كسلوحييم كما في العبرانية بل هسمونيم ومعناه سكان بلاد النظرون
(احد الاملاح سلفات الصود مغرب) وفي اللغة المصرية هسمون ولا يخفى ان
في غربي مصر السفلى عملاً يسمى وادي النظرون فيه بعض بحيرات يستخرج
منها هذا الملح والاثار المسمارية تسمي هذا العمل مالوحي اي بلاد الملح وعليه
فيظهر ان هذه الفصيلة اقامت هناك والاظهر ان موسى لم يعين هذا العمل
وحده بل اراد سكان شطوط مصر البحرية من ليبيا الى فلسطين

وقد اتبع الكتاب كلامه في كسلوحييم بقوله « الذين خرج منهم الفلسطينيون
وكفتوريم » قلنا وفي النسخة السريانية « وخرج من هناك الفلسطينيون
والكفتوريون » والخير يعلم كم غتت هذه الاية العلماء والمفسرين في تفسيرها
وكم تضاربت الاقوال فيه وفي اصل الفلسطينيين قبل الاكتشافات الحديثة واما الان
فبقول سيجني ما كشفته الاثار المصرية عن اصل الفلسطينيين من انهم قدموا
الى مصر من جزيرة اكرت وغيرها من جزر الارخيل وما جاورها من البلاد
نحو القرن الخامس عشر قبل الميلاد فاسرهم المصريون واقاموهم في البلاد التي

تاريخ موسى فعظمة راسن اقدم كثيراً من عهد عظمة نينوى في ايام ملوكها
الاشوريين المعاصرين ملوك يهوذا واسرائيل . وكفى بهذا مؤونة لرد مزاعم
بعض المنادين الالمانيين الذين وهموا ان انساب موسى كتبت في عهد ملوك
اسرائيل

﴿ عد ٣٥ ﴾

— مصرائيم بن حام واعقابه —

ولنعد الى الانساب التي اشغلنا الكتاب عنها بذكر نمرود وملكه ومدنه .
قد سمي الكتاب ابن حام الثاني « مصرائيم » وتجدده يسمي ابداً وادي النيل مصرأ
والاثار الاشورية تسميه مُصر أو مصر والفارسية مودريا بابدال الصاد بالذال .
والاسم في العبرانية بصيغة المثني او الجمع لقسمة هذه البلاد من اقدم الايام الى
مصر العليا ومصر السفلى . ثم ذكر الكتاب ابناً « مصرائيم فقال « ومصرائيم
ولد لوديم » وذرية لوديم هم المصريون بحصر اللفظ وكانوا الفصيلة المتغلبة
ويسمون انفسهم لوت او روت وابدال اللام بالراء مستفاض عندهم واكثر منه
ابدال التاء بالذال وعكسه فتكون لوت بدلاً من لود كتسمية الكتاب لهم
« وغانيم » وقد كثر في الاثار المصرية ذكر عانو مراداً بهم شعب مشنت في
اكثر انحاء وادي النيل وقد حفظ اسمهم ايضاً في اسماء بعض المدن في مصر
فان البيولي وندره كان اسمهما عان في لغتهم وكان لبطنين من هذه الفصيلة
نوع من الاستقلال سكن احدهما في شبه جزيرة سينا والاخر في بلاد النوبة
وسمتهما الاثار المصرية عانوكنس ولعلمهما المقصودان في كلام موسى . ومن
كلام ابن خلدون « ومن ولد مصر غناميم وكان لهم نواحي الاسكندرية » وابن
مصرائيم الثالث « لهايم » ولا اشكال بان المراد بهذا الاسم سكان ليبيا وهي
البلاد الواقعة في غربي مصر وتسمى الان المغرب على ان اسم ليبيا كان

بلاد اشور بعد الطوفان ولكن تغلبت عليها منذ اقدم الايام مدينة راسن التي ذكرها ثم سقطت راسن من ذرى عظمتها فخلفتها نينوى في دورها الثاني والى هذا الدور تعزى الاثار المسمارية الوارد بها ذكر نينوى وقد بينت الاثار الاشورية ان موقع نينوى كان في المحل المسمى الان كوينجيك في الشرق الجنوبي من الموصل

واما مدينة كالح فموقعها في محل نمرود الان في جنوبي الموصل فلم تكن في الشمال من نينوى في جوار خرشباد كما توهم بعضهم بل في الجنوب من نينوى حيث الان خرابات نمرود كما حققت ذلك اكتشافات لا يرد فانه وجد هناك كثيراً من الكتابات والاثار الدالة عليها . وكانت هذه المدينة عاصمة الملك في عهد سلمناصر الاول وبني فيها هو وبعض خلفائه قصوراً شاهقة ووجد في خراباتها تمثال سلمناصر الثالث . روى ذلك الاب فيكورو (في الكتاب والاكتشافات الحديثة مجلد ١ صفحة ٣٠٠ و ٣١٢) وقال اوبر (١) (في رحلته في ما بين النهرين مجلد ١ صفحة ٣٠٩) ان موقع كالح كان في محل خرابات نمرود وهذا امر غنمه العلم من الاثار ولم يحدث فيه بعد خلاف

واما راسن فقد صرح الكتاب بان موقعها بين نينوى وكالح اي بين نمرود وكوينجيك لا على ضفة النهر بل في داخلية البلاد على مسافة ست ساعات من خرشباد ويرجح ان يكون موقعها حيث الان كركوش على ما روى اوبر في المحل المذكور وكانت هذه المدينة عاصمة اشور بعد نينوى في دورها الاول كما مر ولذا وصفها الكتاب بانها المدينة العظيمة فالوصف لها لا لنينوى كما توهم بعض المفسرين بل لا يمكن عوده على نينوى الا بتعسف ظاهر وعليه فوصف راسن بالمدينة العظيمة مع انها دمرت منذ اقدم الاعصر دليل ساطع على قدم

نمرود من تلك الارض الى بلاد اشور فبنى نينوى الخ وقول هولاء اثبت وهو الذي يقتضيه المعنى ومساق الكلام وليس فيه تكلف الا لتقدير حرف الجر اي خرج الى اشور او تعدية خرج بنفسه وكذا رأي لانرمان (مجلد ٤ من تاريخه القديم صفحة ٦٤) قائلاً ان تقليد الساميين بجملته يثبت ذلك وان ارض نمرود من قول ميخا النبي (ف ٥ عد ٦) « فيرعون ارض اشور بالسيف وارض نمرود بمدخلها » يراد بها بلاد الكلدان وبلاد اشور معاً وان النبي يعتبر نمرود بابي بابل ونينوى وهذا اطبق لما سترى من الاثار . وترى ابداً اسم اشور في الكتاب علماً لاحد ابناء سام ولبلاذ لكنه ورد في الاثار علماً لمدينة مخصوصة ولبلاذ ولاله ليس هو الا اشور ثاني ابناء سام الهوه على جاري عادتهم وباسمه سميت البلاد التي هي الان الجزيرة فنمرود من ذرية حام ولي قومه اولاً ثم خرج من الجنوب الى نحو الشمال فولي بلاد اشور وسكانها الساميين ومما يثبت ذلك وجداننا لغة نينوى سامية كلغة بابل الا في اختلافات طفيفة ثم تصریح تقاليدات نينوى بان اصلها كلداني بابلي فانك تجد على شواطئ دجلة والفرات الطباق التام في المعتقد والمعبودات ونوع عبادتها وفي اللغة والكتابة وانواع الحضارة والعادات . وقد برهن العالم فيكتور بلاس (١) (في كتابه في نينوى واشور مجلد ١ صفحة ٢١٤) هذا الامر ببناء المساكن في اشور بالاجرّ مع ان الحجارة في جهات الموصل حيث كانت نينوى يسهل استحضارها بخلاف جهات بابل فلا وجه للبناء بالاجرّ في اشور وعلى هيئة ابنية بابل الا استمسك المرتحلين من بابل الى نينوى بعبادات مهاجرهم الاولى وعليه فالحضارة الاشورية بنت الحضارة البابلية الكلدانية

ان اسم نينوى معناه في لغتهم المسكن او المدينة وهي اول مدينة بنيت في

الاثار التي ذكرت بها اكد كتابة سنحاريب المنقوشة في بافيان حيث ذكر ملكاً لاكد كان في عهد تجات فلاصر الاول ملك نينوى نحو سنة ١١٣٠ ق م فقال اخذ جنودنا الالهة التي كانت تسكن هناك وكسروها وغنموا بكنوزهم والهة الهيكل التي كان اخذها مردوخ نادين اخي ملك اكد من تجلت فلاصر وجلاها الى بابل رددتها انا من بابل من بعد ٤١٨ سنة وركرتها في محلها الاول ، اي في هيكل نينوى . وهذه الكتابة تدلنا على ان اكد كانت ذات سطوة وصوله من اقدم الايام حتى قبل عهد تجلت فلاصر الاول

وبقي كنهه فقد قال اكثر مفسري الكتاب واهل التدقيق بان موقعها على الضفة الشرقية لدجلة في مملكة بابل في الجنوب الشرقي من بغداد حيث اقيمت بعد ذلك قطيسفون وهي المدائن تجاه سلوقية ولا يمكن القطع بذلك لكنه كالمؤكد ويؤيده التقليد الكلداني القديم وقد اعتمدته اوسايوس القيصري والقديس ايرونيوس والقديس افرام وابو الفرج ابن العبري ويزيده ايذاً ان البلاد الواقعة فيها قطيسفون كان يسميها اليونان كلنوتيس اي بلاد كلنة والاثار المسمارية لم تبثنا حتى الان بما يثبت هذا القول او يخالفه انتهى ملخصاً عن الكتاب والاكتشافات الحديثة لفيكورو وعليه فالمدن الاربع في العراق العربي وجاء في الكتاب بعد ذلك (تك فصل ١٠ عد ١١) « ومن تلك الارض

(يريد ارض شنعار) خرج اشور فبنى نينوى وساحات المدينة وكالغ وراسن بين نينوى وكالغ وهي المدينة العظيمة « قال فيكورو (مجلد ١ من الكتاب والاكتشافات صفحة ٣٠٩) ان قول الكتاب ومن تلك الارض خرج اشور فبنى نينوى يتحمل معنيين فقال بعضهم ان الكلام في شخص غير نمرود وهو اشور وان هذا بنى نينوى فاستمسكوا بظاهر اللفظ وقال غيرهم ما هذا الكلام

إلا تمة تاريخ نمرود فلا يراد باشور رجل بل بلاد ومعنى الآية عندهم خرج

توطنها أولاً ولد كوش وحكموا فيها قبل ان يأتيا ابناء سام ويافت ،
واما المدن الاربع التي جعلها الكتاب اركان مملكة نمرود وهي بابل وارك
واكد وكلكنه ، فثنتان منها اي بابل وارك سعتها الاثار الاشورية بالاسم نفسه
الذي عرفها به موسى ومن هذه الاثار ما رويناه آنفاً من اشعار ازدوبار .
وموقع بابل على ضفة الفرات وسيجيء الكلام فيه عند الكلام في الصرح
البابلي . واما ارك فكان قول عامة العلماء انها الرها المسماة الان ارفاستناداً الى شهادة
كثير من مشاهير القدماء منهم القديس ابرونيوس والقديس افرام شماس كنيسة
هذه المدينة والترغوم (الترجمة) الاورشليمي على ان بعض المتأخرين اخذوا في العدول
عن هذا القول الى القول بانها البلدة المسماة الان وركا او ورقة الواقعة على ضفة
الفرات السفلى في الجنوب الشرقي من بابل لتسمية النصوص السامرية هذا
المحل اركو او اورك وتسمية المؤلفين اليونان له اوركوا وقد وجد في خراباتها
قطع اجر كتب عليها اسم هذه المدينة بعلامة قراها او بر اركو وقراها غيره وروتكى
ومعناها مدينة القمر ومن تخمينات راولينسون القريبة من الصواب ان اسم
ارك ليس الا مكسر يارح كلمة سامية معناها القمر ويظهر انها كانت مقبرة عامة
فقل ان يوجد لوركا شبيه بكثرة المدافن وبقايا العظام البشرية
واما اكد فلا تجد في حطام القدماء الا اسمها في الاسفار المقدسة واما
الان فقد وجد اسمها في كثير من الكتابات السامرية القديمة والحديثة
مدلولاً به تارة على مدينة وتارة على بلاد واخرى على شعب اما المدينة
فكانت نحو الشمال الشرقي من بابل على مقربة من شيدار المسماة الان ابو حابور
واما بلاد اكد فكان يراد به القسم الشمالي من مملكة بابل كما كان يراد
بسومير او شومير قسمها الجنوبي وشعب اكد ذهب كثيرون منهم هنري
راولينسون انه كان يراد به الحاميون الذين توطنوا أولاً ارض شنعار ومن

﴿ عد ٣٤ ﴾

— في نمرود والمدن التي وليها والتي بناها —

انبأنا الكتاب ان بني كوش لم يهاجروا باجمعهم من ارض شنعار بل بقي منهم بقية فيها وفي جوارها وجأت الاثار المسمارية تريد ذلك ثبوتاً وبيانا اذ ظهر منها انه وجد في اقدم الايام شعب يسمى كاشي اقام في انحاء بابل في الشمال الغربي من بلاد عيلام وهالك كلام الكتاب : وكوش ولد نمرود وهو اول جبار على الارض . . . وكان اول مملكته بابل وارك واكد وكلنه في ارض شنعار (تك ف ١٠ عد ٨ الى عد ١٠) فنمرود كلمة اشورية تأويلها العاصي او المتمرد وهو اول من اقام مملكة بعد الطوفان وقد روى العالم ابار (في كتابه المار ذكره الموسوم بمصر واسفار موسى صفحة ٥٨) والعالم شباس (في كتابه المسمى سفر مصري صفحة ٢٢٣ الى صفحة ٢٢٥) (١) ان اثار مصر حفظت ذكر نمرود . وذهب سميت وكثيرون من اهل العلم في الاثار الاشورية الى ان ازدوبار البطل المار ذكره في الاشعار التي روينها اكثرها في كلامنا على الطوفان هو نمرود . وقال الاب فيكوردو في الكتاب والاكتشافات الحديثة (صفحة ٢٩٤) : « ومهما يكن من امر الاسم فما أُكتشف من الاثار الاشورية جاء مؤيداً ما رواه موسى عن هذا الغازي فان الحاصل من رواية سفر التكوين ان ذرية حام جد نمرود هي اول من حكم على الارض بعد الطوفان وان هذه الدولة الحامية امتدت سلطتها من الجنوب الى الشمال فان نمرود حكم في بابل اولاً ثم غزا بلاد اشور فدوخها بسلاحه ، والاثار الاشورية تؤيد كل ذلك كما سترى . وقال لانرمان (في موجز تاريخه القديم مجلد ١ صفحة ٩٩) : « اجمع العلماء الان ان شاطي دجلة وبلاد فارس الجنوبية وقسمًا من الهند نفسها

متصلة بمصر والحبشة وجعل استرابون موقع مدينة سبا على الشاطي الغربي من البحر الاحمر وفي الشمال من بوغاز باب المندب ، وحويلة ، وفي كلام ابن خلدون جويلا وهي بلاد الحويلين وكانوا يسكنون شاطي الخليج العربي من جهة مصر وحويلة هذه غير حويلة الواقعة في مساكن الساميين في بلاد ذرية يقطان . واما «سبتا» فاسمه اشبه باسم مدينة ساباتا او سابوتا التي صارت بعدا عاصمة سكان حضرموت في طرف بلاد العرب الجنوبي ، ورعمه ، (وفي الترجمة السبعينية وترجمة القديس ابرونيوس رعمه بالثين المعجمة) يظهر ان ذريته اقامت على الشاطي الغربي من خليج العجم فهناك مرفأ يسمى رعمه ويسميه العرب برجام ويؤيده قول الكتاب « وبنو رعمه شباوددان ، (عد ٧) فهناك جزيرة من جزائر البحرين تسمى ددان واما شبا ففي اسمه غموض ويمكن ان يكون المراد به شعب اشاب الذي جعل الجغرافيون مساكنه على شاطي بحر عمان وذكر بليديوس هناك شعبا سماه شبا . وفي تاريخ ابن خلدون ، ومن ولد رعما شاو وهم السند ودادان وهم الهند ، وبقي من ولد كوش هولاء سبتكا (وفي كلام ابن خلدون سفخا) ولم يتحقق بعد موقع موطن بنيه بل كان فيه تخمينات بعيدة المرمى اقربها الى الصدق ان هذه القبيلة توطنت كرمانيا المسماة الان كرمان او لاستان على اطراف بلاد فارس في الجنوب الغربي من افغانستان حيث ذكر الجغرافيون نهرا سموه سايبس وشعبا سموه سابا وقد انبأنا الكتاب ان نمروود ايضا من ولد كوش وقاطعنا سلسلة الانساب مشغلا ايانا بعدة ايات ذكر فيها ملك نمروود واوصافه والمدن التي وليها او بناها فتحتم علينا ان نتابع الكتاب بشرح ما رواه لاهميسه هذه المملكة الاولى والمدن الاولى في العالم ولتواثر ذكرها في الاسفار المقدسة

القدماء حاميون وساميون. وقبل ان نأتي الى التفصيل نقول بالاجمال ان ذرية حام كان منهم الكوشيون وكانت مساكنهم في بابل على شطوط بحر عمان الى الحبشة والمصريون ومساكنهم مصر والقوطيون ومساكنهم شمالي افريقية على سواحل البحر او جنوب العربية وبعض شرقي افريقية والكنعانيون ومساكنهم شمالي سورية وفينيقي وكلما هو بين البحر المتوسط والبحر الميت وذرية سام كان منهم العيلاميون والاشوريون والعرب سكان البلاد المنسوبة اليهم والعبرانيون والاراميون سكان سورية حيث دمشق وما يليها وذرية يافت كان منهم الماديون والفرس واليونان والترك والصقالبة والتتر وغيرهم من الشعوب الذين اجتازوا الى اوربا وغيرها ولتأت الى التفصيل

قال الكتاب (تك ف ١٠ عد ٦) : « بنو حام كوش ومصرائيم وفوط وكمان » قد انبأنا الاثار الميروكليفية ان المصريين وان لم يسموا انفسهم حاميين فقد سموا وادي النيل حامي في كثير من اثارهم ايداناً باصلهم وان تأول المتأخرون منهم كلمة حامي بمعنى الاسود او الازرق زاعمين ان وادي النيل سمي بذلك اللونه . ثم ان اول ابناء حام كوش وترى الاثار المصرية تسمي سكان الحبشة كوش وتصف ولي العهد في مملكة مصر بحاكم كوش او واليها . قال لانرمان (مجلد ١ صفحة ٢٦٦ من تاريخه القديم) ما محصله ان اسم كوش في سفر التكوين كاسمه عند الجغرافيين يطلق على مجموع كبير من الامم يقرب بعضها من بعض كل القرب بالهيئة الطبيعية وان اختلفت هذه الامم لغة وكانت بلادهم ممتدة على شاطي بحر عمان في الشرق من افريقيا الى مصب نهر الهندوس ولنا على ذلك بينة بما ذكره الكتاب عن ابناء كوش متبعاً فيه نظاماً جغرافياً كاملاً مبتدئاً به من المغرب الى المشرق فانه قال « بنو كوش سبا وحويلة وسبتا ورمعه وسبتكا » (عد ٧) فبلاد سبا جعلتها بعض نسخ الكتاب

موسى للنسابين المتأخرين ان يستوضحوا باكتشافاتهم ومباحثهم عن انساب من لم يصرح بنسبهم . (انتهى ملخصاً عن الوجيز الكتابي لفيكورو عد ٣٣٢ وعن الفصل المثبت في المجلة المار ذكرها)

﴿ عد ٣٣ ﴾

— في الانساب التي ذكرها موسى واولاً في بني حام —
ذهب بعض اهل العلم ان الاعلام التي ذكرها موسى في انسابه تعين افراداً وذهب غيرهم انها تعين قبائل او شعوباً والصحيح ان بعضها علم لافراد مثل سام وحام ويافت وغيرها وبعضها علم لقبائل مثل مصرائيم ولوديم والجرجسي والاموري وغيرها . وقد ضاق ذرع العلماء ومفسرو الكتاب دون التوفيق بين اعلام الافراد والقبائل والبلاد التي ذكرها موسى وبين اسمائها الان كلفاً بالحصول على علم واضح بها على ان الاكتشافات الحديثة ومعارضة اللغات والاطلاع على رموز الخطوط الهيروغليفية والمسمارية انجلى بها كثير من هذه الانساب ومواطن اهلها فتيسر ادراكها من جهة وجات من اخرى مصداقاً لما ورد في الكتاب وما بقي منها غامضاً يرجى بتقديم العلم بهذه الاكتشافات كشف النقاب عن غموضه وهذه خلاصة ما كتبه موسى في هذه الانساب ومواطن اهلها

قال « هولاء مواليد بني نوح سام وحام ويافت ومن ولد لهم من البنين بعد الطوفان ، وذكر بنو يافت اولاً على ان لانزمان في تاريخه القديم لشعوب المشرق والاب فيكورو في الوجيز الكتابي وفي الكتاب والاكتشافات الحديثة ذكرا نسب بني حام اولاً بناءً على انهم اول من ابتعد عن المركز العام وشيد ممالك قديمة فنقو اثرهما مبتدئين بانساب بني حام ثم انساب بن سام خاصة وان لنا وجهاً ليس لهذين العالمين وهو ان كلامنا في تاريخ سورية واكثر سكانها

العبرانيون ويههم ان يعرفوهم واما السودان الذين في افريقيا فلا جرم ان العبرانيين كانوا يعرفونهم عند اقامتهم في مصر وكان للفراعنة معهم حروب قبل عهد موسى ايضاً وكانوا يشخصون منهم اسرى الى مصر وكان العبرانيون يرون صورهم على اثار مصر وقد تواتر ذكرهم في بابيرات وخطوط مصرية قديمة مسمين نحشى او نجاشى ومع هذا لا ترى موسى اتي بذكر اصلهم اذ لم تكن لهم علاقة مع تاريخ العبرانيين لا في عهد موسى ولا بعده

فمن اي اصل تفرع الشعوب الذين لم يذكر موسى انسابهم هذا مبحث اخر لا يعتاص علينا الاهتداء الى وجهه فقد جاء في الكتاب ان نوحاً عاش بعد الطوفان ثلاث مئة وخمسين سنة فلا مانع من القول انه ولد في هذه المدة اولاداً غير سام وحام ويافت كانوا اصولاً لشعوب اخرى . وكذا قال الكتاب في سام بعد ذكر ولادته ارفخشاد وعاش سام بعد ان ولد ارفخشاد خمس مئة سنة ولد فيها بنين وبنات ، (تك ف ١١ عد ١١) ويبيحنا الكتاب ان نقول مثل ذلك في حام ويافت اعني انهما ولدا اولاداً غير من ذكرهم لهما فكان هولاء ايضاً اصولاً لشعوب اخرى لم يذكرهم موسى لعدم ذكره اباؤهم . وذكر لانرمان (في موجز تاريخه القديم للمشرق مجلد ١ صفحة ١١٠) وجهاً اخر لذلك قال لا يمتنعنا الكتاب من ان نسلم ان بعض الانرات المتشعبة من ابناء نوح الثلاثة انفصلت عن الاصل العام في المدة التي بين الطوفان وتشيد صرح بابل (وليست اقل من مئة سنة) وقبل التفرق العام الذي دعا اليه بلبال الالسن فعاشت معزلة كل الغزلة عن سواها فاكسبت هيئة مخصوصة بها ولم يحفل موسى بذكرها اذ كان غرضه ان يكتب انساب الشعوب الذين تفرقوا في الافاق بعد ان اقاموا مجتمعين في شعمار فكانوا اصولاً لاكثر سكان اسيا واوربا وقسم من سكان افريقيا وهولاء هم القسم الالههم والاشرف من النوع البشري . وترك

﴿ عد ٣٢ ﴾

— هل ذكر موسى انساب البشر كلهم —

من المعلوم ان البشر ينقسمون من حيث اللون والشكل والهيئة الى ثلاثة او اربعة اقسام سموها انواعاً توسعاً لان البشر كلهم نوع واحد لا اشتراكهم جميعاً بالخواص الجوهرية المميزة لنوعهم . واولها النوع الابيض ويسمونه القوقاسي نسبة الى قوقاس وهو جبل قاف لا يمتاز اهل نواحيه خاصة ببياض البشرة وحسن استدارة القحف ولين الشعر ورقة الانف الى غير ذلك من مميزات هذا النوع الذي منه اكثر سكان اوربا ومستعمراتهم وسكان اسيا الغربية وسواحل افريقيا الشمالية . والثاني الاصفر وهو يمتاز بصفرة البشرة وقلة الشعر وخشونته واستواء الوجه وانخفاض الجبهة وضيقها وفطس الانف وضخامة الشفتين وقصر القامة ومنه اهل الصين والهند وياپان وشمالى بلاد المسكوب والمجيار في اوربا وبعض سكان شمالي امريكا . والثالث الاسود وهو يمتاز بسواد البشرة وجعودة الشعر وسواده وانخفاض الجبهة ومقدم القحف وغطس الانف وبروز الفك الاعلى عن مساواة الوجه واتساع الفم ومنه اكثر سكان افريقيا في اواسطها وجنوبها . والرابع وقد الحقه بعضهم بالثالث هو الاحمر او النحاسي ويمتاز باللون النحاسي او الزيتوني وبغيره من سمات النوعين الثاني والثالث ومنه سكان جزائر البحر المحيط وجزيرة ماداكسكار والاحباش واكثر سكان امريكا الاصليين فمن كل هذه الانواع يظهر ان موسى اكتفى بذكر انساب النوع الاول الابيض وحده وقد اثبتت المجلة المعنونة التمدن الكاثوليكي Civiltà Cattolica (في عددها الصادر في ١٥ شباط سنة ١٨٧٩) مقالة فاضت بالبرهان على ان موسى لم يتعرض لذكر انساب النوع الاصفر او الاسود او الاحمر لان غرضه لم يكن ان يبين اصل كل الشعوب الذين تتألف منهم البشرية بل الشعوب الذين يعرفهم

ان النظام الجغرافي للشعوب التي ذكر موسى نسبها مركزه بلاد الكلدان لا مصر ولا فلسطين. ثانيها ان بعض المواطنين التي عينها موسى لبعض الشعوب كان طراً تبدل على سكانها يوم كتب التوراة كما يتبين من الاثار المصرية وغيرها. ثالثها انه وصف بعض المدن بانها كانت عامرة زاهرة بمجدها مع انها كانت في ايامه خربة او ساقطة عن مجدها ولا وسيلة له لعرفان ما كانت عليه قبله الا تذكرات او تقليدات سابقة فتعين انه اخذ تلك الانساب عن اثار سابقة عصره وقد علق العالم بورداي Dr Bourdais مقالة مهمة في المجلة المعروفة بالمجلة الكتابية Revue Biblique في عددها الثالث في تموز سنة ١٨٩٢ بين بها باسهاب وبقاهة ان الاحد عشر فصلاً الاولى من سفر التكوين خاصة هذه الانساب اخذها موسى عن مفكرات قديمة كتبها الاباء الاولون قبل ان شخص ابراهيم الى فلسطين واتصلت بابراهيم ونسله الى موسى

ثم ان هذه الانساب اساس وطيد للمباحث التاريخية عن اصول القبائل القديمة وعلاقات النسب بينها وكل ما تقدم العلم بهذه الامور بواسطة الاكتشافات الحديثة والمعارضة بين لغات هذه القبائل ازدادت رواية موسى ثبوتاً وبياناتاً علمياً. فقد جأت الخطوط الهيروغليفية المصرية والمسمارية الكلدانية مصداقاً لما كتبه موسى في التكوين حتى اعتقد العالم اibar في كتابه مصر واسفار موسى (١) على انكاره الوحي ان موسى اخذ عن المصريين ما كتبه في انساب بني حام. وقال العلامة شارل شابل (٢) : كلما تقدم العلم باصول اللغات والتاريخ جأت القبائل التي ذكر موسى انسابها معروضة احداها بعد الاخرى على ابصار المؤرخ مؤدية بنظامها الجميل التكريم والتوقير للعلم السامي الذي حبا الله به كاتب السفر المقدس . (كتابه المعنون الدفاع عن صحة رواية موسى في التكوين)

(١) Eber Aegypten und die Bücher Moses t. 1 p. 55

(٢) Charle Schochel L'authenticite Mosaique Dans la Genese

في منافع بني سام الروحية. وابناؤا الكتاب اخيراً ان نوحاً عاش بعد الطوفان ثلثماية وخمسين سنة وسيأتي انه يكون على ذلك قد بقي حياً في بعض سني ابراهيم

الفصل الثامن

(في ابناء نوح وتفرق ابناءهم في الافاق)

﴿ عد ٣١ ﴾

— في اهمية الانساب التي ذكرها موسى —

قال الكتاب : وكان بنو نوح الذين خرجوا من التابوت ساماً وحاماً ويافت وحام هو ابو كنعان ومنهم انبث الناس في الارض ، (تك ف ٩ عد ١٨ و ١٩) ثم ذكر موسى (في الفصل العاشر من هذا السفر) انساب بني نوح وبني ابناءهم ميئاً ذرياتهم واي البلاد قطنوا في المعمور المعروف حينئذ فكان ليسان هذه الانساب اهمية كبرى من وجوه اخصها ان ذلك اقدم بينة على انساب اقدم الشعوب فهو محور تدور عليه مقالات النسابين ومصدر يرجع اليه كل من يتكلمون في اصول الشعوب القدماء ومواطنهم سواء كانوا ممن اعتقد التوراة والتنزيل او ممن كذبوا بالكتاب ايضاً ولا مراء بان هذه البينة منذ عهد موسى على اقل نسبتها اي منذ نحو خمسة عشر قرناً قبل التاريخ المسيحي ولا يعرف حتى الان اثر تبين منه انساب القبائل القديمة يشاكل ما رواه موسى بقدمه واتساع اشتماله بل يظهر ان الانساب التي ذكرها موسى تلقاها عن تذكرات او تقليدات سبقت ايامه وقد حفظتها ذرية عابرواقي بها ابراهيم من بلاد الكلدان الى فلسطين وتطرقت باسحق ويعقوب وذريته الى موسى وعلى ذلك ادلة اولها

اخية سام ويكون كنعان عبداً له ، لا يعلم لم لعن كنعان بن حام بدلاً من ابيه
والاظهر ان الابن كان شريراً واشترك في جرم والده فلعله جده والامن للابن
يقهر الاب ايضاً . وهذه اول مرة ورد فيها ذكر العبد في الكتاب على ما قال
القديس اغسطينوس (في كتابه في مدينة الله ف ١٩) وكلام نوح هذا نبوة
جاءت الحوادث مصداقاً لها فان بني حام وان فازوا بنجاح كبير وسريع وادرك
بعضهم الحضارة قبل غيرهم كما كان المصريون والفينيقيون والحثيون الا انهم
لطخوا شرفهم بوحول معاصيهم وفساد اخلاقهم وافترضوا بخلاعاتهم وشركهم
وكل ما كان عند اليونان والرومانين من الشرك والمعتقدات السيئة قد تلقوه
عن الحاميين او عن تلقاه عنهم ولذا تغلب عليهم بعد ذلك الساميون وانتزعوا
ما كان لهم من الولاية والسطوة في بلاد السكدان واشور وسورية ثم في مصر
والحبشة ايضاً وقهرهم الياقيون في الهند وبلاد فارس وفي مستعمرات الفينيقيين
في اوربا وغيرها وحتى اليوم لا تجد في القبائل الحامية دولة مستقلة معززة واما
بنو سام فنالوا البركة والنماء وتقووا كما مر على ابناء عمهم حام وحفظ العبرانيون
منهم وديعة الوحي المقدس والايمان الصحيح ونما الياقيون وبلغوا اوج الحضارة
واقبلوا بواسطة الساميين الى معرفة الاله الحق والدين الصحيح واشتركوا في
بركتهم وصح فيهم لذلك القول انهم يسكنون في اخية سام . وما احسن ما
قال فم الذهب في هذا الشأن (خطبة ٢٩ في التكوين) . ارى ان نوحاً بمباركته
ساماً ويافث اراد ان يعبر عن دعوة ذريتهما الى الايمان فاراد بسام اليهود
لانه جد ابراهيم وامة اليهود واراد ببركة يافث دعوة الامم فانه قال بهذه البركة
(ليرحب الله لياث ويسكن في اخية سام) وهذا تم بالامم فقوله ليرحب يشير
الى الامم كافة وقوله يسكن في اخية سام يدل على ان الامم تنعم مشتركة بما
اعد لليهود ، فيعد نوح بني يافث بالسعة في املاكهم والمنافع المادية ثم بالاشتراك

كقول الكتاب ، ولما ارتحلوا من المشرق وجدوا بقعة في ارض شنعار ، وعليه
فما الحاجة ، الى التوغل في الاتجاه نحو الشرق للتفتيش عن قمة عالية جداً كالتى
قرّت عليها السفينة ليتصل المفتش الى سلسلة الهند وكوش او الى الجبال التى
فيها منبع الهندوس ، كما يقول لانرمان (في المحل المذكور نفسه) فعلى اجلاي
المزيد لهذا العلامة المفضل على العلم لا ارى حججه كافية لمجر التقليد الذي
حفظته عامة القبائل وايداه ابا ، وعلماء قداما ، وحدثا ، ويطابق الكتاب على
اختلاف الرواية في الاسم فالاقرب اذا الى الصواب كثيراً ان مستقر الفلك
النوحية ومهد البشر بعد الطوفان كانا في ارمينيا او في الجبال المتصلة بها

﴿ عد ٣٠ ﴾

— تمة اخبار نوح بعد الطوفان —

لم ينبئنا الكتاب من اخبار نوح بعد نجاته من الطوفان الا انه عاد ، يحتر
الارض ، كما كان يصنع ابائهم ، وغرس كرماً ، ولا يفهم منه ان شجر الكرم لم
يكن قبل الطوفان بل ذكره الكتاب تمهيداً لخبره ان نوحاً شرب من الخمر
فسكر غير عالم قوة الخمر والاضطر ان استعمال الخمر لم يكن معروفاً قبل الطوفان
واما بعده فهو عند الساميين اقدم منه عند اليافتيين على ما روى العالم بولس
كلاتز في مقاله في الكرم والخمر عند الساميين واليافتيين القدماء المثبتة في
مجلة اللغات الرومانية الصادرة في تموز سنة ١٨٧٠ (١) واتبع الكتاب
الخبر بان نوحاً تكشف داخل خبائه فسخر حام من عرية ابيه واخبر اخويه وهما
خارجاً فاخذوا رداءً ومشياً مستديرين وغطيا عرية ابيهما وواجههما الى الورا ، ولما
علم نوح بعد افاقته ما صنع حام فقال : ملعون كنعان عبداً يكون لعبيد اخوته
وقال تبارك الرب اله سام وليكن كنعان عبداً له ليرحب الله ليافت ويسكن في

المسمى هندوس واقام على قوله بعض الحجج منها تقليدات الهنود والفرس الذين هم من اقدم الامم وقد حفظوا ذكر العصر الاولي على سلامته ومن تقليداتهم ان اصل البشر كان مقره جبل مارو وهناك مهبط الالهة . وقال الاب فيكورو (في الكتاب والاكتشافات الحديثة مجلد ١ صفحة ٢٥٣) لانكر على هذا القول درجة ما من احتمال الصحة لان الكتاب لم يصرح الا بذكر اراراط وكثيراً ما يسمي محل او جبل باسمين ومن عادة المهاجرين ان يسموا اماكن وجبالاً وانهرًا باسماء آقوها في مهاجرهم الاولي على ان ورود اسم اراراط في اسفار الانبياء المتأخرة كاسفار موسى المتقدمة يؤيد القول بان اراراط في ارمينيا ويزيده ايذاً اجماع تقليدات العبرانيين والارمن وغيرهم على ان السفينة استقرت في ارمينيا وهذه التقليدات صريحة وليست اقل اعتباراً من تقليدات الهنود والفرس انتهى مقال فيكورو . فان لم يحق لمثلي ان يكشف عن رأيه بين هؤلاء العلماء الاعلام فيحق له ان يعارض اقوالهم بعضها ببعض فاقول ان لانرمان نفسه مهّد لرأيه الذي حُصّناه آنفاً بقوله « ان بعض العلماء في صدر النصرانية اثروا الاعتماد على رواية باروز بجعلهم مهبط السفينة في الجهة الجنوبية في جبال اراراط نفسها اي في جبال كورديا وهي كردستان الان في الشمال الشرقي من اشور وجبل نيزير الذي ورد ذكره في اشعار ازدوبار الانفة الذكر هو القسم الجنوبي من هذه السلسلة وقد ذكره اشور نيزيربال احد ملوك اشور في احدى كتاباته القديمة متكلمًا في غزوته لهذا الجبل قائلاً انه اجتاز بنهر الزاب السفلي سائرًا ابدًا نحو المشرق . . وعليه فان لم تكن ارمينيا مع ما اتصل بها من جبال كردستان في الشرق الصريح من ارض شنعار فلا اقل من ان تكون في الشمال الشرقي منها وهذا بين وصرح به لانرمان نفسه فيصح اذاً ان يقال ان المسافرين منها الى شنعار يسير من المشرق الى المغرب

ما جعله ينجح الى التسليم بقول من زعموا ان الطوفان لم يعمهم وانهم من ذرية
قايين كما رأيت آنفاً

﴿ عد ٢٩ ﴾

— في مستقر السفينة ومهد البشر بعد الطوفان —

جاء في الكتاب (تك ف ٨ عد ٤) « استقر التابوت . . . على جبال اراراط ،
وفي رواية باروز المار ذكرها ان سفينة كيسوثروس استقرت في ارمينيا . وقال
لانرمان (في كتابه المعنون موجز تفسير باروز صفحة ٢٩٩ (١) ما ملخصه)
« ان النص البابلي الاصلي الذي اخذ عنه باروز لا بد من ان حوى كلمة اراراط كما
في التكوين لان اسم ارمينيا المتعارف والمستطرق في الآثار السامرية انما هو
اورارطي او ارارطي ، وهذا الاسم يعرفه العبرانيون ويجهله الجغرافيون اليونان
واللاتينيون والقديس ايروني موس لحبرته باصطلاحات العبرانيين ترجم اراراط
بارمينيا في الاية المار ذكرها وفي سائر الآيات التي حوت هذا الاسم . والكتاب
لم يعين جبلاً بل بلاداً اذ لم يقل جبل اراراط بالمفرد بل جبال بالجمع فكان
مؤدى كلامه ان السفينة استقرت في ارمينيا . وعلى ذلك مشى تقليد عامة
القبائل . على ان بعض اهل العلم في هذا العصر رأوا خلاف ذلك ومنهم
لانرمان (مجلد ١ من تاريخه الشرقي صفحة ٩٢ طبعة ٩) فانه قال اذا تحرينا
آيات الكتاب لزمنا ان نهجر القول بان اراراط في ارمينيا لان الكتاب قال
بعيد ذلك (تك ف ١١ عد ٢) ان بني نوح ارتحلوا من المشرق نحو المغرب
فوجدوا بقعة في ارض شنعار فاقاموا فيها وشنعار هي ارض بابل وعليه فيلزم ان
يكون الجبل الذي استقرت السفينة عليه سلسلة جبال الهند وكوش حيث محل
يسمى ارياورتا (اي الارض المقدسة) او في الجبال التي يخرج منها نهر الهند

المورق . وفي المكتبة الوايكانية درج قديم أُوتي به من امركا يشتمل على اربع صور رمزية تشخص اربعة اعصر في العالم سابقة هذا العصر والعصر الرابع منها ينتهي بطوفان هائل عاد به كل الناس سَمَكًا ما خلا رجلاً وامرأته خلصا بسفينة مصنوعة من خشب السرو ويشار الى ان هذا الطوفان كان اخر داهية خربت الارض . ومن تقليدات سكان جزر فيدجي ان وطنهم بعد ان اهل بولد الرجل الاول والمرأة الاولى حل فيه مطر عرمم غرق الارض برمتها ولكن قبل ان تغشى الامواه على الاعالي اقبلت سفيتان فانجتا ثمانية اشخاص (فيكورو في الوجيز الكتاني عد ٣٢١)

اما الاثار المصرية فلم تثبتنا انباءً صريحاً بالطوفان بل صرحت بآبادة الالهة للناس عقاباً لمعاصيهم وعثوهم ولما كان طغيان الماء في بلادهم حياة لها ومنبعاً لثروتهم اضربوا عن ذكر طوفان الماء واكتفوا بذكرى اهلاك الالهة للبشر الا قليلين منهم . ومن هذه الاثار ما كتب على مدفن ساتي الاول في طيبة (تاب) وترجمه ادوار نافيل ونش سنة ١٨٧٥ ومحصله ان الاله (رع) استدعى سائر الالهة واعلمهم بما يجدف به الناس عليه وعليهم وما يركبون من المعاصي وحض على اهلاكهم فاسرعت آلهة فقتلت الناس على الارض فخمد غضب الاله (رع) بعد مقتلهم واخذ يأسف على ما امر به فقدمت له ضحية عظمية فسر بها ورفع يده واقسم انه لا يبيد الناس بعداً . وما من منكر للمقاربة بين هذه الرواية وخبر الطوفان في غير طوفان الماء والسفينة لاعراض المصريين عن ذكره لما مر . ولولا خشية ملل المطالع لاطلنا الكلام في هذا الباب ومن احب هذا التطويل فيطالع الفصل الرابع من المجلد الاول من التاريخ القديم للمشرق للعلامة لانرمان (من صفحة ٥٥ الى صفحة ٩٢ من الطبعة التاسعة) فانه استقرى هناك اثاراً وتقليدات اخرى عديدة واثبت ان تاريخ الطوفان لا تخلو قبيلة من اثره الا السودان خاصة وهذا

في بعض الايام فيصبون امواهاً في تلك الوهدة مدوفاً بها طحين وعسل .
وهذا مشعر بتطرق هذا التقليد من سورية الى بلاد اليونان . (عن لانزمان في
التاريخ الشرقي مجلد ١ صفحة ٧٣)

ومن اقايصص الفينيقيين في المهتم ان (بون) الذي يبرون به عن البحر قد
تقلب على (داموروس) الذي هو الارض في عرفهم . وكان قدماً مدينة
اباميا في اسيا الصغرى يعتقدون ان مدينتهم كانت مهبط سفينة نوح وينازعهم في
ذلك سكان قونية وقد ضرب كهنة اباميا في نحو القرن الثاني للميلاد تقوداً
نقشت عليها صورة السفينة مفتوحة وصورة الاب الذي نجا من الطوفان مع
امراته يتناول حمامة آتية اليه بغصن زيتون وعلى وجه الصكة الاخر صورة
شخصين خارجين من السفينة ليمتلكا الارض وقد كتب على السفينة اسم نوح
بصورته اليونانية تلقوها عن النسخة السبعينية

ومما يدهش وجدنا في امركا نفسها اثاراً دالة على الطوفان اقرب مما سواها
لما جاء من اخباره في التوراة وتقليدات الكلدان حتى اقر بعض البرهانيين
انفسهم بهذه المقاربة والاطهر ان تقليد الطوفان تطرق الى هنالك مع من
هاجروا من اسيا مجتازين بجزر كوريل الى امريكا الشمالية ونجتزى من هذه
الاثار بذكر التقليد الذي وجد عند سكان المكسيك قبل اختلاط الاورباويين
بهم فان (كوسكس) الذي يسميه بعض قبائلهم (تزي) ايضاً يعتقدون انه نجا
من الطوفان بسفينة دخل اليها مع امراته وولده وكثير من الحيوانات والحبوب
المستزمنة لحياة الانسان ولما امر الاله الاكبر بان ينضب الماء اطلق طائراً يقتات
بالحيف فلم يعد لكثرة ما غطي الارض منها فاطلق طيوراً اخرى فلم يعد منها
الا الحمام حاملاً بمنقاده غصناً مورقاً فعرف ان الشجر عاد يورق . ووجدت
عندهم صور تمثل الطوفان والسفينة ونجاة البعض بها والطير الحاملة الغصن

الطوفان كل الخلائق الا مانو فبقى حياً ، فهما يكن من الخرافات التي اشتملت عليها هذه القصة فيتحصل منها صراحة اعتقاد الهنود حصول الطوفان اذ يفسرونها بان احد الالهة اخذ صورة سمكة فانجى مانو وهو نوح عندهم من الطوفان واتخاذ الالهة صورة السمك امر مستفاض عند القدماء وترى كثيراً من صور الالهة القديمة مؤلفة من هيئة بشر وسمك واصل ذلك اعتقاد القبائل العام ان وجود الكائنات ابتدأ بالماء اي بالغمر الذي كان عليه الظلام وكان روح الرب يرف عليه والارض خاوية خالية كما في الكتاب وللهنود اثار اخرى عديدة تدل على اعتقادهم حصول الطوفان ذكرها لانرمان (مجلد ١ فصل ٤ في الطوفان) اضر بنا عن اثباتها لنوسع محلاً لغيرها

ومن معتقدات اهل الصين ان (فحاً) الذي يعزون اليه اصل حضارتهم نجاً من الطوفان العظيم مع امرأته وبنيه الثلاثة وبناته الثلث (رواه فيكورو في الوجيز الكتابي عد ٣٢١) ومن تقليدات الايرانيين القديمة المودعة في كتبهم المقدسة الحاوية تعليم زورواستر (يسميه العرب زاردشت) ان هرمزدا اله الخير انذر (ايما) اول البشر ان طوفاناً سيخرب الارض ويبيد ما عليها وان يشيد ملجأً منه جنة مربعة يحيطها بأسوار ويدخل اليها اصول البشر والحيوانات والنبات وقاية لها من الهلكة فنزل الطوفان فلم ينج منه الا جنة ايما وكل ما كان في داخلها وارسل هرمزدا طائراً يبشره بالنجاة . فهذه الرواية تخالف غيرها من حيث وسيلة النجاة وتطابق ما سواها في حلول الطوفان والنجاة منه . وقد مر ذكر معتقد اليونان الطوفان ويزاد عليه ان اهل اتينا كانوا يحتفلون لذكر الطوفان ونجاة دوكليون منه بحفلة يسمونها (ايدروفوريا) اي حفلة الماء وهي اشبه بما كان يصنعه اهل ايرابوليس في سوروية كما مر اي انه كان تجاه هيكل ذاتوس الاولبي وهدة في الارض يقولون انها ابتلعت ماء الطوفان وذكرنا لذلك يجتمعون

حينئذٍ مذبحاً ودشن هيكلأ لهارا (الآلهة) هذا الوهدة وقد رأيت انا هذه
 الهواة الواقعة تحت الهيكل فاذا هي ضيقة حجرة ولا اعلم ان كانت قبلاً واسعة
 فضاقت الان وذكرأ للحدث الذي يروون خبره يحتفلون في العام مرتين بجلب
 ماء البحر الى الهيكل ولا ينقله الكهنة فقط بل يأتي جم غفير من الحجاج من
 سورية كلها ومن بلاد العرب وعبر الفرات حاملين الماء فيصبونه في الهيكل
 فيجري الى الهواة فتبتلع على صغرها امواها غزيرة وينسبون سر ذلك الى سنة
 دينية افترضها دوكلين تخليداً لذكر الطوفان واحسان الالهة اليه فهذا هو التقليد
 القديم في هذا الهيكل .

وللهنود في الطوفان تقليد يشف عن تاريخ الكتاب له ويحاكي تقليد
 السكلمان واقدم الروايات عندهم جأت في اثارهم المسماة « ساثاباتا برهانا »
 القديمة العهد واول من ترجمها مكس مولر وهي « جي » ذات صباح يوم الى مانو
 (هو في عرف الهنود اصل البشر) بماء ليغتسل فعلمت بيده بعد الاغتسال
 سمكة ناجته قائمة نجني فانجيك فقال بم تنجني . قالت سيكون طوفان عرمرم
 يهلك الخلائق كلها فاقبك منه فقال وكيف انجيك انا قالت كلما كنا صغاراً
 تعرضنا لخطر كبير فالسمك يتلع السمك فضمني اولاً في انا فاذا كبرت فاحتفر
 حوضاً والقني فيه واذا تناهيت في الكبر فاطرحني في البحر المحيط انج من
 الهلكة ولما كبرت السمكة بلغت مانو ان الطوفان سيأتي سنة تبلغ هي معظم
 الكبر وقالت اصنع لك فلكاً واسجد لي واذا غزت المياه فادخل الفلك
 فاقبك . . . فصنع مانو الفلك وسجد للسمكة ولما اتى الطوفان دخل الفلك
 فوافته السمكة تشق الماء فاوثق فلكه بذنبها فعبر بهذه الوسيلة فوق جبل
 الشمال فقالت له السمكة قد انجيتك فاوثق السفينة بشجرة كيلا يقلبها الماء
 فنزل مانو عندما تناقص الماء وهذا ما يسمى نزول مانو على جبل الشمال وباد

انتهى مترجماً عن التاريخ الشرقي للانرمان (مجلد ١ صفحة ٥٨) وعن الكتاب
والاكتشافات الحديثة لفيكورو (مجلد ١ صفحة ٢٥٠) ولا حاجة الى ان نقول
شيئاً في المماثلة الكائنة بين هذه الرواية وما جاء في الكتاب في هذا الصدد
فهي بيّنة مصرحة . بل تأتي الى الكلام في اثر غير السكندان

ان مؤلف المقالة في الآلهة السورية انبأنا بما كان عند الاراميين من اخبار
الطوفان كما كانت تروى في هيكل ايرابوليس الشهير قال « خبر الكثيرون ان
باني هذا الهيكل هو دوكليون سيديتاس وهو الذي حصل في عهده الطوفان
الاكبر وقد سمعت ما يرويه اليونان ايضاً من قصة دوكليون فيحدثون ان ذرية
البشر الحالية ليست الاولى بل كانت ذرية قبلها هلك اناسها كلهم ونحن من ذرية
ثانية اصلها دوكليون ثم نمت وكثرت بمرور الايام . اما الناس الاولون فيقال
انهم كانوا ذوي كبرياء وقحة ارتكبوا المعاصي ولم يكونوا يبرون ايمانهم ولا
يعملون بسنن الضيافة ولا يترافون بالمعوزين فعوقبوا لانهمم بداهية طامة فقد
انفجرت بغثة امواه هائلة من الارض وانهمرت من السماء عليهم امطار غزيرة
وخرجت الانهر عن مجاريها وتجاوز البحر حدوده فغطى الماء كل شئ ، وهلك
الناس كافة ونجا دوكليون وحده سالمًا ليكون اصلاً لذرية حديثة جزاء لفضيلته
وتقواه . وهاك وجه نجاته فقد دخل مع اولاده ونسائهم في تابوت كبير كان
له ولجأت اليه في اثرهم خنازير وخيول واسود وحيات ومن كل حيوانات
الارض قبلها كلها عنده والمهما ذائوس (الاله) كل مدة اقامتها في التابوت وداًداً
متبادلاً جذبها ان يسطو بعضها على بعض واستمرت على ذلك في التابوت ما
دامت الامواه في طغيانها . فهذه اخبار اليونان عن دوكليون . على ان اهل
ايرابوليس يزدون على ما يتابعون اليونان فيه قصة اخرى عجيبة هي انه فُتح
في بلادهم وهداة فسيحة غامضة ابتلعت مياه الطوفان على اخرها فاقام دوكليون

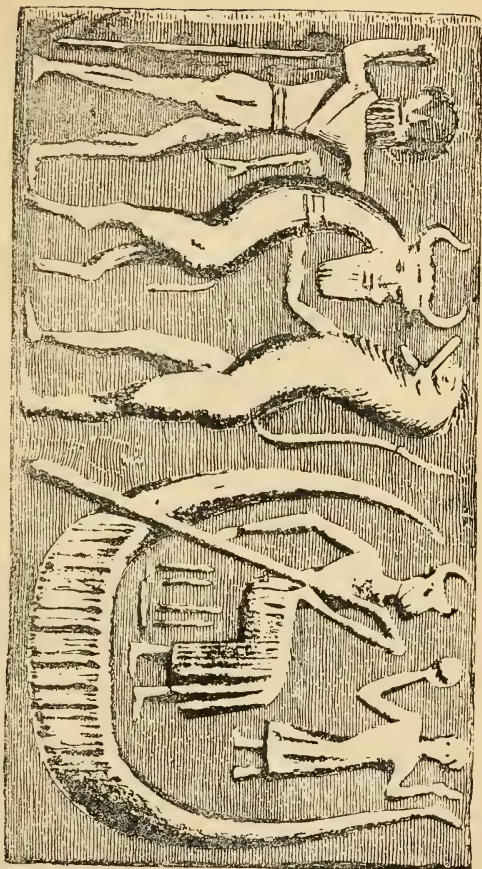
عن النصوص المقدسة في بابل وضعه الى تاريخه الذي كتبه الى اليونان فبعد ان
فرغ من كلامه في الملوك التسعة الذين كانوا قبل الطوفان قال انه في زمان العاشر
منهم كان الطوفان طبق ما جاء في الكتاب عن الاباء التسعة من آدم الى نوح
وفي زمان العاشر منهم وهو نوح كان الطوفان وهاك ترجمة نص باروز . ان
كيسوثروس (عزيزدورا) ملك ثمانية عشر ساراً (كما مر) وعلى عهده حصل
الطوفان العظيم الذي جاء تاريخه في النصوص المقدسة هكذا . ان كرونوس (الاله
هيا) ظهر له في الحلم وانذره بانه سيهلك الناس اجمع بالطوفان في الخامس عشر
من شهر داشيوس وامره ان يأخذ البدء والوسط والنهاية من كل ما كتب وان
يفر الى مدينة الشمس الى شيدارا وان يبني فلكاً يدخل اليها مع اسرته واصدقائه
الاعزاء وان يعد في الفلك زاداً ما كولاً ومشروباً وان يدخل اليها ايضاً الحيوانات
والطيور والدبابات ويتأهب للسفر . . فاطاع كيسوثروس وبني فلكاً طولها خمس
غلات (الغلوة في عرف العبرانيين مائة وخمس وعشرون خطوة) وعرضها
غلاتان وجمع كل ما أمر بجمعه وادخل الفلك امرأته واولاده واصدقائه الاعزاء
فنزّل الطوفان ولما شرع الماء ينضب اطلق بعض الطيور واذ لم تجد هذه قوتاً ولا
محلاً تستقر فيه عادت الى الفلك وبعد ايام اطلقها ثانية فعادت الى الفلك ايضاً
والحوول على ارجلها واطلقها ثالثة فلم تعد الطير بعد فعلم ان الارض جفت وفتح
كوة في اعلى السفينة فرأى فلكه استقر على جبل فنزل هو وامرأته وبنوه والربان
فسجد على الارض ونصب مذبحاً وقدم عليه محرقات للالهة وتوارى مع من صحبه
واما من لبثوا في السفينة فلما رأوه لم يعد نزلوا الى الارض ينشدونه فسمعوا
صوتاً من السماء يامرهم ان اتقوا الالهة . . . وقد رست فلك كيسوثروس في
ارمينيا وجزء منها باقى في جبال كورديا (كردستان الان) ومن يحجون اليه
ياخذون شيئاً من القار ينزعونه من بقاياها ويستعملونه وقاية من مفاعيل السحر .

الانسان كيلا يباد وكن رحيماً...وبدلاً
من ان تنزل الطوفان بعداً مُرَّتْ تَأْتِ الاسد
فتنقص البشر وبدلاً من الطوفان...
مُرَّتْ تَأْتِ مجاعة فتدمر بعض البلاد
وبدلاً من ان تنزل طوفان اخر مُر يكن
الوباء فينقص الناس... فخمّد غضب
امير الالهة وصعد ايلو الى السفينة واخذ
بيدي واقامني واقام امرأتي وادناها منه
وتحول نحونا وقام في وسطنا وباركنا
وعزّزدورا هو رجل عرضة للموت الى
الان .

وقال الرب في نفسه لا اعيد لعن الارض
ايضاً بسبب الانسان... ولا اعود اهلك
كل حي كما صنعت وابدأ ما دامت الارض
فالزروع والحصاد والبرد والحر والصف
والشتاء والنهار والليل لا تبطل (ف ٨
عد ٢١ وعد ٢٢)

فكل من طالع هذه الرواية دُهِش ولا جرم بما يراه من مماثلتها لما جاء في
الكتاب من حيث النسق والمبنى والاتفاق في أكثر المعاني واذا استثنت تعدد
الالهة فيها لان كاتبها من المشرّكين وبعض المباني في الاعداد كمدة ايام الطوفان
واذرع السفينة وذكر ربان لها وخادمين وخادسات لنوح وامرأته وجدت بين
سائر اجزاء الرواية وبين كلام الكتاب ما يشبه الطباق التام ولا عبرة للايجاز
والاطالة اذ لم ينشأ عنهما خلاف في الخبر واما تسمية الكتاب الجبل الذي
استقرت عليه السفينة اراراط وتسمية الرواية له نيزير فيمكن حملها على ان لذاك
الجبل اسمين . ومهما يكن فهذه الرواية التي سبق عهدا موسى قد نزلها العلماء
حتى الملحدون منهم منزلة بينة قاطعة لاثبات حصول الطوفان اثباتاً علمياً بغير طريقة
الوحي ايضاً

ومن الاثار السكّدانية القديمة الدالة على الطوفان نجتزى . بذكر ما رواه باروز



صورة عززردا وازدوبار تقلاً عن صفيحة في المتحف البريطاني ويظن ان
 الاول نوح والثاني نمرود صفحه ٨٥

الاول . . . الى السادس استمر جبل
 نيزير على ما كان عليه وفي اليوم السابع
 اخرجت حمامة واطلقتها فذهبت الحمامة
 وعادت فلم تجد محلاً تقرر عليه فعادت
 واخرجت خطأفاً واطلقتها فعاد اذ لم يجد
 محلاً يستريح به . فاخرجت غراباً واطلقتها
 فذهب ورأى الجثث التي على الماء
 فاكل واستقر عليها ثم لم يعد . واخرجت
 ايضاً الحيوانات وسرحتها الى الارياح
 الاربع وقدمت ذبيحة وجعلت نار
 الذبيحة على قمة الجبل ورتبت الآتية
 سبعة سبعة فاشتم الالهة رائحة الذبيحة
 الطيبة واجتمعوا فوق مقدم المحرقة
 . ويستتبع عزردورا كلامه الى ازدوبار
 قائلاً ان الالهة ارتضوا بمحرقة الآلهة
 الاكبر الذي ترجم فيكورو اسمه بكلمة
 ايل او ايلو وترجمها لانرمان بكلمة بعل
 او بعال فهذا اظهر السخط على الالهة
 لانه بقي بعض الانسان حياً فخطبه هيا
 قائلاً كيف لا ترضى يا امير الالهة ورجل
 الحرب وقد انزلت الطوفان فاوقر الاثيم
 اثمه والشرير شره ولتأخذك الشفقة على

وفتح نوح كوة الفلك التي صنعها واطلق
 الغراب وجعل يتردد الى ان جفت المياه
 عن وجه الارض ثم اطلق الحمامة من عنده
 لينظر هل غاضت المياه عن وجه الارض
 فلم تجد الحمامة مستقراً لرجلها فرجعت
 اليه . . . ولبث سبعة ايام اخر وعاد
 فاطلق الحمامة فعادت اليه وقت العشاء
 وفي فيها ورقة زيتون خضراء (ف ٨
 عد ٧ وما يليه)

فخرج نوح وبنوه وامراته ونسوة بنيه
 معه وجميع الوحوش والدبابات والطيور
 . . . وبنى نوح مذبحاً للرب واخذ من
 جميع البهائم الطاهرة ومن جميع الطير
 الطاهرة فاصعد محرقات على المذبح
 فتنسم الرب رائحة الرضى (ف ٨ عد ١٨
 الى عد ٢١)

انزل المطر من السماء مدراراً فادخل
السفينة واطبق الباب فقد دنا الحين
المعين فكان هذا الطوفان الذي قال انه
سيكون في المساء فخفت ذلك اليوم
ودخلت السفينة واقفمت الباب وسلمت
السفينة الى الربان فكان في افق السماء
ظلام حالك وارعد بين (اله العواصف)
ومشى نابو وشارو (الالهان) فزلزلا
الجبال والبطاح وجرّ نرغال القدير
العصيف وراءه واجرى اذار الاقية دون
انقطاع . . . فبلغ طوفان الاله بين السماء
وانقلب كل نور ظلاماً فباد عن وجه
الارض كل موجود حي . الى ان يقال ،
وفي اليوم السابع احتبس المطر وسكن
العصيف الشديد الذي كان دمر الارض
كزلزال . . . ففرست حزينا في البحر
. . . والجثث تحفق كالقصب . . .
وتولتني الكابة فجلست وبكيت وفاضت
مدامعي على خدي واشرفت على البلاد
فلم اجد يابسة بل صارت بحراً وقد
حمل الفلك الى ما فوق بلاد نيزير فاوقف
جبل نيزير الفلك فلم يتجاوزه فقي اليوم

الارض . . . في ذلك اليوم تفجرت
عيون الغمر العظيم وتفتحت كوى السماء
وكان المطر على الارض اربعين يوماً
واربعين ليلة . . . فعمت المياه خمسة عشر
ذراعاً على الارض وتغطت الجبال فهلك
كل ذي جسد يدب على الارض من
الطير والبهائم والوحوش وجميع الزحافات
التي ترحف على الارض والناس كافة ،
(تك ف ٧ عد ١٠ و ١١ و ١٢ و ٢١)

وذكر الله نوحاً . فتناقصت المياه . . .
واحتبس المطر من السماء وكانت المياه
تراجع عن الارض (ف ٨ عد ١ وما يليه)

واستقر الفلك في الشهر السابع في اليوم
السابع عشر منه على جبال اراراط . . .

الزمان الذي سأنبئك به وحينئذ ادخل
 داخلاً واوصد باب الفلك . . . وادخل
 اليه قمحك واثاثك وذخائر وأموالك
 وخدام امرأتك وخداماتك وخداميك
 وحيوانات البرية ووحوش البرية وكل ما
 اجمعه وارسله اليك فليكن محفوظاً
 داخل باب الفلك . . . وفي اليوم الخامس
 ارتفع جانباه (اي الفلك) . . . وصنعت
 سقفه واكتمته ودخلت داخله في السادس
 وقسمته في السابع الى طبقات (لا يعلم
 اليوم ام الشهر هو المراد باسماء العدد
 هذه) واقتت المساكن الداخلة في الثامن
 وفتحت احواضاً لجمع الماء وسددت كل
 ثقب يدخل الماء منه وصيبت ثلاثة سارات
 (اسم مكيال او وزن) من القار على خارجه
 وثلاثة سارات على داخله . . . وثلاثة الاف
 وستمائة حمال كانوا يحملون على رؤوسهم
 صناديق الزاد وحفظت ثلاثة الاف
 وستمائة صندوق مؤونة لا سرتي ثم يصف
 ما اذخره وما ادخله السفينة من مقتني
 وذخائر وحيوانات الى ان يقول « ان الاله
 شمس (اي الشمس) قال لي في المساء

وانت فخذ لك من كل طعام يؤكل
 وضحه اليك فيكون لك ولهم ما كلاً (ف
 ٦ عد ٢١)

فتدخل الفلك انت وبنوك ونسوة بنيك
 معك ومن كل حي . . . من الطير
 باصنافها ومن جميع البهائم باصنافها
 ومن دبابات الارض باصنافها (عد ١٨
 وعد ٢٠)

واجعل الفلك مساكن واطله من داخل
 ومن خارج بالقار (ف ٦ عد ١٤)

وبعد سبعة ايام كانت مياه الطوفان على

ترجمة هذه الاشعار عن فيكورو في مؤلفه الكتاب والاكتشافات الحديثة وعن
لازيمان في تاريخه القديم للمشرق مؤثرين ما كان منهما اظهره فكلهم عزيزدورا
ازدوبار قائلاً ها انذا انبتك يا ازدوبار بتاريخنجاتي (من الطوفان) واطلمك
على ما قضى به الالهة . ان مدينة شوريباك (المار ذكرها) التي تعرفها والواقعة
على الفرات هي مدينة قديمة ولم يكن اهلوها يكرمون الالهة وكنت انا وحدي
خادماً متعبداً للالهة العظام فدعا (انوا) الالهة فمقدوا مشورة فعرض عليهم
(بعال) انزال طوفان فرأى رأيه (نابو وتركال ونييب) واثبت امرهم الاله
(هيا) رب المحكمة غير المدركة فسمعت انا بالرؤيا (او الحلم) القضاء المبرم
وقيل لي يارجل شوريباك . . .

فقال الله لنوح قد دنا أجل كل بشر
. . . فهانذا مهلكهم مع الارض اصنع
لك فلکاً من خشب قطراني واجعله
مساكن . . . وكذا تصنعه ثلاثماية ذراع
طوله وخمسون ذراعاً عرضه وثلاثون
ذراعاً سمكه وتجعل طاقاً للفلک والى حد
ذراع تكمله من فوق (تك ف ٦ عد
١٣ وما يليه)

دع بيتك واصنع لك فلکاً ومكله عاجلاً
فاني سأبید کل ما فيه نسمة حياة وادخل
کل ما فيه نسمة حياة في الفلک واجعل
طول الفلک الذي تصنعه ستمائة ذراع
وعرضه ستين ذراعاً وكذلك ارتفاعه
واطلقه في لجة الامواه وغطه بسقف ولما
سمعت هذا قالت (لهيا) يا سيدي اذا
صنعت الفلک الذي امرتني بصنيعه سخر
مني الشبان والشيوخ ففتح (هيا) فاه وقال
لي انا عبده ان سخر وامنك فقل لهم من
احتقرني حل عليه العقاب فان الالهة
تذب عني . . . فاني ادين من علا ومن
سفل ولا توصل الباب الى ان يأتي



صورة ازدوبار نقلاً عن تمثال في متحف اللوفر في باريس
ويظن انه نمرود

البريطاني فوق إلى وجدان ما كاد يجعل نسخة هذا المتحف كاملة . والنسخ الثالث خطت بأمر ملك نينوى في القرن السابع قبل الميلاد لكنها أخذت عن أصل متناه في القدم حتى لم يتردد سميت بأن يثبت أن هذا الأصل كتب لا لآقل من القرن السابع عشر قبل الميلاد فهو أقدم من موسى مستدلاً سميت على ذلك باستعمال كتاب اشور بانيبال أحرفاً قديمة جداً في كلمات صور وها على الأصل ربما لعدم ادراكهم معناها ثم باختلاف الرواية بين بعض فقرات النسخ الثالث حتى يظهر أن بعضها عن أصل أقصى قدماً

أما موضوع هذه الأشعار فتاريخ بطل يسمى ايزدوبار كان مشهوراً بالصيد والمحاربة ولم يكن يملك أولاً إلا على بابل وضواحيها إلى أن انبسط حكمه فعم كل ما بين دجلة والفرات من جبال أرمينيا شمالاً إلى الخليج العجمي جنوباً . وقد حسب سميت وفريدريك دالتش وفرنسيس لانرمان أن ليس هذا البطل إلا نمرود الذي ذكره سفر التكوين (فصل ١٠) مستدلين بأنه كان يتولى كنمرود بابل وأرك وشوريباك ونيبور فلمدينتان الأوليان تطابق الكتاب والآثار في اسميهما ونيبور على قول كاتب التلمود هي كلته التي ذكر الكتاب أنها من مملكة نمرود وليست شوريباك إلا أكد مدينة نمرود الثالثة وقد وصفه الكتاب بأنه كان جباراً وصياداً كما وصف الأثر ايزدوبار ففي الصحيفة الحاوية الكلام في الطوفان يقال أن ايزدوبار سمع برجل نجا من الطوفان والموت اسمه هز يزدرا (ويظن أن أصل الاسم عز يزدورا لقرب هذا الاسم من لفظ سرياني يراد به قديم الأيام) فعزم أن يراه فتوصل إليه بعد مشاق لا اعتزاله في محل بعيد صعب المسلك وسأله عن أخبار الطوفان فيجيبه عز يزدورا عن سؤاله في الصحيفة الحادية عشرة قاصداً عليه أخبار الطوفان كما في الكتاب حتى يمكن في فقرات عديدة وضع الروايتين الواحدة في جانب الأخرى ليظهر الطباق . وهاك

تكون احداها حجة قاطعة تجيئ مثبتة الطوفان النوحى وعليه فلم الجيولوجية
يثبت الطوفان ضمناً ولا يناقضه البتة فانه يظهر منه جلياً انه قد طرأ على سطح الكرة
اقلبات وثورات مسببة عن حركة الامواه بعد ان وجدت الحيوانات والانسان
ويلزم ان يكون الطوفان النوحى من جملة العلل التي بدلت وجه الارض . وان
لم تكن طبقة الارض الطوفانية كلها من مفاعيل الطوفان فلا اقل من ان يكون
بعضها وان لم يكن الطوفان ناقلاً كل الصخور الدخيلة فلا اقل من ان يكون
ناقلاً بعضها والحاصل ان علم الجيولوجية يؤيد الطوفان وان لم يثبت اثباتاً قاطعاً
لوجود علل اخرى تصدر ما كشف هذا العلم عنه وقد اجاد الكاردينال ويزمن
الشهير باثبات الطوفان بهذه الاثار في خطبه الشهيرة في العلاقات بين العلم
والدين الموحى وترى خلاصة من كلامه في الحواشي المعلقة على معجم اللاهوت
لبرجيا في كلمة طوفان الا ان ذلك كان قبل الاعتبار الاخيرة التي ذكرناها

﴿ عد ٢٨ ﴾

— اثار الاقدمين الدالة على الطوفان —

ليس كالطوفان امر اجمعت اثار الاقدمين من كل قبيلة على تبيانه . ونبدأ
باثار الكلدانيين فهم اقرب القبائل من الاصل الذي رواه موسى عن اجداده
الذين عاشوا في بلاد السكدان . فمن اثار هولاء ما هو قديم وما هو اقدم فنجترى
من الاقدم بما اكتشف عنه في مكتبة اشور بانيبال التي وجدت في نينوى ونقل
اكثر صفحاتها الى المتحف البريطانى . فمن ذلك اثنتا عشرة صفيحة من الاجر
خُطت عليها اشعار عُقد بعضها على تاريخ الطوفان وكان في هذه المكتبة ثلث
نسخ من هذه الصفائح لكنها مشوهة مكسرة فارسل العلامة جرج سميت على
نقطة الجريدة الانكليزية (دالى تلغراف) الى بلاد السكدان للبحث عنه يجد
فقرات اخرى من هذا التاريخ تملئ فارغ ما سقط من النسخ التي في المتحف

الان في اكثر انحاء البسيطة طبقة مؤلفة من حصى وتراب خزي ورمل بحري وحصى ملساء فاعتبروا ذلك راسباً من ماء الطوفان وسموا طبقة الارض هذه طوفانية . اما علماء الجيولوجية الان فيسمون هذه الطبقة طوفانية لكنهم لا يرون ان طوفان سنة كونها بل هي نتيجة طفغيانات وثورات عديدة جرت بحسب سنن الطبيعة في قرون ولا يبعد ان يكون طوفان نوح من فواعل هذه الانقلابات لكنه ليس الفاعل الوحيد بها بل يلزم اعتزا كثير منها الى الاعصر الاولى قبل خلق الانسان

قالوا ثانياً ان مما يثبت الطوفان الصخور الدخيلة اي الصخور الكائنة في غير مواطنها منتقلة من محل اخر ويرى مثل هذه الصخور في انكلترا والمانيا وروسيا ثم في اسيا على جبال حملايا وفي لبنان وطورسينا ومحال اخرى عديدة فحسب هؤلاء العلماء ان هذه الصخور حملها ماء الطوفان من مواطن اصلها الى مواطنها الحاضرة ولكن تعمّر على علماء هذه الايام ان يصدقوا بنقل ماء الطوفان صخوراً كبيرة تبلغ مساحة بعضها اربعين الف قدم مكعب من محال بعيدة الى مواضعها الحالية ولا حظوا ان سطوحها غير ملساء وزواياها غير مكسرة كما كان يلزم ان تكون لو قلبها الماء في مسافات من حيث كانت الى حيث استقرت ولذا رأوا الاولى نسبة نقلها الى انقلابات في الاعصر الاولى ولم يروا بها بيّنة قاطعة في اثبات طوفان نوح . ثالثاً اثبت كثير من العلماء الاولين حصول الطوفان النوحى بما يرى في بعض المغاور والكهوف في انحاء كثيرة من بقايا عظام بشرية يخالطها احياناً بقايا عظام حيوانات ونسبوا ذلك الى الطوفان ولا ننكر انه يحتمل كثيراً ان يكون بعض هذه البقايا من مفعولاته بل ليس لعالم ان يجزم بخلاف ذلك الا انه لما كان ممكناً ان تكون لهذه البقايا علل اخرى كطفغيانات خاصة وكسكنى الناس الاولين في المغاور فلا يمكن ان

في المجتمع العلمي في البلجيك سنة ١٨٦٦ وتابع هؤلاء بعض العلماء الالمانيين الكاثوليكين . وصرح الاب بالينك اليسوعي البلجيكي بان هذا المذهب يمكن تأييده وان لم يتمسك هو به لانه قال (كما ورد في المجلة الدروس الدينية في نيسان سنة ١٨٦٨) « ليس من قصدنا ان ندافع عن هذا المذهب اذ لا نرى الدفاع عنه لازماً في حالة العلم الحاضرة لكننا لاندد بمن يظن هذا المذهب سيتغلب يوماً ما ، على ان ما صرح الكتاب به انما هو ان الله اراد ان يفرق جميع الناس لان جميعهم غرقوا في لجة الاثم ما خلا نوحاً واهله . وصرح بطرس الرسول (في رسالته الاولى فصل ٣ عد ٢٠) انه خلص بانفلك « نفر قليل اي ثمانية انفس ، وقال ايضاً (رسالته ٢ فصل ٢ عد ٥) « ولم يشفق على العالم القديم وانما وقى نوحاً كارز البر وهو ثامن ثمانية واتي بالطوفان على عالم المنافقين ، (ملخص عن الوجيز الكتابي لفيكورو عد ٣٢٣)

﴿ عد ٢٧ ﴾

— هل يثبت علم الجيولوجية (١) حصول الطوفان —
وضع الاب فيكورو في كتابه الوجيز الكتابي (عد ٣٢٢) فصلاً في هذا المبحث فملخص هنا ما كتبه هناك . قال ظن علماء الجيولوجية الاولون انهم وجدوا حججاً بيّنة تثبت نصاً تغريق جزء من الارض على الاقل بطوفان حصل في العصر التاريخي اي بعد ان اهلت كرتنا بالبشر . على ان عامة العلماء هجروا هذا القول الان لانه لا يظهر قريباً من الصدق ان طغيان ماء على سطح الارض سنة واحدة يترك فيها اثاراً يمكن تحقيقها بعد قرون وتميزها عن اثار طغيانات اخرى سابقة . فقالوا اولاً ان بين طبقة الارض المعروفة عندهم بالثالثة وبين ارضنا

(١) معنى اللفظة الكلام في الارض وهذا علم يبحث فيه عن تكون الارض وطبقاتها الى غير ذلك من متعلقاتها

مما فاذا سُلمَ بالقول الثاني ان الطوفان لم يعم من الكرة الا ما كان مأهولا زالت هذه المعضلات بالاhtداء الى وجهها ولم تبقى حاجة الى قدر الاموا اللازمة لتغطية الارض بكمالها بل يكفي المطر العرمم وفيضان اموا البحر في بعض الاماكن وانفجار احواض الماء التي في قلب الارض كما اشار الكتاب. ولا يتغنى حينئذ سطحا الكرة مما وتبقى اموا عذبة يعيش بها السمك غير البحري

ان هذا القول الثاني لا يضاد الايمان ولا وسمته الكنيسة الكاثوليكية بسمه ضلال فقد بُحث في هذه المسألة في رومة سنة ١٦٨٥ بداعي كتيبات نشرها اسحق فوسسيوس (١) يثبت بها ان الطوفان لم يكن عاما فاكثر مجمع فحص الكتب التحري في هذا الشأن واستوضح العلامة مايلون الشهير (٢) ما يراه في اقوال فوسسيوس هذه فاثبت انها لا تخالف الكتاب بوجه من الوجوه بل هي اعون على تفسيره واورد بعض ما اوردنا آنفاً واستشهد باقوال بعض الاباء لرأيه فلم ينة هذا المجمع حينئذ ولا الكنيسة بعداً عن اتباع هذا المذهب واما القول الثالث بان الطوفان لم يهلك الناس كلهم ايضاً فقال به بعض اهل العلم عن عهد قريب زاعمين ان بعض قبائل المنفول في الصين والاحباش والسودان هي من اصل قبل الطوفان ومن قالوا بهذا المذهب العالم دي كاترفاج والعالم شوبال الذي جعل (في المجلة تاريخ الفلسفة المسيحية في كانون الاول سنة ١٨٧٦) قان اصلاً لذرية السودان وان الطوفان لم يهلكها وجنح فرنسيس لانرمان (في تاريخ المشرق مجلد ١ صفحة ٥٦ وفي موجز هذا التاريخ) الى هذا المذهب بحجة عدم وجود اثر للطوفان عند السودان خلافاً لسائر الامم. وقد دافع عن هذا المذهب العالم اوماليوس دي هالوى البلجيكي في خطبة القاها

(١) وهو عالم الماني ولد سنة ١٦١٨ وتوفي سنة ١٦٨٩ ysac Vossius (١)

(٢) وهو احد مشاهير رهبانية القديس مبارك ولد سنة ١٦٣٢ وتوفي في بريس سنة ١٧٠٧

MabilIon (2)

بان الطوفان لم يشمل الا الارض المعروفة حينئذ وبانه لم يدخل السفينة من الحيوانات الا ما كان في الاصقاع المأهولة حول نوح ولا يبقى مشكل في جمعها ولا في وسع القلک لها ولا تبقى حاجة الى القول بسلسلة معجزات لنقل الحيوانات من وراء الابحر المحيطة وردها الى هنالك والى الجزر الشاسعة فقد انزل الله الطوفان ليبيد الناس لشمرهم ولم يكن لازماً من وجه ان يبيد انواع الحيوان كلها واية حاجة لله ان يوحى الى نوح وجود حيوانات لم يكن عرفها ولا سمع بها . ولا يلزم الالتجاء الى المعجزات الخارقة الطبع في ما يمكن بيانه دون خرق شرائع الطبيعة فالحيوانات العائشة في البلاد الغير المأهولة بالناس استمرت في موطنها ولم تحتاج النجاة بالقلک اذ لم يتصل الطوفان اليها على هذا المذهب

ان للطبيعين معضلات اخرى منها ان الماء الذي على الكرة كلها لا يكفي لتغطية كلها فيلزم عندهم لذلك قدر من المياه فوق قعر البحر يساوي عمقها علو اعلى الجبال كحملايا الذي يساوي ارتفاعه نيف وثمانية الاف وخمسمائة متر فن اين الماء ليعمر الارض كلها ويرتفع خمس عشرة ذراعاً فوق الجبال العالية . ومنها ان تغطية سطحي الكرة ممّا مستحيلة مع حفظ شرائع الطبيعة الحالية فيلزم خرقها من اوجه . ومنها ان الاسماك العائشة في المياه العذبة يمتها ماء البحر الملح ولم يذكر الكتاب ان نوحاً ادخل فلكه نوعاً من الحيوانات التي تعيش في الماء فن اين الان الاسماك التي تعيش في الماء العذب . فهذه المعضلات وان التمس لها اصحاب القول الاول اوجهاً لبيانها كأن الارض كانت مغطاة بالماء قبل ظهور اليابسة وان في قلبها مستودعات ماء يسلم بوجودها بعض علماء الجيولوجية وان حالة الجو كانت في ايام نوح غير ما هي في ايامنا الا ان هذه الالوجه لا تزال الاشكال ويضطر اصحاب القول الاول ان يعزو كل ذلك الى قدرة الله القادرة على كل شئ يخرقها شرائع الطبيعة وابدائها معجزات عديدة

وليس من قائل ان مجاعة مصر حيثئذ عمت البسيطة كلها بل كانت مقصورة على مصر وما جاورها من البلاد . وجاء في سفر تثنية الاشتراع (فصل ٢ عد ٢٥) « وانا في هذا اليوم ابدأ بايقاع زعرك وخوفك على وجه الامم الذين تحت السماء » ومن يقول ان خوف موسى وقع على وجه كل الامم التي تحت السماء . وجاء في سفر الملوك الثالث (فصل ١٠ عد ٢٤) « وكانت كل الارض تلتبس مواجهة سليمان لتسمع حكمته » ومن يفهم كلمة الارض هنا على اطلاقها وفي الابركسيس (فصل ٢ عد ٥) انه كان في عيد البنديكستي في اورشليم « يهود رجال اتقياء من كل امة تحت السماء » ومن البين ان التعميم في هذه الايات كلها لا يفهم على اطلاقه . فاي الموانع اذا من فهم قول التكمين في الطوفان على غير اطلاقه

وحجتهم الثانية ان من الاصول المفروضة لتفسير الكتاب ان پراعى في نصه العصر الذي كتب فيه وكيفية فهم الكاتب والمسكوب اليه معنى كلامه . ففي وقت الطوفان لم تكن الارض ملاءى بالسكان فلم يفهم نوح ولا موسى بالارض كلها الكرة برمتها كما عرفت الان بعد الاكتشاف عن امركا وغيرها بل فهما من ذلك الارض المأهولة حيثئذ ويؤيد هذه الحجة ان الداعي الى الطوفان انما هو اهلاك الناس الائمة ولم يكن حيثئذ اناس على وجه البسيطة باطلاقها . وحجتهم الثالثة ان مذهبهم اسلم من النقد واعون على رد الاعتراضات الواردة على الطوفان ومن جعلتها كيف استطاع نوح ان يجمع كل الحيوانات من اقاصي الارض وكيف وسعتهما فلكه مع اعلافها سنة وكيف امكنه ان يرسلها بعد الطوفان الى جميع الافاق وكيف اتى بالحيوانات التي كانت الابحر المحيطة (الاوقيانوس وهو متعدد) يفصل بينه وبينها وكيف امكن الحيوانات التي تعيش في الجزر ان تعود اليها بعد الطوفان فكل هذه الاعتراضات لا يبقی لها قوام ولا محل اذا سلمنا

كلام الكتاب على اطلاقه اي ان الطوفان عمَّ الارض كلها لا المأهولة حينئذٍ فقط بل ما كان منها اهلاً للسكنى ايضاً . والثاني قول بعضهم ان كلام الكتاب ليس على اطلاقه بل يلزم قيده بالارض المأهولة حينئذٍ فقط وعلى القولين ان الناس اجمع بادوا بالطوفان لا يستثنى منهم الا نوح واهله الذين ذكرهم الكتاب . والثالث قول قوم من اهل العلم المتأخرين من ان الطوفان لم يبد الناس كافة وبالأولى انه لم يعم الارض كلها واقام كلُّ من اصحاب هذه الاقوال حججاً وبينات على مدعاه فن حجب اصحاب القول الاول ان نص الكتاب صريح « بان المياه غطت جميع الجبال التي تحت السماء كلها » وانها اهــكت « كل ذي جسد يدب على الارض من الطير والبهائم والوحوش وجميع الزحافات التي تزحف على الارض والناس كافة » ومن حججهم ايضاً ان جميع القبائل حفظت ذكر الطوفان وافترضته عامّاً ومنها ايضاً على زعمهم وجود الاودية والجبال في كل ارض فينسبون وجودها الى الطوفان ومنها وجود الصدف وبقايا الحيوانات البحرية في الجبال على ان هاتين الحجبتين الاخيرتين قاصرتان فان الجبال كانت قبل الطوفان وهذا ثابت بنص الكتاب نفسه ووجود الجبال يستلزم طبعاً وجود الاودية واما وجود البقايا البحرية في الجبال فيسهل تخريجه بان هذه البقايا من قبل الطوفان في الاعصر الاولى لتكون العالم . ومع هذا فقد استمسك بهذا القول اكثر القدماء وكثير من الحدّثاء ايضاً ومن جملة كلماتهم في معجم الكتاب في كلمة طوفان وبرجيا في معجم اللاهوت في هذه الكلمة

ولاصحاب القول الثاني بان الطوفان لم يعم الكرة كلها حجج اولاهـا ان كلام الكتاب الدال على التعميم لا يفهم دائماً على اطلاقه . مثلاً جاء في سفر التكوين نفسه (فصل ٤١ عد ٥٤) « وشمل الجوع جميع وجه الارض » وقدم اهل الارض باسرها الى يوسف ليتمتاروا لان الجوع كان شديداً في الارض كلها ،

يدب على الارض والطير والناس كافة وتعاظمت المياه على الارض مائة وخمسين يوماً فارسل الله ريحاً على الارض فتناقصت المياه وانسدت عيون الغمر وكوى السماء واحتبس المطر واستقر الفلك في السابع عشر من الشهر السابع (نيسان على ما مر) على جبال اراراط ففتح نوح كوة الفلك بعد مدة واطلق الغراب فجعل يتردد الى ان جفت المياه ثم اطلق الحمامة فلم تجد مستقراً لرجلها فرجعت اليه . ثم اطلقها بعد سبعة ايام فعادت وفي فيها ورقة زيتون خضراء فلم ان قد جف الماء فخرج نوح وامرأته وبنوه ونسوتهم من الفلك في السابع والعشرين من الشهر الثاني فتكون مدة اقامتهم في الفلك سنة وعشرة ايام وخرجت ايضاً الحيوانات وبنى نوح مذبحاً وقدم عليه ذبيحة للرب من الحيوانات الطاهرة والطير فتقبل الرب ذبائحه ووعدته بان لا يكون طوفان اخر مثل هذا على الارض وقال له ولبنيه انموا واكثروا واملأوا الارض وفرض عليهم بعض السنن واباحهم اكل لحم الحيوان والطير وجعل القوس في الغمام علامة لعهدهم معهم . فهذه خلاصة ما في الكتاب في هذا الباب وجعله القوس في الغمام علامة لعهد لا ينتج منه ان هذه القوس لم تكن قبلاً فتكونها طبيعي كلما وقعت اشعة الشمس على غمام غير متكاثف فقد جعل تعالى ما كان علامة لما سيكون من انه لا يسمح بحصول طوفان كهذا في ما بعد كما يجعل احد الصخور الكائنة في محل علامة وتخماً لملك مالك

﴿ عد ٢٦ ﴾

م مباحث في الطوفان واولاً اعاماً كان او خاصاً م
أعم الطوفان الارض كلها واباد الناس على اخرهم الا نوحاً واهله ام اقتصر على المعمور حينئذٍ فقط ولم يعم الارض بكليتها ذاك مبحث اعتاص امره على الاباء والعلماء فكان لهم فيه ثلاثة اقوال اولها قول بعض الاباء والعلماء ان

واي محال في وجود اشخاص غير عاديين قبل الطوفان او بعده وقد وجد
مثل هولاء في كل عصر بالنسبة الى سائر اهله

الفصل السابع

(في الطوفان)

﴿ عد ٢٥ ﴾

رواية الكتاب خبر الطوفان

جاءنا سفر التكوين في الفصول السادس والسابع والثامن والتاسع منه باخبار
الطوفان وما تعلق به فكانت الخلاصة انه لما فسدت الارض اي اهلها امام الله
وملئت اثمًا وجورًا استأى الله من الناس استيآء عبر عنه الكتاب بالندم والاسف
على انه خلقهم وعزم ان يحوهم من الارض مع ما ابدعه من الحيوان والطيور
الانوحًا واسرته فامرهم ان يصنع فلكًا ويقسمه الى طبقات ومواضع ويطله من
داخل ومن خارج بالقار ويجعل طوله ثلثمائة ذراع وعرضه خمسين وعلوه ثلاثين
ذراعًا والذراع عبارة عن نصف المتر في ايماننا على الصحيح وان يدخل الفلك
باهله اي امرأته وبنوه ونساوهم وان يدخل معه من الحيوانات الطاهرة سبعة
سبعة ذكورًا واناثًا ومن الحيوانات الغير الطاهرة اثنين ذكرًا وانثى مع ما يلزم
من العلف والقوت فصنع نوح كما امره الرب وفي سنة الستمائة من عمره في
السابع عشر من الشهر الثاني (الذي يظهر انه تشرين الثاني) تفجرت حينئذ عيون
الغمر العظيم وتفتحت كوى السماء وكان المطر على الارض اربعين يومًا واربعين ليلة
حتى حمل الماء الفلك وكثرت المياه حتى غطت جميع الجبال الشامخة التي تحت السماء
كلها وعلت على الارض خمسة عشر ذراعًا وتغطت الجبال فهلك كل ذي جسد

والاكتشافات مجلد ١ صفحة ٢٤٦) وما من ناكر انه وجد ويوجد في بلادنا وغيرها اعضاء بشرية تتجاوز في طولها وضخامتها اعضاء البشرين في هذه الايام

على ان كلمة الجبارة في الاصل العبراني في اية التكوين هي نوفل او نيفليم ومعناها رجل مرعب او قدير وترجمها اكيولا في اليونانية بكلمة معناها الرجال المحاربون او المعتدون وسياخوس بكلمة معناها الرجال القساء او المحبو الاعتداء والسبعينية بجيكاس او جيور ومعناه الرجل القدير المحارب ولذلك ذهب بعض العلماء القدماء والحدثاء ان الجبارة الذين ذكرهم الكتاب كانت شهرتهم باعتدائهم وشراسة اخلاقهم واثامهم اكثر منها بقوتهم وطول قاماتهم على ان الاكثرين من الالباء والعلماء علموا بانه كان جبارة امتازوا لا باعتدائهم وسطوهم فقط بل بقوتهم وطول قاماتهم ايضاً وقد اسهب كلمت (في معجم الكتاب في كلمة جبارة) بايراد الحجج الدامغة والبيئات الوضعية على وجود جبارة ضخام الجثث طولي القامات دلت عليهم بقايا اجسامهم العديدة فضلاً عن ايات عديدة من الكتاب لا يمكن تخريجها الى معنى الاعتداء والمعاصي وفضلاً عن شهود عدل من المؤرخين وعما ذكرناه من اثار القبائل بل لا يمكن اصحاب الزعم المضاد ان يقيموا نكيراً على انه يوجد في هذا العصر وقد وجد في كل عصر اناس غير عاديين في طول قاماتهم وقوتهم ووجود بقايا بشرية لا تزيد على اعضاء اهل عصرنا لا يثبت ولو مهما كثرت تلك البقايا انه لم يكن جبارة بل يقتصر اثباتها على انه لم يكن كل الناس جبارة وعلى كلا الرائيين يبقى صدق الكتاب كاملاً سالمًا فان فهم بالجبارة قبل الطوفان الائمة واصحاب المعاصي او طوال القامات والمقتدرون فسيان في صدق الكتاب وربما كان المعنى الاول انسق واكثر اتحافاً مع كلام الكتاب في ازال الله الطوفان عقاباً لمعاصي الاشرار

﴿ عدد ٢٤ ﴾

﴿ في الجبارة ﴾

جاء في سفر التكوين (ف ٦ عدد ١ وما يليه) « ولما ابتدأ الناس يكثر
على وجه الارض وولد لهم بنات رأى بنو الله بنات الناس انهن حسنات فاتخذوا
لهم نساء من جميع من اختاروا . . . وكان على الارض جبارة في تلك الايام
وايضاً بعد ان دخل بنو الله على بنات الناس وولدن لهم اولاداً اولئك هم
الجبارة المذكورون منذ الدهر ، وقد مرّ ان المراد ببني الله ابناء شيث وانوش
الذين ابتدأوا يدعون باسم الله واستمروا يحفظون سننه وان المراد ببنات الناس
ذرية قايّن الذين سلكوا طريق الاثم . وقد ورد ذكر الجبارة في آيات اخرى
عديدة من الكتاب بعد الطوفان ايضاً كجبارة بني عناق الذين ذكرهم
جواسيس موسى في ارض الموعد (سفر العدد فصل ١٣ عدد ٣٣) وكعوج ملك
باشان (نشيد فصل ٣ عدد ١١) وكجلبات الذي صرعه داود (ملوك ١ فصل
١٧ عدد ٤) وقد وافقت اثار القبائل وتقليداتها ايات الكتاب في ذكر الجبارة
فقال باروز سنداً الى تقليدات الكلدان ان الاناس الاولين كانوا ذوي قامة
وقوة عجيبتين وانه استمر مثل هولاء بعد الطوفان ايضاً وترى الاثار الكلدانية
تعبر عن الجبارة بكلمة (كبرو) او (جيبور) كما يعبر الكتاب عنهم . وترى
اثر اليونان واشعار شعرائهم طافحة بذكر الجبارة واعمالهم ومن تقليداتهم ان
جنوب جزيرة رودس وجزيرة كوس كان اول سكانها من الجبارة وروى مار اباس
كايتنا مؤرخ الارمن حروب هولاء الجبارة في ارمينيا وما بين النهرين وقد فشا
في كتب العرب واثارهم وصف الجبارة في قبليتي عاد وثمود وبني عناق والعمالقة
وترى مثل ذلك في اثار المصريين والهنود وغيرهم من القبائل العريقة في القدم
(روى ذلك لانرمان في تاريخه مجلد ١ صفحة ٤٧ وفيكوروفي الكتاب

عن النسخة	الاباء قبل الطوفان	العبرانية والعامية	السامرية	السبعينية	عدد المدات	مجموعها مضروبة في ١٨ سنة ونصف	اسماء ملوك الكلدان قبل الطوفان
ادم ولد شيثا	١٣٠	١٣٠	١٣٠	٢٣٠	١٠	١٨٥	الوروس
شيث	١٠٥	١٠٥	١٠٥	٢٠٥	٣	٥٦ ١/٢	الاباروس
نوش	٩٠	٩٠	٩٠	١٩٠	١٣	٢٤٠ ١/٢	المالون
قينان	٧٠	٧٠	٧٠	١٧٠	١٢	٢٢٢	امينون
مهلائيل	٦٥	٦٥	٦٥	١٦٥	١٨	٢٢٣	امكاروس
يارد	١٦٢	١٦٢	١٦٢	١٦٢	١٠	١٨٥	داونوس
اخنوخ	٦٥	٦٥	٦٥	١٦٥	١٨	٢٢٣	ادورنكوس
متوشالغ	١٨٧	١٨٧	١٨٧	١٦٧	١٠	١٨٥	امابسينوس
لامك	١٨٢	١٨٢	١٨٢	١٨٨	٨	١٤٨	اتيرس
نوح سنة الط	٦٠٠	٦٠٠	٦٠٠	٦٠٠	١٨	٢٢٣	كيسوترس
١٠	١٦٥٦	١٣٠٢	٢٢٤٢	١٢٠	١٢٢١	١٠	

فالظاهر من هذا الجدول ان مجموع السنين الحاصل من المائة والعشرين ساراً مدد ملوك الكلدان الى الطوفان محسوبة على مذهب سويداس يوافق عداد السنين التي خلت من خلق الانسان الى الطوفان بموجب النسخة السبعينية وليس من فرق بينهما سوى احدى وعشرين سنة مع ان النسخة السبعينية تزيد على العبرانية ٥٨٦ سنة وعلى السامرية ٩٤٠ سنة والكنيسة لم تقطع في القول بشئ من هذه الاعداد ولو كان هذا الاتفاق بين الكتاب واثار غير الكلدان لربما امكن تخريج وقوعه على المصادفة ولكن وقوعه في اثار الكلدان الذين كثيراً ما تساوت تقليداتهم وتقليدات العبرانيين يصوب لنا حسابان هذا التوافق حقيقياً واقعياً انتهى مخلصاً عن فيكورو في مؤلفه الكتاب والاكتشافات الحديثة مجلد ١ صفحة ٢٤٥ طبعة ٤

ان التقليد البابلي في عهد باروز كان يجعل لولاية الملوك الذين حكموا قبل
الطوفان مدداً مديدة من السنين يقسمونها الى مائة وعشرين مدة ويسمون
كلّا منها (ساراً) وجعل باروز كل سار منها ثلاثة الاف وستماية سنة فكان
عدد السنين معظمًا كثيرًا . على ان سويداس (وهو مؤلف يوناني يظن انه كان
في القرن التاسع او العاشر بعد الميلاد) افادنا في معجمه ان السار في عرف
البابليين عبارة عن ثمانى عشرة سنة وستة اشهر فالماية وعشرون ساراً تساوي في
عرفهم ٢٢٢٢ سنة لان السار يساري ٢٢٢ شهرًا قمرياً فيتألف منها ثمانى عشرة
سنة وستة اشهر فاذا ضربت في مائة وعشرين كان الحاصل الفين ومائتين واثنين
وعشرين سنة . وعليه فكان للسار استعمالان احدهما فلكي يساوي ٣٦٠٠
سنة والاخر مدني يساوي ١٨ سنة وستة اشهر . وعلى مقال سويداس يلزم اعتبار
المائة والعشرين ساراً قبل الطوفان بحسب الاستعمال المدني واذا حسبناها
كذلك وجدنا بين تاريخ الكتاب وتاريخ الكلدان تطابقاً او تقارباً مدهشاً
لا سيما اننا نتوصل الى ذلك بطريقتين مختلفتين فتؤدينا كلتاها الى نتيجة واحدة
فالطريقة الاولى اساسها السنة التي ولد فيها احد الابهاء ابناً كما هي في سفر التكوين
والثانية اساسها المدة التي حكم فيها كل من الملوك العشرة عند الكلدان قبل
الطوفان فهذه الاعداد تؤدينا على مبايقتها الى ظهور الاتفاق بين نص الكتاب
والاثار الكلدانية كما سترى في الجدول التابع الذي يكشف لك ايضاً عن الفرق
الكائن بين نسخ الكتاب العبرانية والسامرية والسبعينية وعن مواطنه كما وعدنا
انفاً بذلك وهالك الجدول

اي رجال السنّة القديمة ويقولون انهم كانوا يقتاتون بشراب يسمونه (هوما)
اي شراب عدم الميتوتة اشارة الى طول اعمارهم . واعتقد الهنود وجود تسعة
اباء يسمونهم (براهمديكاس) ويضيفون اليهم براهما اصلهم واولهم ويسمون
الكل (البتريس العشرة) اي الاباء العشرة . وقال الجرمانيون والاسكندينياف
(سكان اسوج ونزوج القدماء) بعشرة جدود (لاودين معبودهم) . واعتقد
الصينيون عشرة سلاطين اشتروا بالطبع الالهى قبل بزوغ انوار الاعصر
التاريخية . ومن تقليدات العرب تتابع عشرة ملوك من قبيلة (عاد) وهم
مع قومهم اول من سكن شبه جزيرتهم بين البحر الاحمر والخليج العجمي وعدّ
سكنونيافون عشرة مواليد للاباء الاولين عند القينيقيين اولهم بروتوكونوس اي
المولود الاول وايون اي حواء . ذكر هولاء الاب فيكورو (في الكتاب
والاكتشافات الحديثة مجلد ١ صفحة ٢٤١ طبعة ٤) وروى لانرمان (في التاريخ
القديم مجلد ١ صفحة ٤٣ و ٤٤ طبعة ٩) مارواه فيكورو وزاد عليه ان ابيدان
المر ذكره آتفاً عدّ عشرة ابطال عند الارمن القدماء تقدموا ارام (بن سام بن
نوح) جد هذه القبيلة على مذهبه الذي تابعه به علما مدرسة الرها وغيرهم .
وان المصريين اعتقدوا ان الالهة حكموا في الارض في الاعصر الاولى للبشرية
على ان فقر مانيتون التي تكلم فيها على هذه الاعصر الاولى بلغت النبا مشوهة
لا يهتدى بها الى توكيد عدد هولاء الحكام . لكن البايير التاريخي الكائن الان في
متحف تورين يستنار منه ان الالهة الذين تولوا سياسة الناس في البدء كانوا عشرة
طبق تقليدات سائر الامم فهذا التطابق في عدد الاباء العشرى في الكتاب وفي
اثار هذه القبائل كلها يستحيل ان يكون مصادقةً واتفاقاً ولا وجه له الا انه عن
مصدر واحد هو التقليد الاولى الذي استودعه موسى سفر التكوين والقبائل

اعضائه الرئيسية على تمام السلامة وقضى انه كان يمكنه ان يعيش سنين عديدة لولا
التخمة التي اصابته . وحقَّق الجوالون في هذا العصر ان طول الحياة ليس نادراً
في العرب سكان صحارى افريقية ويكثر وجود افراد يتجاوزون المائة من سنهم في
البلاد الباردة كروسيا وغيرها وربما كان الهواء قبل الطوفان اصاح منه للصحة
بعده فضلاً عما يوجد من البون الكبير بين المعيشة والاشغال قبلاً والان (عن
الوجيز الكتاني لفيكورو عدد ٢٩٤ بتصرف)

﴿ عدد ٢٣ ﴾

— التطابق بين عدد الابهاء قبل الطوفان في الكتاب —

﴿ وبين عددهم في آثار القبائل ﴾

من المستغرب اننا نجد عند اكثر القبائل القديمة عشرة اباء او ملوك اولين
طبق عدد الابهاء العشرة الذين ذكرهم الكتاب من آدم الى نوح وتزول الغرابة
اذا تذكرنا ان اصل الناس واحد وان التقليد الذي اودعه موسى سفر التكوين
حفظته هذه القبائل باثارها يمازجه شئ من التشوش او تغير الاسماء من جرى
كرور الاعوام واختلاف اللغات والجهل وعبادة الاوثان . فقد نبأنا تقاليدات
السكندان تابع عشرة اباء قبل الطوفان سمهم ملوكاً ونظم فرنسيس لانرمان
(في مجلد ١ من تاريخه صفحة ٤٣ طبعة ٩) عن فقر لباروز اسماءهم في جانب
اسماء العشرة الابهاء قبل الطوفان في جدول اختلفت فيه الاسماء وتطابق العدداً
في الكتاب والآثار . وروى ان ابيدان (هو كاتب يوناني كتب تاريخ بعض
شعوب اسيا في عهد خلفاء اسكندر) جمع من تقاليدات الاشوريين ما يتبين منه
ان هذه القبيلة كان فيها في بدء امرها قبل بناء نينوى عشرة ابطال تولوا تديرها
ومن معتقدات الايرانيين القدماء انه قام فيهم عشرة ملوك يسمونهم باشدين

السامية نماء النوع البشري والتكامل بالمعارف والمحافظة على ما علمه الله آدم بالتقليد كما رأيت قبيله وقد جعل الله بنية هؤلاء الاباء قوة تتحمل كرور هذه السنين وعاونت على ذلك صيانتهم بالبرارة والاعتدال وتنكبهم كل افراط . وقال يوسفوس (في ك ١ في تاريخ اليهود فصل ٣) ان الله اطال عمر هؤلاء ثواباً لفضائلهم وتوسلاً للتكامل بالمعارف والعلم . . . وكل من كتبوا التاريخ يوناناً كانوا او غيرهم يشهدون لما قلته فان مانيون الذي كتب تاريخ المصريين وباروز الذي كتب تاريخ الكلدان وموكوس واستيوس وهيروم المصري الذين كتبوا تاريخ الفينيقيين قالوا هذا القول نفسه . واسيود واكرتا واكوسيلاس وايلانيك وايفور ونيقولوس رويوا ان الاولين كانوا يعيشون حتى الف سنة .

فيقول جاحدوا التنزيل ان طول العمر بهذا المقدار مخالف للطبع ومضاد علم التشريح (الفيسيولوجيا) لكن هذا العلم لا مستند له الا ما يشاهد في الحال الحاضرة ومعتمده في تحديد عمر الناس انما هو الاختبار والمعاينة لتركيب الاجسام الان فلا تمتد نتائجه الى ما لا يرى الان فلو سلمنا بان تركيب الاجسام الان يستحيل معه البلوغ الى عمر الاباء قبل الطوفان لما نتج منه ما يخالف قول الكتاب في الاباء الاولين . هذا وكثيراً ما وجد في هذه الاعصر اشخاص تجاوزوا العمر المعتاد وبلغوا الى مائة وخمسين او مائتي سنة ايضاً من عمرهم فروى بريشارد (١) امثلة كثيرة منها ان رجلاً اسمه توما بار من شروب على تخوم بلاد غال (٢) اشتهر بطول عمره وبلغ منه ١٥٢ سنة فرغب كرلس الاول ملك انكلترا في ان يراه فاشخصوه الى بلاطه واراد بعضهم الاحتفاء به والايام له فافترط في الماكل ذات متخوماً فشرحه الطيب هرفاي الشهير فوجد امعاءه وباقي

(١) Prichard

(٢) Thomas Parr du comté de Shrop

قد رأيت ان جميع الالباء الا نوحاً ولدوا وآدم في الحياة وامكنهم ان يعاشروه ويتلقوا عنه الاخبار الصحيحة عن ابداع العالم وما علمه الله اياه وكثير منهم لاسيما متوشالح ولاملك عاشروا نوحاً سنين متطاولة فسلموا اليه ما تسلموه من آدم ولما كان نوح قد عاش بعد الطوفان ثلاثماية وخمسين سنة (تك فصل ٩ عد ٢٨) امكن ابراهيم ان يعيش معه نصف قرن ونيفاً بحسب الاصل العبراني ويتلقى عنه التقليدات الصادقة ولا اقل من ان يتلقاها عن سام ابنه بحسب الترجمة السبعينية وتبلغ الى اسحق ويعقوب ثم موسى بسلسلة متصلة قليلة الحلقات كما سترى

﴿ عد ٢٢ ﴾

— طول حياة الالباء الاولين —

ان طول حياة الالباء قبل الطوفان الى نيف وتسعمائة سنة كان من قرون مشكلاً توفرت الاقوال في حله ومنذ زمان القديس اغوستينوس كان يحاول بعضهم ايجاز هذه المدد المتطاولة زاعمين ان ليس المراد بالسنة الا ستة وثلاثون يوماً على ان موسى لم يقل كلمة تجعل اللبس في ان المراد بسني الالباء غير المراد بالسنة في باقي كلامه بل ان ذكره الشهر السابع والعاشر (تك ف ٧ عد ١١ وف ٨ عد ٤) هو نص صريح على ان الشهر يختلف عن السنة التي تتألف لا اقل من ثلاثماية وستين يوماً . وما احسن ما قاله القديس اغوستينوس (كتابه في مدينة الله راس ١٥) في هذا الصدد وهو ان شيئاً ولد ابناً وعمره مائة وخمس سنين وقينان ولد ابناً وعمره سبعون سنة فلو كانت السنة ستة وثلاثين يوماً لتنج ما هو مستحيل بين اي ان شيئاً ولد وعمره نحو من عشر سنين وقينان ولد وعمره نحو من سبع سنين فالمراد اذا بسني عمر الالباء سنون حقيقية وان الالباء قبل الطوفان كانوا طويلي الاعمار لحكمة من قبل الله يظهر لنا من مقاصدها

عاش ١٨٧ سنة الى ان ولد لامك وعاش بعد ولادته ٧٨٢ سنة ولد فيها بنين وبنات فكانت سنوه ٩٦٩ سنة واذا اضفنا سني عمره الى سني آدم حين مولده كان مجموعها ١٦٥٦ سنة هي سنة الطوفان بحسب النسخة العبرانية واللاتينية العامة فيكون قد مات سنة الطوفان قبل حدوثه . وفسر لانزمان اسمه بمعنى رامى السهام والظاهر من المقاربة بين العبرانية والسريانية ان الكلمة مركبة من **د** **م** مات و **ل** **م** ارسل او بعث ولذا جعل بعضهم تأويل اسمه مات فارسل الطوفان لما مر من امر وفاته سنة الطوفان سماه موسى بهذا الاسم واما لامك بن متوشالch ويسمى ملك ايضاً فولد سنة ٨٧٤ لادم وعاش ١٨٢ سنة الى ان ولد نوحاً وعاش بعد ولادته ٥٩٥ سنة فكان مجموع سنيه ٧٧٧ سنة فان اضفنا هذا المجموع الى سني ادم حين ولادته وجدنا ان موته كان ١٦٥١ خمس سنين قبل الطوفان وقبل موث والده متوشالch . وفسر لانزمان كلمة لامك بمعنى الشاب السمين القوي

واما نوح ففسر الكتاب اسمه بمعنى الراحة والتعزية واذا اضفنا سني مولد ابيه الى سني ولادته نوحاً وجدنا ان مولد نوح كان سنة ١٠٥٦ لادم وانبأنا الكتاب (تك ف ٥ عد ٢٢) انه كان ابن خمسماية سنة لما اخذ يلد ابناءه ساماً وحاماً ويافث . ثم انه كان ابن سماية سنة لما كان ماء الطوفان على الارض (تك ف ٧ عد ٦ و ١١) وعليه فكان الطوفان سنة ١٦٥٦ لادم هذا بحسب الاصل العبراني والترجمة اللاتينية العامة وغيرهما من النسخ على ان النسخة السامرية انقصت شيئاً من سني الالباء الى ان ولدوا فكان الطوفان بموجبها سنة ١٣٠٢ لادم وزادت النسخة السبعينية في اعداد تلك السنين فكان الطوفان على موجبها سنة ٢٢٤٢ لادم وسنضع جدولاً يبين منه هذا الفرق بين النسخ ومواطنه

المعتاد في تلك الايام . الا ان اكثر الاباء والمفسرين على انه لم يمت بل حجه الله عن مرأى الناس كما فعل بايليا بعده ويؤيد هذا قول بولس الرسول « وبالايمان نقل اخنوخ لكي لا يرى الموت ولم يوجد بعد لان الله نقله اذ قبل نقله شهد له بانه ارضى الله » (عبرانية ف ١١ عد ٥) وقال فيه ابن سيراخ (ف ٤٤ عد ١٦) « اخنوخ ارضى الرب فنقل » وزادت النسخة اللاتينية العامية « الى الفردوس » اي الارضى ولا وجود لكلمة الفردوس في اليونانية وفهم القديس ايرونيemos بذلك انه نقل الى السماء وكذا يعتقد المؤرخون المسلمون العرب فقد جاء في تاريخ ابي الفدا « واما اخنوخ وهو ادريس فانه رفع لما صار له من العمر ثلاثماية وخمس وستون سنة رفعه الله الى السماء »

ويعزى الى اخنوخ سفر لم تكتبه الكنيسة الكاثوليكية بين الاسفار المقدسة على ان القديس يهوذا الرسول قال في رسالته (عد ١٤) « وقد تنبأ على هولاء (الائمة) ايضاً اخنوخ سابع آدم (اي السابع بعده) حيث قال هوذا يأتي الرب في ربوات قديسيه ليجري القضاء على جميعهم ويحج جميع المنافقين منهم على كل اعمال نفاقهم التي نافقوا بها ، فكان هذا للمفسرين معضلة يعسر الاهتداء لوجهها أخذ الرسول هذه الاية عن كتاب لاخنوخ كان في صدر النصراية ام علم ذلك بتقليد او وحي خاص والاظهر ان الرسول قرأ هذه الفقرة في سفر اخنوخ او في كتاب اشتمل عليها وهو لاستنارته بالالهام الالهي اشتشهد بها بما انها حقيقة وان لم يكن السفر برمته قانونياً على ان مشاهير الاباء لم يعتبروا من هذا السفر منزلاً الا هذه الفقرة لاثبات يهوذا الرسول لها في رسالته المعدودة من الاسفار الموحاة . وفسر لانرمان (في المحل المذكور) كلمة اخنوخ بمعنى المبتدى

واما متوشالch بن اخنوخ فكان مولده سنة ٦٨٧ لآدم ونبأنا الكتاب انه

وفسّر لانرمان (مجلد ١ صفحة ٤٣) اسم انوش بمعنى انسان فولد اذا قينان لسنة ٣٢٥ لآدم ولم ينبئنا الكتاب شيئاً من اخباره الا انه ولد مهلائيل لسبعين سنة من عمره وانه عاش بعد ما ولده ٨٤٠ سنة ولد فيها بنين وبنات وان مجموع سنه كان ٩١٠ سنين واذا اضفنا الى سني آدم المار ذكرها سبعين سنة عمر قينان حين ولادته وجدنا مهلائيل ولد سنة ٣٩٥ لآدم وفسّر لانرمان (في المحل المذكور) كلمة قينان بمعنى خليفة (واظن الاولى تفسيرها بقية او مقتى) وكلمة مهلائيل بمعنى تسبحة الله وعن ابن الاثير عن هاشم ابن الكلبي ان مهلائيل اول من بنى البناء واستخرج المعادن وامر اهل زمانه باتخاذ المساجد وبنى مدينة بابل في العراق ومدينة السوس بخورستان . وهذا مما يورد ولا يمكن اثباته اذ لا سبيل الى اقامة البيّنة عليه

وولد مهلائيل يارد لسنة ٦٥ من عمره وعاش بعد ما ولده ٨٣٠ سنة ولد فيها بنين وبنات فساكن كل سنه ٨٩٥ سنة واذا اضفنا ٦٥ سنة الى سني آدم السابقة وجدنا يارد ولد سنة ٤٦٠ لآدم ولم ينبئنا الكتاب من اخبار يارد الا انه عاش ١٦٢ سنة الى ان ولد اخنوخ (او حنوخ) سنة ٦٢٢ لآدم وعاش يارد بعد ما ولد اخنوخ ٨٠٠ سنة ولد فيها بنين وبنات ومات وله من العمر ٩٦٢ سنة وسماه المؤرخون العرب يرد ايضاً وفسّر لانرمان اسمه بمعنى انحدر او ذرية

واخنوخ هو الذي يسميه المؤرخون العرب ادريس وقد جاء في التوراة ان اخنوخ ولد متوشالغ لسنة ٦٥ من عمره وانه سلك مع الله بعد ما ولده ثلاثماية سنة ولد فيها بنين وبنات وان كل ايامه كانت ٣٦٥ سنة ولم يوجد بعد لان الله اخذه (تك ف ٥ عد ٢٤) وفهم بعض المفسرون الاية الاخيرة بمعنى ان اخنوخ مات موتاً طبيعياً لكنه لم يدرك سني سائر الالباء الاولين اذ عاش اقل من جميعهم ٣٦٥ سنة فكأن الله اراد ان يقيه الفساد فاماته قبل الوقت

وما يصنع منها كان في اسيا . واثبتت المجلة المعروفة بالكاثوليكية (١) التي تطبع في لوفان (البلجيك) في احد فصولها في اب سنة ١٨٧٨ (في صفحة ١٢٠ الى صفحة ١٣٨) ان صناعة العمل في المعادن ابتداها توبل قاين هذا (فيكورو في الموجز الكتابي عد ٢٩٣ ومعجم الكتاب لكلمت في الكلم المذكورة) ولم يذكر الكتاب غير هولاء من ذرية قاين

﴿ عد ٢١ ﴾

— ابناء شيث الى نوح —

قد مرَّ ان شيثاً ولد انوش وعمره مائة وخمس سنين فكان مولد انوش لسنة مائتين وخمس وثلاثين لآدم على ما في العبرانية وقال الكتاب (تك ف ٤ عد ٢٦) « وحينئذٍ (اي في ايام انوش) أُبتدي بالدعاء باسم الله ، وفسر كثيرون هذه الآية بمعنى ان انوش وضع نظاماً لعبادة الله الخارجية وللصلوة العامة اذ كان يجتمع بذويه فيسبحون الله ويشكرونه . وذهب كثير من الربيين ان عبادة الاوثان ابتدأت في عهد انوش فترجموا الآية « وحينئذٍ أُبتدي باحتقار اسم الله » اي شرع بعض الناس يسمي المخلوقات والاصنام آلهة . ويمكن ترجمة الآية « وحينئذٍ أُبتدي بالتسمية باسم الله » ليكون المعنى ان الناس الصلح طفقوا يسمون انفسهم ابناء الله او عبيد الله تمييزاً لهم عن الاشرار فيكون هذا تمهيداً لما قاله موسى بعد ذلك (ف ٦ عد ٢) « لما رأى ابناء الله (اي نسل انوش الصحيح المعتقد) بنات الناس ، اي نسل قاين الاشرار . وعن بعض المؤرخين العرب ان شيثاً جعل ابنه انوش سيداً متسلطاً وحبراً على الناس بعده وانه اول من اقام المحاكم واول من اوصى بالصدقة . وعاش انوش تسعين سنة الى ان ولد قينان وعاش بعد ما ولده ٨١٥ سنة ولد فيها بنين وبنات فكان مجمل سنيه ٩٦٥ .

والصحيح ان موقعها غير معروف كما مر

ثم ان اخنوخ بن قايين ولد عيراد ولا يعرف شئ من اخباره الا اسمه وعيراد ولد محويائيل وهذا ولد متوشائيل وجعل ابن الاثير هولاء الثلاثة اخوة ابناؤ خنوخ خلافاً للتوراة وسماهم غيرد ومحويل واتوشيل . ومتوشائيل ولد لامك وشهره الكتاب بانه اتخذ امرأتين معاً ويظن انه اول من ادخل في العالم عادة الزواج باكثر من امرأة واحدة وكان اسم اولى امرأته عادة واسم الثانية صلة (وفي كلام ابن الاثير عدى وصلى بالقصر) فولد له من الاولى يابل ويوبل ومن الثانية توبل قايين وبنّا اسمها نعمه (تك ف ٤ عد ١٩ الى عد ٢٣) وقال يوسفوس (لك ١ من تاريخ اليهود ف ٢) انه ولد للامك من امرأته ستة وسبعون ابناً لكن الكتاب لم يذكر الا ثلاثة بنين وبنّتاً كما رأيت وقال لامك ذات يوم لامرأته « اسمعا قولي وانصتا لكلامي اني قتلت رجلاً لجرحي وفتي لشدخي انه ينتقم لقايين سبعة اضعاف واما للامك فسبعة وسبعين » (تك ف ٤ عد ٢٤) وتقليد العبرانيين ما قدمناه اي ان لامك قتل قايين خطأ وقال بعض المفسرين بل قتل رجلاً اخر فان ذرية قايين اعتادت مثل هذه الفضائل

وقال الكتاب في يابل ابن لامك انه « ابو ساكني الحيام ومتخذي المواشي » فكلمة اب في مثل هذا التعبير في الكتاب يراد بها الاول او البادى . بطريقة ما فيكون المعنى ان يابل اول من اعتاد الارتحال والسكنى تحت الحميم ورعاية المواشي كرحل ايامنا . واما يوبل فقال الكتاب فيه انه (ابو كل عازف بالكنارة والمزمار) اي انه اول من ادخل فن الضرب بالبونج والصنج والعزف بالكنارة والمزمار . واما اخوهما لانيهما توبل قايين فقال الكتاب انه « اول صقيل لجميع المصنوعات النحاسية والحديدية » اي اول من اخترع صنع الآتية والادوات من النحاس والحديد . وقد اثبتت الاكتشافات الحديثة ان اول العمل في المعادن

قال ، وعاش ادم بعد ما ولد شيئاً ثمانى مئة سنة ولد فيها بنين وبنات فكانت كل ايام ادم التي عاشها تسعمائة سنة وثلاثين سنة ومات ، (تك ف ٥ عد ٤ و ٥) وكان ولد قبل شيث بنات زوجهن باخوتهن بسماع الله وحكم الضرورة وتزوج شيث ايضاً باخت له سماها القديس ايفانيوس (في اربعة ٣٩) اوريا فولد له وعمره مائة وخمس سنين ابنه انوش وفي كتب المؤرخين العرب ومنهم ابو الفدا في التاريخ ، تقول الصابية انه ولد لشيث ابن اخر اسمه صاي ابن شيث واليه تنسب الصابية ، وعاش شيث بعد ما ولد انوش ثمانى مائة وسبع سنين ولد فيها بنين وبنات فكانت ايام شيث تسع مئة سنة واثنى عشرة سنة ومات ، (تك ف ٥ عد ٧ و ٨)

﴿ عد ٢٠ ﴾

— في ذرية قاي —

اما ذرية قاي فقال فيها الكتاب (تك ف ٤ عد ١٧) ، وعرف قاي امرأته فحبلت وولدت اخنوخ ثم بنى قرية فسماها باسم ابنه اخنوخ ، وسماه ابن الاثير في الكامل حنوخ بالحاء المهملة وسترى ان احد اعقاب شيث يسمى بهذا الاسم ايضاً واما القرية او المدينة التي بناها وسماها باسم ابنه اخنوخ او حنوخية فلا يعرف موقعها فيتمين ان يكون في شرقي عدن حيث اقام قاي كما قال الكتاب غير ان شرقي عدن بل عدن نفسها غير متفق على موقعها وكلمة شرقي تتناول كثيراً من البلاد الى الشرق فلا تحقيق ومع هذا نروي ، اقل بعضهم . ذكر بتولميس مدينة تسمى اخنوخا في سوسيانا وهي الان خورستان الواقعة بين بلاد فارس شرقاً وبلاد اشور غرباً وخليج العجم جنوباً . وفي الكتاب المنسوب لباروز وعنه اخذ ادريكميوس ان مدينة حنوخ كانت الى الشرق من لبنان في نواحي دمشق . وعند غيرهم انها كانت في بلاد العرب الحجرية

دومون دورفيل (في كتاب سفره في استرولاب السفينة التي سافر فيها (١)
 ان اخص معبودات اهل زولاندا الهان اخوان قتل اكبرهما اصغرهما واكله .
 وانه وجد في جزيرة تونكا (من جزر الاوقيانوس) تقليداً بان احد الهتهم كان
 له ابنان اصغرهما مجمل بالحكمة وقد اخترع كثيراً من الصنائع والمعارف واما
 الاكبر فكان مكسلاً لما بدأ يعدو الى هنا او هناك او ينام ويذري باعمال اخيه
 الى ان صادفه يوماً في الصحراء فقتله فانحدر اليه ابوه محتدماً فسأله لم قتل
 اخاك اما كان لك ان تعمل كاعماله قبح الله صنعك (عن معجم الكتاب لكلمت
 في كلمة قاين)

﴿ عد ١٩ ﴾

﴿ في شيث ﴾

جاء في سفر التكوين (ف ٤ عد ٢٥) « وعرف ادم امرأته ايضاً فولدت
 ابناً وسمته شيثاً ، وقال بعيدة ان مولد شيث كان لسنة ١٣٠ لادم وفي الترجمة
 السبعينية لسنة ٢٣٠ له وقد ضبط ابو الفدا كلمة شيث بالثاء المثناة وكذا في
 الكامل لابن الاثير وفي تاريخ ابن خلدون وفسر ابو الفدا الكلمة بمعنى هبة الله
 والظاهر تفسير لانزمان لها (في مجلد ١ من تاريخه صفحة ٤٣) بمعنى اساس
 واصل فهي تقرب من كلمة ١٨٥١٨٥ (الاساس والاصل) في اللغة السريانية
 اخت العبرانية ان لم تقل بنتها او امها وشيث كان اصلاً لجميع بني ادم الذين
 ذكرهم الكتاب الا ذرية قاين . وقد سمي سفر التكوين (في ف ٦ عد ٢)
 ذريته ابناً الله لعملهم بسنة الله وسمى ذرية قاين بنات الناس لانحرافهم عن جادة
 الحق والبر وعكوفهم على الشهوات والمعاصي . وولد ادم وحواء بعد مولد شيث
 بنين وبنات اخرين ذكر الكتاب اجمالهم ولم يصرح باسمائهم ولا تعدادهم اذ

واما العلامة التي جعلها الله له كيلا يقتله كل من وجده ففيها اقوال والذي قال به اكثر الالباء ان هذه العلامة كانت ارتجافاً في كل اعضائه نشأ عن مناخس ضميره وارتياحه من جنايته وقال بعض علماء هذا العصر ان العلامة كانت اسوداد جسمانه وجعلوه اصل السودان وجنح لانزمان نفسه الى شئ من هذا المذهب كما سترى في كلامنا على الطوفان . وروى يوسفوس (في تاريخ اليهود ك ١ ف ٣) ان قاين ازداد شراً على شر وعكف على السلب والنهب وادخل الخداع والمكر في العالم ولم يذكر مسنداً لقوله وليس في الكتاب اشارة اليه . واما في شان موته فيقال ان لامك احد احفاده قتله اتفاقاً ظاناً اياه وحشاً وانه عرف بعد خطاه فقال لامراتيه عادة وصلته ما جاء في سفر التكوين (ف ٤ عد ٢٣) . واني قتلت رجلاً لجرحي وفتى لشدخي انه ينتقم لقائين سبعة اضعاف واما للامك فسبعة وسبعين . وقال بعضهم بل قتل نفسه او مات تحت ردم بيت سقط عليه (معجم الكتاب لكلمتي في كلمة قاين) ولا يُعلم كم كانت سنوه فقال بعضهم ثمان مائة سنة وغيرهم نحواً من سبعماية واخرون انها ستمائة وثمانون سنة والله اعلم

قد عثر بعض الجوالين في هذا العصر على اثار وتقليدات عند امم بربرية مؤذنة بان مصدرها قتل قاين هايل اخاه . منها ما رواه هومبولد (المجلد ١ من كتابه في منظر جبال كورديلار في امريكا) (١) عن اثر في المكسيك يمثل امرأة تخاطبها حية وعلى جانبيها رجلان يعتدي احدهما على الاخر وقال هذا العالم في ذلك ان هذه الصورة مثال للمرأة مع الحية وهي في عرف اهل المكسيك ام النوع البشري ومن تقليداتهم انها ولدت رجلين توأمين فصورة رجلين عريانين بجانبها يعارك احدهما الاخر تذكرنا بقاين وهايل . وروى العالم

يجمعوا على الذريعة التي توسل بها لقتله فلاهل العلم بذلك تخمينات لا يمكن
ابلاغها درجة من التوكيد العلمي لعدم المسند لها منها قول ابي الفدا في تاريخه
• وقيل بل كان لقابيل اخت توأمة وكانت احسن من توأمة هابيل واراد ادم
ان يزوج توأمة قابيل بهابيل وتوأمة هابيل بقابيل فلم يطب لقابيل ذلك فقتل
اخاه هابيل واخذ توأمة • وكذا ورد في الكامل لابن الاثير وفي غيره من
كتب العرب ومنها اخذ سعيد ابن بطريق البطريق الاسكندري هذه القصة في
تاريخه العربي وذكرها ايضا ابن العبري في تاريخ الدول عن مثوديوس وسمى
توأمة قايين قليميا وتوأمة هابيل ليوزا بل روى ابن الاثير ان هذا الخطام بين
ابني آدم كان قبل تقدمتهما فقال آدم لقايين يا بني لا تحل لك توأمتك فابي ان
يقبل كلامه فقال له ابوه قرب قربانا ويقرّب اخوك هابيل قربانا فايكما قبل
الله قربانه فهو احق بها • فقربا القربان فكان ما رأيت وفرّا قايين بتوأمته

قال القديس ابرونيوموس (في تفسيره فصل ٢٧ من نبوة حزقيال) ان من
تقليدات العبرانيين ان مقتل هابيل كان في صحارى دمشق وينسب مدفن هناك
الى هابيل ولكن هذا لا وسيلة لاثباته • وذهب بعض الاباء ان هابيل لم يتزوج
وفي التاريخ الاسكندري انه قتل قبل زواجه وقال غيرهم بل تزوج فلم يعقب
ومهما يكن فموسى لم يذكر له عقبا ويرجح هذا قول حواء بعد ولادة شيت
• اقام الله لي نسلأ اخر بدل هابيل • (تكوين ف ٤ عد ٢٥) فيتخلص منه انه لم
يكن لهابيل نسل • على ان فم الذهب وغيره من الاباء اثبتوا زواجه بقولهم ان
الضرورة دعت ان يتزوج باخته وفسر بعضهم قول الكتاب ان دمه ينادي او
يصرخ من الارض بمعنى ان ذريته تطالب الانتقام من قاتله والله اعلم
اما قايين فاقام بعد مقتل اخيه في ارض سماها الكتاب ارض نود ووصفها
بانها شرقي عدن فيتعلق تعينها بتعيين عدن وقد رأيت ما في ذلك من الخلاف •

الدروس الاشورية صفحة ٣٥ (١) وترى كلمة هابال او ابال في مركب اعلام كثيرة اشورية مثل اشور بان هيبال اي ابن اشور وكذا سرد انابال وقال العالم سيلام (في كتابه بيان العهد القديم بالعلوم الاشورية صفحة ١٠ (٢) من البين ان كل اللغات السامية الا الاشورية اضاءت كلمة هبلو بمعنى ابن فثوت هذه الكلمة في تاريخ التكوين دال دلالة وضیحة على قدم هذا التاريخ (ملخص عن الكتاب والاكتشافات الحديثة لفيكورو مجلد ١ صفحة ٢٤٠ الى ٢٤١ طبعة ٤)

وكان هابيل على رعاية الماشية وقاين على حراثة الارض ومنه تبين ان هاتين الصناعتين المتوقف عليهما معاش الانسان كانتا معاصرتين له من بدئه وعمل بهما ادم كحكم الله عليه ان يأكل خبزه بعرق جبينه وعنه اخذ ابناؤه . وقد اوعز ادم الى ابنه ان يقدم ما تقدمه للرب فقدم قاين من ثمار الارض وهابيل من ابقار غنمه وسمانها فتقبل الرب تقدمه هابيل بانزال نار سموية عليها كما في ترجمة تاودوسيون وعليه اكثر الاباء والمفسرون او بعلامة اخرى ولم يتقبل تقدمه قاين فشق ذلك على قاين ونكده واضمر الغدر باخيه فاستدعاه الى الصحراء ووثب عليه فقتله فظهر له الرب مونباً قاضياً عليه بان يكون طريداً شريراً لا تعطيه الارض غلتها فادرك جريمته وارتاب قائلاً خطيئي اعظم من ان تغفر وتوهم ان كل من وجده يقتله فقال له الرب من قتل قاين فسبعة اضعاف يقاد به ليثبت الانتقام له وينهي غيره عنه وجعل الله فيه علامة كيلا يقتله كل من وجده . وقد اجمع المفسرون على انه لا بد ان كان لقائن اثم سابقة اقتضت رذل الله تقدمته . وعلى ان ما حمله على قتل اخيه انما هو حسده له لا يثار الله له عليه . لكنهم لم

الفصل السادس

(في الالباء الاولين قبل الطوفان)

﴿ عد ١٨ ﴾

﴿ في قايين وهابيل ﴾

لم ينبئنا الكتاب كم كانت المدة التي اقام فيها ادم في الفردوس واول ما ذكره من احداثه بعد طرده منه انه عرف امرأته حواء فحملت وولدت قايين وقالت رزقت رجلاً من عند الرب . فعنى كلمة قايين قنية وثمرة وقد وردت في الكتابات القديمة في نينوى وبابل بمعنى من يقتني عبداً وربما كانت منها كلمة قن بالعربية بمعنى الرقيق او كان بذلك أثر لللعنة التي استحقها قايين لقتله اخاه . وعن ابن الاثير في الكامل . ان اهل العلم مختلفون في اسم قابيل فبعضهم يقول قين وبعضهم يقول قائن وبعضهم يقول قايين وبعضهم يقول قابيل .

ثم قال الكتاب . عادت (حوا) فولدت اخاه هابيل . وفسر الربيون هابيل بمعنى البخار او الهبلة بلغة العامة وبمعنى الباطل والغم والحداد وفي العربية هبلته امه بمعنى شكلته وتسولوا الى ذلك بان مقتل هابيل كان لذويه علة الغم والحداد على ان اطلاق هذا الاسم عليه كان قبل مقتله لا بعده ومع هذا قال اهل العلم بهذا التفسير لعدم وجدانهم غيره ومن جعلوا معنى هابيل الباطل وجدوا له مسنداً في قول الجامع . باطلة الاباطيل وكل شئ باطل . فالكلمة في العبرانية هابيل وكأنه نقصر حياته زال كالبخار او كالشيء الباطل . على ان كثيراً من الاثار الاشورية انبأنا ان كلمة هابيل ترد بمعنى ابن او ولد من الفعل هبل وكَلَدَ (ولعل اصل اللفظ حبل) فهابيل بمعنى المولود . قال بذلك اوبر في كتابه

مصر فتراه ويده رمح يسحق به راس الحية (انظر الصورة عد ٥) وهذا يشف عما جاء في الكتاب « واجعل عداوة بينك (الضمير للحية) وبين المرأة ونسلها فهو يسحق رأسك » ومن هذه الاثار ان الملك الارضي الذي افتتح به الاله (رع) وجود العالم والبشر كان عصرًا ذهبيًا لم يكن للاسف والحسد فيه من اثر . وكان المصريون اذا ارادوا التعبير عن شيء لامتثل له قالوا لم يكن له من مثل من عهد الاله رع . ولا ريب ان في هذا اشارة الى ما قاله الكتاب في حال البر التي كان فيها ادم وحواء

واثبت لانرمان ايضا (في صفحة ٣٦ من المجلد المذكور) صورة اخذت عن مدفن في متحف الكايتول (الكمبيدوليو) في رومة رُسم فيها الاله برومانه جالسا وقد اقام بيده الشمال على ركبتيه صورة بشرية رُسم هيكلها وبيمينه المنقاش لرسم خطوطها وبجانبه سلة ملاءى ترابا وصورة اخرى تامة ومينرفا الآلهة تضع على رأس الصورة التي بيد الاله طائرا ذا اربعة اجنحة رمزا على الحياة ويرى في طرف الصورة الانسان الاول والمرأة الاولى عريانين بجانب شجرة يقتطف الرجل من ثمارها الى غير ذلك من الرموز الدالة على خلق الانسان وتنفسه واستحواذ الموت عليه وتناوله من شجرة معرفة الخير والشر ويقدر ان هذه الصورة نقشت في القرن الاخير قبل التاريخ المسيحي

في متحف الصنائع في نيويورك وقد علق لانرمان صورته على كتابه المذكور
صفحة ٣٧ وهذا يدل بلا امتراء على ان الفينيقين ايضاً كانوا يعتقدون شجرة
الفرديوس ووسوسة الحية لحواء بل ان رانان نفسه لم يتردد عن ان يسلم بوجود
هذا التقليد عند الفينيقين منقاداً الى ذلك بما جاء في فقر سنكوياتون التي ترجمها
الى اليونانية فيلون الجبيلي وهو ان الانسان الاول وايون التي يراد بها حواء
« اخترعت الاقيات بثمار الشجر »

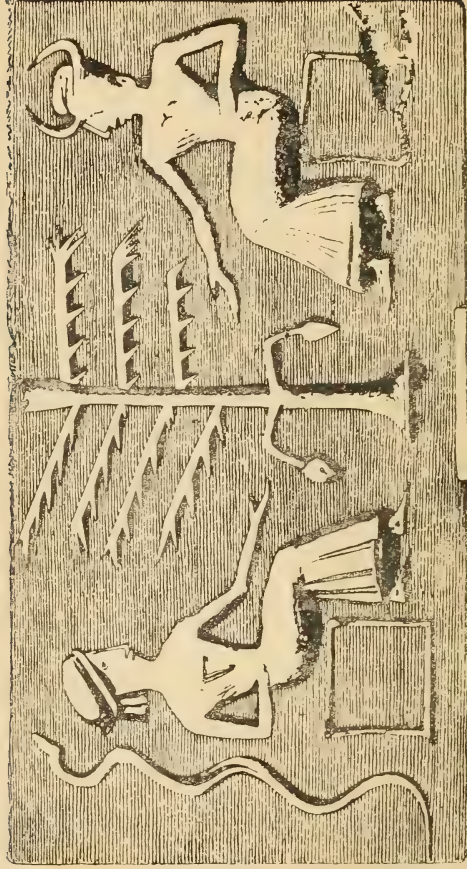
وقد وجد مثل هذه التقليدات عند السكانديناف (وهم قبيلة هاجرت
من اقدم الايام من اسيا وتوطنت اسوج وزوج في شمالي اوربا) ففي كتاب
معتقداتهم القديمة الذي ترجمته السيدة دي بوجا الى الافرنسية ونشر سنة ١٨٤٠ ما
ملخصه « ان ايدهونا غير المائتة كانت تسكن مع براجي في اسكرد في وسط
العالم في الفرديوس محرزة كمال البرادة فسلم اليها الالهة حراسة ثمار عدم الميتوة
على ان لو كي المحتال علة كل شر وممثل المبدأ الشرير خدعها بثمار اخرى قال
انه رآها في غابة واغراها باتباعه فتبعته لتجني منها فخطفها جبار فلم تبق السعادة
بعد ذلك في اسكرد « ومن البين ان هذه الرواية ايضاً تشف عما كتبه موسى
في هذا الشأن وان داخلها بعض التشوش (روى ذلك لانرمان في المحل المذكور
صفحة ٣٢)

وكثيراً ما نرى في اثار مصر شجرة الحياة مصورة على المدافن خاصة
فكأن التقليد انبأهم ان شجرة الحياة حُظر الوصول اليها فلا وسيلة لجني ثمرها
في هذه الارض بل في عالم اخر ولا نشاهد هذه الشجرة السرية مفصولة البتة
عن مياه الحياة . ونشاهد في اثارهم ايضاً ان الحية اباب تخاصم الاله رع (يراد
به الشمس) عند تنظيمه العالم فيقتلها الاله هار او هاروس (وقد علق لانرمان في
كتابه المذكور صفحة ٣٩) صورة هذا البطل او الاله مأخوذة عن هيكل ارفو في

الاشخاب فاضرما ناراً وشويا الحروف واكلا اللحم واكتسيا بالجلود ، فتأمل كيف تشف هذه الرواية عما ورد في سفر التكوين عن حالة البراة التي ابدع الله بها ادم وحوآء وعما امرها به وعن اغوا ابليس وخسارة ما كان لهما من المواهب وعن اقتيات الانسان اولاً بالثمار وعدم اغتذائه باللحم اولاً وعن اكتسائه بجلد البهيم . روى ذلك لانرمان في تاريخه القديم للمشرق (مجلد ١ صفحة ٣١ و ٣٢ طبعة ٩)

وقد روى لانرمان ايضاً (صفحة ٣٤) ان اثار الايرانيين انبأنا بوجود رسم شجرة الحياة عندهم وترى في اثارهم تارة شجرة واحدة منبتها في وسط المنبع المقدس الذي يسمونه اردويسورا وتارة شجرتين (اي شجرة الحياة وشجرة المعرفة) طبق ما جاء في الكتاب عن شجرتي الفردوس وترى في اثار الهنود ايضاً رسم شجرة الفردوس مسماة (هاوما) اي شجرة الحياة وفي بعض اثارهم صوره اربع شجرات منبتها على اربعة جوانب جبل مارو المقدس واقدم اسم لبابل في لغة اقدم سكانها هو . تين تيركى ، تأويله مكان شجرة الحياة . وعن الاب فيكورو (في كتابه المغنون الكتاب والاكتشافات مجلد ١ صفحة ٢٢٨ طبعة ٤) ان الفرس كانوا ينقشون على فصوص خواتمهم صورة الشجرة المقدسة البابلية مع انه لا يعرف لها مثال في النبات واستمروا على ذلك من عهد الملوك الكينين (المار ذكرهم اي منذ القرن الثامن قبل الميلاد) الى عهد ملوك الدولة الساسانية

وقد وجد العالم شسنولا في احد المدافن القديمة في دالين (هي ايداليون القديمة) في وسط جزيرة قبرس وعاء من صنع الفينيقيين في القرن السابع او السادس قبل الميلاد وقد رسمت عليه صورة شجرة في اسفل جانبيها شبه عنقودين وحية كبيرة تدنو من الثمرة مادت عنقها لتقتطف من الثمر وهذا الوعاء محفوظ



صورة وجدت في بابل تمثل بلا مراء وسوسة الحية لحوا واككلها من الثمر

المحظور واطامها آدم صفحة ٤٨

مع ادم من شجرة معرفة الخير والشر

ان الاريايين (١) (وهم سكان كل البلاد الواقعة بين فارس والهند)
كان التقليد العام عندهم قبل انقسامهم الى ايرانيين وهنود ان الانسان الاول
كان اسمه عند سكان ايران (ائما) وعند الهنود (ياما) والفريقان يقولان انه ابن
السما لا ابن الانسان وها هو ذا ما كتب في الكتاب الذي يسمونه ماسكيا
ومسكيانا . كان الانسان كان ابو العالم كانت السماء معدة له بحيث ان يكون
متواضع القلب ويعمل بحسب الشريعة متذلاً وبشرط ان يكون باراً في افكاره
صادقاً في كلامه مستقيماً في اعماله وان لا يلبأ الى الديوا (ابليس) ولعل
الاصل من **يؤمها** الارامية بمعنى ابليس) وكان مفروضاً على الرجل والمرأة في
هذه الحال ان يسعى كل منهما بالحظ للآخر وكذا كانت بداية بدء افكارهما
واعمالهما ... وقالوا اولاً ان اهورمزدا اوجد الماء والارض والاشجار والبهائم
والكواكب والقمر والشمس وكل خير يصدر عن اصل طاهر وثمره صالحة ثم
غلب الكذب على ذهنهما فغير استعدادهما وجعلهما يقولان ان انكروماتئوس
(اله الشر) انما هو الذي اوجد الماء والارض والاشجار والحيوانات وكل ما مر
ذكره فخادعهما منذ البداية بما يتعلق بابليس وما انفك هذا القاسي يكرر بهما حتى
النهاية فصار كلاهما لتصديقهما هذا الكذب اشبه بالشياطين وتستمر انفسهما في
الجحيم الى انبعاث الاجسام واکلا (ثماراً) مدة ثلاثين يوماً واتسحا مطارف
سودا وذهبا بعد ذلك يصطادان فوجدا عزراً بيضاء فامتصا الحليب من ضرعها
فطاب لهما كثيراً فازداد الديوا (ابليس) الكذاب جسارة فقدم لهما مرة ثانية
ثماراً فاكلها فلم يبق لهما الا منفعة واحدة من مائة منفعة كانت لهما ... وظهر
لهما بعد مدة خروف وارشدتهما الالهة السمويون الى ايجاد النار باحتكاك

مثالاً للدهاء بل للحكمة او غير الدهاء من المعاني

﴿ عدد ١٧ ﴾

﴿ اثار القبائل القديمة الدالة على ما في الكتاب بهذا الباب ﴾

اننا نجد عند اكثر القبائل اثاراً تبثنا باعتقادهم شجرة حياة وشجرة معرفة الخير والشر ومعصية الانسان الاول ونسبتها الى الحية وان كنا لم نجد حتى الان اثرًا مكتوبًا للسكندان مشعرًا بما كان معتقدهم بهذه الامور فقد وجدنا في اثارهم صوراً عديدة يتبين منها اعتقادهم ذلك ولا يمكن تأول مغزى تلك الصور ورمزها الى غير ما كتبه موسى . ومنها صورة الشجرة المقدسة الاشورية الكلدانية التي وجدت على قصر في نمرود حيث ترى صورة شجرة وعلى جانبيها ملكان او كاهنان بملابسهما الحربية دلالة على اجلال الشجرة ومن فوقها دائرة ذات اجنحة كانت في عرفهم كناية عن الاله السامي (انظر في مثالها صورة عدد ٣) وقد اكتشفت في هذا القصر صورة اخرى هي الان في المتحف البريطاني ترى على جانبيها ملاكين مجنحين جاثين اجلالاً لهذه الشجرة يمد كل منهما يده بكل وقار نحو ثمرة منها ليجنيها او ليزب عنها ويمرحسها . واكثر بيانا مما مر الصورة التي نقلها العالم فالكس لاجار (١) (في كتابه المعنون الابحاث في عبادته ميترا) ثم ان العالم سميت (في كتابه اثار السكندان عن التكوين) اكتشف (٢) عن اثر بابلي حيث ترى شجرة عن جانبيها رجل وامرأة يمد كل منهما يده الى ثمرتين فيها ومن وراء المرأة حية منتصبة الى رأس المرأة كانها تلقنها شيئاً وهذه الصورة الان في المتحف البريطاني (انظر مثالها في الصورة عدد ٤) ومن رآها قضى بانها تمثل ولا جرم ما رواه موسى في وسوسة الحية لحوا واكلها

(١) Felix Lajard Recherches sur le Culte de Mithra

(٢) Smith Chaldean of Genesis. P. 91



الشجرة المقدسة عند الاشوريين والكلدان نقلاً عن صورة في القصر الكائن
في الشمالي الغربي من نمرود صفحة ٤٧

الحية احدى العجماوات . وقد جدد الكردينال كايثانوس هذا المذهب بقوله
لم يكن هذا كلاماً شافهاً بل أريد به الاغواء الباطن اذ جعل ابليس في مخيلة
المرأة هذا الفكر السيئ . وكذا يلزم ان تفهم هذه المحاورة كلها بين الحية والمرأة
وقد نزل عقاب الحية منزلة تاريخ وليس من الحكمة ان يفهم بحسب حروفه
فهذه معانٍ مجازية لا تحسب كالاقاصيص بل تجعل كاسرار وتنطوي مجازاً
على ما يختص بالايمان (ملخص عن مجلد ١ من تأليفه صفحة ٢٥) على ان
الكنيسة لم تنه عن القول بمذهب هولاء . كانه مخالف لعقائد الدين ولكن ابى
سائر الاباء واللاهوتيين الا المخالفة له . وما احسن ما قاله بوصوا في هذا
الشان (في خطبة على الاسرار) (١) لئان نقول ان ظاهر كل شيء هنا يدل
على مجاز . فحية عجماء تتكلم وامرأة تسمع لها ورجل مستير كامل يقترب بتجربة
غير شديدة والنوع البشري برمته يقع معه في وهدة الاثم ويستحوذ عليه الموت .
ذلك كله يظهر غريباً ولكن تزول الغرابة اذا نظرنا الى الحية ليس من حيث هي
حيوان غير ناطق بل من حيث هي آلة لديها ابليس الذي دخل بسماع الله في
جسم هذا الحيوان واية غرابة في ذلك والله نفسه كان يظهر للانسان بهيئة
محسوسة فالانسان مؤلف من جسد ونفس فله ان يجعله يعرفه بكليهما
بالروح والحواس وكذا كان الملائكة يتراون للناس بهيئة يريد بها الله . فلم تنذهل
اذا حوا عند سماعها الحية تكلمها كما لم تنذهل عند رؤيتها الله يظهر لهما بهيئة
محسوسة . ومما ينبه اليه ان نص الكتاب لم يقل حية بالنكرة بل الحية بالتعريف
فذلك دليل على ان الكلام ليس في حية كسائر الحيات بل في حية مخصوصة
يراد بها ابليس لا تخاذها ايها آلة للمكر . ولو لم يكن للحية مدخل في اغواء حوا لما
نسب هذا المكر اليها اذ لم تكن الحية في عرف الاقدمين ولا في عرف المتأخرين

امره (١) واطلق لهما حرية العمل ان ينقادا طائعين او يعصيا متكبرين ليكون لهما وسيلة للاستحقاق فאלله صالح طبعاً لكنه بغامض حكمته لم يشاء ان يسعد احداً او ان يشقي احداً دون سعي ارادته ومجده ثابت في كل حال فمن سعد او خلاص مجد رافقه ومن شقي او هلك هلك باثمته ومجد به عدله . ثم ان بعض المواهب التي أتيها الانسان كانت تفوق طبعه فهو لتركبه من عناصر مادية كان متعرضاً طبعاً للانحلال والموت والامراض فمصمته من ذلك لو لزم الطاعة لم تكن من خواص طبعه بل تفوقه وكذا الوحم والوصب والطلاق في ولادة المرأة تلازم طبعها وعصمتها منها تفوقه فكانت العصمة اذاً من الموت والامراض والاوراجاع هبة مجانية من فضل الله لا يقتضيها طبع الانسان وكانت تركة سعيدة يشترك بها ابناءؤه لو احتفظ الاب عليها فلما زل وعصى امر الله خسر المواهب المجانية الممنوحة له كرمًا بشرط طاعته واضاع ما كان مزماً ان يبقى ملكاً لبنيه فصرنا نولد جميعاً بعد ضياع هذا الارث او الملك ولا حق لنا به لان والدنا اضاعه قبل ولادتنا فهذا احسن اسلوب لبيان الخطيئة الاصلية واتصالها بنا . ورأى بعض الاباء ان النوع البشري لم يخسر بادم المواهب الفائقة طبعه فقط بل جرح ايضاً بالمواهب الطبيعية وكلها الآ كرم الله يوليها من شاء وكيف شاء

﴿ عدد ١٦ ﴾

مـ في الحية مـ

زعم اوريجانوس وغيره من علماء مدرسة الاسكندرية ان كلام الكتاب في اغواء الحية لحوا مجازي يراد به ان ابليس اغرى المرأة ان تأكل من الثمر وتطعم زوجها بانشائه في عقلها وارادتها الرغبة في اكل الثمر المحظور لا بكلام

(١) ملخص عن كلام فم الذهب في خطبته ١٦ في سفر التكوين

فعرّفت الانسان بجريمته وبالعار الذي الحقته به فمن عادة الكتاب ان يتخذ لبعض الاشياء اسماً من بعض احوالها فسمى هذه الشجرة معرفة الخير والشر لانها كانت مزمنة ان تكون وسيلة للخطيئة او الفضيلة . والحاصل انها سميت بما آلت اليه لا بما كانت عليه .

واما شجرة الحياة فهي شجره اعدّها الله في الفردوس لحفظ حياة ادم ونسله لو اطاع وصيته بان لا ياكل من ثمار شجرة معرفة الخير والشر . وزعم قوم ان شجرة الحياة هي شجرة المعرفة نفسها مخرجين قول الكتاب . شجرة الحياة في وسط الجنة وشجرة معرفة الخير والشر . بمعنى ان في وسط الجنة شجرة الحياة او شجرة معرفة الخير والشر كأن لهذه الشجرة اسمين وقالوا ان حرف العطف في العبرانية يتحمل معنى التقسيم والتفسير ايضاً . الا ان الاظهر والاطبق لنص الاية المذكورة وغيرها انهما شجرتان ولا وجه لجعل الله للامرين شجرة واحدة وزعم بعضهم ان شجرة معرفة الخير والشر كانت من طائفة التفاح واستدلوا على ذلك بقول نشيد الانشاد (ف ٨ عد ٥) « لقد نهتكم تحت شجرة التفاح هناك وضعتكم امك ، وفي بعض النسخ « هناك فقدت امك برارتها ، والصحيح انه لا يمكن القطع بنوعها

ومهما يكن من هذه المباحث فان الله نهى ادم وحواء عن الاكل من ثمر هذه الشجرة اختباراً لطاعتها وليعلمنا انه ربهما وخالقهما وان العالم لم يوجد من نفسه بل هو خالقه ومدبره فيلزمهما الازعان لامره خاصة لانه سلطهما على كل ما في العالم ولا يتبغى منهما بدلاً من ذلك الا الخضوع له والاقرار باحسانه فثله مثل مالك كريم ساطر رجلاً على ملكه ولم يطلب منه بدلاً الا ما يتبين به ان الملك للمولى وان المنتفع تحت امرته فحظر الله على ادم وحواء الاكل من ثمر شجرة واحدة تقريراً لسلطته وهددها باليم العقاب ان عصيا

على صنيعه فاعتذر بان امرأته اعطته فاكل من ثمر الشجرة واعتذرت المرأة بمكر الحية بها فقتضى الرب عليهما وعلى نسلهما بالموت وبمشقة العمل لتحصيل معاشهم وعلى المرأة بمقاساة مشاق الحمل والولادة وعلى الحية باكل التراب والسلوك على صدرها وصنع الرب لادم وامرأته اقمصة من جلد وكساهما واخرجهما من جنة عدن ليحرث الارض التي اخذ منها واقام شرقي جنة عدن الكرويين وبريق سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة . فهذا ما جاء في الكتاب

ذهب مفسرو الكتاب واباء الكنيسة الكاثوليكية ان شجرة معرفة الخير والشر لم تسم كذلك لخاصة جوهرية بها بل لوصية الله ونهيه عن الاكل منها ولما كان لاكل ثمرها من النتيجة ونجى عن التطويل بما قاله القديس يوحنا فمذهب في تفسيره سفر التكوين وهو . يحق لكل ان يسأل قائلاً اية قوة كانت في هذه الشجرة لتفتح ثمارها عقل من ياكل منها ولم سميت شجرة معرفة الخير والشر . . . ان اعين آدم وحواء لم تفتح لاكلهما من ثمر هذه الشجرة فانهما كانا قبلاً يبصران بل لاقترافهما المعصية باكلهما منه فلما خالفا النهي الالهي خسرا النور الذي كانا يجلبهما اذ جعلوا نفسيهما غير اهل له . وكذا أجيب على السؤال الثاني وهو لم سميت هذه الشجرة شجرة معرفة الخير والشر قائلاً زعم بعض الحكماء ان آدم لم يكن يميز بين الخير والشر الا بعد ان اكل من الثمر المحظور اكله وتلك حماقة متناهية . . . فمن يجسر ان يزعم ان الانسان لم يعرف الخير والشر الا بعد اكله الثمر المنهى عنه وهو قد كان من قبل مملوءاً من الحكمة (كما اثبت الكتاب) . . . فيقال ان الكتاب نفسه سمى الشجرة شجرة معرفة الخير والشر اجل وما على هذا من تكبير ولكن كل من له شئ من المام باساليب كلام الكتاب ادرك باقل تكلف ما يراد بهذا التعبير فلم تسم الشجرة بهذا الاسم لانها اولت الانسان معرفة الخير والشر بل لانها كانت وسيلة للمعصية

والمنقول وقدماء المكسيك في شأن الفردوس الارضي . ونكتفي بهذا الاجمال
حُبًا بالايجاز وتقاديًا من ملل المطالع

الفصل الخامس

(في شجرة الحياة وشجرة معرفة الخير والشر والحية ومعصية الانسان)

اننا نثبت اولاً ما جاء في الكتاب في هذا الامر ونتبعه ببيان المراد به
بموجب التعليم الكاثوليكي ثم نؤيده بذكر تقليد القبائل القديمة واثارها

﴿ عد ١٥ ﴾

❧ في شجرة معرفة الخير والشر وشجرة الحياة ❧

جاء في سفر التكوين (ف ٢ و ٣) . وانبت الرب الاله من الارض كل
شجرة حسنة المنظر وطيبة الماكل وشجرة الحياة في الجنة وشجرة معرفة الخير
والشر . . . وامر الرب الاله الانسان قائلاً من جميع شجر الجنة تاكل واما
شجرة معرفة الخير والشر فلا تاكل منها فانك يوم تاكل منها موتاً تموت . . .
وكانت الحية احيى جميع حيوان البرية فقالت للمرأة ايقيناً قال الله لا تاكلان
جميع شجر الجنة فقالت المرأة للحية من ثمر شجر الجنة تاكل واما ثمر الشجرة التي
في وسط الجنة فقال الله لا تاكلان منه ولا تمساه كيلا تموتا فقالت الحية للمرأة
لن تموتا انما الله عالم انكما في يوم تاكلان منه تفتحن اعينكما وتصيران كالهة
عارفين الخير والشر ورأت المرأة ان الشجرة طيبة للماكل وشهوة للعيون فاخذت
من ثمرها واكلت واعطت بلعها ايضاً منها فاكل فانفتحت اعينهما فعلمتا انهما
عريانان فخطا من ورق التين وصنعا لهما مأزر ثم يقول ان الرب ظهر لآدم فونه

هذا المحل الاول . وليس من غرضنا ان نرجح القول الاول على الثاني بل اننا
ايضاً نراه محتملاً

﴿ عد ١٤ ﴾

— تقليدات القبائل في شأن الفردوس الارضي —

حفظت اكثر قبائل المعمور ذكر الفردوس الارضي واقوى شاهد لذلك
إدعاء كل منها ان هذا الفردوس كان في ارضها كما رأيت في العدد السابق . وقد
مرّ بك ذكر الحديقة المقدسة التي كان يجعلها الكلدان القدماء في اريدو ويطرغون
بوصف جمالها . وجعل كثيرون مهد البشرية على الجبال الشامخة في اسيا
الوسطى بجانب ينابيع الانهر الكبرى فزعم الهنود ان الاربعة والخمسة الانهر الكبرى
كانت تجري من شمال الجبل المقدس وهو حملايا (او هملايا) وتسقي جهات
العالم الاربع . رواه لوكان في كتابه في تقليدات البشر (١) مجلد ١ صفحة ٩٨
واعتقد الايريانيون القدماء ان في اعلى جبال بلادهم ينبوع تجري منه امواه
محيية منحدرة من السماء فتصدر الخصب في الارض كلها رواه لوكان ايضاً في
المحل المار ذكره . ووصف الصينيون المحل الذي كان مهدياً للبشرية بانه جبل
في وسط سهل خصب في اسيا الوسطى وفي هذا الجبل جنة يهب فيها ابداً النسيم
العذب وموقع هذه الجنة عند ابواب السماء المغلقة والامواه الجارية فيها
غزيرة وصفراء ومصدرها يسمى منبع عدم الميتوة ومن شرب منه لا يموت
ويتفرع الى اربعة انهر تجري نحو الجهات الاربع روى هذا ايضاً المؤلف المذكور
واطال في تعداد هذه التقاليد واسهب الاب داراس (٢) في تاريخه اليعمي (مجلد
١ صفحة ١٤٤) بايراد تقليدات الصينيين والهنود واليونان والفرس واليابانيين

(١) H. Luken Traditions de L'humanité

(٢) L'abbé Darras. Histoire Ecclésiastique

الفرات ودجلة منبعهما في هذه الديار ومصدر دجلة على بعد نحو من ساعة عن الفرات في الشمال من ديار بكر واما فيشون فهو اما النهر الذي سماه القدماء فاش او فاس ويحتمل ان يكون النهر المسمى الان ريون ويجري من الشرق الى الغرب ويصب في البحر الاسود واما نهر كور الذي سماه القدماء كورش ومنبعه في نواحي القرس غير بعيد عن المنبع الغربي للفرات ويصب في بحر الخزر المسمى بحر قزوين ايضاً بعد ان تختلط مياهه بمياه نهر اركس الاقي ذكره وحويلة التي يسقيها فيشون هي اقليم كولشيد الواقع بين جبل قاف شمالاً والبحر الاسود غرباً والمشهور بالمعادن الثمينة كما في الكتاب . واما جيحون فهو النهر المسمى الان الرس وكان القدماء يسمونه أَرَكْسُ ويسميه العرب جيشون او جيحون الرس والقرس جيون ومنبعه في جوار المنبع الغربي للفرات ويصب مع نهر كور في بحر الخزر وارض كوش التي يحيط بها على ما في الكتاب هي بلاد الكوسيين او الكوشيين (Koscéns) الواقعة بين بلاد فارس جنوباً وجبل قاف شمالاً وفي وسط هذه البلاد بحيرة تسمى الى اليوم كوتشا فهذا ما قاله الاب فيكورو في الوجيز الكتاني وهو اشبه بما رواه كمت في معجم الكتاب في كلمة فردوس

وليس لمثلنا ان يرجح او يضعف اقوال مثل هولاء العلماء الاعلام لاسيما لقصر يدنا عن الكتب اللازمة مطالعتها في هذه المسائل الغامضة لكننا على مزيد اجلانا للاب فيكورو واعترافنا بطول باعه وكثرة مطالعته نرى تنديده بقول من زعموا ان الفردوس كان في نواحي بابل قاصراً وغير سديد لاسيما ان برهانه الاخير بان سهول بابل استمرت معمورة يمكن عكسه على القول الذي رآه اشبه بالحق بان يقال بان الانسان خسر المحل الاول وحظر عليه وعلى نفسه الدخول اليه والحال ان ارمينيا استمرت دائماً معمورة فلا تصلح ان تكون

نهر تسير فيه السفن والعلامة « ك » في هذه اللغة تحمل لفظ كوفيسير الاسم كوحان وهذا لا يبعد عن كلمة جيحون والكلمة بيشان وبيشانو في الاشورية معناها قناة فربما سمي الكلدان بالا كوباس بيشان اي القناة علماً له والفرق بين بيشان وفيشون ليس كبيراً وبذل الباء بالفاء مستفاض فهذه خلاصة مذهب داليتش (١)

على ان الالب فيكورو تعقب داليتش بمذهبه هذا مندداً به وقال انه نظري لا يطابق حقيقة نص موسى لاسيما من جهة النهرين فيشون وجيحون اللذين جعلهما داليتش فرعين عن القرات وذكرهما موسى اولاً كأنهما اصلان ولم يذكر القرات الا في المحل الرابع وان سهول بابل يسميها الكتاب شعمار لا عدن . واخيراً ان الانسان الاول طرد ونسله من الفردوس الارضي وحرّم عليه الدخول اليه وسهول بابل استمرت دائماً معمورة مأهولة من اقدم الايام الى نهاية مملكة الفرس وصرح فيكورو انه يرى الاقرب الى الصدق مذهب القائلين بان الفردوس كان في جهة ارمينيا ولم يورد ادلته في كتابه المسمى الكتاب والاكتشافات الحديثة بل في كتابه الاخر الموسوم بالوجيز الكتاني (٢) وهوذا ملخص ما قاله في هذا الكتاب عد ٤٨٧ ان الطوفان والانتقالات العديدة التي شوهت وجه بعض الارضين يحتمل ان تكون بدلت هيئة المكان الذي كان فيه الفردوس الارضي فجعلت المبحث مشكلاً يتعسر حله على ان القول الذي يظهر اقرب الى الحق انما هو قول من جعلوا الفردوس في ارمينيا في تلك الهضاب التي ما برحت من اخصب الارضين في المعمور واخص من بث هذا المذهب ودافع عن صحته كلمت (في مقالته في الفردوس وفي معجم الكتاب) ويؤيده ان

(١) ملخص عن الكتاب والاكتشافات الحديثة للالب فيكورو مجلد ١ صفحة ٢١٤

الى ٢١٨ طبعة ٤

كاسي او كاشي فاذا يرد في الكتاب اسم كوش دالاً على شعبين احدهما في افريقية يراد به الحبشة وما جاورها والثاني في اسيا من حيث خرج نمرود بن كوش وملك في بابل (تك فصل ١٠ عد ١٠) قلنا ان بني كوش بن حام كانوا اولاً في اسيا قبل ان يرتحلوا الى افريقية ولا بد ان يكون قد بقي منهم بقية في مهاجرهم الاصلية فحق لموسى ان يسمي بلادهم بلاد كوش وهذا ما يجعلنا نرى انه كان الاول ان يترجم النص العبراني في نسخة الاباء اليسوعيين بكلمة كوش بدلاً من كلمة الحبشة ومن براهين داليتش على مذهبه ان ارض حويلة (ارض الرمل) التي ورد في الكتاب ان فيشون كان يسميها يراد بها الارض المتاخمة الفرات من برية سورية وان الذهب والمقل وحجر الجزع توجد في انحاء بابل فحويلة على الضفة الغربية من الفرات وكوش على ضفته الشرقية فالفرات اذاً هو الذي يسقي جنة عدن بارؤسه الاربعة التي يضحي كل منها نهراً مستقلاً مع دجلة وتحت بابل قناتان كبيرتان من امواه الفرات وكل منهما نهري سمي احدهما بالاكوباس يسقي مدينة اور التي خرج منها ابراهيم ويصب في الخليج العجمي وهو فيشون على رأي المؤلف . واثاني هو شط النيل كما سماه العرب وهو نهر ايضاً ينفجر من الفرات وهو جيحون على رأيه ويسقي ارك التي ذكرها سفر التكوين (ف ١٠ عد ١٠) ثم يلتحم مع الفرات وهناك بلاد كوش والمدن الاربعة التي كانت لنمرود ابنه وهي بابل وارك واكد وكلثه كما انبأنا سفر التكوين في المحل المذكور آنفاً . وقال داليتش استدراكاً لما يرد عليه من ان اسمي بالاكوباس وشط النيل لا شبه بينهما وبين اسمي فيشون وجيحون انه لا يلزم ان تتناسى ان هذه الاعلام عرضة للتغير والنقل وان شط النيل كان اسمه في اللغة البابلية ارحتو وهي قريبة من **أرحو** الطريق ولكن كان يسمى في اللغة السومارية كاحان وذكره سنحاريب مرات وتبين من كلامه انه

ضواحيها واسند قوله الى بعض بينات محلية منها ان هذه المعاملة سميت مراراً في الآثار القديمة • غان دونياس • اي جنة دونياس فغان تقرب من الكلمة السريانية ^٢ ܡܕܢܐ ومعناها جنة او حديقة ودونياس اسم اله عندهم • وهذا التعبير يقرب من غان ادن اي جنة عدن • ومنها ان نهريْن من انهر الفردوس الاربعة اي دجلة والفرات يسقيان سهول بابل الخصبة • ومنها انه وجد في مكتبة اشور بانيبال في نينوى تسابيح قديمة في اللغة الاكادية والاشورية تفيض بذكر حديقة مقدسة مغروسة في اريدو وهي ابوشارين الان على مقربة من بابل • وقد جدّد راولينسون بقوله هذا مذهب السيد هوا اسقف افراش (١) في فرنسا الذي نشر كتاباً مخصوصاً في موقع الفردوس الارضي طبع في باريس سنة ١٦٩١ وتابعه غيره من العلماء في هذا المذهب على ان الذي عنى بتأييد هذا المذهب انما هو فريدريك داليتش (٢) معلم اللغة الاشورية في كلية لبسيك وافرد له كتاباً مخصوصاً طبع في لبسيك سنة ١٨٨١ جدّ فيه ليثبت ان مهد النوع البشري كان في السهول التي بُنيت فيها بابل بعد ذلك ومن براهينه اولاً ان دجلة كان في اقدم الايام يلتحم مع الفرات في شمالي بابل مسافة طويلة ثم يفصل عنه في جنوبها • ثانياً ان فيشون وجيحون ليسا نهريْن حقيقة بل قناتان كبيرتان وان اسم ناهار الذي يسمّى به الفرات وفروعه الثلاثة بالعبرانية واللفظ المرادف له في الاشورية والبابلية نهرو وفي الاراميه السريانية نهروا نهرا وفي العربية نهر كل هذه الالفاظ تحتمل معنى القناة ايضاً • ثالثاً ان ارض كوش التي جاء في الكتاب ان جيحون كان يسقيها يراد بها ارض الدولة العيلامية التي كانت تلي بابل في اقدم الايام وورد في الآثار القديمة ذكرها مسماة

(١) Huet évêque d'Avranche de Situation du paradis Terrestre

(٢) Frédéric Delitsch

اليسوعين واسمه في الاثار القديمة حيدقلا او هيدقلا فلفظة حيد او هيد
معناها النهر اي نهر دافل وفي السريانية ܚܝܕܩܠا دِقَلت دجلة) وهو الجاري في
شرقي اشور والنهر الرابع هو الفرات .

قال كلمت (١) قلما وجد صقع في العالم لم يدّع بعضهم ان موقع الجنة
كان فيه فتعددت الاقوال في انه اذا كان في اسيا او افريقيا او اوربا او امركا او في
بلاد التتر او على شاطئ الكنج او في الهند او الصين او جزيرة سيلان او
ارمينيا او تحت خط الاستواء او فيما بين النهرين او سورية او بلاد فارس
او بابل او بلاد العرب او فلسطين او بلاد الحبشة حيث جبال القمر او على
مقربة من لبنان او في لبنان الشرقي او دمشق انتهى . اما نحن فلا نتصدى
للتحصى عن هذه المدعيات كلها ولا عما يقوله كل من القائلين بها ولا
نسأل لمن قال ان من تقليدات الموارنة ان موقع الفردوس الارضي كان في
ناحية اهدن فما ذلك من تقليداتنا ولا نعتقد نحن ولا غيرنا من علماء الموارنة هذا
التقليد صحيحا او عامما وما اتى في كتب بعض علمائنا من ذلك جيء به مفاكهة
او توسعا بايراد ما كتبه بعض علماء اوربا في هذا الشأن فجعل ما نتممه هنان
نبين ان هذه الاقوال العديدة لا يظهر لنا منها قريبا من الصدق الا قولان يجعل
احدهما موقع الفردوس الارضي في ما بين النهرين والثاني في ارمينيا . ولما كان
الكتاب صرح بذكر النهرين الشهيرين دجلة والفرات ولم تكشف الاثار ما
يخالف هذا الظاهر تعين ان يكون محل الفردوس الارضي في الانحاء التي فيها
هذان النهران اما من حيث منبعهما في ارمينيا واما من حيث مجراهما في ما بين
النهرين الى الخليج العجمي .

قال العالم انرى راولينسون ان موقع الفردوس الارضي بابل او احدى

(مجلة الجمعية الاسيوية في لندره في حزيران سنة ١٨٣٢) وفي البارو في جنوب امريكا يسمى الانسان الاول الذي ابدعته القدرة القديرة على كل شيء " الباكاسكا ، اي التراب المتنفس . ومن معتقدات قبيلة المندان في امريكا الشمالية ان الروح العظيم كَوْن صورتين من تراب ويسمهما وجعل فيهما نفساً بنفخ فيه وسميت الاولى منهما الانسان الاول والثانية قرينة او رفيقة . وقبيلة التهمين هناك تعتقد ان الاله العظيم كَوْن الانسان من تراب احمر (١) والحاصل ان ابنا آدم اينما حلوا تركوا اثرًا دالة على اصلهم كما كتبه موسى وان شوهدت الايام والجهل وعبادة الاوثان هذه العقائد

الفصل الرابع

﴿ عد ١٣ ﴾

— في محل الفردوس الارضي —

جاء في سفر التكوين (ف ٢ عد ٨ وما يليه) . وغرس الرب الاله جنة في عدن شرقاً وجعل هناك الانسان الذي جبله . . . وكان نهر يخرج من عدن فيسقي الجنة ومن ثم فيتشعب فيصير اربعة ا رؤس اسم احدها فيشون وهو المحيط بجميع ارض الحويلة حيث الذهب وذهب تلك الارض جيد هناك المقل وحجر الجزع . واسم النهر الثاني جيحون وهو المحيط بجميع ارض الحبشة (كذا في نسخة الاباء اليسوعيين والاولى ان يقال ارض كوش او الكوشيين لما سترى) واسم النهر الثالث حدافل (كذا في نسخة الاباء

ومن تقاليد اليونان الاقدمين ان الاله برومائه هو الذي كوّن الانسان من اربعة عناصر لاسيما التراب والماء وعلى قول آخرين من قدمائهم ان برومائه لم يكن بل وهبه الحياة بواسطة نار اخذت من السماء (١) واما الفرس فمن معتقداتهم ان اهورمزدا الاله الصالح العظيم خلق العالم والانسان في ست مدد متتالية مجموعها سنة مؤلفة من ٣٦٥ يوماً وآخر ما صنعه انما هو الانسان وان الانسان الذي برز من يدي الخالق ولا عيب فيه يسمى « كايومرستان » اي الحياة المائتة (٢) ومن معتقدات اهل الصين ان هوانكتي الروح القديم هو الذي خلق الانسان اولاً وكون الرجل والمرأة . وفي عبارة اخرى من كتاب تعليمهم الديني ان مينهوا يتبس التراب الاصفر وكون منه الانسان وان هذا هو الاصل الحقيقي للنوع البشري هذا ما رواه الاب كو في مقالة كتبها في الصينيين نقلاً عن علماءهم القدماء . وقد جمع عالم صيني في هذه الايام كل ما عثر عليه هناك من الاثار الدالة على الالهة القدماء فكان من جملته ان كائناً سامياً خلق الانسان الاول وان لباسه كان محزماً من اوراق الشجر . روت ذلك المجلة العلمية الموسومة بالدروس الدينية سنة ١٨٩٠ صفحة ٤٨٠ (٣)

بل ان القبائل الهمجية نفسها وسكان امركا الاولين وجدت عندهم اثار دالة على ما كتبه موسى في خلق العالم والانسان فقد وجد في برونستون (في نبسلفانيا من اعمال امركا الشمالية) صخر نقش عليه صور عديدة منها صورتا رجل وامرأة وبيد المرأة ثمر (تاريخ الفصاحة والصناعة مجلد ٩ صفحة ٢٨٠) ووجد في جزيرة جافا (احدى جزائر السند) صخر قديم منقوش عليه صورتا رجل وامرأة متمسكين باغصان شجرة عليها ثمر وحية ملتفة على جذعها

(١) فيكورو في المحل المذكور من معجم الكتاب ولازمان صفحة ٢٤ من المجلد المذكور
(٢) لازمان صفحة ٢٥ من المجلد المذكور

الهة اخرى ، وينفق الفريقان على ان العالم مخلوق وان الرب خالق وان اختلافهما في تصوره واسمه وعدده

وقد تبين من اثار مصرية عديدة ان المصريين الاقدمين اعتقدوا ان الاله السامي توم او خنوم (ومعناه مصور الكائنات وباريها) كَوَّن الانسان من تراب وترى في هيكل دندرة صورة ناتئة تصلح ان تكون مثلاً لما ورد في العدد السابع من الفصل الثاني من سفر التكوين من ان الرب جبل الانسان تراباً من الارض ونفخ فيه نسمة الحياة فتشاهد في تلك الصورة الاله خنوم جالساً على كرسي ويده الواحدة على رأس غلام يكونه والاخرى على رجله وتجاه الاله الالهة جاثية تقدم الى انفه رسم صليب في اعلاه حلقة او ممسك وهو رمز الحياة في عرفهم (انظر الصورة عد ١) وذكر لانرمان (١) صورة اخرى في هيكل اسنه تمثل الاله خنوم جالساً على كرسي ورافعاً يديه وامامه شخصان على عنقيهما عقد الملك وتجاهه الالهة بيدها رمز الحياة وهو الصليب تديه من انفيهما . (انظر الصورة عد ٢) وكثيراً ما ورد في اثارهم ان الانسان كَوَّن من طين النيل . ومن تقليداتهم المقررة ان مبدأ الاشياء المادية كلها هو السائل الاولي اي الامواه السموية ومن تقليدات الفينيقيين التي اوصلتها الينا فقرات سنكونياتون تسليمهم بانسان اول وامرأة اولى اوجدهما الريح كلياس وعرسه باهو (هو مشوش ما ورد في الكتاب عن الغمر توه وبوه وعن روح الرب الذي كان يرف على المياه) وان اسم المرأة ايون (يظهر انه ترجمة اسم حوآ اي الحياة) وانها هي التي اخترعت الاكل من ثمر الشجر وفي فقرة اخرى ، ان الانسان كَوَّن من الارض ومنه تناسل الناس (٢)

(١) في كتابه التاريخ القديم مجلد ١ صفحة ٢١ طبعة ٩

(٢) فيكوروفي معجم الكتاب ولانرمان في المحل المذكور صفحة ٢٠

اثار اشورية كثيرة ذكر يوم السبت او السابع من الاسبوع موصوفاً بانه يوم راحة لا يحل فيه عمل طبق ما جاء في التكوين (فصل ٢ عد ٣) وتسميه هذه الاثار ساباتوكا يسميه العبرانيون وبعضها يفسر الكلمة بمعنى يوم راحة القلب والحاصل ان الاثار الكلدانية تطابق نص موسى في خلق العالم والكائنات ولا تخالفه الا بما شوّهه الجهل او الشرك وعبادة الاوثان ولتنظر في اثار غيرهم من القبائل

ان الاثار المصرية ايضا يظهر منها ما يطابق كلام موسى في ابداع العالم . فقد نشر العالم شباس سنة ١٨٥٧ ترجمة ترنيم لازوريس احد معبودات المصريين يقال فيه ان ازوريس هذا صنع هذا العالم بيده امواهه ورقيعه ونباته وجميع ماشيته وطيوره واسماكه ودباباته وذوات الاربع فيه ، فالتعداد تام ويخلو عن الانسان فقط لان المصريين ينسبون خلق الانسان الى الاله توم او كوم كما سترى بعينه (١١) وهاك مقابلة بين كلام موسى واثار المصريين اوردتها العالم مريات في مقالة كتبها في ام الاله ايس ونشرها سنة ١٨٥٦ فقال : ان المصريين رغبة في الدلالة على مجموع الهتهم استعملوا كالتوراة (في كلمة الوهيم) تعبيراً دالاً على الجمع وللنفرد في هذا التعبير المحل الاول اذ من وراء الجمع اله وحيد يُراعى به تعداد قواته ككلمة الوهيم في التوراة . واكن حيث يقول العبراني في الاله غير المتناهي ، ان الرب الاله (الوهيم) خلق . بالنفرد يقول المصري لما لا يخفى من مبدئه ، ان الرب الالهة خلقوا ، بالجمع على ان الاله الوحيد عند المصريين ليس الاله الوحيد عند اليهود فوسى لاستمساكه بتصور الاله العظيم يصرح بدون خوف بقوله يهواه الوهيم خلق والكهنة المصريون يروغون ولا يمكنهم ان يقولوا الا ان الرب الالهة خلقوا لاعتبارهم الرب بمنزلة مجموع

شهر تم (ايها القمر) دائرتك وفي مبتدئها يستحوز الليل فلا ترى القرون
(كأنه يريد جوانب القمر) . . . وفي اليوم السابع تكمل الدائرة من اليمين
الى الشمال ولكن يبقى النصف منه محجوباً بالظلام وفي وسط الشهر تكون
الشمس في اعماق السماء عند بزوغك . . . فاطلع وغب بحسب الشرائع
الابدية . وترى القمر هنا مفضلاً على الشمس كما في سائر افاصيص الاشوريين
فان الاله اور او سين اي القمر عندهم مقدم على الاله شماش اي الشمس
وقد وجدت فقرة يظن انها من بقايا الصنيعة السابعة تطابق ما قيل في
الكتاب عن مبرؤات اليوم السادس وهي : وفي هذا الزمان ابدع الالهة
باجتماعهم . . . ثم كونوا مخلوقات حية . . . حيوانات البرية ووحوش البرية
ودبابات البرية . فترى تقسيم الحيوانات الى ثلاثة اصناف طبق ما قيل في
الكتاب (تك فصل ١ عد ٢٥) : فوضع الله وحوش الارض بحسب اصنافها
والبهائم بحسب اصنافها وكل دبابات الارض بحسب اصنافها ، واما الثورات
التي موضوعها خلق الانسان فهي مفقودة او مشوهة حتى لا يمكن تحصيل
معنى اكيدها ومع هذا حسب سميت انه استطاع منها على خطاب القاه الله
على الانسان الاول والمرأة الاولى حضهما به على العمل بما فرض عليهما
واوصاهما بالمحافظة على البرارة والتقوى . وروى لانرمان (١) انه وجدت
فلذة من اجز يظن انها من الصفائح المذكورة (المحفوظة كلها في المتحف البريطاني)
كتب عليها ان اياً اله الفهم السامي ورب الحكمة هو الذي صور بيديه الجلبة
البشرية لتكون خاضعة للالهة وهو اله الحياة البارة والمرشد الى التقوى وهو
الذي يحيي الموتى . . . والرحيم الذي به الحياة .
ثم ان اسم آدم في الاشورية . ادمي او ادمي ، عن العبرانية وقد وجد في

خلق الارض . وفي الرابع ابداع الاجرام السماوية . وفي الخامس ابداع
الحيوانات الارضية . وفي السادس وهو مؤلف من ثلث صفائح خلق الانسان .
وفي السابع وهو مؤلف من عدة فقرات الحرب بين الالهة والارواح الشريرة
وهاك ما كتب اولاً ويظن لتكسر الصحائف انه من الصفحة الاولى . انه كان
وقت لم يكن يسمى فيه ما فوق سماء ولا ما تحت ارضاً فالعمر غير المتناهي
كان اصلها (اي اصل السماء والارض) والعمر الذي تولد منه كل شئ كان
كاؤس (اي عديم النظام) فلجمعت الامواه معاً وكان حينئذ ظلام دامس ولا
شئ من النور وكانت ريح عاصفة . . . ولم يكن اسم تسمى . ثم يفصل موالد
الالهة . وما احرى هذا الكلام ان يكون شرحاً لايات سفر التكوين . وكانت
الارض خاوية خالية وكان على وجه القمر ظلام وكان روح الله يرف على المياه.
على ان الصفائح الثلاث التابعة الاولى لم تزل مفقودة ويرجح انها تشتمل
على تاريخ ابداع النور ثم الجلد او الرقيق ثم تبيس الارض وابداع النبات
ووجدت فقرة موجزة يتبين منها جعل الارض يابسة كتب فيها . وعندما وضعت
دعائم الارض فسميتها اساس الارض . . . انت جملة السماء . ثم ان ما
كتب في الصفحة الخامسة يطابق ما كتبه موسى في مبدعات اليوم الرابع فان
هذه الصفحة تنبئنا بابداع الكواكب والقمر والشمس لتكون علامات تفصل
بين الفصول والايام والسنين كما جاء في سفر التكوين ودونك ما كتب فيها ان
الاله قسم المنازل وهي سبع عدداً على الالهة الكبار وعين الكواكب لتكون
مراكز للدوائر السبع وخلق مدار السنة وقسمه الى عشرات وجعل لكل من
الاثنى عشر شهراً ثلاثة كواكب من يوم بداية السنة الى نهايتها واعطى الاله نبير
منزله لتجدد الايام في حدودها كيلا تقصر ولا تفتني . . . وعهد الى نازار
(القمر) ان ينير الليل وجعله يتجدد ليخفف ظلام الليل ويديم النهار فقي كل

هو اكثر بياناً ان باروز المار ذكره قال في تاريخه ان اواناس الذي جعله اول انسان كتب كتاباً قال فيه . انه كان زمان لم يكن فيه الا ظلام وما . الى ان يقول . وكانت امرأة اسمها اوموركا تولت الخلق يسميها السكلدان تهوت (او تهومت) وفي اليونانية الغمر وبينما كانت الاشياء في هذه الحال اتى بالوس (الاله) فشق المرأة (اي البحر او المياه) نصفين فسكانت الارض من نصفها السفلي والسما من نصفها العلوي (وفسر باروز ذلك بقوله) هذا كلام مجازي يتبين منه خلق العالم والكائنات من مادة رطبة وكذا ميز بالوس وهو الذي يسميه اليونان ثاؤس (الله) النور من الظلام وفصل السما عن الارض ورتب العالم . . . وكون الكواكب والشمس والقمر والسيارات الخمس . وقد جاءت اثار الاشوريين والسكلدان وصورهم مصداقاً لما كتبه باروز في تاريخهم .

واوضح مما مر ما ترجمه العالم جرج سميت (١) عن بعض صفائح الاجر في مكتبة نينوى التي اكتشف عنها لايرد ونشره في اواخر سنة ١٨٧٥ فانه عثر في هذه المكتبة على صفائح يظن اصلها اثنتي عشرة صفيحة كتب عليها تاريخ خلق الكائنات ولسو البخت لم تخل احداهما من تشويه على ان الباقي وافٍ بشيء من المقصود وقد كتب على هذه الصفائح في عهد اشور بانيبال ملك اشور نحو سنة ٦٧٠ ق م لكن المكتوب نسخة عن نصوص اكثر قدماً مأخوذة من بلاد السكلدان وقد برهن سميت ان النصوص الاصلية كتبت من اكثر من الف سنة قبل الميلاد حتى يترجح ان هذا التقليد الذي حفظه لنا المكتبة الاشوريون اقدم من ايام موسى بل من ايام ابراهيم ايضاً وقد نظم سميت ما وجده في هذه الصفائح في اقسام فجعل في الاول منها الكلام في الكاؤس اي الغمر وعدم الانتظام ومولد الالهة . وفي الثاني تأسيس الغمر . وفي الثالث

التكوين نسخة عن التقليد السكنداني نقاها موسى بالهام الله من ضلال الشرك ومذهب الحلول (اي انتشار الاله في كل موجود) اما ان تعليم سفر التكوين وتعليم كهنة السكندان نسختان عن اصل واحد عام هو التقليد الاولي حفظت الاولي منهما بعناية الله سالمة وشيت الثانية باحاديث خرافة واقاصيص ادخلها كهنة الاوثان تمكيناً لمزاعمهم ولم يتمكنوا من اخفاء الاصل وان شو هو واولاً ان الاثار السكندانية عند ذكرها خلق السماء والارض تذكر السماء قبل الارض كما في رواية موسى . ومما يستدعي الالتفات انه وجدت اثار كتب عليها بلث لغات الفارسية والسوسية والاشورية ما يتعلق بخلق العالم وكل من هذه الكتابات ترجمة حرفية عن الاخرى الا في كلمة « بوميم » التي هي في الفارسية بمعنى الارض فانك ترى تجاهها في الاشورية كلمة دالة على السماء في اثار عديدة كتبت بهذه اللغات الثلث معاً فاثبت تعدد الكتابات على نمط واحد ان الامر لم يكن اتفاقاً ولا سهواً بل غرضاً مقصوداً ولدى التفحص عن وجهه وجد ان الفرس يسمون هرمزدا ابا الارض والسماء والاشوريين يعتقدون الاله خلق السماء اولاً ثم الارض فالترجم الفارسي ابي مجارة الاشوريين في معتدهم . ومهما يكن فذلك دليل صراح على ان الهما خلق العالم ثم قد مر بك ان قول الكتاب « وكانت الارض خاوية خالية » هو في العبرانية توه وبوه اي عديمة النظام وان الظلام من قوله « وعلى وجه النمر ظلام هو في العبرانية تهوم فقد وجد في اثار الاشوريين كلمة بوه مراداً بها آلهة النمر اي البحر او آلهة الكاؤس اي التشوش وعدم النظام فكأنهم سموها بذلك للدلالة على قدمها او على معاونتها في انتظام ذلك البوه وقد وجد ايضاً في بعض اثار السكندان تسمية احدى معبوداتهم تهوم او تهومي ومعنى الكلمة عندهم النمر او مجتمع الماء والبحر . واللجة . ولنا الى ما

﴿ في اثبات ابداع الله العالم والانسان بالاثار القديمة ﴾
 اذا تبصرنا في اثار كل القبائل القديمة لا سيما بعد الاكتشافات الحديثة القينا
 عندها التقليد الدال على خلق العالم والانسان كما جاء في الكتاب وان مشوباً
 بحكايات واقاصيص ادخلها الجهل وعبادة الاوثان على التقليد الصحيح . ولما
 كان موسى من ذرية ابراهيم وابرهم هاجر ارض الكلدانيين آتياً الى ارض
 الكنعانيين واستودع ذريته التقليد الصحيح في خلق العالم وما تبعه كتبه موسى
 كما تلقاه من اجداده فلماذا اذا عارضنا ما كتبه موسى بما اكتشف من اثار
 الكلدان القديمة المهذ وجدنا ما كتب في بابل وبلاد الكلدان في خلق العالم
 وما يليه شديد المطابقة لما كتبه موسى وكأنه لا فرق بينهما الا في بعض الشوائب
 المشار اليها والا من حيث التعليم بوحدانية الله في كتب موسى وبالشرك في ما كتبه
 الكلدان في اثارهم حتى اذهلت هذه المطابقة ابا الكنيسة وهم لم يكونوا يعلمون
 من تقليد الكلدان الا ما كتبه باروز الكاهن البابلي في اليونانية في عصر
 خلفاء اسكندر كاشفاً عن تاريخ بلاده منذ خلق العالم فكيف الان وقد اكتشف
 عن اثار عديدة انبأتنا ما كان تعليم المدارس الكهنوتية على ضفات الفرات ودجلة
 وظهر لنا منها ان تكوين العالم كان في ستة ايام وان المخلوقات كَوْن بعضها
 بعد بعض في النظام نفسه الذي كتبه موسى وقصت علينا اخبار الطوفان وبلية
 الاسن وتفرق الامم كأنها واخبار موسى سواء الا من حيث الوحدانية
 والشرك والتباين في الاسماء والتشوش ببعض اقاصيص وثنية حتى قال فرنسيس
 لانرمان (١) انه يحق لنا ان نرى احد امرين اما ان ما كتب في سفر

من عظامي ولحم من لحمي ، وسمى الكتاب المرأة حوا ومعناه الحياة لانها والدة
الاحياء في البشر . وما احسن ما قال القديس توما (١) ان الله لم يأخذ حوا
من رأس آدم لثلا تدعي ان تدبره وتسلط عليه ولا من رجله لثلا يحترقها
ويقتدها جارية له بل اخذها من وسطه ليعتبرها ويحبها كجزء من جسمه .
زعم الكاردينال كايانوس (٢) ان كلام الكتاب في تكوين حوا من احدى
اضلاع آدم انما هو مجازي لا تاريخي حقيقي وعلل رأيه بانه لو كان هذا الكلام
تاريخيا وضعيا لأدنا الى القول باحد محالين اما ان آدم كان مسخا لزيادة ضلع في
تركيب جسده اما ان جسده كان بعد اخذ الضلع ناقصا غير كامل وقد كان
اوريجانوس جنح الى مثل هذا التفسير (في رده مزاعم شلسوس) فالكيسة لم
تحرم حتى الان القول بمقال كايانوس لكن ابائها مجمعون على خلافه . فقال
القديس ابرونيوموس (٣) ان الله جبل آدم وكوّن حوا من جنبه ، وقال القديس
اغوستينوس (٤) ان كلام موسى في سفر التكوين ليس البتة مجازيا او من
باب الكناية كنشيد الانشاد بل هو ايراد اخبار وضعية مقرونا بالسذاجة والامانة
كاخبار سفر الملوك ومن الضلال القطيع الزعم انه لا يورد تاريخا وضعيا الا بعد
ذكر الطرد من الفردوس الارضي ، على ان برهان الكاردينال كايانوس قاصر
ضعيف المستند نقول هذا على اجلنا لمقامه وعلمه أفلا يقدر الله على ذلك ؟
فهذا هو المحال حقيقة واخذ ضلع من جسد آدم لا ينتج منه انه كان مسخا ولا
انه امسى بعد ذلك ناقصا اذ صرح الكتاب بانه سد مكان الضلع بلحم ومن
يعلم قدر ما اخذ الله من جسد آدم (٥)

(١) مجلد ١ بحث ٩٢ (٢) مجلد ١ صفحة ٢٢ من تاليفه المطبوعة في ليون

(٣) في تفسيره رسالة فيليمون (٤) في تفسيره الحرفي لسفر التكوين

(٥) ملخص عن الوجيز الكتاني للاب فيكورو عد ٢٨٦ Vigouraux manuel biblique

السادس الذي أنبأنا موسى ان الله خلق الانسان فيه
وعليه فتاريخ موسى مطابق لما اكتشفته العلوم الطبيعية طباقاً تاماً من حيث
الجوهر ولما كان موسى لم يعتمد ان يكتب الا تاريخ الانسان ابتداءً تاريخه من
خلق الانسان لا من خلق المادة الاولى واكتفى بالاشارة الى ابداعها والى
تكون سائر الكائنات دون ان يتعرض لذكر كمية السنين التي مرت قبل خلق
الانسان وقد مر ان العلماء مجمعون على انها الوف مائة من السنين .

﴿ عد ١١ ﴾

✽ في خلق الانسان ✽

اننا نراه تعالى استعمل نوعاً مخصوصاً في خلق الانسان فاجتزأ بمجرد
الامر في خلق سائر الكائنات بقوله ليكن نور ولتكن نيرات ولتنبت الارض
نباتاً الى الاخر. واما في خلق الانسان فكانه عقد مشورة اذ قال لنصنع انساناً على
صورتنا ومثالنا وليتسلط على سمك البحر وطيير السماء والبهائم وجميع الارض
فما ذلك الا لانه جعله مترفعاً على الكائنات الارضية متسلطاً عليها كأن الارض
وما سُخِّرَ لها خلقت له . ثم عاد الى الكلام في تكوينه في الفصل الثاني من
سفر التكوين فقال : ان الرب الاله جبل الانسان تراباً من الارض ونفخ في انفه
نسمة حياة فصار الانسان ذا نفس حية ، مييناً بذلك انه مؤلف من جزئين
ترابي وهو الجسد وروحاني وهو النفس جزء كونه من تراب وجزء بسيط
اكسبه اياه بنفخه في انفه نسمة الحياة وسماه بعد ذلك آدم ومعنى الكلمة احمر
مأخوذاً عن ادمه بالعبرانية ومعناها التراب الاحمر الذي جبله منه كأنه ليتذكر
دائماً ان اصله من تراب ثم قال الكتاب : ان آدم لم يوجد له عون بازائه فاولع
الرب الاله سبائاً على آدم فنام فاستل احدى اضلاعه وسد مكانها بلحم وبني
الرب الاله الضلع التي اخذها من آدم امرأة فاتي بها آدم فقال ها هذه المرأة عظم

الكواكب الثوابت وليس في علم الفلك ما يعترض به على هذا المذهب . . .
فلا محل هنا اذا للبحث في تناقض بين علم الفلك والكتاب .

لما كان النبات الذي وجد في العصر الثالث امتص كمية كبرى من الاكسيد
اي الحامض الكربوني وجاءت اشعة الشمس في العصر الرابع تزيد الحرارة
والنور فتتقي الجو وصلحت الارض للحياة الحيوانية فابعد الله حيوانات البحر
والطيور اولاً طبق قول موسى ان الله خلق في اليوم اي العصر الخامس
زحافات البحر والحيتان العظام والطيور . وقد قسم علماء الجيولوجية عصر التوليد
هذا الى ثلث مدد المدة الثانوية وهي عبارة عن العصر الخامس في كلام موسى
والمدتين الثالثة والرابعة وهما عبارة عن العصر السادس في كلام موسى وطبقات
الارض تثبت هذا التقسيم اثباتاً قاطعاً . واخص ما يستدل به على المدة الثانوية
طبقات صخور ترى في محال عديدة وفيها بقايا حيوانات بحرية ظاهرة وكثيرة
وقد وجد في طبقة الارض هذه بقايا زحافات كبيرة هائلة حتى كان طول
بعضها عشرين متراً واكتشفت فيها ايضاً بقايا طيور كبيرة من نوع النعام
ولم يوجد البتة اثر لطائر قبل هذه المدة كل ذلك مصداق لما كتب موسى ثم
ان هذه المدة الثانوية لم يوجد فيها شئ من الاثار لذوات الائناء اي البهائم
والوحوش وتلك بينة اخرى قاطعة على صحة كلام موسى ان الله اوجد البهائم
والدبابات والوحوش في اليوم اي العصر السادس الموافق بداية المدة الثالثة في
كلام علماء الجيولوجية وقد اكتشف في طبقة الارض المنسوبة الى هذه المدة
بقايا بهائم وذوات اربع في محال عديدة وبعضها كبير الهيكل كثيراً ووجد في
طبقة الارض عند الانتقال من المدة الثالثة الى الرابعة بقايا ذوات اثناء قريبة
من ذوات الائناء في ايماننا . ولا توجد اثار مؤكدة لبقايا الجسم الانساني الا
في طبقة الارض المنسوبة الى المدة الرابعة الموافقة لآخر اليوم اي العصر

قول اخرين تجمد قسم من البخارات المائية المسماة المياه السفلى وفصلها عن المياه التي لبثت في حالة البخار فسمها مياهها علوية

على ان الجو لم يكن حينئذ نقياً حتى يمكن ان يتصل الى الارض نور كافٍ الا لانما النبات فيها فان النور ضروري لنمو النبات فاذا صلحت الارض لذلك في العصر الثالث جعلها الله فيه تثبت نباتاً يبذر بذراً طبق ما قال موسى ان الله خلق النبات في اليوم الثالث على انه قد تبين لعلما الجيولوجية من الاثار التي اكتشفوا عنها انه لم يكن في هذا العصر الثالث كل انواع النبات بل ما كان منها اقل احتياجاً الى النور والحرارة ولم يكن نبات هذا العصر زاهياً بالوانه بل كان اكثر نمواً وضخامة وباقي النباتات اوجده الله بعد ظهور الشمس والقمر في العصر الرابع وذكره موسى هنا قبل وقته مستطرداً لئلا يتكلم مرتين على خلق النبات. وطالما اعترض الكفار على تاريخ موسى قائلين كيف ينمو النبات دون الشمس وقد وجد قبلها ويكفي مؤونة رد زعمهم ما قاله العالم بفاف (١) ان النبات لا يحتاج الشمس بل يكفيهِ النور والحرارة وليس من يمتري بوجودهما قبل الشمس ، وقد اختبر بعض العلما انما بعض النبات فكفاهم له ضوء كبير من الغاز قد ذكر موسى ان الله خلق في اليوم اي العصر الرابع الشمس والقمر والكواكب وذهب بعض العلما ان الشمس كانت في الاعصر المائقة كجرم منير ولكن لم تكن اشعتها تتصل الى الارض لعدم صفاء الجو وحيث ان موسى كان يكتب تاريخ الارض فلم يذكر ابداع الله لها الا عند اتصال اشعتها اليها وانتفاعها بها . على ان فهم كلام موسى بحسب ظاهره وحرفيته لا يضاد العلم بشيء . قال العالم بفاف (في المحل المار ذكره) ان شمسنا كوكب حقيقي ثابت وعليه فظهورها بمنزلة كوكب ممتاز عن غيره يحتمل ان كان مع ظهور سائر

للمطابقة بين اكتشافات العلم وما كتبه موسى فالمذهب الذي يسلم به عامة العلماء بهذا الفن ان الذرات (التي سماها بعضهم الاثير لفظ يوناني) اي مبدأ المادة ومبدأ تكون السماء والارض خلقها الله اولاً وقد انبأنا اكتشافات الاب ساكي اليسوعي وغيره ان التركيب الكيماوي في الاجرام السماوية والارضية واحد في اصله وجوهره . وكان الظلام في البدء عاماً طبق ما قال موسى . وعلى وجه النمر ظلام ، وجعل الله في عناصر المادة قوة التجاذب فوجدت مراكز للجذب في نقط عديدة من الفضاء فكانت مبدأ لكرات سديمية اي ضبابية ومبدأ للحركة ثم ان حركة هذه الكرات في داخلها نحو مركزها ودورانها على محورها اصدرت شيئاً من الحرارة واشتداد الحرارة تدريجاً اصدر النور وعند تكاثف الكرات انبعثت من جوانبها انوار تضيء ثم تجزأت فكانت اجزاؤها كواكب وانتهت بان جعلتها الحرارة ملتهبة والارض كوكب من هذه الكواكب والى حالتها هذه اشار موسى بقوله كانت الارض خاوية خالية ، وابان هذا التكون بقوله ان الله خلق في اليوم الاول النور وفصل بين النور والظلام . ثم ان الكرة الارضية بعد انتقالها من الحالة الغازية الى حالة سائل ملتهب ابتدأ وجهها يتجمد بواسطة البرد وتكون حولها جلد مظلم مشبع بخارات معدنية ومائية وبمقدار ما كان يتواصل البرد كانت المواد المتطايرة حول الكرة تتجمد تباعاً الثقيلة منها اولاً على ان ما كان منها اكثر خفة كبخار الماء الذي كان في اعلى الفضاء تكاثف بمماثته للانحاء الاكثر برودة فتكونت منه قبة من سحب كثيف فوق الكرة وانبسط الجلد كما نراه في الفضاء المتوسط بين هذا المحيط الهوائي المطروق من الارياح وبين وجه الارض وهذا هو معنى فصل المياه العليا عن المياه السفلى بواسطة الجلد الذي ذكر موسى ان الله صنعه في اليوم الثاني (١) او المراد بهذا على

مبادي السماوات والارض اذ خلقت يوم صنع الرب الاله الارض والسماوات ،
 ولا مرية بان اليوم في هذه الاية عبارة عن مجموع ايام عديدة ولا اقل من
 الستة الايام التي ذكرها في الفصل الاول . ومثله قوله في سفر التثنية (فصل ٩
 عد ٢٤) « منذ يوم عرفتكم ما برحتم معاصين الرب » ولا اشكال بان المراد باليوم
 هنا المدة لا اليوم الطبيعي . وامثال هذا كثيرة في سائر الاسفار ونبوات الانبياء
 وقد حقق خيرون باللغة العبرانية ان ليس فيها لفظ يدل على اليوم والمدة والعصر
 الا كلمة (يوم) ثم ان اليوم الطبيعي مقياسه حركة الشمس فلا مقياس له قبل
 ابداءها في اليوم الرابع واذا لم تكن الايام الثلاثة الاولى اياماً طبيعية فلا تكونها
 كذلك الايام التابعة . ولا نجعل ان بعض الاباء قالوا بحسب حالة العلم في
 عصرهم ان ايام الخلق طبيعية لكن بعضهم الآخر واشهرهم منهم القديس
 اغوستينوس وجميع علماء مدرسة الاسكندرية الذين فسروا الكتاب والقديس
 توما الاكوييني اثبتوا ان الكلمات يوم ومساء وصباح في الفصل الاول من سفر
 التكوين مجازية لا يراد بها معناها الحقيقي بل العصر او الحقة او المدة . فقد
 عبر موسى اذا بكلمة يوم عن العصر الذي انقضى بين تكون كل من الكائنات
 التي ذكرها وبين ما تلاه فغرضه من ذكر المساء نهاية ذلك التكون ومن ذكر
 الصباح بداية تكون غيره واما كم هو مقدار تلك الاعصار او الاحقاب فلم يتيسر
 للعلماء الى الان تعيينه وما دل عليه علماء الجيولوجية والفلك انما هو ان تلك
 الاعصر كناية عن الوف مؤلفة من السنين

﴿ عد ١٠ ﴾

— في تكون الكائنات —

واما كيفية تكون الكائنات فاعلى المؤرخ الكلام فيها لان ذلك من مواد
 علمي الجيولوجية والفلك على اننا نلخص شيئاً منه كلفاً بتوفر الفوائد وبيانات

احدى اضلاعه وبنى الضلع التي اخذها من ادم امرأة واتاه بها . فهذه خلاصة ما كتبه موسى في خلق العالم والانسان متعمداً به لان يعلم العبرانيين علوم الطبيعة والجيولوجية (اي الكلام في الارض وطبقاتها وتكوينها) والفلك بل ان يرشدهم بعبارة ساذجة يدركونها الى الصحيح في خلق العالم والانسان وقاية لهم من فساد اذهانهم بما كان يعلمه الوثنيون من مصريين وغيرهم من احاديث خرافة في مادة هي اول اركان الدين واساس المعتقد الصحيح

فالآية الاولى الكريمة وهي : في البدء خلق الله السماوات والارض ، تناولها بعضهم بمعنى انها خلاصة موجزة لكل ما تبعها من الكلام في خلق العالم وما فيه والاظهر ان المراد بها خلق المادة الاولى او عناصر المادة ويؤيده قوله التابع ان الارض كانت خاوية خالية اي ليس فيها شئ ، الا المادة وهي مشوشة لا نظام لها . وقوله في البدء ، معناه قبل ان يكون شئ ، وخلق (بالعبرانية بَرَأ) اي اتى بالمادة من العدم الى حيز الوجود اذ لم تكن موجودة قبلاً يضاد موسى بذلك الذين قالوا بازلية المادة وهو مستحيل لان المادة معلول ولا معلول دون علة فيتحتم وجود علة خالقة لها ويستحيل ان تكون علة لنفسها والا فتكون وتفضل قبل ان تكون . وقوله ان روح الله كان يرف على المياه بعد خلق المادة وقبل ايجاد النور يراد به الروح القدس او الريح فان اللفظ العبراني (رواح) يتناول المعنيين والثاني هو الاظهر فكان موسى اراد ان يبين ان الله جعل في ذرات المادة التي خلقها حركة كحركة الريح كانت علة لتكونها التابع كما سترى

قد روى موسى ان الله كوّن العالم بستة اعمال سماها اياماً وجعل كلاً منها مفصلاً عن الآخر بمساءً وصباح فكلمة (يَوْم) بالعبرانية لا يعبر بها دائماً عن اليوم الطبيعي المؤلف من اربع وعشرين ساعة بل كثيراً ما يراد بها مجموع ايام عديدة . فقد ورد في سفر التكوين نفسه (فصل ٢ عدد ٤) هذه

هذه الاكتشافات عند مطالعة كتابنا هذا فنسدي الله حمداً لا ينقضي وشكراً لا ينتهي على ما منَّ به في هذا العصر وقت معظم الحاجة اليه وسنناق على هذا الكتاب مثلاً للخطوط الهيروغليفية والمسمارية

الفصل الثالث

﴿ عدد ٩ ﴾

— في خلق العالم —

ليس من تاريخ اقدم زماناً واصدق انباء من اسفار التوراة التي كتبها موسى بالهام الله فنعمدها في كلامنا ونزيد ثبوتها بيانا بما ورد في كتب الاقدمين وبما جدت علينا به الاكتشافات الحديثة ففي مفتتح سفر التكوين ، في البدء خلق الله السماوات والارض وكانت الارض خاوية خالية (وفي العبرانية توهو بوهو) وعلى وجه الغمر (بالعبرانية تهوم) ظلام وروح الله يرف على وجه المياه ، (١) الى ان قال ان الله خلق في اليوم الاول النور وفي اليوم الثاني فصل بين المياه العليا والمياه السفلى وفي اليوم الثالث خلق النبات والاعشاب والاشجار وفي الرابع الشمس والقمر والكواكب وفي اليوم الخامس الاسماك والطيور وفي اليوم السادس خلق الدبابات والبهائم ثم الانسان على صورته ومثاله ذكراً وانثى خلقهما وفرغ من عمله واستراح في اليوم السابع . وقال في كل مما مره وكان مساءً وكان صباح يوم اول ، ثم يوم ثانٍ الى الاخر . ثم عاد في الفصل الثاني مفصلاً كيف خلق الله الانسان فقال انه جبل الانسان تراباً من الارض ونفخ في وجهه نسمة حياة فصار الانسان نفساً حية واوقع سباتاً على آدم فنام فاستل

(١) انا نعلم في ذكر الكتاب المقدس نسخته التي طبعت في مطبعة الابهاء اليسوعيين

في بيروت

نحواً من ثلاثين سنة لم يتقدم خطوة . الى ان اكتشف العالم اوجان بورنوف (Burnof) الافرنسي والعالم لاسان (Lassan) الالماني عن تهجيات اخرى وحققا ان ما كتب في الصحيفتين المار ذكرهما انما هو باللغة الفارسية القديمة على ان الذي اكل احياء هذه الكتابة انما هو العالم هينك (Hincks) من دوبرلين في ايرلندا سنة ١٨٤٦ والعالم اوبر (Oppert) في بريس سنة ١٨٤٧ دون علاقة لاحدهما بالآخر . والاكتشاف على مال الخطوط المسمارية في اللغة الفارسية يسّر الاكتشاف على ما لها في اللغات البابلية والاشورية والمادية واكتشاف العالم بوتّا (Botta) قنصل افرنسة في الموصل عن موقع نينوى سنة ١٨٤٦ وما غنمه من الاثار واكتشاف العالم هنري لايرد (Henry Layard) الانكليزي من سنة ١٨٤٩ الى سنة ١٨٥١ عن اثار اكثر من ان تعد في كوينجك وفي نمرود يسّرت للعلماء راولينسون وهينك وفكس تلبوت من انكرا وادي سولسي واوبر من افرنسة حل رموز هذه الكتابة واغتنام كنوزها وظهر ان بعض علامات هذه الكتابة دالة على تصور كامل كما مر في الهيروغليفية وان قسماً كبيراً منها يدل على هجاء تام اي على حرف وحركته وبعضها يدل على حروف معاً فكان لنا بهذه الخطوط ايضاً كنز توفر النفع به للعلم والدين . وقد قدّر الاب فيكورو (في كتابه المسمى الكتاب والاكتشافات الحديثة مجلد ١ صفحة ١٧٦ طبعة ٤) (١) ان الاثار التي وجدها لايرد في المكتبة الملكية في نينوى لو ترجمت برمتها تألف منها خمسمائة مجلد حوى كل مجلد خمسمائة صفحة بقطع الربع وهي مشتملة على كل فن وعلم اللاهوت والفلك والتاريخ السياسي والتاريخ الطبيعي وكتب اصول اللغة ومعجماتها والجغرافية وغيرها وكلها مطبوع في الاجر فضلاً عما وجده غير لايرد من الاثار وفضلاً عما نقش على الابنية والصخور والمدافن وسترى اهمية

يحسبون في اوائل القرن السالف انها ليست كتابة بل نقوش يتبين منها كم
تؤلف هيئة المسمار من الهيئات المختلفة المتباينة ولم يكتشف عن انها تهجيات وتحل
الغازها الا بعد سنين من الاكتشاف عن الكتابة الهيروغليفية وادراك رموزها
وكان يكتب بالخطوط المسماة بثلاث لغات الفارسية والمادية والاشورية واول من
وفق الى معرفة بعض حروفها باللغة الفارسية هو العالم كروتفاند (Grotefend)
من هانوفر في المانيا سنة ١٨٠٢ فقد كان وجد في فرسبوليس (في الشمال الشرقي
من شيراز في مملكة ايران) صفيحتان كتب في احدهما داريوس الملك العظيم
ملك الملوك ابن (كيستاسف او) هيستاسب الكني (Achéménides) (١) هو
الذي بنى هذا القصر وكتب على الثانية « كسر كس » في الاصل الفارسي
كسايرسا ولعله الذي يسميه ابو الفداء وغيره من مؤرخي العرب كيخسرو)
الملك العظيم ملك الملوك ابن الملك داريوس (دارا) الكيني ، فكرر العلامات
الدالة على كلمة ملك وترويه بان احد هذين يخلو نصفه من كلمة ابن اذ لم يكن
ابوه ملكا نبهاه الى ان الكلمة المكررة يراد بها ملك وباقي الكتابة علمه ولما كان
يعلم ان ذلك المحل من اثار الملوك الكينيين فانبأه ذكاؤه وجده ان الملكين انما هما
داريوس وكيخسرو وكان بالتوفيق الرباني ان اوتي الى بريس باناء من مرمر وجد
في مصر (وهو الان محفوظ في متحف بريس) مكتوبا عليه باربع لغات من
جملتها الهيروغليف المصري والمسماري الفارسي اسم كيخسرو او كسر كس وكان
وجد شامبوليون هذا الاسم فتيقن كروتفاند ان حدسه اصابة وصدقه العلماء في
اكتشافه الا انه لم يوفق الى الكشف التام عن هجاء هذه اللغة واستمر هذا الفن

(١) الكلمة في الاصل الفارسي هاكا مانيزيا وفي الافرنسية كما رأيتها وهذه الدولة
سماها ابن خلدون في اخباره عن ملوك الطبقة الثانية من الفرس الكينية لان اسم كل واحد
من ملوكها الاولين يتدي بكى وسماها ابو الفداء في الفصل الثاني من تاريخه في ملوك فارس
الكيانية وقال ان كى معناه الروحاني او الجبار

كتبوا فيها قديماً .

ولهذه الكتابة المصرية ثلاثة فروع الهيروغليفية وكان يكتب بها على الاثار الخطيرة ما يراد تخليده . والهيروغليفية وهي موجزة الاولى ومشتقة منها علامة علامة وكانوا يستعملونها في الحاجات العامة والصكوك المدنية والعلوم . ثم الداموتيكية وهي مختصر الفرع الثاني ومعناها العامة اذ كانت العامة تستعملها في اواخر ايام المملكة المصرية وما كتب بهذه الفروع الثلاثة ان لم يكن اللغة القبطية القديمة نفسها فهو لا يختلف عنها الا اختلافاً قليلاً . وفي هذه الكتابة عدا الحروف الهجائية علامات اخرى كثيرة لفصل الكلام ولضبط المعاني كال دلالة على ان الاسم مذكر او مؤنث وبعض العلامات يدل على هجاء كامل او على حرفين معاً وبعضها يدل على تصور لا على حروف كصورة الارقام الهندية عندنا فمن ذلك انك تجد في هذه الكتابة صورة انسان ويده ممتدة الى فيه دلالة على فعل اكل ورسم دائرة عبارة عن الشمس ولذلك كانت هذه الخطوط عديدة كثيراً حتى ابلغها بروغش سنة ١٨٧٢ الى ما ينيف على ثلاثة الاف علامة . ومن ثمه قد انبثت لغة المصريين القدماء وكتاباتهم من ارماسها ففتح لنا كنز معارف عديدة جدت على العلم عظيم الجدوى وزادتنا بياناً وتيقناً بصحة ما رواه الكتاب المقدس في محال عديدة ووضحت لنا ايات كثيرة كانت عمرة المدرك وحلت مشكلات رابكة كما ستري في كتابنا هذا

﴿ عدد ٨ ﴾

❧ في الخطوط المسماوية ❧

سميت هذه الخطوط مسماوية لان هيئة حروفها اشبه بمسماور او زاوية ومن تلك المسماير ما هو عرضي وما هو عمودي مفرداً او مكرراً وكذا الزوايا متعددة الهيئات وكان امرها مجهولاً كل الجاهل حتى كان بعض العلماء انفسهم

من كلوبترا والسابع من الكسندروس واحداً فهو الرابع والاول من كلوبترا والثالث من الكسندروس واحداً فهو الكاف فكذا عرف بعض الحروف من هذه الكلمات وغيرها من غيرها الى ان وجد مفتاحاً لقراءة هذه الخطوط وكان قد درس اللغة القبطية القديمة وبرع فيها فاداه ثباته وذكاءه الى الشرف الوسيم بان يكون اول مكتشف عن قراءة الخطوط المصرية واول من حل رموزها وفتح كنوزها . فنشر سنة ١٨٤٢ كتابه المعنون : خلاصة نظام الكتابة الهيروغليفية : ضمنه صور العلامات التي اكتشف عنها وكيفية التلغظ بها ووضع اصولاً لحل الفاذاها لم تزل راحته يعتمد عليها . ولم يطل الله عمره بل توفاه في الثانية والاربعين منه . ومن على فراش موته كان يتمي على اخيه كتابه في نحو اللغة المصرية . وقد انبأنا المجلة الافرنسية السماء الارض المقدسة في عددها المؤرخ في غرة شباط سنة ١٨٩٢ ان البعض في برلين نفسها عقدوا العزم على نصب تمثال اجلالاً لشامبوليون ذلك الفاتح الشهير ومن بعد وفاة شامبوليون تصدى لاكماله عمله علماء كثيرون منهم شرل لانرمان (Lenormant) ونستري هورت (Nester L'hote) من افرنسة وسالفوليني (Salvolini) وروزاليني (Rosellini) من ايطاليا . ثم ليமான (Leemans) من هولاندا واسبودن (Asburn) وبيرش (Birech) من انكلترا ولبسيوس (Lepsius) من المانيا وبلغ هذا الفن شأنه عند ريل دي روجه (Em. de Rougé) ودي سولسي (de Saulcy) ومريبات (Mariette) وشباس (Chabas) وغيرهم من افرنسة وبروغش (Brugsch) ودوميكن (Dumichen) وغيرهم من المانيا وبلايت (Blete) من هولاندا وكودوين (Goodwin) ولا باج (LePage) من انكلترا وغيرهم وتكامل هذا الفن حتى اصبح علماءه يقرأون ما كتب على الاثار المصرية كما يقرأ الخيرون باللغة اللاتينية كتب شيشرون وغيره ممن

ولما غزا القائد بونا برت (نابليون الاول) الديار المصرية سنة ١٧٩٨ الى سنة ١٨٠٠ صحبه بعض العلماء للاستقصاء في الاثار المصرية واكساب العلم والصناعة شيئاً من البحر فيها فكتبوا شيئاً كثيراً في حالة مصر القديمة والحديثة وفي ما شاهدوه فيها ونشرت حكومتهم ما القوه في كتاب موسوم برسوم مصر انطوى في تسعة مجلدات وتكاملت طباعته سنة ١٨٠٩ وما يليها في بريس . الا ان هولاء لم يبلغوا المراد مما كتبه فراعنة مصر على اثارهم . على ان ضابطاً من الجيش الافرنسي يسمى بوشار Bouchard عثر في رشيد على صحيفة كتب عليها بالهيروكليفية واليونانية والصفحة الان في المتحف البريطاني وقد اكثر العلماء من التفحص عما كتب فيها فلم يفتح على احد منهم فكان الكشف كان محفوظاً لشاب افرنسي يسمى يوحنا فرنسيس شامبوليون Champollion ولد في فيجالك سنة ١٧٩٠ وتوفاه الله في بريس في ٤ اذار سنة ١٨٣٢ وكان ذا فكر ثاقب ورأي اصيل صائب اشغل ذكاه المتوقد اياماً متطاولة في التفحص عما كتب في هذه الصفحة وفي صفحة اخرى كانت قد وجدت في جزيرة الهائف في النيل (علي بعد اربعة كيلومترات نحو الجنوب من اسوان) مكتوبة باللفتين الهيروكليفية واليونانية معاً وكان من التوقيعات الربانية ان اسماء الاعلام تكتب عندهم ضمن اطار يحيطها من جهاتها الاربع وقد كتب في صفحة رشيد اسم بتولمايس وفي صفحة الهائف اسم كلوبترا ووجد شامبوليون في صفحة اخرى اسم الكسندروس (اسكندر) فاخذ يعارض الحروف الواقعة في هذه الكلمات بعضها ببعض فوجد مثلاً الحرف الاول من بتولمايس والحرف الرابع من كلوبترا واحداً فعلم ان تلك العلامة دالة على الباء والثاني من بتولمايس والخامس من كلوبترا واحداً فعلم ان تلك العلامة بمثابة حرف التاء والثالث من بتولمايس وكلوبترا واحداً فهو الواو والرابع من بتولمايس والثاني من كلوبترا والكسندروس واحداً فهو اللام والثامن من بتولمايس والاخير من الكسندروس واحداً فهو السين والسادس

كان في القرن الرابع عشر قبل الميلاد اذ لم يكن لمملكة الاشوريين شئ من السطوة في سورية . وذكر الاب دي كارا مستنداً اخر لرأيه هو انه قد وجدت صفيحة في سان بمصر كتب عليها في ثلث لغات اسم سورية فكان في الهيروكليفية روثانو وفي اليونانية سورية وفي لغة الشعب المصرية اسار او اسور وليس من علماء الآثار المصرية من يمتري بان الروثانو يراد بهم سكان سورية الشمالية خاصة ثم ان هذا الاسم اشور او اسور وجد مكتوباً بين اسماء القبائل التسع التي كتبت على جدار هيكل ادفو في مصر انباءً بان رعمسيس دوخها ورعمسيس احد ملوك الدولة التاسعة عشرة في مصر كان قبل استيلاء الاشوريين على سورية بقرون وان هيرودت واسترابون وغيرهما من القدماء وبعض علماء هذا العصر ايضاً قالوا بارتحال قبائل عديدة من بلاد العرب او من جانب خليج العجم الى سورية منذ اقدم الايام وعليه فتسمية هذه البلاد سورية هي اقدم كثيراً من ايام علماء اليونان المعروفين . هذا ملخص ما قاله الاب دي كارا ونراه قريباً من الصحة

الفصل الثاني

(في الخطوط المصرية الهيروكليفية والخطوط المسارية ومن اكتشف عن رموزها)

﴿ عد ٧ ﴾

— في الخطوط المصرية —

تري في الخطوط المصرية صور دبابات وطيور واعضاء بشرية وغيرها من اشباه الاشياء المادية وقد انقضت السنون بل القرون ولم يهتد احد الى حل هذه الرموز ولا الى استخراج شئ من هذه الكنوز الظاهرة للابصار الخفية عن البصائر .

فاشية حتى في كلمة اشور واسور . ونرى بعض قداما اليونان وغيرهم يطلقون اسم سورية على ما بين النهرين ايضا وعلى ارمينيا وبعض بلاد فارس فكان اسم سورية مرادفاً لاسم اسيريا اي مملكة الاشوريين

اما علماء هذا العصر الباحثون في الآثار فوافق بعضهم على ما رآه القدماء وخالفه بعضهم . قال مسيرو (١) : ان توتمس ابن امنهوتاب الذي خلفه في الملك كان اول من اقتاد المصريين الى فتح اسيا والبلاد التي وصلوا اليها بعد خليج السويس كانت تسمى منذ حينئذ سورية . وقال في حاشية علقها على كلمة سورية ان اللفظة المصرية كسارو خففت فصارت سارو ثم سورية فهذا التخمين بعيد المرمى ضعيف المستند وتعقبه الاب دي كارا (٢) وقال بروغش (٣) ما اسم سورية الا مخفف اسيرية سميت كذلك بعد ان دانت اعمال سورية على التعاقب لتجلبت فلاصر الثاني (من سنة ٧٤٥ الى سنة ٧٢٧ ق م) ثم لسرغون (من سنة ٧٢٢ الى سنة ٧٠٥ ق م) وهذا كان بعد عهد توتمس بنحو الف سنة على ان الاب دي كارا (٤) رد رأي بروغش ورأى الاولى نسبة اسم سورية الى اسور او اسوريم بن ددان بن يقشان بن ابراهيم الحليل من قطورة (٥) لحسانه ان الشعوب الذين ارتحلوا الى فينيقي واسسوا مدينة صور كانت مهاجرهم بلاد العرب الشمالية وان اسم اسور او اشور يطلق على احد اعمال بلاد العرب وفي الآثار المصرية ذكر شعب يسمى اسور من جملة الشعوب حلفاء الحثيين سكان سورية الشمالية لمحاربة رعحمسيس الثاني ملك مصر وهذا

(١) في التاريخ القديم لشعوب المشرق فصل ٥ صحيفة ١٤٧ طبعة ٤

(٢) في كتابه الملوك الرعاة فصل ٩

(٣) في تاريخ مصر

(٤) في المحل المذكور انفاً

(٥) تكوين فصل ٢٥ اعد ٣

— في اسم سورية —

سمى الكتاب المقدس في العهد القديم سورية ارام نسبة الى ارام الخامس من ابناء سام بن نوح لان كثيراً من سكانها الاقدمين من اعقابه على ان الكتاب اضاف اسم ارام الى اعمال عديدة فقال ارام النهرين ويراد بها ما بين النهرين دجلة والفرات . و ارام دمشق ويراد بها مملكة دمشق . و ارام صوبا ويراد بها على الراجح سورية المجوفة اي ما بين لبنان الغربي ولبنان الشرقي . او هي مملكة كانت بين دمشق جنوباً وحماه شمالاً . و ارام معكة ويظهر ان المراد بها مملكة كانت في موقع حاصبيا ومرجعيمون وبانياس و ارام رحوب ويظهر انها كانت في محل الجولان الان . واول من سعى هذه البلاد سورية اليونان مع ان اوميروس شاعرهم سعى سكانها اراميين . على ان هيرودت (الذي ولد سنة ٤٨٤ ق م) هو على ما نعلم اول من سعى هذه البلاد سورية وتابعه في ذلك سائر اليونان والرومانيون ولكن ما الذي حملهم على هذه التسمية فقيه العلماء القدماء اقول اقربها الى الصحة قولان : الاول انها سميت سورية نسبة الى صور مدينتها البحرية الشهيرة وقد عرف اليونان اهلها لكثرة ترددهم الى بلادهم للتجارة فسموهم سوريين وبلادهم سورية بابدال الصاد بالسين اعدم وجود الصاد في اللغة اليونانية . وكلمة صر بالفينيقية معناها الصخر او السور ويرى هذا الاسم منقوشاً على المسكوكات القديمة التي وجدت في هذه المدينة . والثاني ان اليونان سموها هذه البلاد سورية نسبة الى اسور او اسيريا بلاد الاشوريين لان الاشوريين كانوا يتولون اعمال سورية عند استفحال امر اليونان فنسبوا سورية اليهم مخففين اللفظة بحذف الهاء الاول منها والمبادلة بين السين والشين

الجنوب الشرقي في الجبل على بعد نحو ست ساعات مجدّو والارجح انها
 اللجون الان على طرف مرج ابن عامر وكانت محطة الحروب بين المصريين
 وسكان سورية وفي جنوبها على بعد نحو خمس ساعات السامرة وهي سبسطية
 الان بناها عمري ملك اسرائيل (ملوك ٣ فصل ١٦ عد ٢٤) وفي جنوبها
 على بعد نحو عشر ساعات يابوس وهي اورشليم بناها الياوسيون والاموريون
 من ولد كنعان . وفي الجنوب الغربي منها على بعد مرحلة حبرون وهي المعروفة الان
 بالخليل وكانت تسمى في اقدم الايام قرية اربع نسبة الى رجل اسمه اربع هو
 جد بني عناق فاخذها منهم الحثيون . ويليها غرباً على مسافة يوم غزة من
 مدن الفلسطينيين ولكنها كانت قبلهم وقد ورد ذكرها في الآثار المصرية قبل
 ايامهم . وكان من مدن الفلسطينيين ايضاً عسقلان في شمالي غزة على ساحل البحر
 ويليها شمالاً ايضاً اسدود

وبقي المدن التي في شرقي الاردن وبحيرة لوط فمن اشهرها راموت
 جلعاد وهي الصلت الان . وفي جنوبها الشرقي ربة عمون وهي عمان الان
 وفي جنوبها الغربي حشبون وهي حسمان الان في شرقي جبل نبو وفي جنوبها
 عراير وهي عراير الان وفي جنوبها رابة مواب وهي ربة الان وفي جنوبها
 كير مواب وهي الكرك الان . واول سكان هذه المدن الاخيرة الايميون
 والزمزيون من الجبارة ثم صارت موطناً للعمونيين والموايين وكان يتولاها
 في عصر موسى سيحون ملك الاموريين وعوج ملك باسان فافتتحها موسى
 لبني اسرائيل (تثنية الاشتراع فصل ٢ و ٣) وسترى في مساق هذا التاريخ
 ذكر هذه المدن كلها وغيرها وان شئت استقرأ كل ما كان في كل منها ارشدك
 اليه الفهرست المعلق في اخر هذا الكتاب مشفوعاً بخريطة سورية

الهيكل الباقية اثاره فيها . وضخامة الصخور المبني بها سفله مؤذنة بانه من بنايات الفينيقيين او شاركهم به الاراميون السكان الاولون لهذه الانحاء على ما يظهر . ويلى بعلبك جنوباً على بعد مرحلة دمشق والاطهر انها من بنايات الارامين ولد ارام بن سام حتى يقال ان تسميتها والبلاد التابعة لها شاماً نسبة الى سام بن نوح وقال ابو الفدا سميت شاماً لان قوماً من بني كنعان تشاموا اي تياسروا اليها لانها عن يسار الكعبة وقال اخرون سميت كذلك لبقع فيها بيض وحر وسود تشبيهاً لها بالشامات . واما تدمر فهي نحو الشرق من حمص على بعد ثمعين ميلاً وينسب بناؤها الى سليمان وامل المراد انه زاد فيه وبنى فيها صرحاً او حصناً .

واما المدن الساحلية فنها انتراداي طرسوس الحالية وجزيرة ارواد المقابلة لها والظاهر ان سكانهما الاولين الارواديون ولد ارواد من بني كنعان ويليها جنوباً بعمريت الشهيرة باطلالها ويليها جنوباً على بعد مرحلة عرقا في الجبل مسكن العرقى من ولد كنعان ونحو الجنوب الغربي من عرقا على مسافة بضع ساعات اطرابلس وهي احدث مما تقدمها من المدن اذ يقال ان بناها نزالة من ارواد وصيدا وصور في ثلثة احياء ولذا سماها اليونان تريبولي اي المدن الثلث . وفي جنوبها على بعد ست ساعات البترون وينسب بناؤها الى ايتو بعل ملك صور او كاهنها في زمان اخاب ملك اسرائيل . ويليها جنوباً على بعد ثلث ساعات جيل ويظهر ان سكانها الاولين اراميون تغلب عليهم الفينيقيون . ويليها جنوباً على بعد سبع ساعات بيروت ويظهر انها كانت اولاً مستعمرة ارامية ولكن تغلب عليها الفينيقيون من اقدم الايام ويليها في الجنوب على مسافة مرحلة صيدا وهي مسكن قبيلة صيدون بكر كنعان ويليها جنوباً على بعد نحو ست ساعات صور وهي في الاصل مستعمرة صيدونية ويليها جنوباً على مسافة مرحلة عكا واقدام سكانها كنعانيون ويليها نحو

جسر الحديد . وبحيرة افاميا في الشمال الغربي من حماء يجتمع ماؤها من عدة اجام وبحيرات وذكرها ابو الفدا . وبحيرة حمص في الجنوب الغربي منها وهي مصطنعة من امواه العاصي بسد عليه وتسمى بحيرة قادس لان قادس القديمة كانت هناك وسترى ذكرها مرات في تاريخ الحثيين . ثم البحيرات المتكونة من امواه الاردن وهي بحيرة الحولة وبحيرة طبرية وهي المسماة في الانجيل بحر الجليل وبحيرة جاناشر ثم بحيرة لوط التي تسمى البحر الميت والبحيرة المنتنة وسطحها اوطأ من سطح البحر المتوسط نحو الف وثلاثمائة قدم . ثم بحيرة المريج في الشرق الجنوبي من دمشق وتسمى البحيرة الشرقية وتصب فيها فضلة نهر بردى وغيره ونحو الجنوب منها ثلث بحيرات تسمى الاولى منها بحيرة هيجانة وفيها مصب لنهر الاعوج كما مر وتسمى الثانية بحيرة بلع والثالثة مضخة برك

﴿ عد ٥ ﴾

﴿ في مدن سورية ﴾

من اشهر المدن التي نكتب تاريخها الآن كركيش المعروفة الان بابرابولس على الجانب الغربي من الفرات وقد تولاهما الحثيون من اقدم الايام . ويليهما حلب وتسمى في الاثار القديمة كالب وحلبون ويظهر انها من بنايات الحثيين ايضا لوجود كثير من اثارهم فيها ويليهما نحو الجنوب على مسافة اربع مراحل حماء استسما قبيلة الحمثي من ولد كنعان ويليهما في الجنوب على بعد مرحلة حمص ويظهر انها احدث من حماء او لم تكن ذات شهرة قديمة لسبق قادس اليها وموقع هذه في الجنوب من حمص بجانب بحيرتها والاضهر ان سكان قادس الاولين اراميون ثم تغلب عليها الحثيون كما ستري في تاريخهم وفي الجنوب الغربي من حمص على مسافة مرحلتين بعلبك ويظهر انها كانت مدينة كهنوتية لعظمة

يرتد نحو الغرب ويصب في شمالي صيدا ويسقي بساكنها ويليه جنوباً نهر الزهراني ثم نهر الحيصراني ثم نهر ابي الاسود ثم النهر الليطاني ومخرجه في قضاء بلبك ويجري في سهل البقاع ويمر تحت قلعة الشقيف ويصب في البحر في شمالي صور ويسمى هناك نهر القاسمية . ثم نهر النعمان وهو يلبس عند القدماء وكان مشهوراً عندهم بصالوح رماله لاصطناع الزجاج ومخرجه من تل الكرداني ومصبه في جنوبي عكا . ثم النهر المقطع الذي سماه القدماء والكتاب (ملوك ٣ فصل ١٨ عد ٤ بمعرض قتل ايليا انبيا بعل) قيشون ومخرجه في الشرق من مرج ابن عامر ويجري الى الشمال الغربي ويصب في قرب حيفا ويليه جنوباً نهر الدخلة ونهر المفجر ونهر الفلايك ثم النهر الاعوج ومخرجه في محل قريب من لد وتصب هذه الانهر في الشمال من يافا وفي جنوبها نهر روبين ثم نهر صقير شمالي عسقلان

وبقي نهر بردى ومخرجه قريب من الزبداني ويجري الى الجنوب الشرقي وتضاف اليه مياه عين فيجة ويتشعب في غوطة دمشق ودورها وشوارعها ويصب في بحيرة المرج الى الشرق من دمشق ثم النهر الاعوج غير المذكور آنفاً ومخرجه من سفح جبل الشيخ الشرقي ويجري الى الجنوب الشرقي ويصب في بحيرة هيجانة الاتي ذكرها خلافاً لما جاء في كلام بعضهم من انه يصب في بحيرة المرج

﴿ عد ٤ ﴾

— في بحيرات سورية —

اما بحيرات سورية فمنها بحيرة انطاكية يجتمع فيها ماء النهر الاسود ونهر يغرا ونهر غفرين المار ذكرها ويخرج منها نهر يتصل بالعاصي قرب الجسر المسمى

جنوباً . والنهر الكبير مخرجه في جبال النصيرية ويجري الى الجنوب الغربي
ويصب في البحر المتوسط في جنوب اللاذقية وفي جنوبه نهر الصنوبر ثم
نهر المضيق ثم نهر الروس ثم نهر المسكين ثم نهر برغل ثم نهر الملك ثم نهر
السن او الابتر ثم نهر مرقية ثم نهر حسين ثم نهر عمريت ثم نهر الابرش ثم النهر
الكبير الذي يسميه القدماء الوتاروس وهو غير الاول ومخارج كل هذه الانهر
او الجداول في جبال النصيرية ومصبها في البحر المتوسط ويليهما جنوباً نهر
عكار ثم نهر عرقا ثم النهر البارد . واما الانهر الجارية في لبنان فهي نهر ابي
علي وتجتمع فيه امواه نهر رشعين ومنبعها من سفح جبل الضنية في قرب زغرتا
وما ينبوع جوعيت بين اهدن وجبال الضنية وما ينبوع مار سركيس على جانب
اهدن وما ينبوع قديسا مخرجه بين بشري وارز لبنان الشهير فتمر هذه الامواه
في اطرابلس وتصب الى الشمال من مينائها . ثم نهر الجوز ومخرجه على مقربة
من كفر حلدا ويصب في شمالي البترون ثم نهر ابراهيم وهو نهر ادونيس عند القدماء
ومصدره مغارة افقا وتضآف اليه مياه ينبوع اخر في جانب العاقورة يعرف ينبوع
الجوزات ويصب في الجنوب من جبيل ثم نهر الكلب وهو ليكوس في كتب القدماء
منبعه مغارة جعيتا وتجتمع اليه في مدة الشتاء امواه عدة ينابيع في الجبل ويصب بين
جونية وضية . ثم نهر بيروت الذي يسميه بلينيوس ماغوراس (وهذا الاسم وصف
للالة بل) ومصدره ينبوع الداشونية وتجتمع اليه لاسيا في فصل الشتاء امواه من
جهة ترشيش وكفر سلوان ومن جهة حمانا وقالوغا ويصب في جانب بيروت
الشمالي . ثم نهر الدامور وسماء بوليب داموراس واسترابون تيراس وهو مجتمع
امواه من الغابون ثم من ينبوع الصفا بالقرب من عين زحلنا ومن ينبوع القاع
ومن وادي عيندارا ويصب في الجنوب من معلقة الدامور . ثم نهر الاولى وسماء
القدماء بوسترانوس ومخرجه من ينبوع الباروك ويجري الى الجنوب الغربي ثم

من حماه وجبل نبو في الشرق من بحيرة لوط

﴿ عدد ٣ ﴾

— في انهر سورية —

اما الانهر في سورية فاشهرها العاصي والاردن . فالاول مصدره ينبوع اللبوة والينبوع الذي سماه ابو القدا مغارة الراهب وينابيع اخرى الى الشمال من بعلبك ويجري الى الشمال ماراً بجانب حمص وفي حماه حتى يقرب من انطاكية فينحرف نحو الجنوب الغربي ويمر بين جبل الاسكام والجبل الاقارع فيصب في بحر الروم عند السويدية . واما الثاني وهو الاردن فؤلف من عدة ينابيع منها ينبوع حاصيا ومياه بانياس وتل القاضي وكلها تصب في بحيرة الحولة وتجري منها الى بحيرة طبرية وتخرج الامواه منها فتجري الى الجنوب الغربي بتعاريج كثيرة فتصب في بحيرة لوط المسماة البحر الميت ايضاً وتجتمع هناك امواه انهر اخرى من الشرق والغرب اعظمها اليرموك والزرقاء والنهر المعجب فتتموت هذه الامواه هناك اي لا يظهر لها مخرج فوق الارض وغاية الامر ان في سورية نهري كبيرين مخرجهما في وسطهما يجري احدهما من الجنوب الى الشمال فيصب في قرب تحمها الشمالي وهو العاصي . ويجري الثاني من الشمال الى الجنوب ويصب في قرب تحمها الجنوبي وهو الاردن . ولا يبعد مخرج احدهما عن مخرج الاخر الا مرحلتين او ثلثاً

واما سائر الانهر فهي نهر حلب منبعه قرب عينتاب ويجري الى الجنوب فيمر في حلب ويسمى نهر قويق ويصب في اجمة في جنوبي حلب ثم نهر عفرين ونهر يغرا والنهر الاسود منابعا في شرقي جبل الاسكام ومصباها في بحيرة انطاكية ونهر القنديل ويصب في البحر المتوسط بين السويدية شمالاً واللاذقية

المعروفة بجبال النصيرية . ثم تبتدي سلسلة جبل لبنان ممتدة الى الجنوب الغربي الى ان تنتهي في وادي الليطاني عند قلعة الشقيف . وتبتدي سلسلة اخرى تمتد جنوباً الى نواحي صفد والناصرية وتنحرف شرقاً الى نابلس وبين هذه الجبال وجبل الكرمل مرج ابن عامر ويبتدي جبل الكرمل عند حيفا ويمتد الى الجنوب الشرقي فيتصل بجبل نابلس ويمتد الى الجنوب حتى جبل الشراة الى جنوبي بحيرة لوط ومن هذه السلسلة جبال اليهودية . وفي مرج ابن عامر جبل منفرد يسمى جبل الطور . واما لبنان الشرقي فيبتدي من الشمال على مرحلة من حمص ويمتد الى الجنوب الغربي وبينه وبين لبنان الغربي سهول بعلبك وبقاع العزيز واعلى رؤوس الشرقي جبل الشيخ فوق حاصبيا ويسمي القدماء هذا الجبل حرمون وتمتد منه شعبة الى الجنوب الشرقي ثم الى الجنوب الصريح وتنتهي في محل يسمى تل الفرس . وبين هذه الشعبة المسماة جبل حيش وبين جبل الشيخ وادي التيم الاسفل . وفي جنوب هذه الشعبة في شرقي الاردن جبل عجلون وفي جنوبه جبل الصلت الذي يسميه الكتاب جبل جلعاد . وفي جنوبي الصلت جبل البلقاء وفي جنوبي هذا جبال موآب نحو الشرق من بحيرة لوط ، وعند الطرف الجنوبي من هذه البحيرة سلسلتا جبال بينهما الغور الذي يودي السفر به جنوباً الى ايلة على خليج عتبة الممتد من البحر الاحمر (١) والحاصل ان في سورية سلسلتي جبال احدهما ساحلية تمتد من الشمال الى الجنوب الغربي على قرب متباين من البحر فتنتهي في اخر اليهودية . والثانية داخلية تمتد من نواحي حمص شمالاً الى اخر سورية جنوباً وبين السلسلتين وحولهما السهول الخصبة الفسيحة . ويضاف الى هذه الجبال جبل حوران وجبل العلا في الجنوب الشرقي

يسمى تيه بني اسرائيل الى تخوم مصر وغرباً البحر المتوسط المسقى بحر الروم ايضاً وطولها المتوسط على هذه التخوم من الشمال الى الجنوب نحو سبعمائة كيلومتر وعرضها المتوسط من الغرب الى الشرق نحو اربعمائة وخمسين كيلومتراً (١) وكان القدماء يقسمونها الى سورية بحصر اللفظ ويريدون بذلك قسمها الشمالي وبعض الشرقي والى فينيقي وهي على الاصح من ارواد الى جبل الكرمل مع بعض لبنان والى فلسطين وهي ما يلي فينيقي الى الجنوب والى نهر الاردن وكانوا يقسمون سورية ايضاً الى كوماجان وهي ما فيها حلب الى نهر الفرات والى سورية المجوفة ويريدون بها السهول الواقعة بين لبنان الغربي ولبنان الشرقي المسمى انطليبان (ابي المقابل للبنان) ويعبرون احياناً عنها باسم سورية الاولى الى الشمال وهي ما فيها انطاكية وسورية الثانية وهي ما فيها حماه وسورية الثالثة وهي ما فيها دمشق وجبل لبنان وهذه البلاد تشمل الان القسم الاكبر من ولاية حلب ثم ولايتي دمشق او سورية وبيروت ومتصرفيتي لبنان والقدس الشريف

﴿ عدد ٢ ﴾

✦ في جبال سورية ✦

اشهر جبال سورية في الشمال جبل الآكام وقد سماه اليونان آمانوس ويتندي من اخر جبل طورس في اسيا الصغرى وينتهى على الصحيح في الشمال من مصب نهر العاصي على مقربة من السويدية ويتندي في جنوب مصب نهر العاصي جبل شامخ يسمى الجبل الاقرع وهو كاسيوس عند القدماء . ويمتد منه الى الجنوب سلسلة تنهي على مقربة من دير الحميرا وهذه السلسلة هي

(١) عن المعجم التاريخي الجغرافي لبوليا في كلمة سورية

وانه اقوم السبل الى كتب تاريخ كامل راسخ في الصحة . ولا يخفى ما يتوفر
 بذكر هذه المباحث من الفوائد الدينية والادبية والعلمية وما تتكفل به هذه
 المقالة من المماثلة على كشف غوامض الفصول الاولى من التوراة وقد جزأنا
 هذه المقالة وما يليها الى فصول والفصول الى اعداد رغبة في زيادة التفصيل
 وتيسيراً لوجدان المعاني المطلوبة

الفصل الاول

﴿ لُمة في جغرافية سورية واسمها ﴾

من احسن ما جرى عليه المؤرخون وانفعه انهم اذا شاؤوا كتب تاريخ
 بلاد قدموا عليه كلاماً موجزاً في تخومها وجبالها وسهولها وبحرها وبحيراتها
 وانهرها واشهر مدنها توسلاً لادراك تاريخها حق ادراكه وكلفاً بزيادة رسوخه
 وكذا رأى الجغرافيون ان يشفعوا كلامهم بشيء من تاريخ البلاد التي يتصدون
 لكتب جغرافيتها فالتاريخ والجغرافية علمان متقاربان متعاونان فجزياً على عادتهم
 وتيقناً بنفع مأخذهم نقول :

﴿ عدد ١ ﴾

— في تخوم سورية —

بسطت تخوم سورية تارة وضائق اخرى بحسب تقلب الايام
 والدول فيها فكانت تشمل احياناً ما بين النهرين وارمينيا وبعض اسيا
 الصغرى وبعض بلاد العرب وتضيق احياناً عن هذه التخوم . والذي نتمد
 الان الكلام فيه يحده شمالاً اسيا الصغرى من خليج اسكندرونه الى نهر
 الفرات وشرقاً نهر الفرات والبادية الى بلاد العرب وجنوباً قسم من العربية

مقالة افتتاحية

قد ضمنا هذه المقالة مباحث لا بد من العلم بها لان بعضها ملازم الغرض وهو تاريخ سورية او هو جزء منه وبعضها يمهّد السبيل الى ادراكه او ينزل منه منزلة الاساس من البناء . وعليه فنشتمل هذه المقالة اولاً على لمعة جغرافية في سورية . ثانياً على كلام في الخطوط المصرية المعروفة بالهيروكليفيه (اي الكتابة المقدسة) ثم في الخطوط الاشورية المعروفة بالسمارية . وفي من اهتدى الى مغزى هذه الرموز وفتح هذه الكنوز لاعتمادنا عليها في تاريخ سورية القديمة كلما تيسر لنا ان نستعين بها على اثبات الحقائق التاريخية . ثالثاً في خلق العالم وادم وحواء وموقع الفردوس الارضي . رابعاً في الالباء الاولين الى نوح . خامساً في الطوفان . سادساً في ابناء نوح اصول سكان العالم في الدور الثاني . سابعاً في تفرق قبائل هؤلاء في المعمور . ثامناً في اخذهم في تشييد الصرح العظيم في بابل وبلبله السنثم واللغة الاولى واصول اللغات المعروفة الان . تاسعاً على لمعة في الكتابة وكيف كانت اولاً ومن اوجد الكتابة بالحروف ثم نتخطى الى الكلام في شعوب سورية الاولين ثم نتبع هذه المقالة بثلاث مقالات اخرى نتكلم فيها على اشهر قبائل سورية القديمة ونذكر سائرهم ضمناً موصلين تاريخنا في هذا المجلد الى ايام اسكندر الكبير

علي ان بعض هذه المباحث وان كان لا يجي تَوْاصِيّاً الغرض في تاريخ سورية فليس من نكير انه ملازم له وملتحم به التماس الفرع بالاصل

سفري المكابيين (حيث الكلام في اخبار اسكندر الكبير وخلقاؤه وهو مرجأ الى الجزء الثاني) واستطردت الى بيان كل ما التحم بكلامي من آيات الكتاب النبوية وغير الاخبارية . وعليه فارتجى ان يكون كتابي للمجتهد فيه ذا نفعين ويصيب المستجهد فيه غرضين دينياً وعلمياً . وقد اتممت بعون المنان هذا الجزء الاول مضمناً اياه مقالة افتتاحية من خلق العالم الى تفرق القبائل في آفاقه وثلاث مقالات اخرى في اخص شعوب سورية القدماء وصحيح اخبارهم منذ نشأهم الى عهد اسكندر الكبير وجعلته في مجلدين وعقدت العزم ان اتبعه بثلاثة اجزاء اخرى ان أقدرني الله اعني ان سيكون الجزء الثاني في تاريخ سورية في عهد اليونان والرومان من سنة ٣٣٠ قبل الميلاد الى سنة ٦٣٠ بعده والثالث في تاريخها في عهد الخلفاء وغيرهم الى سنة ١٥١٥ اذ طلعت على هذه الديار بدور سلاطيننا العثمانيين العظام . والرابع في تاريخها ايام دولتهم الزاهرة وولايتهم الباهرة الى العهد الحميدي السعيد عهد مولانا الاعظم وعاهلنا الافخم السلطان عبد الحميد الغازي خان ايد الله وابد اريكة سلطنته ما تتالى الملوان

وقد رفعت هذا الكتاب مقدمة لمقام حبر الاحبار ببحر العلم ومشكاة الحكمة وواحد هذا العصر وحليته التي يفاخر بها كل دهر . الاب الاقدس . ودر تاج الكنيسة الانفس . البابا لاون الثالث عشر اطال الله عمره . وحقق نصره . واليه سبحانه اضرع ان ينظمتني بالحق والصدق . ويهديني اقوم الطرق . وان يكتب لي الفوز بآتمامه . وينكبني الخطأ والزلل في احكامه . وينزهني عن سوء الغرض . ويتيح لي اصابة سواء الغرض . وان ينفع به الباب مطالعته ومريديه . وان ينجع فيها كلامي فيه . وان يتقبل ما عانيت فيه من الماء والمشاق ضحية ازدلف بها الى وجهه الكريم . وكفارة يمحو بها مساوي فهو الغفور الرحيم . وبه المستعان وعليه التكلان . في كل حال وزمان

فثروا بالكشف عن كثيرها واكتنوزوا كنوز معارف جلّ عوارفها بيان تاريخ اجدادنا وما جرى في بلادنا . ونحن عن ذلك غافلون كأنه في ديار لم يكن لها احد منا . فاعتمدنا في ما علموا . ولم نعتن بما غنموا . فبئس المسير والمصير . ولما كنت قد وقفت كل ما وهبه الله لي من قوة ومعرفة على نفع موطني وابناء جلدتي لم اتوقف عن ان تقحمت مشاق هذا التأليف العذبة . ولو تكلفت لها عرق القربة . واستأثيت من الكتب والمجلات العلمية ما دار نفعه في خلدي . ولم يظهرني فيه الا جلدي وكدي . وعلى ما عليّ من المهام الشاقة وما تربق بعنقي من الفروض الحقة وما تنازعت به حاجاتي اوقاتي شددت له عن عمد عين منزري واتخذت الثبات مؤازري . وشمرت عن ساق عزيمة . وان كيلة . وساعد همة . وان عليه . واكلاً . بعون من يقوي الضعيف . وينير الخسيف والكفيف . فكنت استرق الساعات واسارق النظر اليه . فوافترض الفرص بالانكباب عليه . هذا وقد كان داعٍ آخر الى هذا التصنيف الا وهو ان اسفار العهد القديم المنزلة لم يكن لها الى اليوم في العربية من تفسير يوضح ابهام بعض آيها ويحل ما اشكل منها مع ان ذلك مما هو للدين والعلم ضربة لازب . وقد كنت عنيت باذاعة تفسير الاناجيل وغيرها من اسفار العهد الجديد ولم تبيأ لي ان اردفه بشيء من تفسير اسفار العهد القديم فضمنت هذا الجزء من كتابي ما يزيل الاشكال ويجاوب الابهام عن كل ما جاء من القسم الاخباري في هذه الاسفار من سفر التكوين الى سفرى المكابين على احسن منوال نسج عليه بعد الاكتشافات الحديثة وقد تمهد بها كثير من العقبات والحل كثير من المضلات فترى في مقالي الافتتاحية تفسيراً جلياً لكل ما جاء في الفصول العشرة الاولى من سفر التكوين وهي تنطوي على اعضل المشكلات ثم ترى في مقالي في العبرانيين اني مشيت على كل ما كان اخبارياً في هذه الاسفار من الفصل الحادي عشر من سفر التكوين الى

مقدمة الكتاب

حمداً لمن جعل آثار من سلف . عبرة وحجة لمن خلف . سواء اتفق بعضهم مع البعض ام اختلف . اذ برأ الكائنات من العدم . وكون آدم من تراب وحواء من ضلعه فكانت منهما الامم . وغالبت احداها اخرها على متاع الدنيا وسوددها . وعلى متجع الارض ومصدرها وموردها . وألف غيرهم الجار وصافاه . فشقي وسعد كل بما اصطفاه . لانه تباركت اسماءه رفع من احسن المسعى بمن فضله . وخفض من ساءه بمن عدله . وألهم ايداع الآثار والصحف ما كان للاولين . ليكون تبصرةً وذكرى للآخرين . فسيحانه من اله قسط حكيم رحيم

اما بعد فيقول المقتدر الى غفو ربه المطران يوسف الدبس رئيس اساقفة بيروت الماروني اذا كان علم التاريخ على اجماله من اجل العلوم واكثرها عائدة . واكبرها فائدة . ومن وعاه في صدره . اضاف اعماراً الى عمره . فعلم المرء بتاريخ سلفه ووطنه انفع واولى على ان المؤلفات الشاملة بتاريخ بلادنا نادرة لاتصل اليها ايدي العامة وما تداولته منها ايدي الخاصة ألف في سالف الدهور فلم يدرك عصر التحقيق والتقيب ولم يستطع من افضلوا بكتبه ان يستطلعوا ما كشفت عنه الاكتشافات الحديثة ولم يغموا ما غنم اهل العلم في هذا العصر بكنوز رموز الخطوط الهيروغليفية . وحل معميات العلامات المسمارية . ولذلك اصبح فقهاء وطننا حتى من عد فيهم عالماً يفتنون تاريخ الامم النائية . والبلاد القاصية . وينصون على تاريخ بلادهم . وعلم أحداث اجدادهم . وقد تعددت اللجان العلمية الاوربية وعمدات الدول فاكثروا من الاحتفال في ارضنا والتقيب عن آثار قدمائنا باذنين الوف الالوف من الدراهم والدنانير في هذا السبيل الاثيل

الاسلام الى استيلاء سلاطيننا العثمانيين عليها في مباني القرن السادس عشر ثم الجزء الرابع في تاريخها في مدة سلاطيننا العثمانيين العظام الى اليوم
فهذه ايها الاب الاقدس خلاصة الغرض من كتابي وما حواه بالاجمال فتنازل الى قبول مقدمة ابن حقير يفتخر بطاعته دون تردد لكركسيكم الرسولي وبتابعه الواجبة في كرم الرب فانه قد اصرف بنعمة الله ما مر من عمره مشغولاً كما قدره الله بما فيه مجده وخلص النفوس ورفع شأن امنا الكنيسة الرومانية الجامعة المقدسة وفي عزمه ان يصرف ما بقي له من الحياة الى المات متفانياً بهذا السبيل مستعداً لا ان يسكب اعراقاً فقط بل ان يسفك دمه ايضاً اذا اقتضى حباً بايماننا المقدس وبرئيسه نائب المسيح وخليفة بطرس رئيس الرسل



منهم وما اكتشف من آثارهم معاوناً على فهم آيات الكتاب الملاحظة استيزار يوسف في مصر وحصول المجاعة وتعيين مدة سني عبودية بني اسرائيل فيها .

واتبعت هذه المقالة بمقالة ثالثة في الفونيقين ذكرت فيها تاريخ اصلهم وجالاتهم وما كان لهم من العلاقات مع المصريين والكلدان والاشوريين والفرس ومع ملوك يهوذا واسرائيل واتفاقهم مع داود وسليمان ثم تجارتهم التي انبسطت في الآفاق مع حروف كتابتهم وصناعاتهم ومعبوداتهم وهياكلهم ومدافنهم وما جاء في نبوات الانبياء عنهم .

ولما كانت المقالة الثانية في سكان شمالي سورية وهم الحثيون والثالثة في سكان وسطها وهم الفونيقيون تحتم ان تكون الرابعة في سكان جنوبيها اي فلسطين وهم العبرانيون وفي تاريخ هؤلاء قد مشيت على كل القسم التاريخي من اسفار العهد القديم من الفصل الحادي عشر من سفر التكوين الى سفري المكابيين مبتدئاً من تاريخ ابراهيم ومنتهاً ببداية ملك اسكندر الكبير الذي به نهاية هذا الجزء . وقد اوردت في هذه المقالة كل ما ثبت علمياً صحة رواية من كتبوا بوحى الله من الآثار المصرية والبابلية والاشورية والفارسية وغيرها وتطرقت الى كل ما يلتمح بكلامي من نبوات الانبياء وآيات الكتاب المقدس غير الاخبارية متعمداً ما سبقت الاشارة اليه من الاعتياض بقدر الامكان عن تفسير لاسفار العهد القديم

وقد اعتمدت في ذكر هذه الآثار على علماء فضلاء مثل الاب فيكورو احد كهنة سان سوليس والاب قيصر دي كارا اليسوعي وفرنسيس لازمان في طبعة كتابه الاخيرة وغير هؤلاء من العلماء المتكلمين في الآثار المصرية والاشورية . وفي عزمي ان الحق هذا الجزء . بجزء ثانٍ يشمل تاريخ سورية في عهد خلفاء اسكندر والملوك الرومانيين الى ظهور الاسلام فيدخل في طي هذا الجزء كل ما كان تاريخياً في سفري المكابيين واسفار العهد القديم كلها على الاسلوب الذي اتبعته في هذا الجزء فيكون تاريخي كئاسياً علمياً . واردف ذلك بجزء ثالث يتضمن تاريخ سورية منذ ظهور

الا تفسير المزامير وقد كنت عنيت بطبع تفسير الاناجيل اخذته عن افضل المفسرين ثم تفسير رسائل بولس والرسل جعلت احد كهنتي الحوري يوسف العلم يعتني بجمعه ثم تفسير رؤيا يوحنا لاحد علمائنا في القرن الماضي ولم يتهياً لي اشهار شيء من تفسير اسفار العهد القديم فمشيت الآن على كل القسم التاريخي في الكتاب المقدس من سفر التكوين الى سفرى المكابيين في تاريخ العبرانيين وتطرق الى كل ما يلتمح بكلامي من آيات الكتاب غير الاخبارية وتعمدت بيان كل غموض وحل كل اشكال فكان لنا بذلك تفسير لجزء كبير من الاسفار المقدسة وعلى المنوال الحديث بعض الاكتشافات . اما ما تضمنه هذا الجزء الاول الذي نجز طبع المجلد الاول منه والمجلد الثاني مأخوذ بطبعه وسوف اقدمه لجانب سدتكم الرسولية في وقت آخر فهو اربع مقالات اولها مقالة افتتاحية ضمنتها ذكر تخوم سورية وجبالها وانهرها وبحيراتها واشهر مدنها القديمة ثم الكلام في خلق العالم والابوين الاولين ثم ذكر شجرة الحياة وشجرة معرفة الخير والشر ومخالفة ابونا ثم ذكر الآباء قبل الطوفان والتطابق بعددهم العشري بين كلام الكتاب وآثار القبائل القديمة لاسيا الكلدان . ثم ذكر نوح والطوفان ومباحثه . ثم ذكر برج بابل وبلبة اللغة . ثم ذكر اللغات واصليها العامين وفروعهما وتفرق القبائل بحسب الانساب التي ذكرها موسى واتيت في كل من هذه المواد على ما يثبتها علمياً ايضاً من آثار القبائل القديمة ومن الصفائح الكلدانية والمصرية والفارسية وسائر ما اكتشف وتوصلت معرفتي اليه من آثار قدماء الشعوب وبالجملة تضمنت هذه المقالة كل ما جاء في الفصول العشرة الاولى من سفر التكوين واختتمت بذكر سكان سورية قبل الطوفان وبعده . وتلي هذه المقالة مقالة ثانية في تاريخ الحثيين الحديث النشأة مشيت فيها اولاً على جميع الآيات المقدسة التي جاء فيها ذكرهم مبيتاً ما تتور بالاكتشافات من هذه الآيات الغامضة ثم تتبع تاريخهم عن الآثار المصرية ثم عن الآثار الاشورية ثم عن آثارهم هم انفسهم والحق ذلك بذكر جالياتهم وارتحالاتهم من سورية الشمالية الى اسيا الصغرى بلاد اليونان وغيرها ثم بذكر الملوك الرعاة في مصر الذين يرجح ان اصلهم

ان جلّ الغرض من كتابي هذا لاسيما في جزئه هذا الاول الذي تمّ بعون الله وفي جزئه الثاني المعقود العزم على تأليفه انما هو جعل الاكتشافات الحديثة معروفة لدى عامة الشعوب المتكلمين باللغة العربية لنفعهم وتقوية ايمانهم بواسطة هذه البينات الحديثة المتسامية عن كل ردّ وهي انطاق الله الحجارة بصحة ما اوحاه لموسى وسائر من كتبوا الاسفار المقدسة

ولما لم يكن لنا بالعربية حتى الآن كتاب يشمل تاريخ وطننا سورية القديم والحديث ويستحق الاركان اليه اردت ان يكون كتابي على سبيل تاريخ تثبتت تلك الآثار لاعتقادي ان هذا السبيل يغري المطالع غير الاكبركي ايضا بالمطاعة اكثر من ان يكون الكتاب دينيا او لاهوتيا فيعثر اثناء مطالعته تاريخا على بينات سديدة لا ترد تثبت له صحة رواية الاسفار المنزلة

ان قد استكم تعلم ان من اراد ان يكتب تاريخ سورية القديم انفسح له مجال الكلام ليتطرق الى كل ما يلتمح بكلامه من تاريخ مصر وبلاد الكلدان واشور طبق نسق الكتاب المقدس وهذه البلاد هي موطن اكثر الاكتشافات الحديثة التي لم يكن لقومنا المتكلمين بالعربية الا علم شائع بها اذ لم يتصد احد قبل الآن ان يكتب فيها شيئا بالعربية اللهم الا فقرات قليلة في بعض الجرائد او شيئا يسيرا في غيرها مع ان موضوع اكثر ما كشف عنه اجدادنا او قدماء سكان بلادنا وقسم كبير منها وجد في ارضنا. وقد بذلت اللجان العلمية الاوروبية وعمداء بعض الدول مبالغ جسيمة من المال في هذا السبيل وغنم بهذه الكنوز سكان اوروبا على اختلاف جنسياتهم ولغاتهم وكان ابناء اللغة العربية عن ذلك غافلين اغفالا يعدّ عارا وخسرانا فشئت ان ابذل كل ما يقدرني الله عليه لنفع قومي ايضا بهذه الكنوز التي اوجدتها عناية الله في هذا العصر لشدة الحاجة اليها.

وقد كان لي ايها الاب الاقدس داع آخر لتأليف هذا الكتاب وهو انه ليس عندنا في اللغة العربية حتى الآن شيء من تفسير اسفار العهد القديم مطبوعا على ما اعلم

ترجمة مقدمة هذا الكتاب

لقداسة امام الاحبار البابا لاون الثالث عشر المالك سعيداً

ايها الاب الاقدس

لم تكن لي حاجة الى اشغال فكري طويلاً لاهتدي الى من اقدم كتابي هذا له . فكل من جال الطرف فيه قضى بلزوم تقديمه لقداستكم لانكم فقط معلم المسكونة الذي اقامه المخلص نائباً له لتعليم العالم الحق وهدايته طريق الخلاص وخليفة القديس بطرس ريس الرسل الذي امره وجميع خلفائه فادينا ان يثبت اخوته بالايمان اي جميع المؤمنين في ادناع الارض كلها وفي كل عصر بل ايضاً لان هذا الكتاب من ثمار ارشاداتكم وتحريضاتكم للاكليس والعلماء الكاثوليكين ان ينكبوا على مطالعة الاسفار المقدسة لان لهم بالتفتيش بها الحياة والقوة لمناسبة اعداء ايماننا الكاثوليكي المقدس الذين كثر عديدهم وتفاقت جسارتهم في هذا العصر وليس ما يفهمهم وبكجج جموح افكارهم مثل ما ان يروا صحة ما رواه موسى وسائر من كتبوا بوحى الله مثبتة بأثار القبائل القديمة لاسيما ما كشف عنها او حلت رموزها في هذا العصر.

اقول الى قداستكم ان تسمح لي لالخص لها الغرض من هذا الكتاب وما حواه لتحيط علماً بمجمله اذ لم تتشرف العربية بمعرفتكم لها

DS
95

D52

1905.

.. v. 1

كتاب

تاريخ سورية

لسيادة الحبر العلامة المفضل المطران يوسف الدبس
رئيس اساقفة بيروت الماروني

الجزء الأول

في تاريخ شعوب سورية القدماء

المجلد الاول

يحتوي مقالة افتتاحية ومقالتين في الحثيين والفونيقيين



طبع في بيروت في المطبعة العمومية الكاثوليكية

سنة ١٨٩٣

PLEASE DO NOT REMOVE
CARDS OR SLIPS FROM THIS POCKET

UNIVERSITY OF TORONTO LIBRARY

DS
95
D52
1905
v.1

al-Dibs, Yusuf
Tarikh Suriyah

